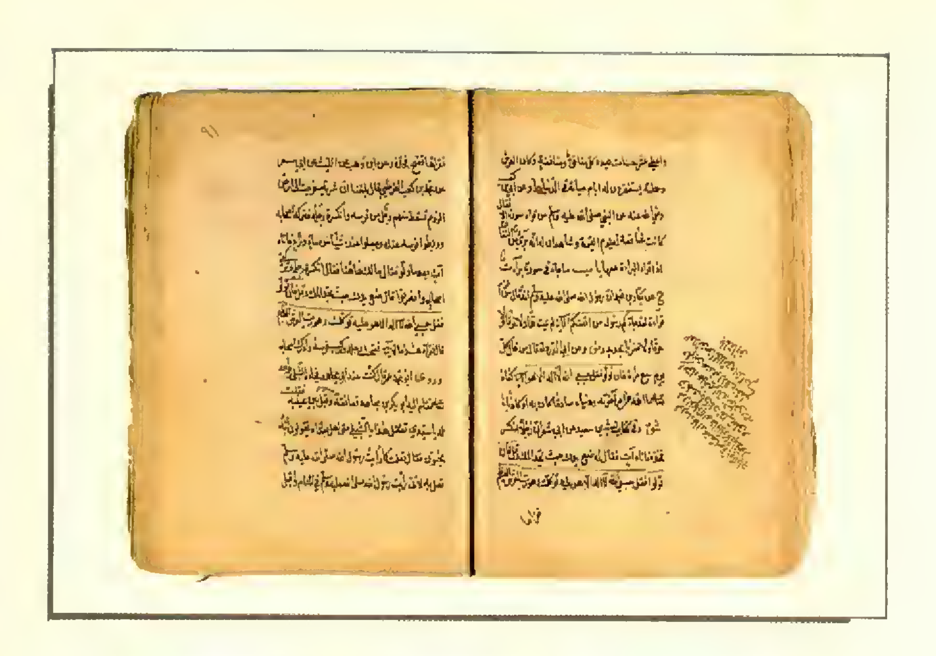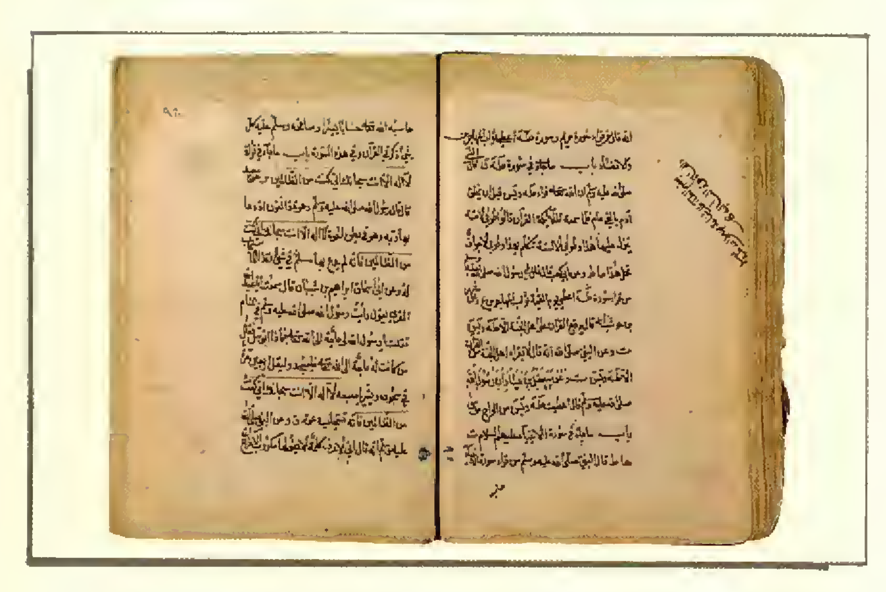
غير مخصص للبيع
الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد (٢٠٧) - رمضان ١٤١٤هـ - (فبراير / مارس) ١٩٩٤م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE 207 FEB/MARS 1994
عمارة المسجد النبوي
ثلاثون وصية لمائدة رمضانية
الصوم في الأديان السابقة









مجلة ثقافية شهرية تصدر
عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
د. زيد بن عبد المحسن الحسين

في هذا العدد

مجلة الفيصل العدد (٢٠٧) - رمضان ١٤١٤هـ - السنة (١٨) - فبراير (شباط) / مارس (آذار) ١٩٩٤م

ملاحظات عامة

- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.
- ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلًا إلى أي جهة أخرى ناشرة.
- حين ترد المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.
- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.
- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

ص. ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

الأسعار:
السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلسًا - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلسًا - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٢٥ ريالًا - مصر جنيهان - السودان ٣ جنيهات - المغرب ٦ دراهم - تونس ٦٠٠ مليم - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٢٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنكًا - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية.

الاشتراكات السنوية: للأفراد ١٥٠ ريالًا سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالًا سعوديًا.

الإعلانات: يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

عمارة البيتين : شاهد حضاري

يطالع القارئ في هذا العدد من المجلة مقالة، كتبها الدكتور عبد المجيد وافي بعنوان «عمارة المسجد النبوي الشريف بين روايات كتب السنن والسيرة النبوية وافتراءات مستشرقي العمارة»، تفند ما جاء في كتابات بعض المستشرقين من مزاعم ودعاوى حول بناء المسجد النبوي الشريف.

المتأمل في تلك الافتراءات والمزاعم يقف على حقيقة مراميها وأهدافها التي تتمثل في محاولة إفراغ الحضارة الإسلامية من كل فضل لها في أي علم وفن، وتصويرها على أنها تابعة لغيرها من الحضارات، وناقلة عنها، دون إبداع أو ابتكار بضيف للحضارة الإنسانية إنجازاً له قيمته وثقله.

والخطورة في تلك الافتراءات المتعلقة بالمسجد النبوي الشريف، وتاريخ بنائه، وتطور عمارته، أنها تمس ثوابت في الثقافة الإسلامية. فالمسجد النبوي الشريف ثاني مسجد في الإسلام بعد قباء، وكان محوراً رئيساً لبناء دولة الإسلام الأولى، فهو لم يكن مكاناً للعبادة فحسب، وإنما كان مركزاً تعليمياً، ومقراً للتباحث والتشاور في هموم الأمة، ومجلساً للقضاء. وقد انطلقت منه ألوية جيوش الفتح، تنشر دين الله في كل بقاع الدنيا. وقد كرم الله هذا المسجد الشريف بأن جعله أحد ثلاثة مساجد تُشد إليها الرحال.

إن الرسول ﷺ عند بنائه لمسجده الشريف في المدينة المنورة، وضع قواعد معمارية اقتدى بها الفاتحون المسلمون في تأسيسهم المدن الإسلامية الجديدة كالكوفة والبصرة والقيروان وغيرها، فكل تلك المدن جعلت المسجد المركز الرئيس الذي تتأسس حوله كل المنشآت الحيوية فيها، كالأسواق ودار الحكم وتابعاتها من مؤسسات تُسيِّر شؤون الأمة.

ويجد كل مهتم بفنون العمارة أن المهندسين المسلمين استطاعوا أن يضفوا الطابع الإسلامي على العمارة في كل المدن التي فتحوها ــ برغم ما كان لكثير من تلك المدن من عراقة وتراث معماري راسخ في القدم ـ حتى إن بعض المستشرقين المنصفين ذكروا أن فناني أوربا اقتبسوا من فن العمارة الإسلامية في الأندلس أعظم الأعمال التي كتبت لهم الشهرة والبقاء في ذاكرة الإنسانية.

وقد وجه هؤلاء المستشرقون انتقادات حادة لمحاولات طمس معالم الفن الإسلامي في عمارة المدن الأندلسية، التي تمثلت في إضافة بعض فنون المعمار المسيحي إليها، ومنهم المستشرق الأسباني أمادور دي لوس ريوس، الذي يصف الإضافات المعمارية المسيحية في جامع قرطبة بأنها تشويهات لم تستطع أن تغير شيئاً من ذخائر الفن الإسلامي؛ لأن هذه الذخائر ـ حسب رأيه ـ خُتمت بخاتم الفن الذي أوحى بها، وروح الأمة التي وضعت خطتها وأقامتها.

لكن هذا الرسوخ والثبات في ملامح العمارة الإسلامية لم يمنع مستشرقين كثيرين من التجني عليها، والادعاء بأنها خليط من العمارة الفرعونية والبيزنطية والرومانية وغيرها، وأن المسلمين وقفوا في هذا الفن عند حدود النقل والاقتباس، ولم يتعدوه إلى الإضافة والابتكار. ويجيء هذا التشكيك والادعاء في إطار الحملة الضارية على الإسلام وإسهاماته الحضارية، إذ إن العمارة وفنونها تعبير حي عن الحضارة التي تنتمي إليها، وفي الوقت نفسه انعكاس لها، بحيث يمكن أن تكون مقياساً للمستوى الحضاري، أي أن الحضارة الإسلامية هي المستهدفة أصلاً بالنقد ـ غير الموضوعي ـ الذي يحاول أن ينال منها، وينقص من قدر عمارتها بنفي صفة التميز عنها، والإصرار على تهمة النقل والاقتباس الجامدين بها.

كما أن تفسيرات هذا البعض من المستشرقين لمفردات العمارة الإسلامية ورموزها ينبئ عن جهل بواقع العقلية الإسلامية ومرتكزاتها العقائدية، وهذا ما فطن إليه الدكتور عبد العزيز الدولاتلي في كتابه «مناهج المستشرقين في دراسة الفنون الإسلامية»، حين أورد منظور العالم بابا دوبولو إلى المحراب الإسلامي الذي مفاده أنه «رمز إلى وجود الرسول ومن خلاله إلى الله نفسه»، وقد علق على ذلك الدولاتلي بقوله: «نشعر وكأنه يتحدث في أمور تتعلق بالديانة المسيحية أو البوذية؛ لأن الدين الإسلامي لم يعودنا، قط، مثل هذه الرموز التي يستعين الإنسان بها في بعض الديانات ــ ماعدا الديانات السماوية غير المحرفة ـ لإدراك خالقه. ذلك أن الرجل المسلم قد دأب على الاتصال بخالقه مباشرة دون حاجة إلى أي وسيط».

والخلاصة إن فهم العمارة الإسلامية يجب أن يستند إلى معرفة عميقة للعقيدة الإسلامية التي تتميز بنظرتها الشمولية للكون والحياة والإنسان، بحيث تصبغ كل شيء في حياة المسلم بقيمها.

هذا التكامل في الرؤية يمنح المسلم طمأنينة داخلية وتوازناً نفسياً يهيئان له التأقلم مع عالمه والتفاعل المستمر مع محيطه، مما ينعكس على نتاجه الفكري الذي يجيء متسقاً مع مرامي العقيدة. فقد صاغ المسلمون ما نقلوه من علوم الحضارات الأخرى وفنونها صياغة إسلامية بحتة، تتكامل مع إبداعهم الحضاري، وتعبر عن قيمهم، وذلك ما ينطبق على فن العمارة الذي جاء في صورته النهائية فناً إسلامياً خالصاً، يؤكد اتساق شخصية المسلم وتكاملها، وارتباطه الوثيق بتراثه الحضاري الثر.

وهذا الفن الذي اتخذ طابعه المميز الخاص ـ تخطيطاً وتصميماً وتنفيذاً ـ في صدر الإسلام عبر عن نفسه كأروع ما يكون التعبير، في عناصر عمارة الحرمين الشريفين ومكوناتها في العصور المختلفة، إذ حرص المسلمون على أن تكون عمارتها متفردة دوماً، كما هي مكة المكرمة والمدينة المنورة متفردتان بجلال ما تشتملان عليه من بقاع طاهرة مقدسة.

وقد تميز العهد السعودي ـ بصفة خاصة ـ منذ تأسيس المملكة على يد الباني الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ بتوجيه اهتمام متعاظم للمدينتين المقدستين والحرمين الشريفين، وتجسد هذا الاهتمام في المشروعات العديدة لتطوير المدينتين وتوسعة الحرمين، حيث شهدت الفترة الممتدة من العام ١٣٧٥ هـ إلى العام ١٣٩٦ هـ توسعتين في الحرم المكي، بدأت الأولى في عهد الملك عبد العزيز وانتهت في العام ١٣٨٥ هـ على عهد الملك سعود ـ يرحمهما الله ـ وقد تمت على أربع مراحل. أما التوسعة الثانية فقد كانت في عهد الملك فيصل ـ يرحمه الله ـ، وبلغت المساحة الإجمالية للتوسعتين حوالي ١٧١,٠٠٠ م٢ بما يعادل ٦ أضعاف المساحة السابقة. كذلك شهد الحرم النبوي الشريف مشاريع للتوسعة (حتى عهد الملك خالد ـ يرحمه الله ـ) بلغت إجمالي مساحتها ٥٩٢٣٨ م٢، ثم توجت هذه الأعمال الجليلة في خدمة المقدسات الإسلامية بمشروع الملك فهد بن عبد العزيز لعمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، الذي يعد أكبر مشاريع التوسعة في تاريخ الحرمين الشريفين من حيث الزيادة في المساحة والطاقة الاستيعابية وتهيئة الخدمات والمرافق، فالمشروع يضيف إلى الحرم المكي مساحة قدرها ١٣٥,٠٠٠ م٢، ترفع الطاقة الاستيعابية للحرم إلى أكثر من مليون مُصلٍّ، كما أن مساحة التوسعة في الحرم النبوي الشريف بلغت ١٤٨,٥٠٠ م٢، لتصل طاقة استيعاب مسجد الرسول ﷺ إلى أكثر من ٧٠٠,٠٠٠ مُصلٍّ، هذا فضلاً عن مشروع تطوير المنطقة المركزية المحيطة بالحرم النبوي الشريف.

إن المتمعن في هذه المشاريع يجد أن القائمين عليها قد حرصوا على أن تكون التوسعات متسقة مع العمارة القديمة، فالملك فيصل ـ رحمه الله ـ أكد على هذا الجانب حين وجه بالإبقاء على المبنى العثماني التاريخي مهما كانت التكاليف، وكذلك جاء العمل الإسلامي الرائد الذي نهض به خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله ــ رغم ضخامته وتعدد تفصيلاته ـ مندمجاً في التوسعات السابقة ومتسقاً معها.

ولاشك أن حصافة المهندس المسلم قد تجلت في هذا الإنجاز الرائع الذي استلهم فيه عظمة المكان وقدسيته، للتعبير عن عبقرية العمارة الإسلامية وأصالتها وتميزها من سائر فنون العمارة لدى الحضارات الأخرى، مما يفند كل افتراء وزعم يحاول النيل منها.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

عن الصيام في سابق الأديان



بقلم: د. حسن ظاظا

يقف الباحث في تاريخ الأديان ومقارنتها أمام شريعة الصيام حائرًا، إذ يرى أن شرائع أخرى للعبادات في مختلف الملل، تختلف أشكالها وأعمالها وأوقاتها من دين لآخر، الآ الصيام. فصلاة المسلم، بفروضها وأوقاتها وأركانها وآدابها وعدد ركعاتها، لا تشبه صلاة البوذي أو الكونفوشي أو النصراني أو اليهودي، وكذلك الأضحيات والصدقات وأنواع الزكاة، تختلف قيمةً وشكلاً ووقتًا من دين لدين، ومثل ذلك الحج، فهو شريعة شائعة بين البشر، لكنها تتباين في المكان الجغرافي المحدد لها، وكذلك في طقوسها ورسومها.

أما الصيام فإنه وإن اختُلف في عدد أيامه، وفي موقع هذه الأيام من الزمن، يبقى في جوهره كما هو: حرمان اختياري تعبّديّ من الطعام والشراب، وما يلابس ذلك من الترف الأقل ضرورة للإنسان كالعطر، ومس الزوجة، وتبادل الحكايات الملهية أو المضحكة؛ لأن الصيام عبادة، وفي العبادة حالة إحرام ينبغي للمتعبد أن يحترمها. وقد تصل هذه الحالة إلى الصيام عن الكلام كله إلاّ ما دعت إليه الضرورة الملحة، كقوله تعالى على لسان السيدة مريم: ﴿إني نذرت للرحمن صوما، فلن أكلّم اليوم إنسيًا﴾ مريم ٢٦، فهي في صومها الذي نذرته التزمت الصمت إلاّ لإجابة السائلين، ولم تكن صائمة عن الكلام فقط، بل صياما كصيامنا في رمضان.

اختلاف في الأهداف والمقاصد

وتعاقبت الأديان والصيام متشابه، وإن اختلفت أهدافه ومقاصده. فالعرب قبل الإسلام كانوا يحرّمون على أنفسهم الطعام والشراب - خصوصا الخمر - إذا نووا أن يثأروا لقتيل منهم، كما كان كثير منهم يحرّم الطيب ومعاشرة النساء وسماع الألحان والنوم على الوثير من الفرش حتى يستقي «الهَامَةَ» من دم القاتل. والهامة في أساطيرهم طائر يصيح بالليل على قبر القتيل - من فصيلة البُوم - ويقول: اسقوني! اسقوني! من دم قاتلي. ولا يختفي إلا بعد القصاص من القاتل. والشاعر الجاهلي المتصعلك ثابت بن جابر الفهمي المشهور باسم «تأبط شرا» عندما قتلت قبيلة هذيل خاله الشنفرى، وكان صعلوكا مثله، حرّم الخمر على نفسه إلى أن أغار على القتلة وأخذهم بدم خاله، وفي ذلك يقول من قصيدة مشهورة:

فاسْقِينِهَا يا سَوادَ بْنَ عَمْرٍو ... إن جِسْمي بعدَ خَالي لَخَلُّ
حَلّت الخَمرُ وكانت حَرَامًا ... وبِلأْيٍ مَا ألَمَّتْ تَحِلُّ
تَضحَكُ الضبعُ لقتلَى هذيْلٍ ... وَتَرى الذئبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ

فالصيام عند المؤمنين والكفّار وعبدَة الأصنام، بل عند العلمانيين أساسه الحرمان من القوت، وكثير من كماليات الحياة بأمر الله للمؤمنين، وبأمر الكهنة للكفار والوثنيين، وبأمر الطبيب لغير المتدينين. فما منشأ هذا اللون من مجاهدة النفس؟

علامة للحداد

كان انصراف النفس عن الطعام والشراب العَرَضَ المادي لحزن عميق، فصار علامة للحداد، وما تزال شعوب كثيرة في العالم - المتحضر وغيره - ترسل

إلى بيت الميت طعامـا جاهزا يأتي من الجيران أو بعض الأصدقـاء مواساة لهم في مصابهم. وهي ـ أيضًا ـ سنة سنّها الرسول ﷺ للمسلمين.

ففي بداية قصة أيـوب عندمـا أصابه البـلاء، وهلك أولاده واحترقت داره ونُهِبَت ماشيته، جاء ثلاثة من أصدقائه لمواساته: فرفعوا أبصارهم من بعيد فلم يعرفـوه، فرفعوا أصواتهم، وبكوا، وشقّ كل منهم رداءه!!، وذروا التراب على رؤوسهم نحو السماء، وجلسوا معه أرضًا سبعـة أيام وسبع ليالٍ، لم يكلّمه أحد بكلمـة؛ لأنهم رأوا أن حزنه كان شـديدا جـدا. (سفر أيـوب ٢: ١٢، ١٣) وأيوب ورفاقه كانوا عَرَبًا وليسوا من اليهود.

وفي الديانات الوثنية القديمة كانت الطقوس والشعائر تتبع وقائع الأساطير والخرافـات التي يتغنى بها الكهنة والكـاهنـات ومن يغشى معـابد الأصنـام من المشركين. وفي أيـام معلومـات تقضي الأسطـورة بأن يختفي بعض تلك الآلهة أو يقع في مأزق أو يـؤسر أو يقتل. وعنـدئذ يكون اليـوم مـوسم بكاء وحـداد على طريقتهم في الحداد على مـوتاهم، وأهم مظاهر هـذا الحزن الجماعي: الصيام، نجد ذلك عنـد الفراعنـة والمجوس والبوذيين وفي الـديانات البـدائية الإفريقية ولدى البراهمة الهنود وفي ديانات اليونان والـرومان والجرمان والنورمنديين في أوربا القديمـة، وفي قبائل المايـا والأزتيك وغيرهم من الهنود الحمـر في أمريكـا. فيوم هزيمة المعبود أو مـوته أو تعذيبه، هو يوم حزن ولطم للوجـوه وتعذيـب للأبدان وبكاء وعـويل وصيام. وربما صـادف ذلك فصلاً من فصـول السنة تكـون فيه الأرض جرداء جف فيهـا الزرع ونضب الضرع وقل الغـذاء، أو اكتست الأرض بالجليـد، وتجمدت الأنهار وشواطئ البحـار، فصعب الصيد، ونـدر الطعام، وقلّ الحطب للوقود. وكـانت الأديان الوثنية تربط هـذا بالأساطير، و تجعل من تلك الأيام العجاف مواسم تقشف وصيام، لصعوبة الحصول على الطعام.

وفي شبه الجزيرة العربية كان أقسى فصول السنة الصيف والشتاء. الصيف بحَرّه الـلاهب وجفاف الماء فيه، واحتراق العشـب والنبات، وانقطاع الفـواكه والثمار، إلا عنـد الأغنيـاء المقتـدرين الـذيـن يخزنـون التمـر واللحم القـديـد، ويستمـرون في تغذية مـا شيتهم بما تكـدّس في مخازنهم من العلف، فيشربـون ألبـانها. وكـان التمـر واللبن مـن عـلامـات الغنى، وسمات الترف والبذخ في الصيف. ولـذلك تقـول امرأة لـزوجهـا بعـد أن زعم لها كثـرة الخير عنـده في الصيف. ثم تبين لها عكس ذلك:

وَخَـــدَعْتَنِي وزعَمْـتَ أَنَّكَ لابنٌ بـــالصيف تَـــامِــرْ

وفي الشتاء يشتدّ البرد في الصحراء، وخصوصًا بالليل. فيحتاج الناس إلى مزيد من الغذاء والكساء، والشراب الساخن، والوقود للتدفئة والإضاءة في ليل الشتاء البارد الطويل، يقول حاتم الطائي:

أَوقِـــدْ فَإِنّ الليـلَ ليلٌ قَـــرُّ   والـريحُ يـا غُـلامُ ريحٌ صِرُّ
عَلّ يَـرى نـــارَكَ مَنْ يَمُـــرُّ   إنْ جَلَبَتْ ضيفًـا فـأنتَ حُـرُّ

وكثر الهجاء بالبخل بالطعام والوقود في الشتاء، والشاعر الجاهلي يعير بعض من يهجوهم بقوله:

تَبِيتُـونَ في المَشْتَى مِـلاَءً بُطُونُكُم   وَجَـارَاتُكُمْ غَـرْثَى يبِتْنَ خَمَائِصَـا

فتيما عدا أولئك الأثـرياء، كانت بقيـة الشعب تترك الديار وتـرحل صيفا وشتاء إلى مواطن أقل شظفًا وأيسر مئونة. وكانت قـريش تذهب بتجارتها إلى الشام في الصيف، وإلى مصر أو اليمن في الشتاء، فإذا جـاء موسم الحج كانوا قد رجعوا إلى مكة بقوافلهم يستقبلون الوافدين إلى بيت الله الحرام، وهذه رحلة الشتاء والصيف المشـار إليها في القرآن الكريم. أمّا رمضـان فكان الكثير منهم يصومه اضطرارًا لا تدينًا؛ لأنه كان يأتي في أوج الصيف ـ في الرمضاء ـ ولا يدور مع فصول السنـة إلا بعد أن ألغى الإسـلام النسيْ، وجعله زيـادة في الكُفْر، كما جـاء في التنزيل، وهكـذا خرج صـوم رمضـان عن نطاق العـادة الاضطراريـة الموسمية، إلى أن صار عبادة وطاعة وركنًا مـن أركان الإسلام، مفروضًا فرضا لا يقبل الجدال أو النقاش أو التحليل أو التعليل، لـذلك نصّت الشريعة فيه على حالات الاستثناء الضروريـة، دائمةً كانت أو مؤقتة. ويأخذنـا العجب عندما نبحث في الصيام في الـديانتين السماويتين الأخـريين: اليهوديـة والنصرانية من خلال أسفار التوراة ونصوص الأناجيل.

الصوم والتعنيت

فـالمادة اللغـوية «صَـوْمٌ» مـوجـودة في اللغـة العبرية كما هي في العـربيـة. واستُعملت كلمة أخـرى مرة واحـدة في كل الكتاب العبري لليهـود هي كلمة «تَعنيت» (سفر عزرا ٩: ٥) وهي مشتقـة من «العَنَاء» أو «العَنَت». وفي سياق استعمالها في كتاب النبي عزرا (العُزَيْر) يُفهم منها أنه قام عند حلول قربان المساء في الهيكل، من عنائه طول اليـوم. واجتهد المفسرون فقالوا: إنـه قام في المساء، وفي وقت قـربان أول الليل في الهيكـل؛ لأنه كـان صـائما حتى تلك السـاعـة. واختار اليسوعيون الكاثوليك في تـرجمتهم العربية عبارة «وعند المساء قُمْتُ من عنائي» ومع هذا الاختـلاف في الدلالة فقد خصص التلمـود جزءًا وافيًا لبحث أحكام الصوم وشرائعه عندهم، وسمّى هذا الجزء (تَعْنِيت)! تاركا مادة (صوم) على الرغم من أنها تكررت في كتاب اليهود «العهـد القديم» وبالمعنى المحدد لها في العـربية أربعـا وعشرين مـرة. فهل قصد أحبـار التلمـود الإشارة إلى مـا في الصيام من عنت وعنـاء وتعذيب للنفس؟ الله أعلم. لكن هناك أمـر آخر مهم جدا، يقـف أمامـه الباحث في الـدين اليهودي مـدهوشًـا ومشدوهًـا، وهو أن الصوم لم يُنَصّ عليـه في خماسية التـوراة، أي الأسفار الخمسـة الأولى من كتاب اليهود، وهي:

١ ـ التكوين (من بدء خلق العالم إلى وصول يوسف إلى مصر، واستقرار بني إسرائيل فيها).

٢ ـ سفـر الخروج (من ولادة موسى إلى بعثتـه، وتحديه لفـرعون وسحـرته، بصحبة أخيه الأكبر هارون، ثم خروج بني إسرائيل من مصر بمعجزة عبروا بها البحر، وغرق فرعون وجنوده).

٣ ـ الـلاويين، أو الكهنة، أو الأحبار. وكان سبط (لاوي) الـذي صار في

لكنة اليهود الآن (ليفي) هو عشيرة موسى وهارون، فآلت إليهم الكهانة والإمامة. (وفي هذا السفر أحكام التنظيم الديني للجماعة في أثناء وجودهم في التيه بصحراء سيناء أربعين عاما).

٤ ـ العدد، وأطلق هذا الاسم على السفر المذكور؛ لأنه (يتضمن التنظيم الاجتماعي والعسكري للجماعة، مما دعا إلى احتوائه على كثير من الإحصاءات والأعداد).

٥ ـ التثنية، (وهو أشبه بملخص لما ورد في الأسفار الأربعة السابقة من أحكام، وينتهي بوفاة موسى وهارون قبل وصولهما إلى فلسطين هما ومن معهما من بني إسرائيل). وهذه المجموعة الخماسية التي يعدّها اليهود أقدس نص عندهم، ويشترطون وجودها في خزانة خاصة، مخطوطة باليد على جلد أو رق، وبيد كاتب خاص لذلك. ولا تجوز صلاة الجماعة شرعا في مكان لا يحتوي على هذه النسخة من (التوراة) التي ينسبونها إلى موسى، والتي لا أثر فيها لشريعة الصيام إطلاقا! وهذه المرات التي أشرنا إلى ورودها توجد في أسفار متأخرة جدا

○ صوم اليهود، في ظاهره، شبيه بصوم المسلمين، لكنه موزع على مدار العام بطريقة "التقسيط المريح"!

عن عهد موسى. ومع ذلك فمن المؤكد أن بني إسرائيل الذين خرجوا من مصر مع موسى كانوا يصومون تعبدًا وفي أيام معلومة، وفي هذا الكتاب نفسه فُرضت الصلاة، والصدقات، والأضاحي، والقرابين، وحُرّمت أشياء مما يأكل غيرهم من الأمم مثل ذوات الأظفار والأنياب من الوحوش، وذوات المِنْسَر (المنقار المعقوف) والمخالب من الطيور، وما لا قشر عليه من السمك، وكذلك كل رخويات البحر كالأربيان (القريديس أو الجمبري) أو صغار هذه الفصيلة مثل برغوث البحر، وكبارها العملاقة (الاستاكوزا، واللوبستر، والشرُنْباق) وأنواع السرطانات المختلفة، كما حُرمت عليهم أية ذبيحة لم يقم بها يهودي مأذون له من الحاخام، وما يطول ذكره من عجائب الفقه في الأطعمة، وورد تحريم لحم الخنزير نصًّا في هذه التوراة. لكن نصّها كتبه جامعوها بعد موسى بألف سنة، غير محترزين من خطأ أو سهو أو تناقض. وربما سقطت شريعة الصيام سهوًا من نصوصهم، مع بقائها تقليدًا متبعًا في عباداتهم... ربما! بل ربما محوا شريعة الصيام المُوسَوية ليحلّوا محلها شرائع صيام للحزن والحداد السياسي، أليسوا هم أهل التحريف والتبديل:

١ ـ ففي اليوم الرابع من شهر «تِشْري» أول شهور السنة اليهودية، ويوافق «أكتوبر» الميلادي، يصومون حدادًا، ويسمون هذا اليوم «صوم جِدَليا» تذكيرًا بقتل جدليا بن أحيقام الذي ولاّه بختنصر ملك بابل على البقية الباقية من اليهود في فلسطين بعد احتلاله لها. وتقول القصة اليهودية: إنَّ الحاقدين على اليهود اغتالوا جدليا حتى يتمكنوا من القضاء على من بقي معه من اليهود. وهي وقعة لا نستطيع الجزم بصحة الرواية اليهودية لها.

٢ ـ يوم كِبُّور (التكفير) ويسمى أيضا يوم الغفران، وهو اليوم العاشر من شهر تِشْري، يمسكون فيه عن كل شيء، وكان اسمه عندهم قديما «يوم كِبُّوريم» أي يوم الكفّارات. وهو صيام للحداد على دخول جيوش بختنصّر البابلي إلى أورشليم ـ القدس، وإحراقها وتدميرها، بعد نزول التوراة على سيدنا موسى بنحو من ألف سنة (سنة ٥٤٦ قبل الميلاد، وموسى حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد). وصيام هذا اليوم من أوجب واجبات العبادة عندهم، حتى إنَّ أكثرهم لا يعبأ بالصيام إلاّ في يوم الغفران، ومدة الصيام فيه تبلغ سبعًا وعشرين ساعة. ويجب فيه الإمساك عن الطعام والشراب والبيع والشراء ومخالطة النساء وأداء أي عمل من أعمال الدنيا، منذ أن «يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأزرق» كما تقول المِشْنَا (أهمّ كتب الشريعة بعد التوراة) إلى بزوغ أول نجم في السماء بعد غروب هذا اليوم، أي ما بين المغرب والعشاء. وهو صوم جماعيّ يحتشد فيه اليهود في المعابد للإنصات إلى قراءة مختارة من النصوص الدينية، تتخللها عبارات التوبة والاعتراف، والندم على ارتكاب ما وقع من الخطايا طيلة العام المنصرم، والتكفير عنها بالصلوات والقرابين والفدية، وردّ المظالم إلى أهلها، وطلب العفو من الله ومن المعتدىٰ عليهم من الناس. ومن أهم ما يسمعونه في المعبد قراءة نصّ من التلمود باللغة الآرامية أوّله «كُلْ نِدْرِي وأَسَارِي وشْبُوعي»... الخ، أي كلّ النذور والتحريمات والأيمان... الخ ملغاة ولا قيمة لها ولا إلزام بها! وفهم عوامّ اليهود أن هذا تصريح من التلمود بأكل الديون، ونقض العهود، وعدم التقيد باليمين إزاء غيرهم، في حين أن فقهاء اليهود أفتوا بأن الداعي إلى وضع هذه الشريعة في التلمود أن اليهود، في فترات الاضطهاد التي عانوها لدى الأمم الأخرى، كانوا يُجبَرُون على أداء أنواع من الجزية أو القرابين إلى معابد غير يهودية، وكانوا يُطالبون بإعلان الارتداد عن دينهم تحت تهديد القتل، وتأكيد هذا بالأيمان، والتعهد بعدم قراءة الأدعية والصلوات اليهودية، وتحريمها على أنفسهم وذويهم، فهذه العهود والنذور والمواثيق المؤكدة باليمين تسقط عنهم، وتصبح كأن لم تكن! ونبّه علماؤهم إلى أن فهم عوام اليهود لهذا النص مخالفة صريحة لأمر التوراة إذ تقول: ... وأما ما خَرَجَ مِنْ شفتيْك فحافظ عليه (سفر التثنية ٢٣ : ٢٤).

٣ ـ صوم إستير، وهو يوم ١٣ أذار (فبراير ــ مارس بالتقويم الميلادي) وهو أيضا فاتحة حزينة لأيام عيد صاخبة تسمى «بُورِيمْ» أي الحظوظ والأقدار أو الأَنْصِبَة. ويُحيي هذا العيد ذكرى وصول فتاة يهودية جميلة جدا اسمها «إستير» أي النجمة أو الكوكب بالفارسية القديمة، واسمها اليهودي «هَدَاسَه» إلى إيقاع كسرى أرطا كسركسيس (أحشويروش بالعبرية) في غرامها، إلى أن نالت منه صفة «ملكة» حسب زعم كتاب العهد القديم اليهودي، وأمرت بقتل جميع أعداء اليهود من الإيرانيين، وفي مقدمتهم كبير وزراء الإمبراطور وزوجته وأولاده.

وكان ذلك منها «لإثبات يومَيْ بُوريم هَذَين في أوقاتهما، كما سنّهما

مُردخاي اليهودي (خالها) وإستير الملكة، وكما أوجبوا على أنفسهم وعلى أعقابهم شرائع الصيام والنواح» (إستير ٩ : ٣١) فكان اليوم الثالث عشر من آذار مخصصًا لذلك في مدينة شوشان عاصمة إيران وقتئذ، واليوم الرابع عشر لبقية الأقاليم. فهو كما نرى عيد سياسي للثأر من أعداء اليهود، يبدأ بالصوم، وينتهي بانفلات صاخب من جميع القيود، يصبح شرب الخمر فيه إلى درجة السُكْر البيِّن سُنَّة عندهم، كما تكثر فيه المواكب التنكّرية يلبسون فيها ثيابا وأقنعة تمثل استير ومردخاي والإمبراطور المتيم، ثم أعداء اليهود في أقبح هيئة، تحت صور تمثل كبير وزراء الإمبراطور وزوجته وأولاده معلقين في حبال المشانق، مما دعا المؤرخين المسلمين القدماء إلى تسمية هذا الاحتفال اليهودي «عيد المسخرة» أو «يوم المساخر»! وقد زعموا في التلمود أنه عيد قديم يرتفع إلى أيام يوشع بن نون أول من دخل أرض فلسطين بعد وفاة موسى وهارون، وليس هناك ما يؤيد هذا الزعم، حتى في نص سفر يوشع الموجود بين أيديهم الآن. ويبدو أن الذين كتبوا قصة إستير كانوا من أتقياء اليهود، وأحسوا بأن القصة فيها مباذل كثيرة، وأن الإفطار من الصوم الذي كان مقدمة لها، كان يقتضي إسرافا في السُكر والعربدة والمسخرة، فتجنبوا أن يحتوي هذا السفر على اسم من أسماء الله، خشية أن يُقرأ في ظروف لا تليق بلفظ الجلالة. فهو السفر الديني الوحيد الذي لا يرد فيه ذكر الله! ولما كانت أسفار العهد القديم اليهودي قد صارت من أركان الإيمان المسيحي، فقد (ألّف) له النصارى تذييلا في كتابهم باليونانية، يبدأ بتكملة للفصل العاشر القصير جدًا، تليها أربعة فصول وافية، زادتها النسخة المسيحية اللاتينية فصلين آخرين يسيران بقصة إستير نحو (نهاية سعيدة) بعد أن تركها النصارى اليونان هي وخالها مردخاي يواجهان انتفاضة من أعداء اليهود في إيران. و السِّمَة الغالبة على تلك الفصول المزيدة هي الإسراف في ذكر الله، كأنه تعويض عن اختفائه في النص اليهودي الأصلي.

ففي بداية الفصل الرابع عشر (نهاية الإضافة اليونانية) يقول الكاتب: «والتجأت استير الملكة أيضا إلى الرب، خوفا من الخطر الداهم. فنزعت ثياب المُلْك ولبست رداءً للحزن والبكاء، وألقت على رأسها رمادًا وزِبلاً بدل العطور المختلفة، وذلّلتْ جسدها بالصوم، وملأت كل المواضع التي كانت تَسْعَدُ فيها، بِنُتَفٍ منتزعة من شعر رأسها!» (استير ١٤ : ١، ٢) وبدأت «النهاية السعيدة» المدسوسة في النسخة اللاتينية هكذا: «ثم إنها في اليوم الثالث نزعت ثياب حدادها، ولبست ملابس أُبّهتها، وتزينت بشارة المُلْك، ودعت الله مدبّر كل شيء ومخلص الجميع» (استير ١٥ : ٤، ٥).

وتدل البحوث اللغوية والتاريخية والاجتماعية حول هذا السفر أنه لا يرتفع إلى ما قبل مائتي سنة قبل الميلاد، فهو نص متأخر، وسياسي بحت، علاقته بالصراع بين أنانية اليهود، وحيلهم للوصول إلى مزيد من القوة والنفوذ والسيطرة، وبين اللاسامية التي تثور في نفوس الأمم الأخرى. فنحن أمام نصّ لأقصوصة يهودية عن فُرَص القوة لليهود في الشتات، وليس في أرض الميعاد، وهي أقصوصة مسلّية لا شك، ولكن ليس للجانب المسلي؛ أن جرت التقاليد الدينية اليهودية على وضع نسخة خطية منها في خزانة كل معبد مع نسخة التوراة جنبًا إلى جنب، بل للجانب السياسي.

٤ ـ صوم تموز (آخر يونية وأوائل يوليه بالتاريخ الميلادي) ـ وفي اليوم الثامن عشر من هذا الشهر يصوم اليهود إحياءً لذكرى تحطيم موسى لألواح التوراة، التي نزل بها بعد أربعين ليلة خلا فيها إلى الله على جبل طور سيناء، فوجد قومه قد كفروا وعبدوا صنما من ذهب على شكل العِجْل، ولما كان مثل هذه الأيام مشؤومًا، فقد أضافوا إليه أنه في ذلك اليوم نفسه، بعد هذا التاريخ بنحو ألف وخمسمائة عام، استولى القائد الروماني المسمّى في التلمود بـ «وستهوموس» على أورشليم وأحرق التوراة التي كانت في الهيكل، كما وقع في هذا اليوم إبطال التقدمة اليومية صباحا ومساء للمعبد ـ (التلمود ـ تَعْنيت ٨٤ : ٦). ومع ذلك فقليل من اليهود من يصومه الآن، ربما لشدة الحرّ!!

٥ ـ ولعل أشهر أيام الصوم بعد يوم الغفران، هو يوم التاسع من آب (يوليه ـ أغسطس). ففي هذا اليوم يقيم اليهود الحداد والبكاء (عند حائط المبكى) على سقوط مدينة أورشليم ـ القدس أمام هجوم القائد الروماني تيتوس بن فسيازيان وخليفته على العرش بعد ذلك، واقتحامه الهيكل وتدميره له، وهو الهيكل الثاني الذي بناه نحميا وافتتحه عزرا (العُزَير) وكتب له نسخة التوراة الواجبة، بعد أن قرأها وشرحها هو وكهنة المعبد من الصباح إلى الظهر، ولابد أنها كانت أقصر بكثير من النص الذي معهم الآن والذي يحتاج لمجرد قراءته إلى أيام بكاملها، إلا أن كانت قد وقعت معجزة، وما أكثرها!

وقد قام هيردوس بترميمه وتوسعته، وفي عهده وُلد عيسى المسيح عليه السلام. وعاش هذا الهيكل إلى أن دمره تيتوس عام ٧٠ ميلادية، ومن بعد هذه الحروب بين الرومان واليهود عام ٧٠ م بدأ إخلاء فلسطين ممن بها من السكان اليهود، الذين انتشروا في جهات قريبة أو بعيدة من العالم في ما يسمى (عصر الشتات) ـ الدياسبورا باليونانية ـ واستمر إلى قيام الصهيونية الحديثة، وإعلان دولة إسرائيل في فلسطين، يوم ١٥ مايو عام ١٩٤٨ الميلادي.

فصوم اليهود، الذي يشبه في شكله الظاهري صوم رمضان في الإسلام، لا يَمُتُّ له بصلة من حيث حكمته. فهو كما رأينا صيام موزَّع على العام كله بطريقة «التقسيط المريح»، ولعدد من الأيام أقل بكثير من شهر رمضان، كما أن الصيام اليهودي لا يمت بصلة إلى موسى عليه السلام، وإنما فرضوه بعده بأزمان متفاوتة وطويلة لأهداف سياسية بحتة، حتى لا ينسى اليهود أعداءهم على مرّ الأزمان، وهي ذاكرة غبية جدا، أوقدت نيران اللاسامية عند الأمم الأخرى، ولو كان صيامهم لمجرد الطاعة والعبادة لنسوا أحقادهم القديمة، وغدت معيشتهم مع العالم بسلام لا تشوبه شائبة، ولكن ليس هذا من شأننا، وإن كنا نلمسُ أن اليهود الذين كفّوا عن هذا الصيام السياسي الأصل منذ أجيال قد استبقوا الهدف الذي فرضه أحبارهم من أجله وهو الحقد على أمم العالم، الذي يغذّون به اللاسامية دائمًا.

ومن أغرب شرائع الصوم، شرائعه المتبعة في المسيحية. وقد لاحظ هذا

الكاتب والمفكر الفرنسي «فولتير» من عمالقة الفكر الأوربي ـ والعالمي ـ في القرن الثامن عشر الميلادي. فالمسيح عليه السلام كان يصوم. صام أربعين يوما متتابعة؛ وإن اختلفت الأناجيل في ذلك. فقد أراد الله أن يختبر قوته على مقاومة الشيطان، وكان الدواء هو الصيام «عندئذ أخرج يسوع إلى الصحراء، بأمر الروح، لاختباره لدى الشيطان. فصام أربعين يوما وأربعين ليلة. وأخيرا جاع، فدنا منه مختبرُه قائلاً: إن كنت ابن الله فمُرْ هذه الحجارة حتى تصير خُبْزًا. فأجاب قائلاً: مكتوبٌ ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله! (انجيل متى ـ الفصل الرابع). وترد هذه القصة بسياق موجز في إنجيل مرقس ١: ١١، ١٢ حيث يقول «وإذ ذاك أخرجه الروح إلى الصحراء، فكان في البريّة أربعين يومًا وأربعين ليلة يختبره الشيطان. فكان مع الوحوش. وكانت الملائكة تخدمه» ونلاحظ هنا أن الإشارة إلى صيامه قد اختفت، ثم عاد ذكرها في نصّ أكثر تطويلا وتفصيلا في إنجيل لوقا ٤: ١ إلى

○ مخالفة لليهود في صومهم لم يُحرّم النصارى من الطعام إلّا ما كان أساسه اللحم.

١٣ يبدأ هكذا «ورجع يسوع من الأردن وهو يمتلئ من الروح القدس. فاقتاده الروح في الصحراء أربعين يوما، وكان يُخْتَبَرُ من إبليس، ولم يأكل شيئا في تلك الأيام. وعند تمامها كان جائعا». . . الخ. ويظن علماء الآثار المسيحية أن البقعة التي اعتكف فيها المسيح عليه السلام كانت في صحراء أريحا، واستدلوا على ذلك بجبل قائم فيها يسميه الناس «جبل الأربعين» أي الأربعين يوما وليلة التي صامها المسيح ـ عليه السلام ـ هناك.

وإذا كنا قد أطلنا الوقوف عند هذه القصة، فلأن صوم النصارى مدته أربعون يومًا؛ كل عام تبدأ في أخريات الشتاء وتنتهي في أوج الربيع بعيد الفصح، وهو عيد الفطر عندهم. ومن أعجب العجائب أنه لم يرد أمر في نص صريح من نصوص الأناجيل بفرض هذا الصيام على المسيحيين! وكأنه عندهم سُنّة لا فرض، يتبعون فيه صوم المسيح! وإن كان بَابَوَاتهمُ قد (طوّروا) هذه السنّة.

فمن المعروف عندهم نصًا وإجماعًا أن المسيح عليه السلام لم يأتِ لنسخ شريعة موسى عليه السلام، بل لإتمامها، وأن صيامه كما هو واضح من النصوص التي أشرنا إليها كان امتناعا عن الطعام والشراب بصورة كاملة، وما يلحقها من شهوات الحياة الدنيا. لكنهم أرادوا أن يخالفوا اليهود، فلم يحرّموا من الطعام إلّا ما كان أساسه اللحم. فالبقول والزيوت والفواكه والماء والعصير بأنواعه، وكذلك السمك وصيد البحر، حلال في هذا الصيام. وتوقف فقهاؤهم في أكل البيض، فاختاروا له حلاًّ وسطًا. باستئذان الأسقف في أكله! مما دعا (فولتير) إلى أن يصرخ في كتابه (المعجم الفلسفي) قائلا: لماذا تعدّ الكنيسة الكاثوليكية من الجرائم أكل لحوم الحيوانات التي تعيش على الأرض، وتعدّ من علائم التقوى تناول أفخر أصناف الأسماك؟ فالغني الذي يدفع في أكلة سمك كذا وكذا من ماله ينجو من عذاب الله، والفقير الذي يكاد يموت جوعا، إذا أكل ما ثمنه أربعة دوانق من القديد، يبوء باللعنة والعذاب؟ ولماذا يجب استئذان الأسقف لأكل البيض؟ ولو تصورنا أن ملكا من ملوك الأرض قد حرّم على رعيته أكل البيض، أما كان يبدو من أشد الطغاة غباوة وطغيانا؟ فما هو سرّ العداوة القائمة بين البيض والأساقفة؟ (فولتير: المعجم الفلسفي ـ مادة الصوم المسيحي).

وقبل فولتير لاحظ المسلمون هذه المفارقات، وتندّروا بها، وضحكوا منها. فالشاعر البغدادي الحسين بن حجّاج، المعاصر للمتنبي والشريف الرضي وأبي فراس الحمداني، يقول في قصيدة له في الشكوى وقلة ذات اليد، وشهوته إلى أكل اللحم حيث لا يجد إليه سبيلا:

جَفَاني اللحْمُ، وهو شَقيقُ رُوحِي ... فَمَنْ يُعْدِي على هَجْرِ الشقيقِ
أرى الجزّارَ قد أمْسَى عدوّي ... لشُؤمِ الحظِّ! والمِلْحِي صديقي
فَلَنْ تجِدَ الطبيب إذا رآني ... سِوَى الجُلْبِيتِ داخِلَ باسَلِيقِي
كأنّ اللحْمَ في صَوْمِ النصارى ... تَوهّمَني ابنَ عَمِّ الجاثليقِ

والجاثليق هو درجة من الأساقفة لهم حق الفتوى من دون حاجة إلى الرجوع إلى (البابا). وقد بقي للمسيحيين من فكرة الصيام للحزن والحداد. أن الأتقياء منهم (يصومون) هذا الصيام المبتدع، يوم الجمعة من كل أسبوع؛ لأنهم يتذكرون أن المسيح قد قتل على زعمهم على الصليب يوم الجمعة التي تسبق عيد الفصح، ويسمونها «الجمعة الحزينة». ونكرر هنا أن المسيحية (تطورت) كثيرا بعد سيدنا عيسى عليه السلام. إذ كان صيامه كصيام اليهود، وكصيامنا في رمضان، وكان أقرب إلى صيامنا؛ لأنه عمل من أعمال التقوى والتقرب إلى الله، وليس للتذكير السياسي والإثارة العنصرية، كصيام اليهود. ومن شطط النصرانية تحليلها لحم الخنزير، مع أن المسيح عليه السلام عاش في دنيانا هذه إلى أن رفعه ربه لم يذق لحم الخنزير، ولا أحلّه، بعد أن حرّمه موسى عليه السلام بالنص.

وفي اللغة الآرامية ـ لغة المسيح وقومه ـ وكذلك في اللغة السريانية يُستَعْمَلُ الفعل صام ـ بنطقه العربي هذا ـ ليس للامتناع عن أكل اللحم والإقبال على السمك والبيض وغيرهما، بل الإمساك الكلي عن الطعام والشراب وغيرها من اللذات تقربا إلى الله. ويبدو أن المسيحيين الأُوَل كانوا يصومونه كصومنا في رمضان، وكان كثير منهم يسمى بَرْصُوما (بَرْ = ابن، صوما = الصوم) فيكون (ابن الصوم) بمعنى الملازم للصيام، والزاهد.

مظاهر الغزو التربوي الغربي للأمة

"العالم العربي أنموذجا"

بقلم: أحمد السنوني

كان بإمكان المجتمعات الإسلامية، قبل أن تحل بها كارثة الاستعمار، أن تتجاوز عوائق تخلفها الموروث، من عصور الإنحطاط، وعوائق تخلفها الذاتي في إطار القوانين الداخلية للتطور. فقد تنبه كثير من العلماء والمفكرين إلى أمراض الأمة، وبذلوا جهدًا موفقا في التشخيص، وفي اقتراح سبل العلاج، كما حاول بعض الحكام إدخال إصلاحات مهمة على هياكل الدولة، لكن الاستعمار أجهض هذا التوجه، فارضًا على الأمة الإسلامية مشروعه التغريبي الذي استهدف طمس الهوية الحضارية للمجتمع الإسلامي، وجعله مُهَيَّأ للاقتناع بأفضلية الأنموذج الحضاري الغربي.

ولا شك أن مشروع الاستعمار التغريبي لم يكن ليكتب له نفس القدر من النجاح الذي تحقق له، لولا الاستعداد الذاتي لتشرُّب النمط الحضاري الغربي عند شرائح عريضة من المجتمع الإسلامي [١]. لكن المؤكد أيضا أن معبره الرئيس إلى عقول تلك الشرائح وقلوبها، كان الغزو التربويّ الذي ضمن للغرب تحقيق تحولات عميقة في شخصية الفرد والمجتمع الإسلاميين. ولا زالت مجتمعاتنا تجني الثمار المُرة لهذه التحولات، وما زال هذا الغزو مستمرا، تتطور أساليبه وتتنوع، مستمدة فعاليتها من القوة المعرفية والتقنية للغرب، ومن ضعف الحصانة الذاتية للأمة الإسلامية.

وسيعرض هذا المقال مظاهر الغزو التربوي الغربي، إنطلاقا من حالة العالم العربي، حتى يكون الموضوع أقرب إلى الدقة المطلوبة، مع التركيز على أهم هذه المظاهر دون قصد الاستقصاء. ويستحسن، دفعا لأي التباس، تحديد مفهوم الغزو التربوي الغربي قبل الشروع في رصد مظاهره.

يقصد بالغزو التربوي الغربي للأمة الإسلامية، تدفق أفكار واتجاهات خلقية ووجدانية، ومظاهر سلوكية غربية من النوع الذي يتناقض والإسلام، أو التقاليد الأصيلة النابعة من روحه، أو احتياجات النمو الاجتماعي والاقتصادي للأمة الإسلامية ونجاح تلك الأفكار والسلوك في اختراق الشخصية الإسلامية وتشويهها.

ويمكن تلمس مظاهر هذا الغزو التربوي على مستويين أساسيين:

مستوى التصورات التي تترجم في مختلف مجالات الإنتاج الفكري والثقافي والإعلامي سواء أكان حرًا أو رسميا، ومستوى السلوك اليومي ونمط العيش السَّائِدَيْنِ في المجتمع العربي الإسلامي. ولتكن البداية من المستوى الأول.

(١) الغزو التربوي في التصورات وفي الإنتاج الثقافي:

أ ـ في أهداف التربية:

يقول المفكر التربوي الشهير **كلاباريد** عن هدف التربية: «علينا ألا ننظر إلى المستقبل بغية الإعداد له، وإنما علينا أن ننظر إليه فقط؛ لأن هذا النظر يساعدنا على أن نسمو بحياتنا الحاضرة ونعلو بها. ليس هدَف التربية المباشرة الإعداد لحياة عصر مقبل، وإنما هَدَفها العكس تماما. إن هدفها فتح الحياة الحاضرة، وجعلها أكثر امتلاء وأقوى، وأغنى وأخصب» [٢].

إن هذا الهدف الذي يختزل فيه **كلاباريد** العملية التربوية، منسجم تمام الانسجام مع **فلسفة التربية الغربية المعاصرة، فهي ـ في مجملها ـ علمانية تركز على استغلال الحياة الدنيا، وإشباع الرغبات الحسية**، لكن المفارقة المؤلمة أن أغلب الكتابات التربوية العربية، ومعظم الديباجات الرسمية لأهداف التعليم، لا تجد فيها أثرًا للحديث عن إعداد الإنسان لامتحان الحياة الأخروية مع أنه الهدف الأسمى للتربية في الإسلام:

﴿كُلُّ نفسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ، وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَومَ القِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ آل عمران ١٨٥.

والأمر نفسه ينطبق على الهدف من الحياة الدنيا، وهو تحقيق العبودية لله، وعلى غيره من

أهداف التربية في الإسلام. ولا شك أن إغفال مثل هذه الأهداف المركزية في مجتمع يدين بالإسلام مظهر واضح من مظاهر تأثر التربويين العرب بعلمانية التربية الغربية.

ب - في محتوى التعليم:

يقسم الفقهاء العلم من حيث فرضيته إلى قسمين اثنين[٣]:

١ - ما هو فرض عين: وهو ما يجب على كل مكلف معرفته من أمور الدين. وتتسع دائرة هذه المعرفة حسب مسؤوليات الشخص وإمكاناته.

٢ - ما هو فرض كفاية: وهو كل ما يحتاج إليه المجتمع، من غير نظر إلى شخص بذاته، من معارف ومهن وصناعات مختلفة. وسمي فرض كفاية؛ لأنه إذا قام به البعض سقطت فرضيته عن الباقين.

أما المعارف المندرجة في فروض العين، فيلاحظ في معظم الدول العربية انحسارها في زاوية ضيقة، في مادة مهمشة يطلق عليها «التربية الإسلامية» أو «التربية الدينية»، لا تتجاوز حصتها الزمنية الساعة أو الساعتين كل أسبوع، فضلا عن محتواها المعرفي الهزيل، وتوزيع محاورها بشكل لا يتلاءم مع التطور العقلي والوجداني للتلميذ، دون إغفال ظاهرة إسناد تدريس هذه المادة لمن لا صلة له بها علميًا، بل إلى الملاحدة والمستهترين في بعض الأحيان، وليت الأمر يقف عند هذا الحد! فما أكثر المرات التي حاولت فيها وزارات التربية في بعض الدول العربية حذف مادة التربية الإسلامية من بعض شُعَبِ التعليم، أو أسقطت درجات التربية الإسلامية من مجموع الدرجات المهيّئة لدخول الجامعات، أو غيرت محتوى المادة، لا ليتناسب مع احتياجات التلميذ المعرفية، بل ليخدم هذا المحتوى توجها سياسيا جديدا للدولة مما ينتج عنه مزيد إفقار للمادة معرفيا وتربويا.

وإذا ما تفحصنا المقررات المدرسية لمعظم الدول العربية، وجدنا القدر المخصص لعلوم الكفاية - على علاته - كافيا نسبيا لإعداد المؤهلين للقيام بفروض الكفاية إلى حدود نهاية مرحلة التعليم الثانوي. لكننا نصطدم في التعليم العالي بظاهرة «تجاهل البرامج الجامعية لعلوم العصر الحديثة المرتبطة بمشكلات الحاضر وآفاق المستقبل مثال: علم الفضاء، البتروكيميائيات، السبرنطيقا cybernetique، تقنيات الطب والإدارة والعمليات، ودراسة الصحارى والغابات...»[٤] وغير ذلك من العلوم الحيوية المدنية منها والعسكرية على حد سواء.[٥]

ولا يقتصر الأمر على هذا القصور في تعليم العلوم الكفائية، بل الأدهى من ذلك، الروح التي تدرّس بها في مختلف مستويات التعليم. **فالعلوم الطبيعية والإنسانية والآداب تدرس في معزل عن التصور الإسلامي للميادين التي تتطرق إليها**، وتقدم مشحونة بمضامينها العلمانية، وخصوصياتها الغربية المتصادمة غالبا مع الرؤية الإسلامية للكون والحياة والإنسان، كنظرية داروين في التطور، ونظرية نشأة الدين في علم الاجتماع، ونظرية الفن للفن في الأدب وغيرها[٦].

إن هذه الوضعية تقودنا إلى مجموعة من التساؤلات كتلك التي طرحها د. علي عيسى عثمان قائلا: «هل يجوز في نظام تعليمي إسلامي أن يفصل الدين «كمادة مدرسية» من بين مجموعة من المواد المدرسية الأخرى تساويه ويساويها في تنظيم المعرفة وفي تحصيلها وفي توظيفها في حياة الإنسان؟.

○ تعليم العلوم والآداب بمضامينها العلمانية وخصوصياتها الغربية فَصَلَ بين الدّين والمعرفة ○

هل يجوز في نظام تعليمي إسلامي أن تفصل العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية عن الدين، كأن لكل منها كيانه المستقل في نظام العلم والمعرفة، وكأن توظيفها في حياة الإنسان له مقاصد وغايات تختلف عن مقاصد الدين وغاياته؟.

هل يجوز مثلا فصل العلوم الطبيعية عن الدين في نظام إسلامي، وقد جعل الإسلام هذه العلوم - أي معرفة آيات الله في كونه - سبيل الإنسان إلى الإيمان بالله ورفض الشرك؟.

هل يجوز فصل العلوم الاجتماعية عن الدين في نظام إسلامي، وقد جعل الإسلام سلوك الإنسان وعلاقاته بالواقع الاجتماعي وبكل ما فيه من نظم ومؤسسات سياسية واجتماعية وغيرها، ومواقفه منها، وحدة متكاملة، هو المسؤول مسؤولية تامة عن تلك العلاقات والمواقف؟.

هل يجوز فصل المعارف والعلوم الإنسانية عن الدين في نظام إسلامي، وقد جعل الإسلام معرفة النفس ومعرفة أحوالها ومعرفة تجارب الأمم والشعوب المختلفة مرجع الإنسان في التبصر بمصير الإنسان، وبمصير الشعوب والأمم في اتباع هذا النظام أو ذاك في الحياة».[٧]

إن النظام التربوي الإسلامي المسؤول عن تشكيل الشخصية الإسلامية يعكس نظام الإسلام ككل، أكثر من أي نظام آخر في المجتمع، لذلك تقتضي إسلامية النظام التربوي أن يكون هو الآخر نظاما كليا. لكن مهما أكدنا على شمولية الإسلام، فالواقع التربوي والتعليمي الذي نخضع له ينكر هذا التأكيد بفصله بين الإسلام والمعرفة وعزله الدين عن أهم مجالات الحياة.[٨]

جـ - في لغة التعليم:

للغة أهمية قصوى في التنشئة الاجتماعية للإنسان، فعن طريقها «يتم استيعاب القيم السائدة، وما تشتمل عليه من المواقف والاتجاهات تجاه الخالق والكون والحياة وما فيها من موجودات، وتجاه الإنسان وما يتألف عنه من جماعات... ويؤكد بعض الباحثين أن اللغة قد تكون أعظم قوة في تأنيس الفرد socialization، وتكييفه لمطالب مجتمعه واستيعابه لخصائص أمته، وتمثلها في سلوكه. ولا شك أن للتربية، وهي تستخدم اللغة، مساهمة كبيرة في تحقيق هذه الوظائف في الأفراد والجماعات».[٩]

ونظرا لهذه الاعتبارات فإن اللغات الوطنية في كثير من الدول - وبخاصة منها الدول القوية - لا ينافسها في المرحلة الابتدائية من التعليم أية لغة أخرى باستثناء اللغات القومية في الدول المتعددة القوميات[١٠]. ففي اليابان مثلاً يتعلم الطفل (٨٨١) حرفا من لغته في الإبتدائي و (٤٠٠) حرف

في المدرسة المتوسطة، للإلمام بعد ذلك كله بالوحدات الأساسية المطلوبة لقراءة الجرائد اليومية[١١]. والعبرية التي كادت تتلاشى في وقت من الأوقات هي الآن لغة التعليم والثقافة والإعلام وغيرها في الكيان الصهيوني، بينما تتواصل الجهود لاعتماد الهندستانية في الهند، والأردية في الباكستان، والبنغالية في بنغلاديش والبرمية في بورما والسنهالية والتاميلية في سريلانكا.[١٢]

فإذا انتقلنا إلى الدول العربية تجد الكثير منها يعتمد الازدواجية اللغوية منذ التعليم الابتدائي (اللغة العربية، ولغة المستعمِر عسكريا وفكريا)، ليتم بعد ذلك تهميش اللغة العربية في بعض المواد في التعليم الإعدادي والثانوي، خاصة منها المواد



الدُمى (العرائس) المنتجة في الغرب تجسد قيماً غربية عن واقع الطفل المسلم

العلمية، حتى يصل الأمر إلى إقصاء اللغة العربية في التعليم العالي والمعاهد العلمية والتقنية المتخصصة، باستثناء الأدب العربي والإسلاميات والعلوم الإنسانية والقانون الذي قد يدرس بكلتا اللغتين حسب الاختيار.

ومع أن ضرورة الاستفادة من التقدم الغربي في مجالات شتى تحتم الاطلاع على عدد من اللغات الأجنبية، إلا أن فرضها بالطريقة المذكورة سابقا مع تهميش اللغة العربية ينم عن تجاهل مُبيَّت لخطورة اللغة باعتبارها قناة لتسريب الأفكار الدخيلة والمناقضة لثقافة المجتمع وقيمه العليا. وقد اعترف «فرانسوا شاتليه» في مقدمة تقريره «الغارة على العالم الإسلامي»[١٣]، **أن إرساليات التنصير ما كان لها أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس معتنقيها لولا الأفكار المتسربة مع اللغات الأوربية.**

د ـ في بنيات التعليم :

إن بنيات التعليم في الدول العربية شاهدة بدورها على خضوع النظام التعليمي لعملية التغريب المدمرة. فالمدة الزمنية لمراحل التعليم ـ على سبيل المثال ـ لم يراع في تحديدها عوامل ذاتية تقتضيها معضلات التنمية في البلاد العربية ـ كما في غيرها ـ كالاستجابة للطلب الشعبي على التعليم بشكل متزايد، والحرص على محو الأمية بشكل منتج، وتنظيم الإنفاق على التعليم بطريقة تقلل الكلفة مع المحافظة على الفعالية والاستفادة من طاقات الشباب في ميادين العمل والإنتاج والوفاء بمتطلبات التنمية الشاملة. . .[١٤]، بل اقتبس التقسيم الثلاثي وكأنه تقسيم حتمي معرفيا وواقعيا.

وقد علق أحد خبراء التربية من الدول النامية على هذا التقسيم وما يستلزمه من أوضاع قائلا :
«شاع الظن . . . أن تقسيم زمن الدراسة إلى مراحل ثلاث : ابتدائية وثانوية وعالية، ما هو إلا انعكاس لوضع عالمي تكاد تقضي به طبيعة التربية. فهل هذا الأمر يتفق والواقع؟ أم إن هذا التقسيم هو نتيجة لتطور التربية في تاريخ الحضارة الأوربية بالذات؟ ثم هل من الضروري ضرورة حازبة أن نفرق بين التعليم العام والتعليم المهني؟ أم إن هذه التفرقة نجمت عن أوضاع اقتصادية اجتماعية في فترات معينة من تاريخ الدول الغربية؟ وهل من طبائع الأشياء أن يبدأ الطفل الذهاب إلى المدرسة عند بلوغه السادسة، وأن ينتهي منها في سن الحادية عشرة؟ مع العلم أن هذه النهاية سابقة لأوانها؛ لأن الذين يغادرون المدرسة وهم في هذه السن لا يكونون مُعَدّين إعدادًا طيبا للحياة والعمل، ثم نتساءل من ناحية أخرى، هل من أساسيات التعليم أن تكتمل تربية اليافع عندما ينتقل من المرحلة الابتدائية، إلى الثانوية، ثم إلى العالية، ويقضي في ذلك شطرا من عمره يصل به إلى ما بعد الثامنة عشرة؟ أليس هذا ترفا لا تطيق الإنفاق عليه إلا البلاد الوافرة الغنى على حساب غيرها».[١٥]

وإذا كان مجال التعليم أخطر ميدان للغزو التربوي، فإن ميادين أخرى كثيرة لا يحتاج المتتبع إلى كبير عناء ليرى فيها تجليات هذا الغزو كما هو الشأن مثلا بالنسبة للإعلام الموجه إلى الطفل، وكذا المنتوجات الترفيهية الخاصة به.

هـ ـ في برامج الأطفال المرئية :

لا يسع المتتبع لبرامج الأطفال في العالم العربي أن ينكر وجود برامج وطنية تتفاوت في أصالتها وإفادتها ثقافيا وتربويا للطفل العربي المسلم. لكن المؤكد أن أفلام الأطفال ـ أو الرسوم المتحركة بالتعبير المتداول ـ تكاد تكون كلها مستوردة من الغرب، ولو قُدم بعضُها مترجما إلى العربية. ويُخطئ كثيرا من يستهين بسلبيات هذه الظاهرة على شخصية الطفل المسلم بحجة أن هذه الأفلام لا تعدو أن تكون وسيلة ترفيهية بريئة. ففكرة استقلال التسلية عن القيم وعدم انطواء الترفيه على أية سمة تعليمية، خدعة كبرى، بل يعتبرها هربرت شيلر **Herbert Schiller أكبر خدعة في التاريخ كما ورد في كتابه «المتلاعبون بالعقول»**[١٦] المخصص لقضية التضليل الإعلامي وتزييف الوعي الجماهيري، إنه «ليس غريبا أن تكون أفلام الأطفال «ملتزمة ايديولوجيا».

ذلك أن هذه الأعمال ينتجها كتاب أو جماعات لهم، من جهة، قناعاتهم الفلسفية والسياسية والاجتماعية، كما أنهم يتبنون عموما من ناحية أخرى قيم ومعتقداتِ مجتمعهم، لهذا السبب بالذات تتضمن آثارهم رسالة إيديولوجية، عنينا بذلك معتقدات منمطة، وتصرفات عرفية، تعبر عنها بلغة أوضح خطب السياسة والتربية».[١٧]

هذا الاستنتاج أكدته دراسات متعددة، فلقد

اكتشف بوربري Pourprix في دراسته لشخصية «ميكي» ـ الفأر الشهير الذي ابتدعه والت ديزني Walt Disney أن محتوى أفلامه تشكل فيها الملكية الفردية فكرة مركزية، ولا حدود تقريبا في أفلام «ميكي» لنشاط الرأسمالي وسلطته، سواء كانت حدودًا مالية أو شرعية أو أخلاقية. ولا يظهر الرأسمالي في هذه الأفلام ولو مرة واحدة بصورة سلبية. كما يرى الباحث نفسه أن الأفلام المذكورة تدافع عن النظام السياسي والتنظيم الاجتماعي الأمريكيّين. ففي كل الحالات التي يحاول فيها الفرد تغيير نمط الحياة في هذه الأفلام يكون مصيره الفشل الذريع[18]. ويؤكد «شيلر» مثل هذه النتائج؛ فهو يخلص إلى أن أفلام «ديزني» تعبر عن قيم الطبقة المتوسطة الأمريكية[19]، أما أريل دورفمان Ariel Dorfman، وأرماند ماتيلار Armand Matilart، عالمًا الاجتماع التشيليان، فقد اكتشفا كثيرا من العنصرية والامبريالية، والجشع والعجرفة واحتقار الشعوب غير البيضاء، تتخلل هذه الأفلام الهزلية البريئة ظاهريا.[20]

و ـ في لُعب الأطفال:

يشكل اللعب بالنسبة للطفل نشاطا شديد الأهمية من حيث دوره في نمو الطفل المعرفي واللغوي والاجتماعي والحركي. فضلا عن كونه وسيلة الترفيه الرئيسة لديه، ولا شك أن اختيار لعب الأطفال وفق مقاييس منسجمة مع مراحل نموهم الذاتي أمر بالغ الأهمية، لكن المؤكد أيضا أن خضوع هذه اللعب لمقاييس ثقافية وتربوية، تنسجم مع الهوية الثقافية للمجتمع العربي الإسلامي، سيسهم بقدر ملحوظ في تحصينهم من الغزو التربوي الغربي الذي يتسرب إلى عقولهم ووجدانهم عبر لعب كثيرة لا ينتبه أغلب الآباء إلى مضمونها القيمي، فهي في نظرهم ـ مثل الأفلام المذكورة في العنصر السابق ـ أدوات ترفيه فحسب.

ففيما يتعلق بالألعاب المستوردة المناسبة لما قبل المرحلة المدرسية، يلاحظ أن الأشخاص، وأنواع الحيوانات والألوان وشكل البيوت، والصحون واللباس والأثاث كلها هي تلك التي يراها بشكل طبيعي الطفل الغربي ريفيا كان أو حضريا «فعناصر البيئة الغربية التي تمثلها هذه الألعاب هي غريبة عن أطفالنا، ولا تمت إلى بيئتنا العربية في الريف والمدينة بصلة، مما يؤثر ليس فقط في مقاييس الأطفال الاجتماعية، وإنما في أذواقهم أيضًا».[21] أما الألعاب العلمية وكذا الاجتماعية التي تتطلب اشتراك أكثر من لاعب، وتنتشر في البيوت ورياض الأطفال، وغيرها، فيكفينا أن تعلم أن أشهرها وهي لعبة Monopoly الكندية توجه الطفل نحو القيم الرأسمالية، إذ تستلزم احتكار جميع المرافق، والربح فيها يكون عبر إضعاف الآخرين وتحطيمهم، بل إن اسم اللعبة في حد ذاته معناه الاحتكار[22]. ولا تشذ الدمى عن هذا الوضع، فهي عموما تعكس البيئة البشرية والحيوانية الغربية، والظاهرة نفسها تنطبق على ألعاب التهيئة الاجتماعية، وعلى الألعاب الاستهلاكية التي يتشكل أبطالها من أبطال أفلام الرسوم المتحركة نفسها.[23]

> ○ إخضاع لعب الأطفال لمقاييس ثقافية وتربوية أصيلة سيسهم في تحصينهم من الغزو الغربي ○

وبما أن التجارب العربية ذات الهدف التربوي في صناعة لعب الأطفال محدودة جدا، ومكلفة ماديا، مما يقلص من إمكان انتشارها، فإن الطفل العربي المسلم «لا يجد أمامه بديلا يمثل نمط حياته، يتعرف إليه، وبنفس المستوى المؤثر، فتصبح نظرته إلى المجتمع من حوله تنطلق من نفس المقاييس أو الصورة التي رسخت في ذهنه، عن الحياة الفضلى من خلال هذه الألعاب، بل إنه يقارن بينهما، فينفر من واقعه؛ لأنه لا يتطابق مع هذه الصورة بل هو دون مستواها. ومن هنا يبدأ التغريب».[24]

٢ ـ الغزو التربوي في السلوك اليومي:

تعاني المجتمعات العربية من مظاهر كثيرة للتغريب في السلوك اليومي على مستويات متعددة، ففي اللباس مثلا ترتهن شرائح معينة من المجتمع للتصاميم والأشكال الجديدة التي تقذف بها دور الأزياء الغربية في كل فصل، بالإضافة الى الأزياء النسوية التي تتنكر للمواصفات الشرعية، بل تصل إلى حد كبير من الميوعة والاستفزاز لمن في قلبه حياء. وفي الطعام أغفلت كثير من الآداب الإسلامية وبدأ التساهل في استنكار تناول المسكرات، فضلا عن تفشي ظاهرة التدخين في قطاع عريض من المجتمع.

وفي العلاقات الاجتماعية شاعت أنماط كثيرة من السلوك تنم عن التخلي عن الضوابط الشرعية والخلقية؛ كالعلاقات الحميمة بين الجنسين قبل الزواج، والتساهل في علاقة المرأة بغير المحارم من أسرتها أو أسرة زوجها. وقل الحياء داخل الأسرة فلا يحجم الكثير عن مشاهدة مظاهر مخلة بالحياء في المسلسلات والأفلام المبثوثة من خلال التلفزة أو السينما أو أشرطة الفيديو.

وفي العادات شاع الاحتفال بأعياد مرتبطة بالحضارة الغربية كعيد رأس السنة الميلادية، وأعطي ليوم الأحد في بعض البلدان أهمية اجتماعية خاصة لا سيما مع اعتباره عطلة رسمية، وذلك على حساب يوم الجمعة الذي لم يعد الناس يحتفون به كما كانوا من قبل، وأغلب من يهتم به لا يكاد يربطه به سوى الصلاة، بل إن رمضان بكل فضائله وخيراته أصبح الزهد في ثوابه هو الطابع الغالب على مجتمعنا.

ويصور الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ الفرق بين الجيلين، القديم والمعاصر في هذه النقطة فيقول: «ولا زال فينا من يذكر كيف كان الناس يستقبلون رمضان قبل شهرين من قدومه بكل مظاهر الأدب والتقوى، ويصومون رجب وشعبان قبله، ويتوبون فيه من كل المعاصي والآثام. فإذا جاء رمضان كانت له في البيوت فرحة، وفي الأسواق ضجة، وفي المساجد احتشاد حتى لتغص بالراكعين الساجدين والقارئين والذاكرين والعلماء

والمتعلمين . . أما اليوم فلم يبق لرمضان من ذلك كله إلا بقايا من تلك المظاهر لا تسمن ولا تغني من جوع . وحسبك أن تطوف ليالي رمضان في مجتمعات المدينة فترى الذين يؤمون الملاهي والمشارب أكثر من الذين يملؤون الأندية والمساجد»[٢٥].

وفي الذوق العام أصبح الميل واضحا نحو الأغاني الغربية الصاخبة، وارتبط اللباس ـ كما سبق ـ بالذوق الغربي حتى لو كان شاذا أخلاقيا واجتماعيا، كما اكتسحت مجال البناء أشكال معمارية غربية لا تنسجم لا مع الواقع الاجتماعي ولا مع المعطيات المناخية السائدة في العالم العربي .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المظاهر تتفاوت في شيوعها ورسوخها باختلاف المشارب الفكرية والوسط الاجتماعي، وحتى المجال الحضري، ذلك أننا نجد في بعض المواقع التغريب الشامل الذي يؤدي إلى الانسلاخ الكلي من الهوية العربية الإسلامية، بدءا بالاعتقاد، وانتهاء بلغة التخاطب اليومي، بينما تكون مظاهر التغريب في مواقع أخرى مجرد قشرة سطحية تغطي شعورا قويا بالانتماء يحتاج إلى صقل وإنضاج، وقد كان منير شفيق محقا حينما عبر عن تساكن هذين النمطين بأنهما «مجتمعان تحت سقف واحد»[٢٦].

تبقى الإشارة إلى أن مواجهة هذا الغزو التربوي المدمر لشخصيتنا الحضارية يتوقف على معرفة دقيقة بقنواته ووسائله، وتقدير واعٍ لخطورته وانعكاساته على حاضر الأمة ومستقبلها، ثم توحيد جهود المهتمين وأهل الاختصاص، لبلورة استراتيجية علمية لمواجهة التغريب التربوي . وقد

○ بلورة استراتيجية علمية لمواجهة التغريب التربوي تتوقف على معرفة دقيقة بقنواته ووسائله ○

تكون لنا عودة إلى هذا الموضوع في فرصة لاحقة بحول الله .

● أحمد السنوني

ـ من مواليد مدينة أصيلة بالمغرب سنة ١٩٦٣ م .

ـ حاصل على الإجازة (ليسانس) في الدراسات الإسلامية من جامعة فاس .

ـ يحضّر رسالة دبلوم الدراسات العليا في موضوع «الفكر التربوي العربي الإسلامي المعاصر: دراسة وتقويم أوّليّان» .

ـ أستاذ التربية الإسلامية . ملحق حاليا بدار الحديث الحسنية بالرباط .

الهوامش :

(١) يعبر مالك بن نبي ـ رحمه الله ـ عن هذا الاستعداد بما يسميه «القابلية للاستعمار» .

(٢) كلاباريد : التربية الوظيفية، نقلا عن طلال عتريسي : الحدود الأوروبية للتربية . مجلة الفكر العربي، بيروت معهد الإنماء العربي، السنة الثالثة . العدد ١، أيار ـ حزيران ـ تموز (مايو ـ يونيو ـ يوليو) ١٩٨٣ م، ص ٤٤٢ .

(٣) انظر: أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين؛ ج ١ ـ الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى، ص ١٣ ـ ٢٤ .

(٤) عفيف ضاهر: التكنولوجيا العربية العاجزة بين التبعية للخارج والتقصير في الداخل . مجلة الوحدة، الرباط : المجلس القومي للثقافة العربية، السنة الخامسة، العدد ٥٥ ـ أبريل ١٩٨٩ م، ص ٧٠ .

(٥) هناك زاوية أخرى لتناول الغزو التربوي في محتوى التعليم تتعلق بسيادة نمط التعليم الأكاديمي اللفظي في العالم العربي بينما انتقل الغرب إلى نمط التعليم المنتج، ويتطلع الآن إلى نمط يستهدف النماء الشامل للشخصية الإنسانية . انظر: أحمد صيداوي : الغزو التربوي الغربي ـ الفكر العربي، ع ٢١، ص ٢١١ ـ ٢١٤ وص ٢٢٣ ـ ٢٢٨ .

(٦) انظر مثلا: عباس محجوب : نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم . عجمان (الإمارات العربية المتحدة): مؤسسة علوم القرآن/ دمشق ـ بيروت : دار ابن كثير . الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م، ص ٦٩ ـ ٧٠ و١٨٧ ـ ١٨٨ . وكذا الدراسة التطبيقية المفصلة لمحمد بريش : غياب الترابط بين مادة التربية الإسلامية وبعض المواد المقررة . نموذج مقررات مادة اللغة الفرنسية . مجلة الهدى : فاس، جمعية جماعة الدعوة الإسلامية، السنة الثالثة العدد ١٠، صفر ـ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ـ تشرين الثاني ـ كانون الأول ـ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٨٤ م ص ٩ ـ ٣٣ .

(٧) علي عيسى عثمان : النظام التعليمي السائد في المجتمعات الإسلامية، واستبدال نظام إسلامي به . الفكر العربي ع ٢١، ص ٢٨٢ .

(٨) المرجع نفسه ص، ٢٨٤ .

(٩) عبد العزيز البسام : العربية الفصحى لغة التعليم في الوطن العربي، في : اللغة العربية والوعي القومي (ندوة)، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، ١٩٨٦ م، ص ٤٧ ـ ٤٨ .

(١٠ و١١ و١٢) المرجع نفسه ص ٤١، ٤٢، ٤١ ـ ٤٢ على التوالي .

(١٣) تلخيص وترجمة مساعد الباقي ومحب الدين الخطيب، جدة : منشورات العصر الحديث، ط ٢، ١٣٨٧ هـ ص ١٧ ـ ١٨ .

(١٤) انظر: أحمد صيداوي : الغزو التربوي الغربي، ص ٢٠٨ ـ ٢١١ .

(١٥) فونيكيو خامغاو في تقرير له مقدم إلى اليونسكو، نقلا عن صيداوي ص ٢١١ .

(١٦) ترجمة عبد السلام رضوان . الكويت : المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب . سلسلة عالم المعرفة . رقم ١٠٦، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٦ م، ص ١٠٤ .

(١٧) رالف رزق الله : التلفزيون والأطفال، التسرب الأيديولوجي من خلال الصورة في : ثقافة الطفل العربي بين الأصالة والتغريب . مصطفى حجازي وآخرون . الرباط : المجلس القومي للثقافة العربية، ط ١، ١٩٩٠ م . ص ٢٦٢ .

(١٨) رالف رزق الله : المرجع السابق، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

(١٩) المتلاعبون بالعقول . ص ١٣٠ .

(٢٠) رالف رزق الله : المرجع السابق . ص ٢٦٦ . وانظر أيضا : المتلاعبون بالعقول ص ١٣١ .

(٢١) نجلاء نصير بشور: ألعاب الأطفال وسائط لنقل الثقافة أم للتغريب؟ في : ثقافة الطفل العربي بين الأصالة والتغريب . ص ٣١٧ .

(٢٢ و٢٣ و٢٤) المرجع نفسه . ص ٣١٧، ٣١٩ ـ ٣٢٠ و٣٢١، ٣٢١ على التوالي .

(٢٥) أخلاقنا الاجتماعية، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٤ . ١٣٩٧ هـ . ص ١٧٧ .

(٢٦) في مقال له بالعنوان نفسه في كتابه قضايا التنمية والاستقلال في الصراع الحضاري . تونس : دار البراق، ط ٢ . ١٩٨٩ م .

قصيدة شاعر

د. محمد عبد العزيز الموافي

والشاعر هو ابن المدينة المنورة «محمد هاشم رشيد»، الذي ولد في الخمسينيات الهجرية، وتلقى تعليمه بمدارسها، وبالمسجد النبوي الشريف. ثم بدأ حياته الفنية هاويا للرسم والشعر، إلى أن أخلص نفسه للشعر. وما لبث أن ثبّت أقدامه في مجاله؛ فشارك في كثير من الأمسيات الشعرية، والمؤتمرات والندوات الأدبية، داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. كما حصل على عديد من الأوسمة والميداليات التقديرية.

وهو عضو مؤسس في «أسرة الوادي المبارك الأدبية» وفي النادي الأدبي بالمدينة المنورة (وهو رئيسه حاليا)، فضلا عن عضويته لعدد من اللجان الأدبية والاجتماعية.

وللأستاذ محمد هاشم رشيد مجموعة من الدراسات الأدبية يعدها حاليا للطبع. كما كُتب عنه العديد من الدراسات على المستويين: الأكاديمي، والثقافي العام.

أما نتاجه الشعري فيتمثل في عدة دواوين أبدعها على امتداد حياته الخصبة، منها: **وراء السراب، على دروب الشمس، في ظلال السماء، على ضفاف العقيق، الجناحان الخافقان (أو الخالدان)**. ثم تجاوز الشعر الغنائي إلى الشعر الملحمي، فأصدر ملحمة شعرية بعنوان «**على أطلال إرم**». وله تحت الطبع: ديوان «**ليالي العقيق**» و«**تسابيح وتباريح**» وكتاب «**ذكريات وصور**» يضم مجموعة من الأبحاث والدراسات.

ومن ثم فنحن أمام شاعر ناقد دارس، وشعره يغطي معظم فنون الشعر الغنائي المألوفة في العصر الحديث، ويصعب وضع مثل هذا الشاعر تحت لواء مدرسة فنية بعينها، ولكن يمكن القول: إن كثيرا من شعره يحلق في عالم الإبداعية، مع لمسات ذاتية وبصمات أصيلة تمتاح من الثرى الطاهر للمدينة النبوية، وهي تعد إضافات خلاقة إلى هذا الاتجاه في الشعر العربي الحديث.

قصيدة «أنا صائم»

أما القصيدة فهي بعنوان «**أنا صائم**»، وفيها يقول:

أنا صائمٌ.. ومضَى يُتمتم في خشوعٍ وابتهالْ
وعلَى أسِرَّتِه المضيئةِ بالقداسةِ والجلال
فيضٌ من الأنوارِ يُومض كالصَّباح علَى التِّلالْ
لصحيفة الأبرارِ، كالقلب المعلَّل بالوصَالْ

وبناظريه تساؤلٌ عذبٌ تدفَّقَ في حنانْ
وتطلُّعٌ يطوِي المَدى.. ويغوصُ في لُجج الزمان
فكأنما عيناه في تَبَج الأشعة كوكبانْ
أوكُوّتان مُطلّتانِ على فراديس الجِنانْ

أنا صائمٌ.. ومضى يُتمتم.. لم يثُرْ لم يعتدِ
لم تنتفخ أوداجُه حَنَقا ولم يَتَهدَّدِ
لكنَّه عَبَرَ الطريقَ وسارَ نحو المسجدِ
بسكينة القلب الوقورِ، ونشوة المتعبِّد

أنا صائم.. ومضى يتمتمُ وهو يرنو للسماءْ
والطُّهرُ وشَّحهُ، ولفَّعه بأردية الضياء
لم يُصغِ للكَلِم المُسِفِّ، ولا تَطَاولَ لاعتداءْ
بل سار في أَلَقِ القداسة تحت أجنحة الصفاء

ومضى يفكرُ.. لم يعُد للتَّمتمات على الشفاهْ
إلا اختلاجٌ صامتٌ تَعْيا المداركُ عن مداه
أنا صائمٌ.. وأنا هنا، ما زلتُ أنتظر الصلاةْ
لكنَّني ماذا صنعتُ، وما سأصنعُ للحياةْ؟!

هي بضع ساعات وأغْرق في الشرابِ وفي الطعامْ
لكنَّ إخوتي الضعافَ النائمين على الرَّغَامْ
الصائمينَ عن الحياة المُفطرينَ على الحِمام
ماذا صَنَعْتُ لهم ولم أصنع سوى النَّزْرِ اليسيرْ
ولديَّ من نعم الإله وبِرِّهِ الفيضُ الغزيرْ

والتجربة الشعورية التي يصورها الشاعر في هذه القصيدة ليست جديدة عليه، ولا مستغربة منه؛ بل هي قديمة عميقة لديه؛ فالروح الإسلامية تتغلغل في شعره منذ البواكير الأولى، **وخصائص التصور الإسلامي للكون من أقوى المؤثرات في صياغة رؤيته الفنية**، حتى إنه يكاد يلمس قدرة الله عز وجل في كل ما يحيط به، فيهتف خاشعا.

عرفتك في كل شيء أراهْ
وفي كل نَسَمٍ طواني شذاه

قصيدة وشاعر

وفي كل صوتٍ شجاني صداه

ويهفو فؤاده دائما نحو التَّرحال إلى الأماكن والأزمنة التي تثير شوق المسلم إلى إحياء المجد العريق المرتبط بها :

لقيتُ كنزَ الحنانِ في صدرك الأُرجُواني

***

يا رمزَ مجدٍ.. من بلادي انتشر
يا جبلاً.. يُورق فيه الحجر
ويصدح الشوك به.. والزَّهَر

إنه يسير في ذات الطريق التي بدأها؛ فها هو ذا يهيم حبا وشوقا إلى «أُحُد» الذي «يحبنا ونحبه». ثم يتجاوز هذه العاطفة الدينية الجياشة إلى ما توجبه على معتنقيها، من ضرورة بعث هذه الأمجاد، ونفض غبار الفرقة والتأخر عنها :

أيها القومُ من هنا انبثق النور وغنَّى الزمانُ لحنَ الخلودِ
وعلى هذه الرُّبا وقف الأجدادُ يُزجُون خافقات البنودِ
فَصَحَا الكون شاديا بالترانيم على مطلع الصباح الجديدِ

ويتعاطف مع «جبل النور» تعاطفًا وجدانيًا عميقًا، يتحول خلاله الصخر إلى عالم زاخر بالحياة والسمو والسموق والهداية :

جبل النور.. يا جبلْ شبَّ في سفحه الأزلْ
أنت دنيا من الرُّؤَى مِلْؤها الحب والجذَل
أنت لحنٌ مجسَّدٌ من ترانيمنا الأوَل
فيك : «إقرأ» تنزلت فسجدنا لما نزلْ

التجربة الدينية

هذا بالنسبة للتجربة الدينية عموما، فإذا نظرنا إلى موقفه من فريضة الصيام، وجدنا هذا الموقف يزيد عن تلك التجربة في الديوان عددا وعمقا وشمولا؛ فتجسد ذلك كله في عدة قصائد تتأمل شعوريا تلك الفريضة العظيمة. وتخرج من هذا التأمل بنغمات بديعة عذبة.

فقصيدته «من وحي الهجير والظمأ والجوع في رمضان» جاءت على شكل قصة شعرية بسيطة :

سار والشمس فوقه تتلظّى فتحيلُ الوجودَ شُعلةَ نارِ
ظامئًا، يعصفُ الصَّدا بين جنبيه كلفْح الهجير بين البراري
جائعا، تصرخ الضلوعُ وتشكو ما تلاقيه من ضنًى وانصهار

***

لم يذق في حياته حُرقةَ الجوع المعنّي، ولا تجهُّمَ الأقدار
غير أن الإله قد فرض الصومَ ليغدوا الجميع في مضمار

***

لم يطل سيره فأبصر كوخا قائما في العراء دون.. جدار
ورأى فتية.. كالسُّكارى وعجوزا نامت على الأحجار

ثم يدرك حكمة الصوم فيتساءل :

كيف يا ربّ هؤلاء، وماذا سوف يَلقى الضعاف من أضرار؟

لكنه لا يلبث أن يأتيهم صائحا ومرحِّبا :

اهجروا الكوخَ، وانزلوا في رحابي أنت أمي، وهؤلاء صغاري!

وأخيرا يستخلص العبرة :

هكذا الصومُ رحمةٌ تغمر القلبَ فيحيا.. بسنة الإيثار
ليس معناه أن نجوع ونصْدَى ونقضّي الحياة مثل الضواري
ونرى البؤسَ والشقاء فنُغضِي ثم نرجو تفضُّلَ الغفّار

ويبدو أن عين الشاعر تعلقت «بالحطيئة» في قصته الشعرية المعروفة عندما «تفرد في شعب عجوزا، إزاءها ثلاثة أشباح تخالُهم بَهْما»؛ فالتمهيد للقصة وتتابع الأحداث، وزوال الشدة في النهاية، يكاد يكون واحدا في المحاولتين. غير أن الشاعر المدني غيَّر مسار الأحداث قليلا، وربطها بفريضة الصوم (ولكن هل كان أبطاله يشبعون في غير رمضان ؟!)

على أية حال، لا ضير على الشاعر - بل ربما وجب عليه — أن يتمثل تراثه ويستهديه في إبداعه.

ويصور رمضان موكبًا للخير فيقول في لغة بسيطة، تشير إلى أن القصيدة من بدايات شعره :

موكبُ الخير والهدى والسلام أقبل اليومَ هاتفًا بالصيام
فهنيئا بأكرم شهر وهنيئا بأسعد الأيام

وقريب من «موكب الخير» قصيدته «عبرة الصوم» التي يختتمها بقوله :

عبرة الصوم أننا نتلاقى من جديد على طريق الجهاد

لكن النَّفس الشعري ينمو ويزهر، والموهبة تنضج وتستحصد، فنجد الشاعر في «على دروب الشمس» يستمد القوة من الصوم :

كنتُ ودعتُ ترانيمَ المنى وتناسيتُ الذي كانَ وكانْ
وسنَى الأمجادِ في تاريخنا قد توارى بين أنقاض الهوان
فإذا بي أتغنّى.. بالمنى من جديدٍ في ليالي رمضانْ

الاتجاه الوجداني

والاتجاه الفني الذي تنتمي إليه هذه القصيدة «أنا صائم» هو **الاتجاه الوجداني** الذي لا يصور من التجربة إلا ما انفعل به منها. وهو يختلف عن الاتجاه المحافظ الذي يصور التجربة ـ غالبا ـ كما ينبغي أن تكون.

وقد كان الشاعر **هاشم رشيد** وجدانيا في قصيدته تلك عندما تخير خيطا شعوريا واحدا من خيوط التجربة، هو الانفعال الفردي بتلك الفريضة الإيمانية: شعورًا وأثرًا وسلوكا. وحاول تصويره بطريقة فنية موحية؛ فنراه يلمس لبَّ هذه الشعيرة المقدسة، حيث يلهج **«الضمير الإيماني»** بتلك التمتمة الخاشعة المبتهلة التي تجسد **«الحياء الإسلامي»** الموقظ لضمير المسلم، المهذّب له دائما، السامي به أبدا: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك!».

على أن هذه «التمتمة» توحي بأن أعماق الصائم لا تقتصر ولا تكتفي بالاقتصار على تلك النجوى الداخلية، فتشير إلى أنها تجاوزت «القول» وطمحت إلى «الفعل»، حيث تكون القصيدة فعلا يُرى وسلوكا يُحاكى. ولعل هذا الانسجام بين الداخل والخارج لدى الصائم مبرر كافٍ لتلك الصور التي صورت سكينة الداخل ووضاءة الخارج من خلال هذا المعجم اللفظي: الخشوع، الابتهال، الوضاءة، القداسة، الجلال، الفيض، الأنوار، الومض، الصباح...

ويختم الشاعر البيت الأخير من هذا المقطع:

كصحيفة الأبرار، كالقلب المعلَّل بالوصالِ

وصحيفة الأبرار يمكن أن تنضم إلى أخواتها من المعجم «الوضيء المضيء»، أما القلب المعلل بالوصال فلا يوحي إلا بالشوق واللهفة! اللهم إلا أن يكون الشوق إلى «فراديس الجنان» المذكورة في آخر المقطع التالي!!

وبناظريه تساؤلٌ عذبٌ تدفَّق في حنان
وتطلُّعٌ يطوي المدى.. ويغوصُ في لُجج الزمان
فكأنما عيناهُ في ثبج الأشعة كوكبان
أو كُوَّتان مطلتان على فراديس الجنان

يتكيء الشاعر هنا على الصورة لتوحي بما يحسه من امتلاء روحي وسمو وقداسة. وكثيرون قد يشعر الواحد منهم بشعور قريب من ذلك، لكنه يعجز عن الإفصاح عنه وتصويره؛ لأنه شاعر بالقوة فحسب! ومن ثم ينوب الشاعر ـ بالفعل ـ عن مثل هؤلاء المنفعلين بالتجربة، العاجزين عن تصورها! ويبدأ محاولته، فيجد أن أعماقه تمور بشحنة عنيفة من الانفعالات تنوء بحملها اللغة وتعجز عنها. ثم ينظر فيجد أن تلك اللغة مع عجزها ـ هي وسيلته الوحيدة. ولذلك يفجر فيها طاقات جديدة تجعلها قادرة على الإفصاح عن المشاعر التي تزلزل أعماقه، أو على القدر الأكبر منها، لتسري إلى القارئ، فيشارك المبدعَ انفعاله ويتعاطف معه. ولهذه الكيفية في إثراء اللغة وسائلها المتنوعة التي يعرفها الشاعر؛ فهو مثلا اعتمد في المقطع الأول على «المعجم الشعري» المشحون بالمفردات التي تفيض بالخشوع والقداسة والابتهال.

أما هنا فهو يستعين بالصورة الفنية لتوحي بهذا السمو والسموق الروحي الذي فاضت به مشاعره، والذي جعله يتجرد من «طينيته» مشرئبا إلى عالم نوراني يسبح بين جنباته، ويصبح ذرة حامدة شاكرة، تشعر أكثر وأكثر بعظمة الخالق سبحانه، وتحار أمام إبداعه وقدرته وإحكامه. وتدرك ضآلة حجمها في هذا الكون العظيم، وضحالة علمها به، ولذلك تطلق الأسئلة تترى متدفقة: «وبناظريه تساؤل عذب تدفَّق في حنان!».

وتظل الصورة غنية بإيحاءات ثرية لا تنفد؛ لأنها أطلقت التساؤل واكتفت بوصفه بالعذوبة التي يكاد يتذوقها الصائم وينتشي بها ثم جعلته متدفقا: عن أي شيء، وفي كل مجال! دون تحديد لصيغة السؤال أو كيفيته!

وتتوالى الصور التي يحاول الشاعر عن طريقها الإيحاء بتلك المشاعر المتشابكة الغامضة؛ فالصائم يرنو إلى الأفق الأعلى، ويطمع في مزيد من السمو، ويستشرف المستقبل، ويحيي الماضي في نوع من التفاعل الخلاق مع الزمن.

«وتطلّع يطوي المدى.. ويغوص في لُجج الزمان!».

وها هو ذا يصبح شعاعًا نورانيًا، منحه الخالق سبحانه عطاء متفردا «فكأنما عيناه في ثبج الأشعة كوكبان» ووهبه نفسا مطمئنة وبصيرة بها يرى ما لا يُرى؛ فيسعد بما اذُخِر له يوم الحساب؛ فعيناه «كوتان مطلتان على فراديس الجنان!». وربما كان الشاعر هنا يقبس أنواره ويمتاح من المعين الفياض للحديث القدسي عن رب العزة: «عبدي! أطعني تكن عبدا ربانيا: تقول للشيء كن فيكون!»، و«... ما يزال عبدي يتقرب إليّ... حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها!».

أنا صائمٌ.. ومضى يُتمتم.. لم يُثرْ.. لم يعتد
لم تنتفخ أوداجه حنقا.. ولم يتهدَّد
لكنه عبر الطريق، وسار نحو المسجدِ
بسكينة القلب الوقورِ، ونشوة المتعبِّد

بأسلوب موحٍ وبطريقة أدبية يصور حقيقة الصيام، ودوره في السمو بالإنسان، وإعلاء الجانب الروحي فيه، وبيان ضرورة تكامل الجانبين لديه. يبدأ المقطع بجملة اسمية توحي بالثبوت والاستمرار، وتمهد لطريقها الذي يُلزم به مضمونها «أنا صائم...»، ويعقب البداية أربعةُ أفعال: أولها وثانيها مثبتان وكأنهما معبر يصل البداية بما يلزمها ويترتب عليها. وهنا تهمس «النفس اللوامة» أو هاتف «الضمير الخلقي» لتوثق الصلة بين تلك البداية وأنواع السلوك التي تنبع عنها وترتبط بها. ولعل كثرة الأفعال بعد البداية توحي بغلبة الانفعال العاطفي على الشاعر ومبلغ تأثره بأداء تلك الفريضة، فضلا عن قوة تأثيرها في سلوكه من حيث التنزه عن الرفث، وإلف الإقامة في بيوت الله، ثم مداومة الصعود إلى عالم الطهر المضيء!

صور شعرية

أنا صائم.. ومضى يتمتمُ وهو يرنو للسماء

قصيدة وشاعر

والطهر وشَّحه، ولفَّعه بأردية الضياء
لم يُصغِ للكلِمِ المسِفّ، ولا تطاولَ لاعتداء
بل سار في ألَقِ القداسة تحت أجنحة الصفاء

وها هو ذا يصبح عبدًا نورانيًا: الطهر وشاحه، والضياء رداؤه، وما ذلك إلا لأنه قمع «الشيطان» الذي كان يوسوس في أعماقه، ثم يئس منه بعد أن فشل في إمالته عن خلقه الرفيع وطريقه القويم «في ألق القداسة تحت أجنحة الصفاء»، وأنعم به من طريق! والصورة في هذا المقطع تمتاح من تلك الأنوار العلوية التي صار الشاعر شعاعًا من أضوائها القدسية الطاهرة، وهي غنية بإيحاءات ثرّة، تصور هذا الجو الديني تصويرًا رائعًا.

ومضى يفكر.. لم يعد للتَّمتماتِ على الشفاهْ
إلا اختلاجٌ صامتٌ تعيا المدارك عن مداه
أنا صائمٌ.. وأنا هنا، مازلت انتظر الصلاةْ
لكنني ماذا صنعتُ، وما سأصنع للحياه؟!

إن الشاعر ماسما عن الأرض وما حلّق في عالم الطهر المضيء إلا من أجل الأرض ومن عليها من البشر، فهنا مزاوجة خلاقة بين العقيدة والحياة، من خلال التعاطف الرحيم مع البائسين. فهي تتجسد في فعل يؤدي إلى التكافل بين المؤمنين، وإلى سريان المحبة بينهم بعضهم لبعض! إنه ينتقل من «الخبر» الهادئ الراضي المتأمل (أنا صائم.. وأنا هنا، مازلت انتظر الصلاة) إلى «الإنشاد» المثير المحرك الدافع (ما صنعت؟! وما سأصنع للحياة؟!) وبخاصة بعد هذا التزود بتلك الطاقة الروحية الخلاقة. وهكذا يصبح الصوم فعلا إيجابيا خلاقا مؤثرا في تشكيل سلوك المسلم والسمو بحياته.

ولذلك يأنف من هذا الاستغراق والانحباس في أسر الذات ورغباتها ويصر على أن يتجسد الصوم تراحما ومحبة وصفاء؛ نشدانا وتكوينا للمجتمع العظيم الذي يبتغيه الإسلام الحنيف.

ونلاحظ أن وسائل الشاعر الفنية في هذا المقطع لم تكن على المستوى الفني الرفيع نفسه في المقاطع السابقة؛ فوجدنا هنا «نثرية» واضحة:

هي بضع ساعات وأغرق في الشراب وفي الطعام
لكن إخوتي الضعاف النائمين على الرَّغام

لكنه يفجؤنا بالعودة إلى المستوى الأدبي الذي عهدناه محلقا فيه:

الصائمين عن الحياة المفطرين على الحِمام!

فكل صورة من هاتين الصورتين تنضح بالأسى، وتفضح عورات المجتمع وتحث على التخلص منها! وإلا فكيف نحيا ونسعد وإخواننا حولنا موتى «صائمون عن الحياة»! ثم يفطرون على.. الموت!!

وعلى الرغم من عظمة ما فعل فإنه يستقله «لم أصنع، سوى النزر اليسير»، مشيرا إلى حقوق إخوانه المحتاجين فيما لديه: **﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم..﴾** النور ٣٣. و**﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه...﴾** الحديد ٧؛ فهو، دون خطابة، يوحي بوظيفة المال في الحياة، ووضعه في أيدي من أنعم الله عليهم به.

وأتى المساء ولم يجئْ! فطفقت انتظر الصباح
وأنا أحاول أن أراه في الغدوّ أو الرواح
حتى بصُرتُ به يطل إليّ من ألفيْ وشاح
يختال فيها المعدمونَ بأوجهٍ غُرٍّ صِباح
والتمتمات البيض في شفتيه في لون الجراح
فعرفت أسرار الصيام.. وكُنْهُ «حيّ على الفلاح»!

يعزف الشاعر هنا لحنًا متناغمًا يصور من خلاله الصورة المثلى التي حققها مجتمعه المسلم، أو التي يتمناها له؛ إن القادر الصائم في هذا المجتمع يتحرق شوقا ليعطي أخاه المحتاج بعضا مما آتاه الله، لكن هذا الإيثار الحميم يقابله المحتاج بعفة نفس نادرة، واستغناء متفرد! إنها حركة نادرة لقطبي المجتمع المسلم، أو طبقاته: طبقة تهيم بالبذل والعطاء، فتبحث عن فقير ولمَّا لم يجئ «فطفقت انتظر الصباح» تحاول تَلَمُّسه والعثور عليه «في الغدو أو الرواح»، وطبقة أخرى استغنت بعفتها وقناعتها وشموخها. ومن ثم لم يكن غريبا أن نرى القَادر - من خلال التصوير - يغبط هذا الشامخ القانع، على تلك المنزلة السامقة التي تربع فوقها، وذاك التحول المدهش إلى كيان يشع طهرًا ونورًا «يطل إليّ من ألفي وشاح!» بل يرقص طربا وانتشاء بما أنجزه هو وقبيله من المحتاجين حيث يختالون «بأوجهٍ غُرّ صِباح».

ويوحي الشاعر بمدى المعاناة التي قاسى منها المحتاج، ومدى قمعه لآفاته النفسية وتعاليه عليها، اللهم إلا أثارةً ضئيلة منها. وينجح الشاعر عن طريق «تراسل الحواس» في الإيحاء بشعوره؛ فالفقير بـ«التمتمات البيض»، لا العذبة ولا الرقيقة حيث يستعير للمسموع صفة المرئي؛ لما توحي به التمتمات من وضاءة وإشراق، يسمو بها هذا الفقير إلى عالم من الصفاء والنقاء. لكن هذا الصفاء والنقاء يشيان بمدى المجاهدة التي عاناها الفقير، والتي خلّفت بعض الندوب في وجه تلك الصورة المشعة، فجاءت في «لون الجراح»!

ويختم شاعرنا ابن المدينة المنورة «**محمد هاشم رشيد**» قصيدته بهتاف فني موح، يذكّرنا بتلك الحركة الصاعدة الهابطة للصائم: يسمو في الأولى إلى آفاق عالمٍ نوراني يشع طهرًا ونضارة، ليعود في الأخرى إلى أمه الأرض، وإلى إخوانه المؤمنين: محبا ومؤثرا لهم على نفسه، محققا حكمة الصوم في البذل والعطاء! هنا، وهنا فقط تتكامل العبادات ويتجسد الإسلام في سلوك بشري يميز أصحابه، ويؤهلهم لما يناط بهم، **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾** آل عمران ١١٠، ويجعلهم أهلا لسبر أغوار العقيدة وإدراك «كُنْه حيّ على الفلاح!»

تطوّر الإنسان

بين المفاهيم القرآنية والنظريات العلمية

بقلم: د. شاه منظور عالم ○ ترجمة: جميلة حسن عبد العزيز

في تقويم نقدي* لنظرية التطور تبيَّن أن كلا من القرآن والعلماء يدعم بقوة المفهوم الرئيس لتطور الحياة من الجماد (من المادة غير العضوية إلى المادة العضوية). ويوضح القرآن أن الحياة نشأت من الماء وأن الإنسان خُلق من طين. كما تبيَّن أن الأساس العلمي لتطور الإنسان من الإنسان ـ القرد ضعيف؛ لأن أوجه الاختلاف الرئيسة بينهما واضحة لدرجة لا يمكن تجاهلها. وفي الوقت الذي يؤكد فيه القرآن بوضوح الخصائص المميزة والفريدة التي وهبها الله ـ سبحانه وتعالى ـ للإنسان، كما هو ملاحظ، فإن العلماء ـ للأسف ـ مترددون في قبول دور الإرادة الإلهية في خلق الإنسان؛ لذا فنحن نحثهم على التسليم بقصور العلم في هذه المسألة وتوجيه أبحاثهم في الاتجاه الذي دعاهم إليه القرآن الكريم.

يعطي القرآن المفهوم الأساسي للتطور، ويوضح أن الإنسان هو أرقى الأحياء. علماء الأحياء يقبلون هذا، لكنهم ينظرون إلى الإنسان على أنه ذروة عملية التطور، ويؤكدون عمومًا أن الإنسان ــ بلا شك ـ هو النتاج الأعظم كفاءة ــ بصفة عامة ــ والمهيمن لعملية التطور. أما بالنسبة للقرآن فالإنسان مخلوق فريد أسمى وأرقى من جميع المخلوقات، وهو كائن منحه الله خصائص لا مثيل لها بين الكائنات الحية الأخرى.

هناك أخطاء جلية في الإنجيل فيما يتعلق بالظواهر السماوية والأرضية. وقد دخلت هذه الأخطاء في الإنجيل؛ لأنه من تأليف عدة كتّاب خلال فترات متباعدة من التاريخ البشري. هذا بالإضافة إلى أن الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم مؤلفة من خليط متمازج من مصادر قديمة وحديثة تم تحديثها ثم أُكملت فيما بعد. من ثم لا يعتد العلماء بالقصص الإنجيلية في المسائل المتعلقة بالعلم؛ لذا فهم يؤكدون على أن الإنجيل كتاب دين لا كتاب علم.

ويطال تحامل العلماء على الإنجيل القرآن على الرغم من وجود قدر مدهش من التوافق يمكن إدراكه بسهولة بين الآيات القرآنية والاكتشافات العلمية المتعلقة بالظواهر الأرضية والسماوية. ويرجع هذا ـ ربما ـ إلى جهل العلماء بحقيقة مهمة هي أن القرآن، على العكس من الإنجيل، حَافَظَ على صفائه ونقائه باعتباره وحيا إلهيا من دون أي زيادة أو حذف أو تعديل. فالذي بين أيدينا الآن هو النص ذاته الذي أُنزل على النبي محمد ـ ﷺ ـ منذ أكثر من أربعة عشر قرنا. وقد أكد سبحانه وتعالى حفظ النص الأصلي للقرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ الحجر ٩. وإيمان المسلم ينطوي على اليقين بأن القرآن جاء بالحق: ﴿وَبِالحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ﴾ الإسراء ١٠٥.

صحيح أن القرآن كتاب ديني في المقام الأول؛ ومع ذلك فهو يتضمن إشارات إلى الظواهر الأرضية والسماوية وجدها العلماء صحيحة دون استثناء. وفي ضوء هذه الحقائق ليس هناك مجال للتشكيك في صدق القرآن فيما يتعلق بالموضوعات التي تهم العلماء. من هذا المنطلق كانت دراسة نظرية التطور البشري من المنظور القرآني لخلق الإنسان عملاً شيقًا، ولكن لنبدأ أولاً بفحص وجهة نظر العلماء فحصًا موضوعيًا.

تطور الحياة من الجماد

(من مادة غير عضوية إلى مادة عضوية)

يفترض العلماء أن الحالة الحية نشأت من الحالة غير الحية من خلال عمليات التكوين الحيوي التي توقفت الآن. وقد أثبتت التجارب المعملية بوضوح إمكان حدوث تركيب قُبيل حيوي للمركّبات المعقدة. إن تكوُّن هذه المركّبات في حالتها الأولية مدعوم بشدة بدليل نجمي يشير إلى حقيقة مفادها أن

* تناقش هذه المقالة ـ وهي أصلا باللغة الإنجليزية وخصّ الكاتب «الفيصل» بها ـ أفكار نظرية التطور ومقولاتها، وتدحض جنوح مؤيديها للإلحاد. وعندما يرد لفظ «علماء» يُقصد به هؤلاء المؤيدون، إلا إذا كان واضحا من السياق أن اللفظ يشمل كل علماء العلوم الطبيعية. كما يُقصد به أحيانا بعض المتطرفين من مؤيدي النظرية.

تطوّر الإنسان
بين المفاهيم القرآنية والنظريات العلمية

النجوم عندما تبرد، وتتلاشى التأثيرات الانحلالية للحرارة تظهر للوجود مواد كيماوية مختلفة. وبسبب تزايد المركّبات المعقدة لبعض المواد الأولية يتكون بروتايل «كروكس» الفرضي The Hypothetical 'Protyle' of Crookes، أو بعبارة أخرى «إلكترون» العلم الحديث. ويُعتقد أن هذا قد حدث بوجود الأشعة فوق البنفسجية، الذي أدى بدوره إلى اصطناع مركّبات غير عضوية معقدة كالفوسفات والأنزيمات والأحماض النووية. وبما أن هذه المركّبات المعقدة أساسية لتطور الحياة، فمن المعقول أن نفترض أن الحياة نشأت في محلول مائي مكون من مركّبات عضوية سابقة للأحياء، وأن الكائنات الحية ظهرت لاحقًا، وذلك من خلال أغشية أحاطت بكميات من هذه المركّبات فحولتها إلى خلايا، أي إلى نقطة البداية من التطور العضوي (التطور الدارويني Darwinian evolution).

حركت هذه العملية سلسلة من التفاعلات لتطوير المزيد من صيغ الحياة المعقدة؛ وعبر هوكينج Hawking عن هذا بقوله: «كانت الأرض ساخنة جدًا ومن دون غلاف جوي، ومع مرور الزمن بردت واكتسبت غلافا جويا من جملة من الغازات المنطلقة من الصخور. لم يكن هذا الغلاف المبكر صالحًا لعيش الإنسان؛ فهو لم يحتوِ على الأكسجين، بل احتوى على العديد من الغازات السامة ككبريتيد الهيدروجين... ومع ذلك فهناك صيغ مختلفة لحياة بدائية يمكن أن تزدهر في ظل هذه الظروف. ومن المعتقد أن صيغ الحياة هذه تطورت في المحيطات، ومن المحتمل أنها تطورت نتيجة اتحاد الذرات عن طريق المصادفة لتكوّن تركيبات أكبر تسمى بالجزيئات الكبيرة التي تمكنت بدورها من تجميع ذرات أخرى في المحيط لتكوّن تركيبات مشابهة. فهي إذن قد توالدت وتكاثرت. وفي بعض الحالات قد تحدث أخطاء أثناء عملية التوالد، وغالبا ما تحدث هذه الأخطاء بحيث إن الجزيئات الكبيرة الجديدة لا تستطيع أن تتوالد مما يؤدي في آخر الأمر إلى هلاكها. ولكن قد ينتج من عدد قليل من هذه الأخطاء جزيئات كبيرة جديدة قادرة على التوالد بشكل أفضل، ويفضي ذلك إلى أن تحل محل الجزيئات الكبيرة الأصلية. وهكذا بدأت سلسلة من عمليات التطور التي أدت إلى نشوء كائنات تتوالد ذاتيًا أكثر تعقيدًا من سابقاتها. استهلكت الصور البدائية الأولى للحياة مواد مختلفة من ضمنها كبريتيد الهيدروجين والأكسجين المحرر، مما أدى إلى تغيير الغلاف الجوي تدريجيًا إلى مكوناته التي هو عليها اليوم، وأعطى الفرصة لتطور أنماط لحياة أرقى كالأسماك والزواحف والثدييات والجنس البشري في نهاية المطاف». ويتفق العلماء على أن البروتين والحامض النووي الناتج من التفاعل المركب للمواد غير العضوية أديا إلى نشوء الكائنات الحية على كوكب الأرض؛ كما يتفقون على أن الكائنات الحية نشأت أصلاً وانبثقت من الماء. أما الإنسان فهو أرقى وأعقد نتاج في سلسلة التطور المعقدة هذه. ويرى العلماء أن تطور الحياة بشكليها البسيط والمعقد ما هو إلا نتيجة أخطاء وحوادث طارئة ومصادفة وليست له علاقة بالتدبير الإلهي.

دارون ونظرية التطور البشري

يعود مفهوم الأصل الوضيع للإنسان الذي ينتمي لطبقة الحيوان الرئيس[١] إلى **تشارلز دارون** Charles Darwin الذي يؤمن بتشابه أصل الكائنات الحية، حيث جاء في كتابه «أصل الأنواع»: «إنها لحقيقة رائعة أن جميع الحيوانات والنباتات على مر الأزمان ذات صلة بعضها ببعض، وأن توجد أوجه تشابه مذهلة في التركيب التشريحي للإنسان وبعض الحيوانات كما هو الحال في أجنّة كل من الإنسان والكلب».

ويتفق معه **هكسلي** Huxley في هذا حيث يقول: «لا شك أن نمط الأصل والمرحلة المبكرة في تطور الإنسان متطابقة مع تلك التي للحيوانات الأدنى منه مباشرة في النظام الدَرَجي». هذا وقد قدم **دارون** مفهوم الاصطفاء الطبيعي[٢] الذي استمده من مقالة **مالثاس** Malthus عن «مبدأ السُكّان». قدّم **مالثاس** وجهة النظر التي تقول: بما أن السكان يزيدون بنسب هندسية وأن الغذاء يزيد بنسب حسابية فإن هذا سيؤدي طبيعيًا إلى موت الأضعف بسبب الجوع والمرض... إلخ. وعلى الرغم من أن نظرية **مالثاس** غير موثوق بها البتة، إلا أنها قادت **دارون** إلى تطوير نظريته عن الاصطفاء الطبيعي وعن البقاء للأقوى. يقول **دارون** في كتابه «مذكرة عن تناسخ الأنواع»: «في المتوسط لابد أن لكل نوع أعدادًا قُتلت عاما بعد عام عن طريق الصقور أو البرد... إلخ. ولعل السبب الحاسم وراء ذلك هو إفراز الهيكل اللائق. ويمكن القول إن هناك قوة قد تعادل مائة ألف مضيق وتدي ترغم كل نوع من أنواع البنية المكيفة على أن يحتل مكانه ضمن فجوات في نظام الطبيعة، أو بالأحرى تكوّن ثغرات يُدفع فيها الأضعف إلى الخارج». إذا كانت نظرية **دارون** قد ألقت الضوء، من ناحية، على الأخطاء الواضحة في قصة الخلق في «كتاب التكوين» The Book of Genesis، فهي من ناحية أخرى قد دعت إلى نظام ميكانيكي آلي للاصطفاء الطبيعي يقود إلى تطور الكائنات الحية بما لا يفسح المجال للتوجيه والتدبير الإلهي في إنتاج الكائنات الحية من نباتات وحيوانات وبشر على وجه الأرض.

النظرية الحديثة للتطور البشري

لقد أثّرت نظرية التطور البشري وعملية الاصطفاء الطبيعي بعمق في الأجيال اللاحقة من علماء الأحياء وعلماء الإنسان، لدرجة أنهم تابعوا مكونين تصورًا ومفهومًا مسبقًا رافضين أية وجهة نظر أخرى. وتضع هذه النظرية الإنسان ضمن مجموعة الهبّار والقرد والنسناس؛ لأنها تشترك في عدد من المقومات التشريحية العامة. ويمكن تلخيص مفهوم «نظرية التطور البشري» كما كونها العلماء على النحو التالي:

تطور الإنسان
بين المفاهيم القرآنية والنظريات العلمية

الشذوذ جعل من نظرية التطور البشري أمرًا مختلفا عليه. ويعترف علماء الأحياء أن كيفيّة تحول الإنسان المنتصب إلى الإنسان الحديث وزمان ذلك التحول مسألة قابلة للنقاش والجدل.

ويؤكد علماء الأحياء أيضا على أن عملية الاصطفاء الطبيعي عجلت كثيرا من التطور البشري. وبالرغم من ذلك فإن هذه العملية لا تفسّر بشكل مقنع تحول التركيب الجسدي للإنسان ــ القرد وتغيره من كائن ذي خياشيم branchiation إلى كائن ذي قدمين bipedalism. ولا يوجد أي تفسير منطقي للسؤال: لماذا تركت هذه الكائنات الغابة إلى مناطق حشائش السافانا Savannah؟ ولماذا بدأت المشي على قدمين؟ ويقر أنصار نظرية التطور بأنه لا أحد يعلم على وجه التحديد لماذا تحولت الكائنات الشبيهة بالإنسان ـ التي أدت ذريتها إلى ظهور الإنسان الحديث ــ إلى الأراضي المنبسطة؛ إلا أنهم يفترضون أن ذلك تم أثناء البحث عن الغذاء. ولا يبدو هذا منطقيًا وجديرًا بالتصديق إذا تساءلنا لماذا يتحول كائن بأربعة أرجل إلى كائن ذي قدمين في حين أن البيئة لا تتطلب ذلك. هذا بالإضافة إلى أن علماء الأحياء يلجؤون إلى فكرة التغيرات الجينية السريعة والاصطفاء الطبيعي حين لا يستطيعون إثبات وجهة نظرهم بشكل مترابط ومنطقي، معتقدين أنها نقاط ترابط معقولة في التطور من الإنسان المنتصب إلى الإنسان الحديث. يقول **واشبرن**: «إن نسبة ضئيلة من تغيُّر المورثات ـ بالإضافة إلى الاصطفاء الطبيعي ـ يمكن أن تحول الإنسان ــ القرد الصغير العقل الذي يمشي على اثنتين إلى الإنسان الحديث المتطور العقل. من المحتمل أن يكون التطور قد تم في فترة أقل من فترة امتداد الحياة على الأرض والذي سمح به التوقيت الجديد». ومن ثم نجد أن بعض القردة الكبيرة التي كانت تعيش على الأرض اكتسبت فجأة التجويف الحوضي للإنسان واستطاعت المشي بشكل منتصب، وبذلك تفرغت الأيدي لاستعمالها في صناعة الأدوات والكتابة. وقاد هذا التغيُّر الجيني إلى ظهور الإنسان ـ القرد الأكثر ذكاء الذي يمشي على قدمين.

تبنى **واشبرن** فكرة التغير السريع للمورثات للتغلب على التقييد الزمني الذي يقدم صعوبات غير مقبولة في توضيح التطور من الإنسان المنتصب للإنسان الحديث في فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز ٥٠٠,٠٠٠ سنة. فحتى مليون سنة لا تعتبر ملائمة للسرعة التي افترضها **داروِن** لعملية التطور. وقد اعترف **واشبرن** أيضًا بهذه الصعوبة: «إذا اعتمد كل تغيير حدث بيننا وبين الإنسان ـ القرد على عوامل متفرقة من بناء المورثات للفرد، فالواقع هو أنه من المستحيل حسابيًا أن يتغير الإنسان ـ القرد للإنسان الحديث في الفترة الزمنية المسجلة ضمنا في السجلات الحالية». ومن أجل هذه الصعوبة يفترض **واشبرن** «وجود فروق جينية أساسية أقل بين الإنسان القديم والإنسان الحديث مما يبدو لنا في الظاهر؛ فقد تكون الفروق الجينية الرئيسة اكتُسِبَت خلال الفترة المتاحة وأن الاختلافات الفرعية الأخرى تبعتها ذاتيًا». ولم يوضح أساس فرضيته، كما لم يعلل تغير السرعة المتعلقة بالتغيرات الجينية الأساسية، فهو لم يقدم إلا تخمينًا صرفًا ومجردًا من أي أساس علمي.

تعتمد نظرية التطور بمجملها على أدلة متفرقة تتكون من عينات من الجماجم والعظام المبعثرة. وبالرغم من أن مجموعة المتحجرات كبيرة، إلا أنها محاطة بالغموض والاختلاف بسبب التشتت وعدم الترابط في تنظيم وتركيب البقايا التي تتطلب الكثير من التخمين. ولم يستطع العلماء في أية بقعة من الأرض أن يجمعوا هيكلاً عظميًا متكاملاً من المتحجرات، ولا حتى جزءًا كبيرًا منه لتكوين قصة معقولة ومترابطة منطقيًا (عن أصل الإنسان). فحتى الموجود من الأدلة المشتتة تشوهها الفجوات الزمنية التي بين المتحجرات، مثل الفجوة بين نهاية الحقبة المتعلقة بالعصر الثلثي أوسط وحقبة العصر الحديث القريب، وهي فجوة زمنية تزيد على الخمسة ملايين سنة، ولم تتوافر خلالها ـ إلا نادرًا ـ حفريات لها علاقة بالكائن الشبيه بالإنسان. وبالرغم من ذلك ففي نهاية هذه الفترة ـ التي تبلغ فيها الفجوات الزمنية حدها الأعلى ـ نكتشف فجأة وجود الإنسان ـ القرد الجنوبي السلف النهائي للإنسان المعاصر. وحتى خلال العصر الحديث الأقرب Pleistocene، الذي يسبق العصر الحديث، لا نستطيع أن نتتبع مرحلة الانتقال من الإنسان المنتصب إلى الإنسان المعاصر بشكل محدد وواضح لتشتت الأدلة وعدم ترابطها. يقول أحد الباحثين: «احتلت هذه الفترة الانتقالية فترة زمنية طويلة؛ ولعدم اكتمال سجل الحفريات فليس بوسع العلماء سوى تخمين الكثير من التفاصيل».

لقد توقفت عملية التطور النوعي البشري من الناحية التشريحية خلال الـ ٢٥٠,٠٠٠ سنة الماضية. وقد تطرق **دوبزانسكي** Dobzhansky إلى توقف عملية التطور من هذه الناحية حيث قال: «أبدى تطور سلف الإنسان القديم لعدة ملايين من السنين اتجاهًا نحو زيادة ثابتة ومتدرجة لحجم المخ. بلغ هذا الاتجاه ذروته قبل حوالى ٢٠٠,٠٠٠ سنة في الإنسان المعاصر وفي الإنسان النياندرتالي، في حين لم تلاحظ أي زيادة في حجم الجمجمة. وقد يرجع هذا إلى الحيِّز الذي تفرضه صعوبات الولادة». ولم يزودنا **دوبزانسكي** بأي أساس منطقي فيما عدا أنها لم تحدث للإنسان بسبب «مرونة مجموعة مورثاته» و«التداخل مراحل التقدم الحضاري بين الإنسان ومحيطه». هذا بالإضافة إلى انقراض جميع سلف الإنسان، أي الإنسان الأفريقي Homo africanus والإنسان البارع Homo habilis وحتى النياندرتالي. بعبارة أخرى نستطيع القول بأن جميع الأدلة المباشرة لإثبات صحة نظرية التطور البشري قد دُمِّرَتْ.

وقبل أن نختم هذه المناقشة، يبدو أنه من المناسب أن نقتبس بشكل عام من عمل أحد العلماء البارزين في هذا المجال وهو العالم **سافاج** Savage، الذي يمدنا برؤية حقيقية لتفكير العلماء فيما يتعلق بهذه النظرية:

لماذا فشل العلماء في إيجاد قصة مترابطة منطقيًا للتطور البشري؟ وكيف كشف التناقض في حججهم عن نفسه؟

«انحدر الإنسان الحديث Homo Sapiens متزامنا في كل من إيطاليا الوسطى Oriopithecus وإقليم البنجاب في الهند Ramapithecus وشرق أفريقيا Kenyapithecus، حيث عاش في نهاية العصر الثلثي أوسط Miocene أو في بداية العصر القريب الحديث Pliocene (قبل ١٠ ـ ١٣ مليون سنة). وتوحي المتحجرات الخاصة بالتجويف الحوضي الموجودة في إيطاليا الوسطى بأن لهذه الكائنات حوضا يشبه الحزام الحوضي للإنسان المعاصر وأن الحيوان في ذلك الوقت كان يمشي في وضع منتصب. أما المتحجرات الخاصة بالأسنان وشظيات من الفكين، الموجودة في إقليمي البنجاب وشرق أفريقيا، فهي تقترب إلى حد كبير من تلك الموجودة لدى الإنسان المعاصر.

ومع هذا فإنه لا يمكن الجزم بذلك لأننا لا نملك متحجرات لسلف الإنسان في الجزء الأخير من العصر القريب الحديث. وعلى الرغم من وجود هذه الفجوة الحيوية في سجل الحفريات، إلا أن العلماء يرون إجمالاً أن الإنسان الحديث هو سليل الإنسان ـ القرد الجنوبي، أي الإنسان ـ القرد الأسترالي Australopithecus، المكتشف في جنوب أفريقيا عام ١٩٢٤ م، والذي عاش هناك قبل مليون إلى خمسة ملايين سنة. ومن نوعي الإنسان ـ القرد الأسترالي: الغليظ Paranthropus والزنجي Transvaalensis، انحدر الإنسان الزنجي الرشيق Gracile Australopithecus Africanus الذي يُفترض أن يكون مولدًا لجنس الإنسان ـ البارع Homo Habilis (قبل ٢,٦ إلى ٢,٩ مليون سنة) الذي اكتشفه ليكي Leaky في بحيرة رودلف Lake Rudolf، وأعقبه الإنسان المنتصب Homo Erectus المكتشف في جاوة وبكين وجنوب ووسط أفريقيا والذي عاش قبل ٥٠٠,٠٠٠ إلى ٨٠٠,٠٠٠ سنة.

ومن ثم أدى هذا إلى نشوء الإنسان الحديث خلال العصر الجليدي ما قبل الأخير Penultimate Glaciation، أو حتى قبل ذلك (قبل حوالى ٣٠٠,٠٠٠ سنة) في أجواء استوائية أو شبه استوائية. ويبدو أن الإنسان ـ القرد الأسترالي الغليظ، والإنسان ـ القرد الأسترالي الرشيق، والإنسان المنتصب كانوا متعاصرين وأنهم مروا بمراحل تطور متزامنة قبل حوالى ٩٠٠,٠٠٠ سنة، إلا أن هؤلاء قد انقرضوا الآن. وبما أن واحدًا من جنس البشر Homo باقٍ فقد أصبح هو الثديي المهيمن».

لم يمر الإنسان بأي تطور عرقي أو نوعي منذ ظهور الإنسان الحديث، فآخر علامة لتطوره العرقي تتعلق بتحول الإنسان المنتصب للإنسان الحديث. وقد احتلت هذه الفترة من التحول مدة زمنية طويلة. ولعدم اكتمال سجل الأحافير يخمن العلماء الكثير من التفاصيل، ويشيرون إلى أن أسلاف الجنس البشري ارتقت بشكل رئيس على خط واحد من التطور منذ تحولها من الحيوانات الشبيهة بالقرد، وأنه خلال الـ ٦٠٠,٠٠٠ سنة الماضية على الأقل لم يكن هناك سوى جنس واحد يحمل مجموعة من المورثات وأنه تفرع إلى عدد من السلالات العرقية المختلفة. هذا بالإضافة إلى أنهم لاحظوا أن الإنسان المنتصب لم يتحول فجأة إلى الإنسان الحديث، فلابد أنه مرَّ بمرحلة تطور مركبات من عناصر متعددة في أزمنة متفاوتة، كما مرَّ بنشوء العديد من المركبات الوظيفية. ويؤكد العلماء أن الإنسان الحديث تعرض لضغوط اختيارية Selective Pressures لتطوير مراكز التفكير والذكاء، وأنه خلال الـ ٤٠٠,٠٠٠ سنة الأخيرة كانت هذه الضغوط بسيطة لتغيير الخصائص التشريحية فقط.

لقد حاول العلماء إيجاد قصة مترابطة منطقيا للتطور البشري، إلا أنهم فشلوا لطبيعة الأدلة غير المترابطة التي تتضمنها الصيغة النظرية. ويكشف التناقض في حججهم وبراهينهم عن نفسه في جميع مراحل التطور: من العضلات إلى المخ، ومن ترابط الفروع إلى الإنسان ذي القدمين؛ ويؤكد العلماء أنفسهم هذا التناقض. فعلى سبيل المثال، لا يتفق العلماء جميعا على كون الإنسان ـ القرد الأسترالي سلفا للإنسان الحديث. هذه المدرسة الفكرية قد تسمح لنماذج من الجنس البشري بأن تحتل المنطقة نفسها كأعضاء لجنس الإنسان ـ القرد الأسترالي في تاريخ مبكر نسبيا. وتنفي في الوقت نفسه أن يكون هذا الجنس هو من سلف الإنسان. واستمد العلماء الأدلة على هذه الفرضية من المنطقة الواقعة في كينيا إلى الشرق من بحيرة رودلف حيث اكتشفت عامي ١٩٧٠ و١٩٧١ بقايا فك بالإضافة إلى المنطقة الخلفية من جمجمة من ترسبات ترجع إلى الفترة ما بين مليون سنة ومليونين ونصف مليون سنة مضت. وقد اكتشفت أدوات حجرية للحضارة الأولدوية Oldowan Culture في المنطقة نفسها ونسبت إلى ترسبات أقدم. وتبين النظرة الأخيرة بوضوح حدوث الفجوة الزمنية بين الكائن الشبيه بالإنسان والإنسان ـ القرد الأسترالي في العصر القريب الحديث.

يفترض العلماء أن نشوء الإنسان الحديث تزامن في أماكن جغرافية متفرقة، حيث اكتشفت جماجم للإنسان المنتصب والإنسان الحديث في كل من بكين وجاوة وجنوب ووسط أفريقيا، بينما يتجه بعض هؤلاء العلماء إلى الاعتقاد بأن الإنسان الحديث انتقل إلى أوروبا وأنتج السلالة النياندرتالية[3]. وعلى الرغم من ذلك فقد شكك هكسلي وعلماء أنثروبولوجيا (علم الإنسان) آخرون في هذا؛ فهم يفصلون الإنسان النياندرتالي عن خط تطور الإنسان المعاصر Modern Man ويصرون على أنه فرع هلك وانقرض. ومن الأمور المختلف عليها أن الإنسان المعاصر لم يكن لينحدر من مخلوق ذي عضلات قوية ووجنات عريضة وفك ضخم. وقد حذر هكسلي بشدة من أنه «لا يمكن ـ بأي حال من الأحوال ـ أن تعتبر عظام الإنسان النياندرتالي بقايا للكائن المتوسط بين الإنسان والقرد». علاوة على أن شذوذا خطيرا لوحظ في أن الإنسان النياندرتالي القديم، الذي يشبه الإنسان المنتصب أكثر من سلف الإنسان الحديث الذي عاش في المناخ البارد في أوربا، قد انقرض فجأة مع تقهقر النهر الجليدي في المراحل المتأخرة من العصر الجليدي الحديث. هذا

”توصّل العلماء المؤيدون لداروِنْ إلى استنتاجات دقيقة وحاسمة من أدلة غير حاسمة“

«يمكننا أن نختم هذا الرأي عن التطور الأحيائي (البيولوجي) للإنسان بعدة تخمينات عن أنواع القوى الانتقائية التي قادت إليه. إن أهم التحولات التي أحدثت هذه التغيرات هي الآتية:

١ ـ التحول من القردة التي تمشي على أربع إلى الإنسان ذي القدمين: لقد تطلب هذا تحولاً كبيرًا، في بناء الهيكل العظمي للإنسان، يمكن تتبعه متى ما وجدت المتحجرات الخاصة بالأجزاء المطلوبة.

٢ ـ نضج اليد إلى أداة صانعة للأدوات: إن جنس القردة العام، الذي انحدر منه الإنسان، قد طوّر فعلاً أيادي ذات إبهام (أي يمكن الإمساك بها)، وربما يتعلق ذلك بإمساك أغصان الأشجار.

٣ ـ زيادة في الذكاء وفي حجم المخ: لم يتضمن هذا مجرد الزيادة في حجم المخ، ولكن تضمن أيضًا تطورًا دقيقًا لمراكز استجابة الذكاء. ويمكن تتبع هذه التطورات بشكل أفضل في حال توافر جماجم كاملة.

٤ ـ تغير النظام الغذائي من الفواكه والمكسرات والجذور الصلبة إلى الطعام اللين الذي يشمل اعتمادًا متزايدًا على اللحوم: تضمن هذا نقصًا في حجم القواطع والأنياب وتطورًا لأسطح الضروس الطاحنة، ونقصًا ـ فيما بعد ـ في حجم الأسنان بوجه عام بعد أن استخدم الإنسان النار في الطهي. إنه لمن السهل تتبع هذه التغيرات من خلال سجل الأحافير أكثر من سواها لأن الأسنان هي أكثر أجزاء الجمجمة بقاءً في المتحجرات.

٥ ـ زيادة في القدرة على الاتصال مع الآخرين وعلى تطوير سلوك اجتماعي منظم: لا يمكن أن نحصل على أية أدلة مباشرة لهذا النوع من التغير من خلال سجل الأحافير، إلا أنه يمكن أن نقترب منها بشكل غير مباشر عبر طرق مختلفة».

إذا تمعنا في الفقرات ١ و٢ و٥ من الاقتباس السابق تأكد لنا توصّل العلماء إلى استنتاجات دقيقة وحاسمة من أدلة غير حاسمة. إن المتحجرات ليست متوافرة لدرجة أن تحسم كيفية تطور الإنسان ذي القدمين من القرد الذي يمشي على أربع. وبما أنه لا توجد بقايا لجماجم كاملة، فهم لا يستطيعون سوى تخمين حجم الجمجمة ومقدار الذكاء. والظاهر أن المخ توقف عن النمو على الرغم من النمو الاستثنائي للعقل والذكاء. ويبدو أن هذا ينفي الفرضية الرئيسة لعلماء الأحياء وعلماء الإنسان عن العلاقة الطردية بين حجم المخ ومقدار الذكاء.

لقد نسب العلماء تطور العقل وتطور المحادثة لدى الإنسان إلى عملية الاصطفاء الطبيعي، حيث أُشيرَ إلى «أن القوة العقلية المتفوقة لمخ الإنسان أعطته في بعض مراحل تطوره، من خلال عملية الاصطفاء الطبيعي، مجالاً واسعًا للقدرات التي لها صلة بالعلاقات الاجتماعية. أعطته القدرة على المحادثة والقدرة على الاتصال مع أقرانه، وأعطاه التفكير القدرة على تصور أهداف مدروسة». وتعتبر هذه طريقة ميكانيكية بحتة تتضمن تغيرًا ذاتي الدفع في التطور الحضاري للإنسان، ومن ثم فهي تتنكر أي دور إلهي في خلق الإنسان.

ويبدو أن علماء الأحياء، من خلال فهمهم للتطور البشري، يتبعون قانون الفرضية فيما يتعلق بأوجه الشبه الرئيسة التي يمكن تتبعها في شيء واحد. هذا بالإضافة إلى أنهم لاحظوا «تماثلاً في عظام العضد والساعد والرسغ واليد والأصابع في كل من الفأر والكلب والوطواط والخيل والدلفين والحوت والإنسان، إلا أن هذه العظام تغيرت أثناء تكيف كل من هذه الكائنات لأشكال الحياة المختلفة، رغم أنها احتفظت بالبناء الرئيسي الذي ورثته عن البناء العام». وبسبب هذا التشابه الكبير تتبع علماء الأحياء سلف الإنسان وأرجعوه إلى القرد، مهملين حقيقة واضحة هي أن خالقهما (الله سبحانه وتعالى) أطلعنا على أوجه الشبه، في الوقت الذي أكّد فيه على الفروق الدقيقة التي تميز خصائص كل منهما. ويبدو هذا منطقيا ومعقولا أكثر من الجدال والإصرار على وحدة الأصل بين الإنسان والقرد لمجرد وجود تماثل في الأعضاء التشريحية لكل منهما كما يفعل العلماء. وتسيطر على العلماء فكرة التماثل لدرجة أنهم يهملون أوجه الاختلاف في المظهر الخارجي لكل من الإنسان والقرد، فيما يسجلون نقاط الاختلاف في خصائصهما السلوكية ابتداء من الولادة وحتى البلوغ. إن الاعتماد الكلي للذرية البشرية في المراحل الأولى من النمو على الأبوين ونموها البطيء نحو البلوغ يتباين بحدة مع نمو الحيوانات التي لا تبدي تلك الدرجة من الاعتماد على أبويها منذ الصغر. إلا أنه حين يصل الإنسان إلى مرحلة البلوغ نجد أنه يسيطر كليا على المحيط الذي يعيش فيه، وهو يتناقض في هذا مع الحيوانات التي تعتمد كليا على محيطها الذي توجد فيه. وعلى الرغم من تفوقه العقلي، فإن الإنسان ـ كالإنسان الآلي ـ لا يتأثر بقانون الاصطفاء الطبيعي. إننا مدركون تماما حقيقة مهمة هي أن بإمكان الإنسان أن يغيّر ويبدل وحتى أن يوقف عملية الاصطفاء الطبيعي التي من المحتمل أن تكون فعالة بالنسبة للحياة النباتية والحيوانية في محيطها الطبيعي وليس في ظل عبقرية عقل الإنسان.

في ضوء النقاش السابق، يتضح أن نظرية التطور تعتمد على أدلة مشوشة وغير مترابطة ومثيرة للجدل. ولا تزال الحلقات المفقودة كثيرة جدا، في حين أن الأدلة الموجودة متضاربة لدرجة أنه لا يمكن الاعتماد عليها لإثبات صحة النظرية بشكل حاسم ومقنع. وبينما تتحدث نتائج ليكي Leaky عن قِدَم الإنسان؛ إلا أن التأريخ المعتمد على غاز الفلورين يثبت أن أصول الإنسان ليست بذلك القدم، فهي تصل إلى حوالى ٥٠,٠٠٠ سنة مضت. وتفشل النظرية تمامًا في شرح التطور العقلي للإنسان وتطور قدرته على المخاطبة التي ينفرد بها عن باقي الكائنات الحية. هذا بالإضافة إلى أن أية عملية تطور هي

تطور الإنسان

بين المفاهيم القرآنية والنظريات العلمية

عملية مستمرة، ومن ثم يجب أن تكون هناك أدلة من أي فرع تشير إلى وجود آثار تطور القرد إلى الإنسان الكامل، إلا إذا صرح العلماء بأن جميع الكائنات الحية قد وصلت لمرحلة من التوازن الثابت، وبالتالي فإن عملية التطور قد توقفت تماما. إن العديد من عمليات التطور ما تزال فعالة ويمكن ملاحظتها في عدد من الظواهر الطبيعية، فمثلا تعدّ ظاهرتا النظام الهيدرولوجي ودورة التآكل من هذه الظواهر. إن تطور الإنسان من الشباب للبلوغ فالشيخوخة، الذي يتخلله أحيانًا تجديد للشباب، يمكن تتبعه بوضوح، في حين أن دورة التآكل عملية مستمرة يمكن ملاحظتها ومعرفتها وقياسها. وبما أن سلف الإنسان منقرض، يمكن دراسة تطور الإنسان عن طريق المتحجرات فقط، وهي غير مترابطة لدرجة لا يمكن الاعتماد عليها كأدلة حاسمة.

وعلى الرغم من ذلك يستحوذ على مؤيدي النظرية إيمانهم العميق بها لدرجة أنهم ـ برغم الأخطاء الواضحة في حجتهم ـ على استعداد للإعلان بأن «الإنسان ما هو إلا نتاج عملية تطور منظمة ومعقدة ابتداء من الحيوانات الرئيسة البدائية، مرورا بأشكال الإنسان العامة، ووصولا إلى شكل الإنسان الذي عليه الجنس البشري الآن». إن انقطاع تسلسل المتحجرات والشذوذ الموجود فيها واضح للعيان كما هو مؤكد في مناقشة نشرت في «أطلس تايمز لتاريخ العالم» Times Atlas of World History. **وتجعل هذه الأدلة المتضاربة النظرية بمجملها مشكوكا فيها، مما يقودنا لطرح السؤال التالي: أليس الإنسان كائنًا مميزًا من خلق الله، يختلف بوضوح عن عملية التطور كما يصورها علماء الأحياء وعلماء الإنسان؟ دعونا نبحث عن الإجابة في المفاهيم القرآنية لخلق الإنسان.**

المفاهيم القرآنية لخلق الإنسان

إنه لمن المذهل حقا أن مفهوم تطور الحياة من مواد غير عضوية قد ورد في القرآن الكريم منذ أكثر من أربعمائة وألف سنة. وطبقا لما ورد في القرآن فإن هنالك ثلاثة أنواع من الكائنات الحية: الحيوان والإنس والجن، نشأت من ثلاثة مواد غير عضوية متميزة تختلف كل منها عن الأخرى. من بين الأنواع الثلاثة التي خلقها الله ينفرد الجن باستقلاله، لأنه خلق من النار المتوهجة قبل مدة طويلة من تكوين الغازات الجوية وقبل ظهور الحياة الدنيوية بزمن طويل. ويفرق القرآن بين خلق الجن وخلق الإنسان: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. وَالجانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ الحجر ٢٦ ـ ٢٧. وقد أكد القرآن هذا في مواضع أخرى محددا بوضوح طبيعة وصفة كل من النار والطين اللَّذَيْنِ شكّلا الجن والإنس: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ. وَخَلَقَ الجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِن نَّارٍ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الرحمن ١٤ ـ ١٦.

ويوضح القرآن أن جميع الكائنات الحية الدنيوية نشأت من الماء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الأنبياء ٣٠.

وعلى الرغم من ذلك، فالقرآن الكريم يفرق بين تطور الحياة الحيوانية وخلق الإنسان. ففي معرض توضيحه لهذه النقطة يشير القرآن إلى أن تطور الحيوانات استمر من المركبات غير العضوية المكونة من الماء. ووفقا لما جاء في القرآن الكريم فإن الحيوانات التي نشأت من الماء ذوات أنواع وخصائص مختلفة ومتعددة: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَاءٍ فَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النور ٤٥.

يشترك الإنسان مع الحيوان في نشوئه من الماء فقط، وينتهي الاشتراك بينهما هنا لأن الإنسان لم يتطور مثلما تطورت الحيوانات. وعلى العكس من الجن والحيوان فقد خلق الإنسان من تراب طيني ناعم، أو يمكن القول بأنه خلق من مركبات طينية غير عضوية. هذه المادة الطينية قورنت في القرآن بالطين الذي يصنع منه الخزف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِن حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ الحجر ٢٦.

وهكذا يمكن ملاحظة أن جميع الكائنات الحية خلقت من ثلاثة أنواع مختلفة من المركبات غير العضوية. ومن ثم فإن لكل نوع خصائص نمو ومراحل تطور ودورة حياة يتميز بها من غيره. وتشهد الآيات القرآنية لصالح نتائج الأبحاث العلمية القائلة بأن المواد العضوية تطورت من مواد غير عضوية وأنها نشأت من مصادر مائية. وبمرور الزمن وبقدرة الله انفصلت المركبات غير العضوية التي نشأ منها عالم الحيوان عن تلك التي نشأ منها الإنسان. وفي حين ظل الماء منبع حياة الأسماك والطيور والثدييات... إلخ، شُكِّل الإنسان من مركبات طينية غير عضوية. فعلى الرغم من التشابه في البناء التشريحي للجميع، إلا أن أوجه الاختلاف في الهيكل وفي السلوك واضحة بشكل ملحوظ. هذا بالإضافة إلى أن أوجه الإبداع العقلي للإنسان وقدرته على التعبير اللفظي والكتابي بشكل منطقي ومترابط يميزانه من الحيوانات والجن ويشهدان بأنه من المخلوقات الفريدة التي تعيش على الأرض.

خلق الإنسان كما ورد في القرآن

لا يدعم القرآن نظرية التطور البشري المتزامن في عدة مناطق جغرافية. ووفقا لما جاء في القرآن الكريم فإن الجنس البشري يعود في الأصل إلى نفس واحدة، آدم عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ النساء ١.

وقد خلق الله تعالى زوج آدم على شاكلته، فكان منهما ومن ذريتهما بنو البشر الذين انتشروا في الأرض على مر الأزمان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

لا يؤيد القرآن نظرية التطور المتزامن في عدة مناطق جغرافية، وفي مفهومه للخلق يتميز الإنسان من باقي الكائنات بـ"روح الله"

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ النساء ١.

كما يشير القرآن إلى بداية الإنسان الوضيعة، ألا وهي المركبات الطينية غير العضوية وإلى أن نسله جُعل من «ماءٍ مَهِين»: ﴿. . . وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ السجدة ٧ ـ ٨.

وعلى الرغم من تلك البداية، إلا أن القرآن لا يشمل الإنسان مع الحيوان كجزء من عملية التطور الإجمالية. وخُلق الإنسان الذي هو أسمى مخلوقات الله ﴿مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ المؤمنون ١٢. وليميز الله الإنسان من باقي الكائنات الحية يقول في محكم تنزيله: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ السجدة ٩.

وهكذا يتميز الإنسان من باقي الكائنات الأرضية بـ«روح الله» الذي نفخه فيه.

وفي حين يرغب العلماء منا أن نؤمن بأن عقل الإنسان وقدرته على التحدث والكتابة ما هو إلا نتاج لعملية الاصطفاء الطبيعي، نجد أن القرآن واضح جدا في هذا الصدد، حيث بَيَّنَ أن الله منح الإنسان هذه القدرة ليثبت تفوقه على جميع الكائنات الحية بما فيها الملائكة. وقد بُرْهِن تفوقه هذا يوم خُلق ومُنح العلم والتنوُّر والعقل حيث أمر الله ملائكته بالسجود له: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة ٣١ ـ ٣٢.

وقد أوحى الله سبحانه وتعالى كل ذلك لآدم الذي لخصه حين طُلب منه ذلك. وإلى جانب العقل والمعرفة وهب الله سبحانه وتعالى الإنسان القدرة على الكلام والمهارة في الكتابة؛ فالآيات الأول التي نزلت على محمد ﷺ تضمنت بكل وضوح أن الإنسان وُهب القدرة على الكتابة، كما وُهب العقل ليستوعب معنى ومغزى الظواهر التي لا علم مسبق له بها: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق ٣ ـ ٥. إن القدرة على النطق والتحدث بشكل مترابط منطقيا يعتبر هبة فريدة يتميز بها الإنسان: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن ٣ ـ ٤.

وهكذا فمن الواضح بجلاء أن الإنسان، لما يتميز به من العقل وتوظيفه، لا يخضع لعملية الاصطفاء الطبيعي أو أن البقاء للأقوى، بل على العكس من ذلك، فالإنسان قادر بذكائه وابتكاراته التقنية على أن يغير من هذه العملية.

خاتمة

لاحظنا في هذا التقويم النقدي لنظرية التطور أن كلا من القرآن والعلماء يدعم بقوة المفهوم الرئيس لتطور الحياة من الجماد، إلى جانب ذكر القرآن بأن جميع الكائنات الحية نشأت من الماء. هذا هو أقصى ما ذهب إليه القرآن الكريم فيما يتعلق بالنظرية. وبالطبع فقد تبنى العلماء مناهج علمية لإثبات هذه النظرية، إلا أنهم فشلوا في بناء قصة مترابطة ومنطقية ومتماسكة لتطور الإنسان من الإنسان ـ القرد. إن الأساس العلمي لهذه النظرية ضعيف لأنه مبني على أدلة ناقصة وغير مترابطة. وفي فورة حماسة العلماء لإثبات صحة هذه النظرية غالوا في تأكيد أوجه الشبه فيما تجاهلوا تماما أوجه الاختلاف الرئيسة.

على العكس من ذلك فقد ركز القرآن على أوجه الاختلاف وعلى الخصائص المميزة التي وهبت للإنسان فقط.

لا يمكن اعتبار أية نظرية للتطور صحيحة إلا إذا أجابت على قضايا رئيسة تتعلق بتطور الإنسان جسديًا وعقليا. وإنها لإهانة لذكاء الإنسان حين تعزى الخصائص المميزة له، أي التفكير والقدرة على التحدث، لعملية الاصطفاء الطبيعي. ويبدو أن هناك محاولة مقصودة لتجاهل القدرة الإلهية في خلق الإنسان. ويتخيل العلماء الإنسان عبدًا لعملية ذاتية الإنتاج للاصطفاء الطبيعي، بينما يصنف الله الإنسان باعتباره مخلوقا ساميا من مخلوقاته قادرا على اكتساب المعرفة في الأرض والسماء على حد سواء، كما أنه قادر على تغيير المحيط الذي يعيش فيه ليناسب احتياجاته. وتشهد إنجازات الانسان العقلية والتقنية الهائلة بصحة المفهوم القرآني ببلاغة فيما يتعلق بمنزلة الإنسان، حيث هو مميز من الملائكة والحيوانات.

والمفاهيم القرآنية ـ على العكس من وجهة نظر العلماء ـ واضحة وصريحة. فالإنسان، كما يؤكد القرآن، خلق من ﴿طِينٍ لَّازِبٍ﴾ الصافات ١١، في حين أن باقي الكائنات الحية تطورت من الماء. هذا بالإضافة إلى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهب الروح للإنسان، وهذا اختلاف فريد ومميز. لذا على العلماء ـ وهم الباحثون عن الحقيقة ـ ألا يترددوا في نبذ نظرية خاطئة لا يمكن أن تكون مقبولة علميا، وألا ينحازوا ضد القدرة الإلهية في الظواهر الطبيعية، وأن يوجهوا أبحاثهم نحو الطريق الذي مهده لهم القرآن الكريم لتفسير وفهم المغزى من خلق الإنسان وتطوره. إن القرآن لا يقول إلا الحق: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ الإسراء ١٠٥، وهو لا يقود العلماء إلا لاكتشاف الحقيقة المطلقة.

الهوامش

(١) primates رتبة من الثدييات تشمل الإنسان والقرد.

(٢) Natural Selection العملية المفضية في رأيه إلى بقاء الأنسب: أي بقاء تلك الأشكال من النباتات والحيوانات الأكثر تبيؤًا مع الأحوال التي نعيش في ظلها وإلى انقراض الأشكال التي تعجز عن تحقيق هذا التهيؤ.

(٣) Neanderthalensis منسوب إلى وادي النياندرتال قرب دوسلدورف بألمانيا حيث وجدت بقايا هيكل عظمي لإنسان قديم



عمر القصيدة العربية، عمر غير يسير، وهو عمر يبدو في التقويم الزمني الشعري لحظة قصيرة في رحلة طويلة وباهرة متواصلة الأسفار ومتخطية لحدود الأعمار؛ لأن الإبداع الشعري لا يقاس بالزمان كما لا يقاس بالمكان، إنه دورة فلكية روحية، تواجه الدورة الفلكية العادية وتحتويها، تساوقها وتسابقها [١] ذلك أن قول الشعر كما يقول الروائي الإيطالي شيزاري باڤيري هو في أساسه جرح فاغر أبدا، ينزف منه دم الحياة الذي يهب العافية قطرة قطرة.

ومن هنا تأتي مشروعية السؤال وكشف الحساب:

ما مدى إسهام القصيدة العربية المعاصرة وفاعليتها في المعترك الثقافي والاجتماعي؟ ما مدى مصداقية حداثتها وجدتها؟

وقبل هذا كله ما مصداق شعريتها ومشروعيتها كخطاب إبداعي؟

هذه الأسئلة والكثير سواها اختلجت بها الألسن والأقلام في أكثر من مناسبة، علماً أنه لا يثور السؤال إلا إذا كان ثمة إشكال أو أزمة، والواقع أن شعرنا العربي الحديث يجتاز أزمة حقيقية ومتجذرة، وليست مفتعلة ولا موهومة، وهي أزمة يستقر رأي أغلب النقاد على أنها تقع على أهل الشعر أنفسهم أو النازلين على أرضه غصبًا، وتقع ثانيا على أغلب الأنظمة العربية، ومدار الأزمة فيما يتعلق بالسبب الأول هو اللغة، ومدارها بالنسبة إلى السبب الثاني هو الحرية.

ويتضح من هذا أن الأزمة فنية ـ سياسية، ويمكن اختزالها في كونها أزمة توصيل وتواصل في المقام الأول.

ونحن إذ نطرح السؤال من أساسه لا ننوي الخوض فيه على إطلاقه بقدر ما نحاول رَصْدَ المفارقة الغريبة بين الوظيفة الالتزامية للشعر باعتباره ترجمة جمالية لهذا الواقع، وظاهرة الغموض التي باتت خاصية أساسية ومميزة لأغلب الإبداعات الشعرية العربية المعاصرة.

فالالتزام في الأدب قضية عريقة شغلت اهتمام الكثيرين من الأدباء والنقاد في كل بقاع الدنيا، وما تزال شاغلهم الأكبر، وستظل كذلك ما ارتبط الشعر بالشاعر والشاعر بالمجتمع.

فالذين يزعمون أنهم يرفضون الالتزام؛ لأنه قيد على حرية الأديب ومنافٍ للقيم الفنية والجمالية يلتزمون ـ سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا، واعترفوا به أم لم يعترفوا ـ يلتزمون جملةً من القواعد والضوابط والمبادئ، فالشاعر الوجودي وشاعر اللامعقول يظل ملتزمًا تصوراته الفلسفية عن الإنسان والكون والحياة، ويعبر بذلك عن رضا وقناعة، ويقدم نماذج أدبية ذات جمال وجاذبية يحفل شكلها بغير قليل من البريق الأخاذ الذي غالبًا ما يخدع قطاعًا عريضًا من القراء. إن هؤلاء ملتزمون ولا يعبؤون بأي قيد من قيود الالتزام، ورغم أننا قد نَمُجُّ ونرفض ذلك ونعتبره التزاماً منحرفًا أو مريضًا ينبو عن المقاييس الإنسانية السامية، ويتعارض مع القيم الدينية، إلا أنه يظل التزاما على كل حال.

فالفنان الحقيقي هو ذلك الذي يمثل بفنه مثله العليا، وينظر دائما إلى عالمه بالمقارنة مع مثله وقيمه ومبادئه [٢].

إن المقاربة النقدية الواعية لأي نصٍّ أدبي تؤكد أن الأدب لم ينشأ عبثاً، وأن له وظيفة حميمة في الحياة التاريخية والاجتماعية، وظيفة الكشف والشهادة على كل القضايا المتفاعلة والمتداخلة في رحم الوجود الحياتي للأمة، وظيفة الإدانة الصريحة والتبشير المتفائل بما هو أفضل، وهي وظيفة يشهد له بها النقد الأدبي قديماً وحديثًا رغم سائر الدعاوى الواهية. فالأديب ـ كما يقول عماد الدين خليل ـ هو واحد من المدعوين للممارسة الخطيرة بفنه القادر على التأثير والتحصين، بل إنه مدعو أكثر من هذا إلى دعوة المجتمعات الإسلامية لاستعادة ممارستها الأصيلة وقيمها المفقودة وتكاملها الضائع، وتقاليدها الطيبة وإحساسها المتوحد وصبغتها الإيمانية التي أبهتتها رياح التشريق والتغريب.

فالالتزام كما هو واضح التزام مضمون، التزام فكرة ومبدأ ورأي، وهو يقتضي بداهة الحرص على اللغة العربية والصلة الوثيقة بين المضمون وما يتطلبه من شكل مناسب، فالتجديد في مجال الأشكال باقٍ ما بقيت الحياة، والالتزام

ليس أبداً نقيضاً للحرية بمعناها الأصيل، إذ لا يضع قيداً على فكر، ولا يعطل مسيرة أي مجهود علمي، ولا يصادر إبداعًا فنيا، إنه تحرير للطاقات الإنسانية كي تؤدي دورها وتحقق ذاتها، **فالالتزام الأمثل انبثاق تلقائي من قلب الأديب وفكره ونفسه، وهو ليس تصورًا كلاميا أو شعورًا عامًّا لكنه حقيقة واقعة تقوّم الأحكام والآداب**[٣].

إننا إذ نتناول الالتزام لا نتناوله في بعده الأدبي الأحادي الطرف، لكننا نوسع دائرته في أفق تحقيق بُعدٍ شمولي لمدلوله ومضمونه ومرماه، إنه التزام فني وفكري وسلوكي وعلمي، ومن هنا يستمد الأدب رسالته الاجتماعية الرائدة.

إن الفن والاتجاه الفكري (الأيديولوجيا) يشكلان قضية تبدو معقدة؛ لأن النظرة السطحية تتوهم تضادا أو تنافرًا بينهما انطلاقًا من المفهوم السائد لدى البعض حين يقولون ـ وبنوع من الإجحاف والتعسف ـ إن الفن رمز للحرية والإنطلاق، والعقيدة إحالة جافة للالتزام، والعلاقة بين الحرية والالتزام ـ حسب ما يزعمون ـ علاقة بين ضدين متنافرين. فهذا **محمود درويش** يجيب على سؤال: كيف يمكن للفن أن يتعايش مع الأيديولوجيا؟

«أنا بالفعل أستهجن خوف الكثيرين من المثقفين الذين يرون تعارضًا بين الفن والأيديولوجية، أنا لا أجد تضارباً بينهما. المهم أولا أن تكون مبدعًا مثقفاً أو مؤمناً بعقيدة أو ملتزماً بفكرة أو ساعياً نحو رسالة ما، أما الخطورة فليست في أن يحمل الشاعر أيديولوجيته، **الخطورة هي تقديم الفن كخادم مباشر لهذه الأيديولوجية** والموهبة فقط هي التي تستطيع أن تخفي الفكرة المباشرة»[٤].

إن إرهاصات الواقع وما يمور به من تحولات وأحداث وما يزخر به من آراء ومواقف يفرض على الأديب الشاعر أن يعبر عنها ويستلهمها مادة طبيعية لعمله الإبداعي، فالقضية الفلسطينية كانت إيذانا بميلاد جيل واعد من الشعراء الكبار **كفدوى وإبراهيم طوقان ومحمود درويش ومحمود مفلح**. وهذه


عماد الدين خليل




إبراهيم طوقان




محمود مفلح

الانتفاضة تجر وراءها سيلا عارمًا من الكتابات الشعرية الملتزمة بالقضية الأم، وهؤلاء المبدعون في «مرج الزهور» تجود قرائحهم المكلومة بقول شعري مؤثر أفرز ما أضحى يعرف **بأدب وشعر المبعَدين**.

ولعل في تصريح **نزار قباني** ما يؤكد هذه الجدلية التفاعلية بين الواقع ومستجداته من جهة، وبين الشاعر وأداته الفنية بشكل أكثر عمقًا وأبعد دلالة من جهة أخرى، إذ يقول: «لقد ألغى أطفال الحجارة إجازة كل الشعراء العرب وأجبروهم على أن يلبسوا الملابس المرقطة ويلتحقوا بالجبهة فورًا. أنا شخصيًا قطعت إجازتي بسويسرا والتحقت بصفوفهم. لم يكن عندي خيار آخر، كان علي أن أكون معهم أو أن أكون ضد الشعر»[٥].

إلا أنه يجب التأكيد على أنه لا تعارض البتة بين هذا الالتزام بأبعاده وتجلياته والجانب الجمالي في مجال النقد الأدبي، فالشاعر الأصيل مطالب بالاستناد إلى معيار فني مبرَّأ من عيوب الخطابية والتقريرية والمباشرة وجمود الشكل وتحجر العبارة وغموض الصورة، ولكن يحسن أن لا يغيب عن بال الشاعر أنه يجب ألاّ يطغى الإحساس بالجمال الفني على الفكرة الملتزمة، ولنا في الفاروق **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أسوة حسنة في إبراز التوازن النقدي بين معمارية القصيدة وشكلها وبين مضمونها ومحمولها الفكري أثناء نقده لشعر **زهير بن أبي سلمى**: «**كان لا يعاظل في الكلام، ولا يتبع الحوشي ولا يمدح الرجل إلا بما فيه**».

نعم، لا يمدح الرجل إلا بما فيه، ففي هذا الكلام إشارة صريحة للصدق الفني في تصوير الحياة لا تزويرها وعكسها في صورة مثالية لا وجود لها، بل ينبغي تناولها في إطار أهداف الحياة اللائقة بعالم البشر، لا بقطيع من الذئاب باعتبار أن الفن تعبير مُوحٍ عن قيم حية ينفعل بها ضمير الإنسان الفنان، وينبثق من تصور معين للحياة، ومن تصور للارتباطات فيها بين الإنسان والكون، ليصبح كل إبداع فني أصيل علامة على قوم وحضارة وتاريخ، خصوصًا حينما يضرب جذوره في تربة الأصالة، ويفهم التقنيات الفنية المعاصرة وإتقانها وتمثلها وإدراك مفاهيمها الإجرائية وأسسها الثقافية، دون أن ينزاح عن الخضوع لواجبه **في فهم تطلعات أمته نحو الوحدة والعدالة والتحرر والانعتاق، فالفن إما أن يكون عنصر قوة وتحصين للشخصية العربية الإسلامية، وإما أن يتحول إلى أداة استهلاكية تعمّق التبعية وهزيمة الوجدان**[٦].

فالكلمة في حيادها وصوريتها قابلة للتعبير عن أي محمول سلباً أو إيجابًا، ومن ثَمَّ ستظل شمسًا تضيء أو نارًا تحرق، كما قد تكون باعث هداية أو غواية، ومعولا من معاول الهدم أو أداة للبناء، فهي بهذا المعنى قد تدعو للفضيلة، كما لا نستبعد إغراءها باقتراف الرذيلة.

فالأديب الشاعر قد يلتزم أصول الفن السامي، فيفصح عن خبايا نفسيته، ويعبر عن آماله وآلامه بكل وضوح بعيداً عن أية ضبابية في الرؤية أو الهدف، بحيث **لا يزيف حقيقة ولا يخلق وهمًا فاسداً أو يحابي ضلالاً أو يزين نفاقًا، ويطلق نيرانه على شياطين الانحراف والقهر والظلم، ومن ثم ينهض بعزائم المستضعفين وينصر قضايا المظلومين ويخفف من بلايا وأحزان المعذبين، ويبشّر بالخير والحب والحق والجمال**[٧]. كما أنه قد يحتمي هو وأشباهه بغابات الإبهام والغموض السوداء، فيغرقون في الرموز والأساطير محاولين الإفلات من جحيم الحصار والقهر على حساب الإبداع.

غير أن هذا لا يعني استخفافنا بالرمز ورفضنا للتوظيف الأسطوري، إذ إن الرمز في الأعمال الفنية عامة والأدبية خاصة له وظيفة حيوية، فضلا عن أنه صورة موحية مؤثرة من صور الجمال التعبيري. لهذا فلا نكاد نقع على أثر أدبي لا يحتفي بالرمز، وذلك الرمز يوحي بها للأديب من موهبة صادقة وثقافة واسعة تمكن من امتلاك ناصية الأداة وقدرة على تعميق رؤاه وغرسها في فكر القارئ

الالتـزام
يرفض الغموض ولا يقتل الإبداع !

ووجدانه [٨] إلا أن استعارة الرموز بشكل لا يـراعي بنية تكوين ذات الأمة تسهم في فساد الذوق وهتك المعايير الجمالية والأخـلاقية، فقضية الصليب والمصلوب ومـوحياتها ودلالاتها، تتردد في أشعـار شعرائنـا وكتـاباتهم القصصيـة بالتصـور الـديني نفسه عنـد المسيحيين، وهـذا بطبيعة الحال أمـر لا يتماشى ولا ينسجم وعقيدة المسلم.

وهناك الرمـوز الوجودية التي انتشرت واستشرت في عالمنـا العربي الإسلامي مكرسة للفردية والعبثية والأنانية والرفض المطلق لكل ما هو غيبي (ميتافيزيقي) أو ديني، فافتراض الأسـاطير والرموز دون خلقها خلقاً جـديداً يزيد مـن غربة الشاعر على الجمهور [٩].

من هنـا تأتي مشروعية السـؤال مرة أخـرى : **لماذا يحاول الشـاعر العـربي أن يقترض أساطير اليـونان التي تعبر عن واقعهـم ولا يحاول أن يبتكر أسطورتـه من واقعه ومن واقع العالم الذي يعيش فيه؟**

ولعل هذا ما حـدا بالشاعر **فاروق جويدة** إلى القول : أرفض الـرمز الغربي حتى أظل مـع قـارئي على أرض واحــدة، **إن الغمـوض والإبهام اللذين سـادا الآداب المعاصرة أمر مخيف بالنسبة للحاضر والمستقبل، إنه ضرب من الشذوذ**، وقد أصبح قاعدة بل فلسفة يُـروِّجُ لها النقاد ويعتبرونها معيار الحداثة والإبداع. فهذا الشاعـر الفلسطيني قاسم حداد يصرح في أحد الاستجـوابات التي أجرتها معه مجلة «كتابات» بأن الشعـر «لا يبدو جميـلا إلا إذا لم يكن غـامضًا بل أكـاد أقول إنه لا يبدو شعرًا على الإطلاق».

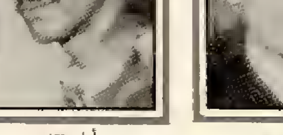
وقد عبر عن هذه الحقيقـة / المأساة الشاعر **محمد عصفور** في ديوانه «**دموع الكبرياء**» أصدق تعبير، إذ يقول :

شاعركم جبان
يخاف من جريمة الإفصاح
لذا تراه يختفي وراء حلكة العبارة
ينسجها من أغرب الرموز
يملؤها بالليل والأشباح
وكل قطعة تلوح كالمغارة
مغلقة على عجائب الكنوز.

فإذا كان الواقع الغربي بحياته المعقـدة وخوائه الروحي وتخمته المادية ونمط حركتـه الميكانيكيـة وتفككه الأسري وأمراضـه النفسية قد أفـرز في الغرب فنـوناً وآدابًا معتلة، فما معنى أن نختط لحياتنا في المشرق والمغرب العربيين الإسلاميين تصورًا شبيهاً لما يجري هناك؟

أهي السلطة المستبـدة الجائرة التي خلقت جوًّا شبيهًـا بما يجري في الغرب؟ لكن! فهناك فئة نحت ذلك المنحى، لكن هناك في المقابل فئة ملتزمة تجاوزت كل المساومـات والضغوط بغض النظر عـن اتجاهاتها الفكريـة (الأيديولـوجية) **كالجواهري ومحمود درويش وبـدوي الجبل وأمل دنقل وحجازي ومحمود مفلح وأحمد مطر**، وظلت تـواجـه بشجـاعة وصراحـة كل أنـواع الظلم والاستبـداد والتخلف، لذا يجب على المجتمع أن يـوفر منـاخاً شعـرياً يكون بمثـابة بـوتقة يتشكل فيها المستقبل، وينبض فيها الروحـاني رغم شدة مراس العدو المادي، وإذا حـدث أن مات الشـاعر جـوعًـا أو كمم فمه أو غُيِّب في المعتقـلات وفي مستشفيات المجـانين؛ فسنكون قد ارتكبنا جـريمة لا يمكن التنبؤ بعـواقبها، الكلام الشعري قوي وقادر على تحدي رجـال الشرطة والسجون والجلادين، إنه مثل العنقاء ينبعث من رماده الخاص حيا خالدا [١٠].

لكن الحاصل أن طـائفة ممن جفت مـواهبهم من الشعراء، وممن لا مـوهبة لهم أصلا، لم يفكـروا في الاعتزال مع سهولـة المشاركة في هـذه الفوضى التي لا تـؤمن بأصول أو قـواعد أو ضـوابط، فصممـوا على الإبحار في المعمعـة حتى النهاية وأيـة نهاية؟! إنها النهاية التي دفعت بـالناقد **غسان مطر** إلى القول : **إن غياب المقاييس والضوابط في هذا الـزمان قد سهل على الكثيرين اقتراف جريمة الشعر.**

الجواهري — أمل دنقل — عبد المعطي حجازي

ولا نملك إلا أن نتفق على أن الاستهتـار بتقـاليـد الشعر يـوشك فعـلا أن يكون جُرما وإثمًا؛ لأن الشعر كان وما يـزال مستودع أشواقنا وهمومنا، وبوصلة وعينا الكـائن والممكن، هو بقعة الضـوء النقية في ليل التعتيم الـداجي، ويوم تنطمس وتتكدر هذه البقعة تكتمل طقوس الظـلام، فهل ترانا متحاملين غلاة حين نقرع الأجـراس ونصف **حالتنا الشعـرية الراهنة بالزيغـان الشعري، الذي أضحت معه قـواعد حركـة القصيدة الحديثة هي تحطيم القـواعد اللغويـة منها والبلاغيـة والعروضيـة والخياليـة والفكريـة والمنطقية، ومـاذا يبقى للمحطم من عمل بعد أن يحطم كل شيء؟ ماذا سيحطم بعد؟**

لن يبقى أمامـه، شاء أم أبى، إلا أن يفسح الطريق لغيره حتى يعيـد البناء ويقيم المهـدوم على أسس جـديدة تتجنـب نقاط الضعف في البنـاء القـديم، وتمتلك قدرة أكبر ومرونـة أوضح لمسايرة حركة التـاريخ المتغيرة. إنه استخفاف الشاعر بالحدود والمقاييس وتحرره من كل رقابـة ذاتية أو موضوعية على ما يكتب وإرساله الكلم على العـواهن، هو تملص الشاعر من المواجهة الواعيـة للأسئلة التاريخية الأربعة : لماذا أكتب؟ ماذا أكتب؟ كيف أكتب؟ لمن أكتب؟

ومن ثم سمعنا أن **أدونيس** من خلال مؤتمر الأدب العـربي المعاصر المنعقد

بروما سنة ١٩٦١م يرى: أنه من الطبيعي أن يكون في هذه المرحلة كثير من الغموض والتبلبل، وفيها الكثير من النتاج الشعري الذي لا قيمة له، إنما الأساس هو أن نقبل مبدأ التجديد وأن نفتح المجال له، وأن نؤجل الأحكام عليه باعتبار أن الشعر الحديث كالأفق ما يزال يتكون ويتسع ويصعب تحديد ملامحه صعوبة تحديد الأفق.

ولنا أن نتساءل: ألم تتوافر بعد الشروط الذاتية والموضوعية لخروج الشعر من زاوية الغموض طوال هذه الحقبة الزمنية؟ وهل لا يزال لذريعة التأجيل الأدونيسية ما يبررها؟

إنه نوع من التعقيد الناجم عن زيغان الدلالة، الناجم بدوره عن زيغان الدال، ناجم عن افتقاد لحظة التجلي الشعرية التي يصير فيها الغموض وضوحاً والوضوح غموضاً. ولعل من أسباب الغموض قصور الرؤية لدى الشاعر، وعجز أدواته الفنية، ونزوعه إلى التعبير عن تجارب لا يشترك فيها عدد كبير من الناس، إن مهمته الشعرية تحويل الغموض في ذات الشاعر إلى نظام أي إلى قصيدة، هذه القصيدة يجب أن تتسم بقسط من الوضوح، فالشاعر لا يترجم الغموض إلى غموض، بل يحول الغموض النسبي إلى وضوح نسبي [١١].

ولنقترب قليلا من الصورة متنقلين من التأمل النظري إلى المعاينة المباشرة من خلال نموذجين شعريين طلسميين لا يشكلان إلا غيضاً من فيض، وارتأينا أن لا نحيل على صاحبيهما؛ لأننا نتوخى دراسة نصوص لا أشخاص، ولعلنا بعد قراءتها نكتشف حجم الكارثة وسببها فنكف عن التساؤل عما إذا كان شعرنا العربي الحديث يمر بأزمة أم لا.

(١)

هل تمس قشرة عمري الطبيعة
جلد الصخور تشرب مشي الخرافة
أسمع دربكة الخيل
فوق وميض النداء
أرى الثلج يصنع أوعاله
بين أغصان قلبي

(٢)

تفجر الومض يعشي
من بريق لاهب الأستار
أقض الريح والأجداث
والأمطار
على رجع الصهيل الأشعث الغافي
مدى الأحقاب
ونوح الصّبح يحكي الطل قد
ذراه وهج في هجير داج

الغريب حقا أن صاحب النموذج الثاني وهو مغربي تقدم بقصيدته المغارة هدية للشاعر المغربي **أحمد المجاطي** الذي ضاق صدره ذرعاً بهذه الأزمة هو الآخر ليصرح في أحد الاستجوابات التي أجرتها معه جريدة **«الاتحاد الاشتراكي»**:

«كم وجدت الشعر في صفحات كثيرة من الروايات، وقليلا من الشعر في القصائد» حتى أضحى في إمكان أي منا يمتلك قليلا من مفردات اللغة العربية وكثيراً من الجرأة والجسارة أن يلطخ صفحات لا حدّ لها من مثل هذا الكلام وينصب نفسه شاعراً وأنف الشاعر راغم. ففي مثل هذه الحالة حري بنا أن نلتزم موقف المفكر الأمريكي **براون** الداعي إلى التزام الصمت المعبر والمسؤول بديلا عن أية غوغائية في كتابه «جسد الحب»، إذ يؤكد أن الصمت هو اللغة الأم. ولعل هذا ما حدا بالشاعر الكبير **أحمد مطر** إلى طرح بديل الصمت الأبدي في مقابل الصوت البيغائي إذ يقول:

واكتموا بالحبل صوت البيغاء
وأمدوني بصوت أبدي يتكلم

فإن كان التعريف العربي الكلاسيكي للشعر بأنه كلام موزون مقفّى دال على معنى، فلا يسعنا إلا أن نقلب هذا التعريف السيء السمعة فيصدق وصفا وتعريفاً لهذا الشعر الذي يغدو: كلاماً غير موزون وغير مقفى وغير دال على معنى، إنه ببساطة ليس شعراً ولا نثراً، إنه الكتابة الشعرية في درجة الصفر.

وفي مقابل هذا الشعر المكتوب بالحروف العربية الموغلة في الإبهام نجد القارئ يقرأ مترجمات الشعراء غير العرب ويسعد بها؛ لأنها من الشعر فعلا، فرغم ما تسقطه الترجمة غالباً من روعة النص الأصلي وجماليته فإن قصائد الأجانب تثير فينا نشوة الشعور بالمعنى الجميل المؤثر الواضح.

ولكم أجاد ابن **طباطبا** حين رأى في هذه العلاقة بين النص والمتلقي ضرباً من البشرى أو الوعد بنشوة منعشة، ولا يبتعد هذا الموقف عن موقف هيجل Hegel الذي يعتبر «أن الشعر أعلى مستوى للفن؛ لأنه يجمع بين الصورة والموسيقى. أما مادته فهي اللغة أو الكلمات التي تمثل الوسيط ودورها هو الكشف عن الروح». الكشف عن عالم يظل في حاجة مستمرة إلى الكشف، كما يؤكد روني شار.

○ القصيدة الحديثة بغموضها وتعقيدها ليست شعرًا، إنها الكتابة الشعرية في درجة الصِّفْر!

أنت تحت الشمس تمضي كشرار
لست تدري ما مقامات الوجود
ليس في فنك للذات بناء
ويح تصوير وشعر ونشيد

محمد إقبال

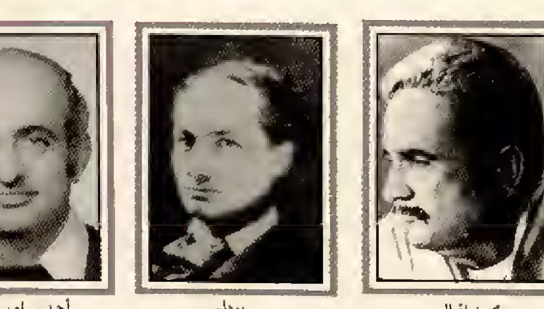
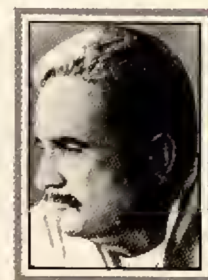
أيتها العرافة عرّفيني بنفسك
حتى لا أيأس من معرفتك كل اليأس
وأظل أنتظر الساعات، وأبدد روحي
ما هي كلمة القدر التي تختبئ بين الشفتين
اللتين تبتسمان ومع ذلك تتمنعان؟

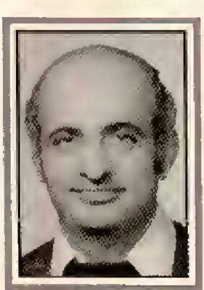
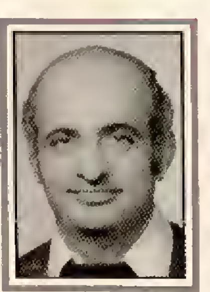
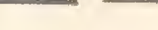
ك. هوجلاند

صعب احتمال الانتحار
لكنّ الأصعب بكثير احتمال الحياة

الالتزام
يرفض الغموض ولا يقتل الإبداع!

صعب احتمال أن تكون بلا موهبة
صعب أكثر أن تكون موهوبًا
بودلير




محمد إقبال — بودلير — أحمد بسام ساعي

أوليس من العجب العجاب أن نفهم ونتذوق شعر **محمد إقبال** وهو باكستاني، وشعر **بودلير** وهو فرنسي، و**هوجلاند** وهو أيرلندي، في حين لا نفهم الكثير من شعرائنا العرب؟! وهنا أستحضر ما كتبه الناقد زكريا تامر بهذا الخصوص: «إنه لحدث تاريخي جلل أن يترجم الشعر العربي إلى لغات أجنبية، لكن الخطوة الذكية المتصفة بالواقعية تقتضي بأن يترجم ذلك الشعر (العربي) إلى اللغة العربية أولا؛ لأن ما ينشر على أنه شعر حديث هو مجرد كلمات يعجز ناظمها على تأويلها ولا تأويل لها».

فإذا كان القارئ مهملا إلى هذا الحد، ومحتقراً ومهاناً إلى هذا المستوى فلمن يكتب هؤلاء الشعراء؟

قد يتذرع بعضهم بأنه يعبر عما يخالج أعماقه، ولا شأن له بالقارئ المغفل إن لم يفهم شيئا. لكن لماذا يجتهد لاهثا في نشر كتاباته؟ لم لا يحتفظ بما يكتبه لنفسه دون أن يدغدغ مشاعر القارئ، ويرفع من درجة فوران الدم في شرايينه التي أصابها الورم من عدوى هذا الجفاء؟

وهناك من يقول، وبنوع من الإجحاف، بأن على القارئ أن يكون أحد المشاركين في مخاض القصيدة وكتابتها، ولا ندري ما المانع من كتابتها كاملة غير منقوصة ليشاركه القارئ في مطالعتها وارتياد مغاليقها وتذوقها واستيعابها مثبتاً جدارة موهبته في إيصال ما في نفسه إليه؟

وبعضهم يتسلح بمقولة تفجير اللغة، وهو لا يدري أن تفجيرها يتطلب امتلاك ناصيتها والتمكن من أصولها وقواعدها أولا حتى تتفجر عن طريق التداعي والتدفق «والتجلي الصوفي» إن اقتضى الحال. والحاصل أن الشاعر أصبح سطحياً يدرس نماذج الرواد ويقيس عليها ولكنه لا يذهب إلى الينابيع، حتى غدا المقلِّدُونَ جميعاً شاعراً واحداً، وحتى صارت قصائدهم بمجملها تشكل قصيدة واحدة من دون أن يكون لهم، مجتمعين أو منفردين، شخصية متميزة «فإذا أصيب **أدونيس**، مثلا، بالزكام فعلى جميع هؤلاء أن يعطسوا» (١٢)، ولعل هذا ما أكده الناقد **أحمد بسام ساعي** بوضوح بقوله: «إن حركة الشعر العربي الحديث، كما يعلم أدونيس، لم تكن إلا ظلا لحركة الشعر الغربي الحديث، تدور في مدارها وتهتدي بنجومها حتى إذا توقفت تلك النجوم عن الإضاءة توقفت آلة الشرق وهدأت محركاتها وخمدت أصواتها وقد انقطع تدفق الوقود الذي كان يمدها بالحياة والحركة».

ومنهم من لا يرى عيباً ولا حرجاً في أن تكون أشعاره غامضة على أهل عصره ما دام العبقري هو ذاك الذي يكتب للعصور الآتية، ولا يعلم، للأسف الشديد، أننا أولى وأحق أن يعبر عنا لسبب بسيط، كونه يعيش بين ظهرانينا، وتعبيره عن آلامنا وآمالنا، نحن معاصريه، لا يمنعه أن يكون حيا بفضل عبقريته في العصور اللاحقة، ولنا في شعر **المتنبي** و**المعري** و**أبي فراس** و**البحتري** أسوة حسنة في تجاوزه للزمان والمكان، **فالشعر الراقي يصدر عن الرؤية الصحيحة، والحدس القويم وتجاوز الزمان بحيث يعيش الشاعر أجيالا وأجيالا بعد جيله ولا يموت بانقضاء أجله؛ لأن شعره السامي خير شاهد على «سرّ هويته» فلازلنا نطرب ونهتز لقول الشاعر الجاهلي الذي كان أعمق نظراً وأبعد أثراً وأكثر تفاؤلا من أولئك الشعراء المحدثين.**

فلا شك أن الشعر العظيم أو الفن العظيم يقول شيئاً، أي يعطينا فكرة أو أفكاراً ويحرك فينا مشاعر ومواقف. وإذا كان الشعر قاصراً عن تقديم صورة للإنسان عن نفسه، عن همومه واهتماماته وعلاقاته بالآخرين والأشياء، فهو ليس أكثر من نحاس يطن أو ضبح يرن (١٣)؟

لكن هل الغموض ضرورة عصرية تعبر عن واقع أوغل في البداءة والانحلال؟ ليكن، إنها قد تقدم أعراضاً لمرض العصر وعلله، لكن أين موقف الأديب الشاعر القادر على الإسهام في صنع حياة أفضل وأبهى؟!

فالشعر الراقي هو ذلك الشعر الذي يعبر بصدق وأمانة عن آمال الإنسان الخيرة ويتناول نواحي الضعف والتردد والانحراف فيه بتسليط الأضواء عليها لفهمها والشفاء منها لا لمجرد تبريرها والتماس الأعذار لها. فلا معنى لأن نعالج آهاته وأساه بمزيد من الآداب المضطربة المبهمة التي لا تعمل إلا على مضاعفة جراحاته وتأكيد عذاباته، ونقل المزيد من الحيرة والارتباك إليه، وإلا كنا كما قال الشاعر: «وداوني بالتي كانت هي الداء». إذ إن الصورة الفنية الغامضة قد تنقل إلى ذهن المتلقي وروحه اضطراباً وتحركاً أعمى أو انفعالاً طائشاً بلا فهم ولا هدف ولا يتولد عنها إلا التمرد العشوائي أو الرفض الجنوني.

ولإقالة العثرة وتصحيح الهفوة تظل الحاجة ملحة إلى وقفات متروية وشجاعة للمساءلة والمراجعة، سواء بالنسبة للشعراء أو المهتمين من النقاد والقراء، علماً بأن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. وينبغي أن نؤكد بأن رفض هذا الوضع بالإضافة إلى الرغبة الملحة في تحقيق نقلة نوعية لإصلاحه غير كافيين لإحداث التغيير المنشود، بل لابد من معرفة طريق الانتقال بالدقة المكافئة للمشكلة المعقدة.

لقد وضعنا رجلنا ـ بكل تأكيد ـ على أرض صلبة بالإجماع على رداءة واقع

○ القصيدة المعاصرة لا تملك أن تتطور دون أن تحاور تراثها القديم بعمق

الشعر الحديث، والآن نحن مطالبون بالبحث عن مكان مماثل في الصلابة لننقل إليه الرجل الأخرى ليبدأ الانطلاق، وقد ارتأيت أن أنطلق من ذلك المفهوم القرآني الرائد بخصوص مبدأ التغيير، ذلك أن لا مناص من تغيير ما بالأنفس حتى يتم تغيير الوضع الشعري الراهن الذي يرتكس في حمأة من الاضطراب والتوتر. ﴿**إن الله لا يُغَيِّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم**﴾ الرعد ١١.

فالشعر هو الوجه الآخر للإنسان: «فإذا كان شعرنا هو هكذا، فلأننا هكذا؟ وإذا كان الشعر العربي قد انطفأ أو أفلس أو انتحر في مرحلة ما، فلأن الإنسان العربي في المرحلة ذاتها كان منطفئاً ومفلساً ومنتحراً. **عندما كان الإنسان العربي عظيماً، كتب شعراً عظيماً، وعندما صار هابطاً، كتب شعراً هابطاً**»(١٤).

إننا بقدر ما نريد تغيير واقعنا السيئ، ونحن نعلم أنه سيئ نتمسك بشدة بماضي أنفسنا، ولا نعلم ولا يخطر ببالنا أبدا أن ما بأنفسنا أشد سوءًا وفضيحة من واقعنا.

إن إهمال بحث مشكلة ما بالأنفس والتعتيم عليها والإيحاء بأن هذا الذي بالأنفس من الأفكار والمفاهيم والخواطر سليم، هو الذي يجعل المشكلة مزمنة، خصوصاً وأن النفس (القلب/ الروح/ الوجدان) تشكل مصدر الإلهام الشعري الذي ينساب ويتداعى في إطار دفقة شعورية لا تَصَنُّعَ فيها ولا تكلف، دون أن ننسى التأكيد على إعادة ربط الصلة بين الشعراء والقراء من خلال التفاعل الجدلي الحقيقي بين الشاعر الأصيل وجمهوره من المثقفين الواعين القادرين على تذوق هذا الشعر، وعلى التعامل مع رموزه، وعلى النفاذ إلى آفاقه البعيدة التي يمكن أن تشكل إضافة جديدة بالنسبة إليهم.

إن الشعر مثله مثل النثر خطاب يوجهه المؤلف إلى القارئ، ولا يمكن الحديث عن الخطاب دون الحديث عن تواصل. ومما تجدر الإشارة إليه أن القرآن الكريم قد أولى أهمية قصوى إلى مسألة التواصل والتوصيل، وركز على قضية اللغة باعتبارها ركيزة لكل خطاب، فلا يعقل أن يخاطب المخاطِب السامعين بلغة لا يفهمونها ولا يفقهون فحواها، ومن ثم كان كل رسول يُبْعَث بلسان قومه: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**﴾ إبراهيم ٤.

واستنادا إلى هذا المبدأ أمر الرسول ﷺ المسلمين أن يراعوا في أقوالهم درجة ونوعية أفهام المستمعين وظروفهم فقال عليه الصلاة والسلام: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟».

ولعل أبلغ ما جاء في هذا الباب تأثراً بالهدي القرآني والمنهج النبوي قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم وأذنوا لك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم فإذا رأيت منهم فترة فأمسِكْ».

هذه الصلة التي لا تستقيم إلا حينما يعود الشعر بسيطا متدفقاً دون تعقيد انطلاقاً من أن أجمل الشعر وأعذبه أبسطه وأصدقه، لا أعقده ولا أكذبه.

وفضلا عن التأكيد على إعادة ربط الصلة بين الشعراء والقراء يجمل بنا أن نحرص على عدم الاستهتار بالتراث، **فالشاعر الذي له ماض هو وحده الذي له مستقبل**، أما من ينسلخ عن ماضيه فهو قد يبدو لامعاً أحياناً، لكنه لا يختلف في هذا عن زهرة الماء التي تطفو على سطح الجدول هنيهة ثم تتوارى منسحقة مع التيار الجارف؛ لأنها بلا جذُور. **فالقصيدة المعاصرة لا تملك أن تطور كيانها الخاص بأصالة وتميز من دون أن تحاور تراثها القديم، حواراً عميقاً يتمتع بموهبة الانتقاد والاشتقاق**، إذ لا خصوصية إلا إذا استمر الماضي في الحاضر أو غذّاه بالأقوات التي تكفُل له التفرد والتميز، ولا ريب في أن كل ما لا خصوصية له لا قيمة له. إذ من دون الخصوصية أو الهوية لا يبقى إلا النسخ بل المحاكاة القِرديّة في بعض الأحيان، والنسخ يفتقر إلى الجهد المؤسس للقيمة، والقيمة هي كل شيء في هذا الوجود. وما لا قيمة له لا وجود له على الإطلاق. ففي بؤرة العقل لا يصح إلا هذا المبدأ (١٥) ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾. النجم ٣٩. ونحن على كل حال لن تصل بنا القسوة إلى حد اتهام الشعراء المعاصرين تمشيا مع الوصف الذي أطلقه عليهم **أحمد بسام ساعي** باعتبارهم كانوا كَمَنْ يركض فوق حزام متحرك باتجاه الخلف لتخفيف وزنه، والفرق أنهم رغم كل جهدهم ولهاثهم لم يستطيعوا التخفف من شيء أو تغيير شيء في بناء قصيدتهم على الإطلاق.

ولن نرتاب معه بخصوص حدوس الناقدة لويس بوجان في كتابها «الشعر» التي تفيد أن «التجارب الشعرية في المستقبل سوف تتجه نحو البساطة المقصودة الواعية التي تستطيع أن تحمل المعنى وتستوعبه أكثر مما تنحو منحى الزيادة في التعمية أو التعقيد سواء في المادة أو في الأسلوب».

وإلى هذا المستوى نصل إلى أن الشعر مسؤولية تَستوجب الوضوح ولكنها لا تتعارض مع القيم الجمالية، وتقتضي الأثر الهادف البناء كما لا تهدر الإحساس بالمتعة والجمال.

المراجع

(١) نجيب العوفي، ملاحظات حول حاضر القصيدة المغربية. الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي، ع ١٢٠، ١٩٨٩م.

(٢) آدم بيلو، مجلة «الأمة» القطرية، ع ٢٥ السنة الثالثة ص ٢٤.

(٣) نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي. كتاب الأمة ص ٢٣.

(٤) محمود درويش، في حوار له بمجلة الدوحة، ع ١٢٠، ١٩٨٥م ص ٥٩.

(٥) نزار قباني، مجلة الناقد، ع ٣، ص ١٤، ١٩٨٩م.

(٦) افتتاحية مجلة الوحدة، ع ٢٤، ١٩٨٦م.

(٧) نجيب الكيلاني، المرجع السابق، ص ٨.

(٨) للتوسع انظر كتاب نجيب الكيلاني «آفاق الأدب الإسلامي».

(٩) إحسان عباس، مجلة الفكر العربي في مداخلة له بندوة «أزمة الإيصال والدور الحضاري للشعر»، «سوسيولوجيا الأدب».

(١٠) أحمد مطر، «الشعر بين طاووس وغراب»، مجلة الناقد ع ٣، ١٩٨٩م.

(١١) إحسان عباس، المرجع السابق.

(١٢) أحمد مطر، المرجع السابق.

(١٣) يوسف سامي اليوسف، النقد العربي آفاقه وممكناته، مجلة الوحدة، محور العدد «النقد والإبداع العربي».

(١٤) نزار قباني، الكون الشعري عند نزار قباني لصاحبه محيي الدين صبحي، ص ٧-٨.

(١٥) يوسف سامي اليوسف، المرجع السابق.

صداع العقول

الغُرْبَة الخَبالُ



أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

الغربة والاغتراب أخذت في العصر الحديث مدلولاً عرفيًا واصطلاحًا أدبيًا وفكريًا.

وفي هذا المدلول كوة مظلمة وهبوة سائخة، استمد منها بعض أدباء العصر أن يلف جمجمته ويحني أضلاعه على أفكار وأحاسيس وأنماط وافدة من خلف البحار والسهوب، والذوق الشرقي المسلم يرفضها.

فالهيبية والخَنْفَسَة غربة واغتراب! ومسخ الثوابت البيئية بمستعجم الفكر وهجين النمط غربة واغتراب!.

والانفتاح على كل تيار فكري وأدبي، ولو بترديد الكلمات التي يقذف بها التيار إن عدم الفهم غربة واغتراب. أما تأسيس المنطق قبل التلقي فينغصه هذا المصطلح اللذيذ «الغربة والاغتراب».

قال أبو عبد الرحمن: إنما أفهم الغربة والاغتراب من هذا الاستشهاد النفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية بقوله تعالى: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض﴾ هود ١١٦، فالغريب من كان في سلام مع نفسه، ويريد أن يجعل كل مجتمعه في سلام. والسلام والغربة نقيضان.

أفهم الغربة والاغتراب من قوله ﷺ عن الغرباء: «الذين يصلحون إذا فسد الناس».

أفهم الغربة والاغتراب من قوله ﷺ: «إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة»، وهم الذين قال فيهم ﷺ: «من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم».

وحق على كل من تجاوز الأشد وطعن في الكهولة، بعد أن خبَّ فيها ووضع أن يحقق معنى هذه الغربة، ليختم له بخير، ولتظل غربة المفسدين فكرًا وفنًا وأدبًا في نفايات الزبالة لدى المجتمع، فيكون مجتمعًا صالحًا.

والغناء الذاتي ذو الألاحين الحزينة البكائية غربة ذاتية بلا ريب، لكنه ذو وجه من الغربة الإنسانية المشتركة الاصطلاحية المرتبطة بمعاني القلق والاستلاب والكآبة؛ لأنه تعنّى الغربة الماوراء كما في الفصل الخاص بالرومانسية والدين، للدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه عن الرومانتيكية، وكرع أدباء العربية وعبوا من الأدب الرومانسي ولم يتمثلوا في أدبهم الغربة الفكرية في أدب رواد الرومانسية؛ لأن ما يلبي مزاجهم الغناء الذاتي فحسب.

وبتهاوي نجم الرومانسية بُعيد غياب مجلة «الرسالة» بدأت تتدفق على العقل العربي فيوض معاني الغربة بزلالها وأوحالها.

وتعطفت بي هموم أمتي رويدًا رويدًا، وتعطف بي حب الاطلاع والاستطلاع على عجل حتى توغلت. إلا أن قلق الاغتراب مُطوَّع بسلام النفس ما ظل الإنسان في سلام مع دينه وعقله ووجدانه. وهي غربة إيجابية؛ لأنها ضرورة تحمل المسؤولية واليقين بأن الكلمة لا تضيع ما عمرت الأجيال.

والمغترب قد يشعر بأنه وحيد، ولكنه لا يستوحش؛ لأن السلام في نفسه يمنحه القوة والكثرة. ولست أريد بالغربة، الغربة الذاتية الرومانسية البكائية حينما أحن لأنقاء القرية، وبساطة العيش، وقلة المؤونة، وحلاوة المجتمع في فطرته ونقائه وعذوبته.

إن ما يلبسه أحدنا على جلده يومًا واحدًا يصرف على بيته شهرًا أيام القرية والأنقاء.

لست أعني هذه الغربة الذاتية وإن كانت تقلقني!. وإنما هي غربة فكر ومشاعر آليت على نفسي أن أقف لها بالرصد ما حييت مهما تجاهل صوتي ذوو النجدة؛ لأنه لا شيء يمنح السلام للنفس مثل التصميم على المبدأ مهما فقد المناصر والمعين.

أول غربة لي أني وُجِدْتُ بين جيل من شباب العصر تتحكم فيهم امتثالية غير واعية. وكلما أفرزت هذه المثالية، من أدب كسيح وفكر معوج ازددت ألما بمشاعر الغربة. ولولا اتكائي على ركائز صلبة من سلام النفس لحزمت حقائبي وعدت أدراجي إلى حيث أتيت من قريتي.

وكل هوية عربية - بله السعودية - تتزيا بإفرازات الامتثالية فإنها تغرقني في الغربة؛ لأن العقل العربي لو قدر له أن يخرج من نصابه عقل حر تنبع قناعته من ذاته.

إن غربتي والسلام الوجداني متلازمان. والقطيع الأول المغترب يساير كل فكر أدبي أو فلسفي ويمنحه العصمة المميزة والإطلاق. وهؤلاء كثر، أجدهم على الشاشة وفي الجريدة وفي المنتدى وعلى كرسي الجامعة وعلى عتبات المداخل.

هؤلاء يغرّبون العقل العربي إلى الوراء حيث تزمت الجاهلية الأولى، ويسلبونه، ظلما وافتراء، طموحه اللامتناهي في التطلع إلى الخفي والمجهول.

إنني غريب بين هؤلاء أنّى وجدتهم. والقطيع الثاني المغترب من يسايرون التراكم الفكري الأوربي الحديث بكل تناقضاته، ويصرخون في آذان أبناء جلدتهم كل لحظة بمثل عبارة:

«إياكم أن تكونوا دوجما طيقيين!»

فيدعون على العقل العربي - ظلما وافتراء - العجز عن حرية مسؤولة تكسبه طمأنينة المعرفة.

والغربة الخبال هي التي أشاعها مفكرو الصهيونية وأدباؤهم من لدن كافكا إلى سارتر، غربة تعني الانتحار جسديًا وخلقيًا ودينيًا، وقبل الموت تكون الحياة غثيانا.

وغربة جنون تقول: الدين لا يعلم، والعقل لا يعلم، والعلم لا يعلم.

وكل حياتنا خداع حواس ومشاعر وانطباعات ذاتية. وغير المغترب يقول: جنة الدنيا الدين والعقل والعلم، والعقل يعلم لأنني حال ارتباط الحاسة

بالمحسوس لا يخلو ذهني من حالين :

فإما أن يعي الذهن هذا الارتباط ، فحينما أمصُّ بحواس اللمس طعم التفاحة تكون الحلاوة علما حصل لعقلي بآلة الحس .

وإما أن لا يعي الذهن هذا الارتباط ، فهنا لم تحصل لي معرفة ، فمصي للتفاحة وعدم مصها سيان ، فتظل الحلاوة موجودة ولم أعلم بها .

إن اللوح والخط وصوت الأستاذ ظاهرات حسية وجودية ، لكنها لا تصبح علما حتى يعيها عقلي ويستولي عليها بملكاته .

إذن الحس لا يعلم إنما يعلم العقل ، والحس آلة والمحسوس ظاهرة عينية وجودية يأخذ منها العقل معارفه .

المحسوس مصدر المعرفة ؛ لأنه مكان وجودها .

والحواس مصدر تحصيل المعرفة .

أما العقل فهو مصدر تحقيقها ، وكما يستطيع العقل تحقيق المعرفة بالحواس يستطيع تحقيقها بما وعاه من الحواس بعد غياب المحسوس .

إن ما أسميه علما أو معرفة ليس سوى الخبر بواقعة أو عن واقعة يستعيد عقلي تصورها أو تصور الحالة المرتبطة بها ، وأعبر عن ذلك برمز عرفه الأجيال كألفاظ اللغة ، أو برمز اختياري إرادي يستحدثه جيل من الأجيال كالرمز الإشارة الخضراء عن الإذن بالسير .

وما أسميه علماً إنما هو تصور موجود بعينه ، أو تصور حالة من حالاته أو عدة حالات أو جميع حالاته ، أو تصور علاقته بغيره أو تصور نتائج هذه العلاقات بحيث تكون ذاتا أو حالاً مستقلة .

وكل علم له في عقلي هويته الخاصة حسب ملكاته . فتصوري لواقعة حسية بعينها لا تزيد عن الواقع حال إحساسي به ، أصطلح على تسميته تذكرًا ، بمعنى أنني استحضرت صورة ما غاب عني ولم أزد ، وهذا علم مباشر . وتصوري للفوارق بين محسوسات مجتمعة أسميه تمييزًا إذا لم أكن التقطت الصورة لهذه المحسوسات مجتمعة .

أما التمييز الذي ألتقطه عن محسوسات مجتمعة فهو تذكر لمحسوسات كانت متميزة .

وهذان الأمران ـ وهما مجرد تصور ـ أسميهما معرفة لا علمًا اتساقا مع لغة العرب .

فأنت تقول عرفت زيدًا ولا تقول علمت زيدًا ؛ لأنك أدركته بواسطة الحس لا سيما البصر ، تقول : رأيته فعرفته وسمعته فعرفته ولمسته فعرفته وشممته فعرفته ، وتذكرته فعلمته .

ولا تقول علمته إلا بتجوز ، والعلاقة أن المعرفة بعض العلم .

وهذا هو المتسق مع اصطلاح المناطقة ؛ لأنهم جعلوا التعريف لاقتناص التصورات .

ومن ذوي الغربة الفكرية المفسدين فتجنشتين من فلاسفة اليهود الماسون (الصهيونية السياسية) الذين سعوا في إصابة العقل البشري بالخبال ، وهو من فلول مدرسة فيينا الذين سعوا إلى زحزحة النصارى عن روحانيتهم .

وأول خبال للعقل البشري أن يشكك في منطقه .

والفرخ أحكم الحيلة في المغالطة وجحد حجية الضرورات فقال مراوغًا : القضايا الضرورية صادقة دائما .

ثم أسقط قيمة صدقها فقال : ولكنها تحصيل حاصل ، ومثل بقولهم : السماء إما أن تكون ممطرة ، وإما أن تكون غير ممطرة .

فهي لا تخبرني عن شئ مما يحدث في الواقع ؛ لأنني لا ألتقي مطلقا بكون «السماء ممطرة وإما غير ممطرة» ! ! إنني لا ألتقي في الواقع إلا بوجود السماء ممطرة أو وجودها غير ممطرة ! !

فهذا «كون» منطقي لا علاقة له بأمر الوجود .

وهو لهذا صادق دائما .

إن «كونها» مستقل عن الواقع .

وهذه القضية جمعت كل الاحتمالات الممكنة التي من الممكن أن ألتقي بأحدها ، ولكن لن ألتقي بها مجتمعة في الواقع (انظر الكتاب : ما هو علم المنطق؟ دراسة نقدية للفلسفة الوضعية المنطقية للدكتور يحيى هويدي ص ١٣١) .

قال أبو عبد الرحمن : الفرخ يخلط عن غير غباء بين الضرورة العقلية (القاعدة) وبين نموذجها الحسي (المثال) .

فالقاعدة :

أ ـ لا يجتمع النقيضان ولا يرتفعان .

ب ـ لا يجتمع الضدان ويرتفعان .

فهذا ليس تحصيل حاصل ، بل هو إخبار عما كان ويكون في الواقع وأنه لا يخرج عن هذا الأصل ، وأن الواقع منذ خلق الله البشر ذوي العقول ، لم يخرم هذا القانون بمثال واحد .

وأما المثال الحسي وهو أن السماء سماء المشاهِد بكسر الهاء ـ : إما أن تكون صحوًا ، وإما أن تكون غيمًا .

فهذا تحصيل حاصل بلا ريب ؛ لأن مشاهدة البشرية متفقة على حصره .

وحسبك من رسوخ قانون الثالث المدفوع في العقول أن من شواهده ما هو مشاهدة عالمية !

ولكن فرض وملاحظة وحصيلة تجربة الباحث في مختبره لا تتم إلا بقانون أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان . ولا يتوقع البتة غير ذلك .

وكل ما حصل الباحث بمشاهدته حاصلاً فإنه يشهد لقانونه .

وإذن فالضرورة إخبار عن الواقع وحكم فيه . وحصر القسمة يعلم الفرخ أنها تحصيل حاصل من ناحية تصور جهة القسمة .

ولكنها في النهاية حكم في وقائع جهة القسمة . ويعرف الفرخ ثانية أن حصر القسمة الذي هو تحصيل حاصل تصورا يكون إخبارا عن الواقع ؛ لأنه حكم فيه ، فإذا حصرت أعيان جهة بذواتها وصفاتها فالحكم ليس عندي حاصل ، وإنما أريد اكتشافه لمعرفة ما لم يتعين عندي من الأحكام إلا بحصر القسمة والتفريق بين صفاتها . فأعرف في الطبيعة أحكام المتعين والممكن والممتنع ، وأعرف في الوضع أحكام الصحة والفساد ، وأعرف في التكليف أحكام الوجوب والندب والإباحة والكراهة والحرمة .



شعر:
عبدالله بن حمد القرعاوي

بين «باب الخَلا»[1] وبين «النفود»[2]
ضاع قلبي يا ساحرات الخدودِ
ضاع قلبي خمسين[3] عاما طوالا
بين «رملِ الغَضَا» وكهفِ الجدودِ
فتساءلتُ أين يا قلبُ نَمضي؟!
والمُنىٰ تحت خافقاتِ البنودِ

***

قال: هذي «عنيزةٌ» جَنَّةُ القَلْـ
ـبِ وحلمُ الصبا ولحنُ الخلودِ
هي آوت حشاشتي نصفَ قرنٍ
وعظامي تشتاقُها من بعيدِ!!
الفيافي نصيبُها المزن والبر
... ق وقلبي يشتاق قصف الرعودِ

***

ضاع جسمي موزعا في بلادٍ
وعيوني تقولُ: هل من مزيد؟!
في ثَرىٰ هذه الجنانِ فؤادٌ
يتغنّى بِرائعاتِ القصيدِ!
ويناجي النخيل[4] يزهو ربيعًا
في مجالي جمالِه المعهودِ

***

استوى سوقُها برملِ السوافي
وَتَثَنَّتْ بعودِها الأملودِ
«عَمّةٌ» أرضَعَتْ بنيها قَطَارًا
عَسَلاً يشتهيه قلبُ الوليدِ!
وتهادت كأنها بِنْتُ فِرْعَو
ن[5] و«شوقي» يَزُفُّها بالنشيدِ
هي هذي «بَرْحِيةُ» (الجَالِ)[6] تزهو
بين أخْواتها بِقَدٍّ وجيدِ
صَحْبَةٌ لم يزلْ هواها بقلبي
والأغاريدُ في حنايا العميدِ[7]

***

قائد الرَّكْبِ «صالحٌ»[8] وأبونا
صاحبُ العزمِ والقرارِ السديدِ
زرع الحَرْفَ [9] في نفوسٍ عَطَاشَىٰ
فتنامت في كُلِّ نادٍ وبيدِ!!

الهوامش:

١ ـ حي جديد في عنيزة، كان في طفولتنا، رمالاً عالية...

٢ ـ النفود ـ يطلق على كثبان الرمال في أي مكان.

٣ ـ إشارة إلى بُعد الشاعر عن عنيزة منذ عام ١٣٦٠هـ.

٤ ـ تُعرف مدينة عنيزة بالنخيل الجيد والكثير.

٥ ـ شوقي ـ أمير الشعراء ـ له قصيدة جميلة عن النخلة سماها فيها «بنت فرعون»

٦ ـ الجال منطقة معروفة في مدينة (عنيزة)

٧ ـ العميد: القلب.

٨ ـ صالح بن ناصر الصالح أستاذ التعليم الحديث في عنيزة.

٩ ـ كان هو أول مدير لمدرسة حكومية في نجد.



حقول الجليد والثلاجات

ثروة هائلة من ثروات كوكبنا

م. مجحم عبد الحنّان

يعيش الإنسان منذ القدم على سطح كرتنا الأرضية، ويستنفد خيراتها تدريجيا، وتزداد درجة استنفاد الخيرات بتقدم الزمن لما يتبع ذلك من نمو سكاني هائل، تقابله مساحات وموارد محدودة، فقد بلغ عدد سكان العالم عام ١٩٠٠م حوالى ١٥٥٠ مليون نسمة، وارتفع عام ١٩٥٠ إلى ٢٤٩٧ مليون نسمة، ومن المتوقع أن يصل هذا العدد عام ٢٠٠٠ إلى ٦١٢٩ مليون نسمة، وفي عام ٢٠٥٠ سيصل إلى ١٠٣٦٠ مليون نسمة إذا بقيت نسبة التزايد السكاني على ما هي عليه اليوم.

يجب أن يغطي إنتاج البشرية حاجة السكان وحاجة النمو السكاني مضافًا إليه زيادة تضمن النمو الاقتصادي، لذلك كله سعى الإنسان منذ القدم إلى زيادة موارده عن طريق توسيع نطاق استثماراته وإيجاد سبل جديدة لموارد أخرى، وهذا ما جعل الكثير من موارد الكرة الأرضية ينضب والموارد الأخرى تتناقص تدريجيًا. ويومًا بعد يوم تفرض الحاجة نفسها على البشر، فتجعلهم يتطلعون هنا وهناك إلى موارد جديدة تمسك الرمق وتكفل استمرار الحياة للإنسان.

وساعد تطور العلوم الإنسان، بأشكال مختلفة، على الخروج من مناطقه التقليدية المستغلة اقتصاديًا، والتوسع في مناطق جديدة ذات خيرات وفيرة، فمناطق استغلال الإنسان توسعت شاقوليًا أعلى فأعلى في الجبال، وامتدت أفقيًا فشملت المناطق الاستوائية ومناطق الغابات والمناطق الباردة، واقتربت تدريجيًا من مناطق القطبين الشمالي والجنوبي، كما أنها بدأت تغوص في أعماق المحيطات، بل تتعدى ذلك إلى سبر أغوار الفضاء الخارجي.

ولا غرو في ذلك، فقد اخترقت الخطوط الحديدية والطرق البرية المناطق الجبلية العالية والمناطق الباردة، وأسهمت في تمديد أنابيب الغاز والنفط ونظم الاتصالات المختلفة وخطوط التوتر لنقل القدرة الكهربائية، وهذا يسهم في اكتشاف واستثمار مصادر جديدة للثروات الطبيعية على كرتنا الأرضية تسد جزءًا من حاجات الإنسان المتزايدة.

ولعل أكبر ما تكون حاجة البشر إليه اليوم هو الماء العذب، فهو ضروري للشرب وحاجات الإنسان اليومية، كذلك استخدامه في الزراعة لإنتاج ما يأكله الإنسان وما يلزمه في حياته، وفي الصناعة كوسيط لإنتاج المصنوعات والطاقة.



وتدل الإحصائيات على أن حاجة البشر من المياه العذبة تتعاظم من خمسة إلى سبعة أضعاف كل خمسين سنة، وعليه فلابد من إيجاد الكميات الكافية من المياه العذبة واستغلالها بالشكل الأجدى والأمثل لتلبية حاجات الإنسان.

أين توجد المياه؟

يبلغ حجم المياه الإجمالي على كوكبنا الأرضي ١,٤١٢,٧٧١,٠٠٠كم٣، يوجد منها في المحيطات ١,٣٦٨,٤٧١,٠٠٠كم٣، وما تبقى ويعادل ٤٪ فقط موزع على الشكل التالي:

أ ـ المياه السطحية وتشمل:	
١ـ الأنهار والجداول	٢٠٠٠كم٣
٢ـ البحيرات الحلوة	١٩٠ ٠٠٠كم٣
٣ـ البحيرات المالحة والبحار الداخلية	١٦٠ ٠٠٠كم٣
الإجمالي	**٣٥٢ ٠٠٠ كم٣**
ب ـ المياه المتسربة في القشرة الأرضية:	
١ـ المياه في التربة السطحية	١٠١ ٠٠٠كم٣
٢ـ المياه الجوفية حتى عمق ٣كم	٦ ٣٠٠ ٠٠٠ كم٣
٣ المياه الجوفية بعمق أكبر من ٣كم	٦ ٣٠٠ ٠٠٠كم٣
الإجمالي	**١٢٧٠١٠٠٠ كم٣**
جـ ـ الحقول الجليدية والثلاجات:	**٣١٢٤٧٠٠٠ كم٣**

وهكذا نرى أن أكثر من ٩٦٪ من المياه الموجودة في الكرة الأرضية مالحة ولا تصلح للاستثمار لتلبية حاجات البشر ما لم تتم تحليتها، وهذه بدورها تكلف أموالاً طائلة، وهي على العموم ليست اقتصادية في الاستثمار على نطاق واسع. إذن يتوجب على الإنسان أن يفتش عن مصادر أخرى للمياه العذبة، وليس من مجال أمامه سوى أن يتطلع إلى استثمار الحقول الجليدية والثلاجات، التي تحتوي على كميات هائلة من المياه العذبة التي يمكن أن تروي عطش البشر وتنبت مزروعاتهم، وتكفي لتشغيل مصانعهم، وتشكل معيناً من المياه لا ينضب إذا أحسن الإنسان استغلاله بموضوعية وتعقل.

وبالرغم من الأهمية البالغة لهذا الأمر فإنه ليس الوحيد الذي يستدعي اهتمام البشر بالحقول الجليدية والثلاجات، بل هناك أمر آخر تتولاه وهو تأثيرها على مناخ الكرة الأرضية بشكل مباشر أو غير مباشر، وارتباطها الوثيق بقدوم عصر جليدي مرتقب على كرتنا الأرضية أو تقلصه عنها، وارتفاع درجات الحرارة بسبب تزايد ثاني أوكسيد الكربون في الجو وما يتبع ذلك من تصحر واسع في مناطق شاسعة من العالم، حيث يتطلب تحويل الماء من حالة التجمد إلى الحالة السائلة طاقة حرارية كبيرة يتم الحصول عليها على حساب عمليات طبيعية أخرى، وفي الوقت نفسه تظهر عملية إصدار الطاقة عند تحويل الماء إلى جليد، إذ أثبتت الحسابات أن حوالى ٣٥٪ من الدوران الخارجي للحرارة في الكرة الأرضية يرتبط بالحرارة المتعلقة بتحويل المياه إلى جليد وبالعكس.

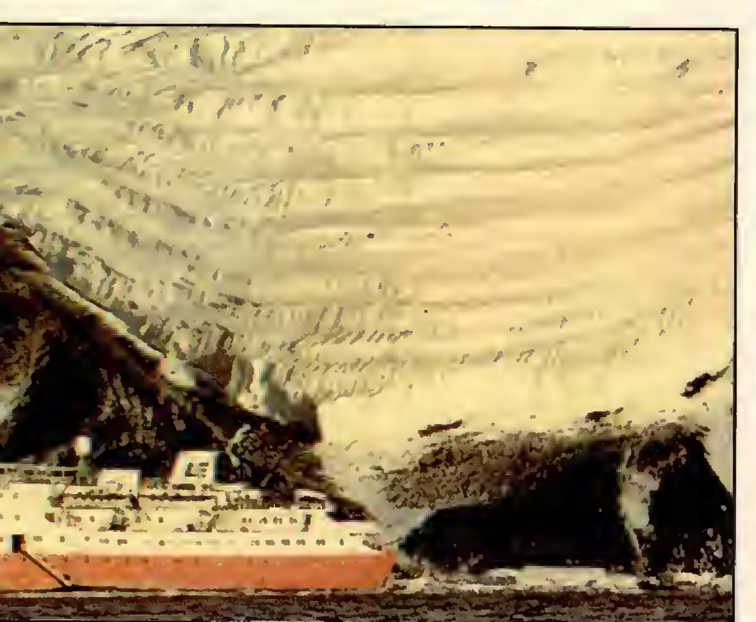
وهكذا، فلابد من فكرة عامة عن حقول الجليد والثلاجات وعلم الثلاجات الوليد، الذي ينمو ويتطور بأقدام ثابتة ليجد مكانه بين العلوم الأخرى التي لها أهمية بالغة في حياة البشر واستمرار هذه الحياة على الكرة الأرضية.

الثلج والحقول الثلجية

يسقط الثلج عندما يتكاثف بخار الماء في الجو في درجة حرارة أكثر انخفاضاً من درجة التجمد، ويذوب الثلج عند استقراره على سطح الكرة الأرضية إذا كانت درجة الحرارة أكبر من درجة التجمد، أو يتراكم إذا كانت أقل من درجة التجمد أو إذا كانت كمية التهطال كبيرة، وتتراكم الثلوج عادة على العروض العليا فيما وراء الدائرتين القطبيتين وفي المناطق المرتفعة حتى لو كانت قريبة من خط الاستواء، وتتراكم الثلوج عاماً بعد آخر على مساحات واسعة لتشكل ما يسمى بحقول الثلج. وتوجد حقول الثلج في الجبال المرتفعة في مختلف أنحاء الكرة الأرضية وحتى المدارية منها، كما توجد أيضاً في العروض القطبية حيث تكسو الثلوج الدائمة المناطق السهلية التي تقترب من مستوى سطح البحر.



طيور البطريق مع صغارها ويظهر خلفها أحد الجبال الجليدية في قارة القطب الجنوبي



إحدى السفن الضخمة ترسو على شاطىء قارة القطب الجنوبي، ويرى خلفها الحقول الجليدية على اليابسة

عالمان على قارب مطاطي يراقبان عن كثب جبلاً جليدياً يتحرك في مياه المحيط بفعل الرياح والأمواج

حقول الجليد والثلاجات

إن كل حقل ثلجي هو بالضرورة حقل جليدي، حيث إن تكدس الثلوج بكميات ضخمة يؤدي إلى انضغاطها وتحولها مع الزمن إلى جليد، ومع ازدياد كتل الجليد تبدأ أغلفته بالزحف البطيء في أي اتجاه ممكن على شكل ألسنة جليدية مترامية الأطراف تعرف باسم «الثلاجات»، تجرف أمامها الصخور والتربة والأحجار وتحفر الأخاديد وتفتت كل ما تمر به مشكّلة الرُكام.

والثلاجات أنواع، أهمها الثلاجات الجبلية التي تنحدر على سفوح الجبال والأودية، وثلاجات العروض العليا التي تقع على أراضٍ سهلية أو هضبية. وتنتشر الحركة من أواسط هذه الحقول الجليدية الضخمة متحركة في الاتجاهات كافة، وأشهرها الثلاجات القارية الموجودة على سبيل المثال فوق جزيرة جرينلاند في نصف الكرة الشمالي حيث تغطي ما يقرب من ١،٨مليون كم٢، وتزيد سماكة الثلاجة عن ٣٠٠٠م في أواسطها، والثلاجة القارية الأخرى، وهي الأضخم على الإطلاق، التي تغطي قارة القطب الجنوبي (أنتاركتيكا) بمساحة ١٢،٦٥مليون كم٢، وتغطي القارة بكاملها باستثناء بعض الأطراف حيث يتكسر الجليد عند بروزه عن اليابسة في جبال جليدية ضخمة للغاية تحركها التيارات البحرية وتحملها بعيداً عن المناطق القطبية.

تغطي الثلاجات وحقول الجليد حاليا حوالي ١١٪ من إجمالي سطح اليابسة أي ما يقرب من ١٦ مليون كم٢، ويبلغ المتوسط التقريبي لسماكة الجليد فيها ١٧٠٠م بينما تتجاوز هذه السماكة ٤٠٠٠م في بعض الثلاجات.

وقبل التعرض لطرق الاستفادة من الحقول الجليدية والثلاجات لابد أن نعرج باختصار على نشوء علم «الثلاجات» وتطوره، وعلاقة مناخ الكرة الأرضية بالحقول الجليدية والثلاجات.

علم «الثلاجات»

هو العلم الذي يهتم بأنواع «الثلاجات» كافة، وبخصائصها وشروط نشوئها وتطورها وتأثيرها على سطح الكرة الأرضية.

بدأ علم «الثلاجات» بادئ ذي بدء في جبال الألب، حيث اضطر الناس منذ القدم إلى السكن على مشارف «الثلاجات» وقاموا بالبحث عن وسائط تحميهم من انزلاق «الثلاجات» والانهيارات الجليدية وذوبان الجليد وانجراف التربة والأحجار والكتل الثلجية.

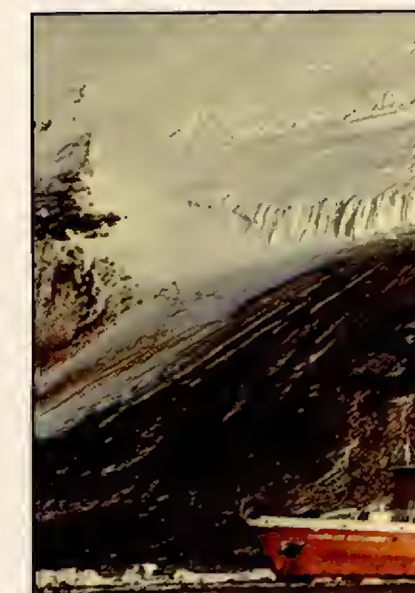
وفي القرن السابع عشر بدأ الإنسان بتسجيل بعض الملاحظات المتفرقة فيما يخص علم «الثلاجات». وتطور هذا العلم في القرن التاسع عشر إلى شكل مخطوط ومنتظم في جبال الألب والقوقاز وشبه الجزيرة الإسكندنافية وفي آسيا الوسطى والمناطق القطبية.

وفي نهاية القرن التاسع عشر ازداد عدد العلماء الباحثين في هذا المجال وارتباطه بالظواهر الطبيعية الأخرى في الكرة الأرضية، حيث إن مناخها وحركة المياه في المحيطات والبحار ونمو الحقول الجليدية «والثلاجات» مرتبطة كلها مع بعضها بعضًا، فحددت السنة القطبية العالمية الأولى ١٨٨٢- ١٨٨٣م والسنة القطبية العالمية ١٩٣٢ - ١٩٣٣م والسنة الجيوفيزيائية ١٩٥٧ - ١٩٥٩م، حيث تمت فيها قرارات على جانب كبير من الأهمية لتطوير علم «الثلاجات». وقامت ٢٦ دولة بإنشاء ١٠٣ محطات جليدية وكثير من توابعها في مختلف أنحاء الكرة الأرضية. وتطور علم «الثلاجات» مقرونًا بعلم المناخ والظواهر الطبيعية، وأخذت دول العالم تهتم به بشكل أو بآخر على نطاق واسع لما لذلك من أهمية بالغة أو تأثير مباشر على اقتصاديات هذه الدول والحياة على سطح الكرة الأرضية إجمالاً.

«الثلاجات» والمناخ

تؤدي الحقول الجليدية والثلاجات دوراً خاصًا في دورة المياه في الكرة الأرضية، حيث إنها تحافظ على نسبة ثابتة للرطوبة خلال بضع سنوات. ويقدر متوسط الفترة الزمنية لتراكم الجليد في معظم الثلاجات بحوالي عشرة آلاف سنة، ومنذ ذلك الحين يذوب قسم من الثلوج ويتحول إلى ماء ثم إلى بخار، وهكذا. لكن الجليد في قارة القطب الجنوبي قد يمتد في تراكمه إلى العصر الجليدي، أي إلى مائتي ألف سنة.

وفي الوقت الحاضر تعتبر الثلاجات الجبلية والحقول الجليدية الجبلية أهم مصدر لمنابع المياه العذبة، وبالقرب منها تنشأ المناطق الزراعية





كلب من فصيلة شليتن المشهورة في لحظة الغروب

لحظة غروب في القطب الجنوبي

والصناعية المأهولة من قبل الإنسان.

فعلى سبيل المثال تتدفق سنويا من الثلاجات الجبلية في الاتحاد السوفييتي سابقا ٣٠٠٠كم٣ من المياه العذبة بفعل ذوبان الثلوج لتغذي الأنهار والوديان والبحيرات التي تعد سببًا أساسيًا للتجمعات السكانية.

وإذا ألقينا نظرة على المناطق المتجمدة والمغطاة بالثلوج من الكرة الأرضية نجد أنها ذات تأثير كبير على مناخ كوكبنا الأرضي، حيث إن المناطق المغطاة بالثلوج لها قدرة كبيرة على الانعكاس وإشعاع الطاقة الحرارية تمامًا، كما في حالة الجسم ذي اللون الأسود المطلق، والفروق بينهما أقل من ١٪ فيما يتعلق بهذه الظاهرة.

إن هذه الخاصية غير العادية من خواص الثلج تقود إلى أن الحرارة التي يمتلكها الغطاء الثلجي يتم إشعاعها بسرعة، ونتيجة لذلك فإنه يمكن، وبشكل دائم، اعتبار الأقاليم القطبية المغطاة بالثلوج والجليد منبعًا كبيرًا لتبريد الكرة الأرضية.

وبشكل خاص، فإن هناك تبريدًا على مناخ الكرة الأرضية تقوم به إحدى أكبر المناطق القطبية المغطاة بالجليد وهي قارة القطب الجنوبي ذات الطبيعة الغريبة، فقد تم تسجيل أكثر درجة حرارة انخفاضًا على سطح الكرة الأرضية داخل قارة القطب الجنوبي - ٩٠°م، وعلى كامل مدار السنة تقل درجة حرارة القارة عن الصفر المئوي، ومتوسط درجات الحرارة في السنة - ٥٧°م، ومتوسط درجات الحرارة في أكثر أشهر السنة دفئًا (يناير - كانون الثاني) هو -٣٠°م وفي أبردها (أغسطس - آب) حوالي - ٧٠°م، ويكون المناخ قرب السواحل أقل برودة أي ما بين - ١٠°م إلى -٢٥°م، ودرجة الحرارة الدنيا من -٤٠°م إلى - ٥٥°م، كما أنها أكثر تهطالاً. ويتراوح التهطال السنوي ما بين ٢٠٠-٦٠٠م بينما يبلغ التهطال في الداخل أقل من ١٠٠م، وتتعرض السواحل للرياح العاصفة التي قد تصل سرعتها إلى ما بين ١٨٠ و٣٢٥كم في الساعة، كما أنه من النادر أن ترتفع الحرارة فوق الصفر وذلك في بعض نقاط سواحل المحيطات.

أما في منطقة القطب الشمالي فيتركز الكثير من الجليد، حيث الغطاء الجليدي في جزيرة جرينلاند والجليد البحري في المحيط المتجمد الشمالي، وكذلك في الكثير من المناطق الجليدية في آلاسكا والجزر المختلفة، وهذا كله يجعل مناخ نصف الكرة الشمالي باردًا أيضًا ولكن بدرجة أقل مما هو عليه الحال في نصف الكرة الجنوبي.

وهناك تبادلات ومعادلات حرارية رائعة في هذا الكون تنم عن مقدرة إلهية في الخلق والإبداع، فتشكل الثلوج في الفصول الباردة يطلق طاقات حرارية كبيرة، وذوبانها في الفصول الحارة يستهلك هذه الطاقة الحرارية نفسها، فلو لم تكن هناك كتل كبيرة جدًا من الثلوج والجليد مجمعة حول قطبي الكرة الأرضية لما كان هناك هذا التقسيم الدقيق لطبيعة مناطق الأرض.

الاستفادة من حقول الجليد و«الثلاجات»

يمكن الاستفادة من حقول الجليد والثلاجات بطرق متعددة أهمها :

التأثير الصناعي:

هناك إمكان عملي للتأثير الصناعي على الحقول الجليدية «والثلاجات» في سبيل الحصول على كميات إضافية من المياه والرطوبة للمناطق السهلية القريبة مباشرة من الجبال، وذلك لغايات اقتصادية زراعية، وتزويد الإنسان بحاجته من المياه ولتوليد الطاقة الكهربائية.

وتمكن التقوية الصناعية لذوبان الجليد وتنظيم استثمار مياهه على كامل مدار العام بأساليب مختلفة أهمها:

١- تغطية سطوح «الثلاجات» والحقول الجليدية بطبقة رقيقة جدًا من مادة ماصّة للحرارة المنبعثة من الشمس، وتتم تغطية هذه السطوح بطبقة من مادة سوداء حيث تبدأ الثلوج والجليد تحتها بالذوبان بشكل أسرع لأنها تمتص طاقة أكبر من أشعة الشمس، على أن تغطية السطوح الكبيرة بمثل هذه الطبقة من المادة السوداء هناك تكتنفه صعوبات بالغة، إذ يجب نقل أطنان كثيرة من سناج الفحم أو مسحوقه وما شابه ذلك إلى ارتفاع ٣٥٠٠-٤٥٠٠م ثم نشر هذه المواد على سطح يبلغ بضعة كيلو مترات مربعة. وقد أثبتت التجارب أن التغطية بمثل هذه المواد السوداء تزيد أيضًا من رطوبة المناطق المحيطة، لكن باستعمال هذه الطريقة على نطاق واسع تظهر صعوبات ومخاطر كبيرة، إذا لم تدرس وتنفذ بعناية فائقة، لأن استنزاف الحقول الجليدية والثلاجات بغزارة يؤدي إلى استنفادها مع الزمن وإلى تغيرات مناخية خطيرة، كما يرفع من

مستوى مياه سطح البحار والمحيطات الذي له أبعاد في غاية الخطورة. فعلى سبيل المثال إذا ذاب جليد القارة القطبية الجنوبية بحجم ٢١،٤٧٩،٠٠٠كم٣ فإن مستوى مياه البحار والمحيطات سيرتفع إلى حوالي ٧٠م فوق مستواه الحالي وسينتج عن ذلك غرق مساحات شاسعة جداً من اليابسة في الكرة الأرضية.

٢- إنشاء حواجز الثلوج وسدود المياه:

يمكن الحصول في المناطق القريبة من الجبال على نسبة عالية من الرطوبة ليس من «الثلاجات» فقط، ولكن عن طريق تقديم تفاعلات مركبة على الغطاء الثلجي والجليد في المناطق الجبلية، حيث يمكن احتجاز الثلج بواسطة حواجز تتوضع في الأقسام المتوسطة من المنحدرات، وصنع مخزون ثلجي في المنحدرات الجبلية يؤدي إلى تشكل جراف ثلجي، وهو ما يساعد على تنظيم ذوبان الثلوج واستمراره خلال كامل فصل الصيف، ومنه يمكن زيادة تغذية الأنهار منها طوال الأشهر الدافئة في العام، ففي فصل الربيع وبداية فصل الصيف تبدأ الثلوج السطحية المجمعة على المنحدرات بالذوبان، واعتباراً من منتصف فصل الصيف تبدأ الثلوج المجمعة صناعياً بالذوبان، ويمكن بناء سدود تخزين غير كبيرة في الوديان غايتها حجز كميات مناسبة من المياه وتنظيم جريانها خلال العام، ولا مانع من إنشاء محطات كهرمائية على هذه السدود لتوليد الطاقة الكهربائية مجاناً.

جر الجبال الجليدية

تطرح «الثلاجات» والحقول الجليدية الموجودة على سطح الكرة الأرضية كميات هائلة من الجبال الجليدية والكتل الثلجية إلى المحيطات، فعلى سبيل المثال، تطرح قارة القطب الجنوبي وحدها سنوياً ما يزيد على ١٢٠٠كم٣ من الجليد إلى المحيطات على شكل جبال جليدية، تتقاذفها الأمواج وتدفعها التيارات البحرية وتوصلها إلى جنوب أفريقيا وجنوب استراليا ونيوزيلندا وجنوب أمريكا اللاتينية.

وبالإمكان سحب هذه الجبال الجليدية العائمة إلى المدن العطشى والمناطق الزراعية وتزويدها بكميات هائلة من المياه العذبة التي هي بأمس الحاجة إليها، أما ذوبان هذه الجبال عبر رحلتها الطويلة فلا خوف منه لأنها تحمي نفسها بنفسها من ذلك، فعند عبورها مياه المحيطات الدافئة تذوب الطبقة التي هي على تماس مباشر مع المياه الدافئة وتشكل حولها غلافاً عازلاً من المياه الباردة تحد كثيراً من ذوبان الجبل الجليدي، ويبلغ القسم الغاطس من الجبل الجليدي تسعة أمثال القسم الطافي.

إن عملية جر الجبال الجليدية الآن إلى بعض الأماكن العطشى من العالم ممكنة لكنها مرتفعة التكاليف، وبالإمكان تقليص هذه الكلفة وجعلها اقتصادية وذلك بتطوير طرق الجر وإيجاد طرق أخرى مبتكرة قليلة التكاليف مع الاستفادة من حركة التيارات البحرية وتسخيرها كطاقة مجانية في دفع الجبال الجليدية إلى مقصدها.

وبعد، فإن الدول المتطورة علمياً واقتصادياً تهتم اليوم كل الاهتمام بعلم «الثلاجات» وتعمل على تطويره، لما لذلك من تأثيرات كبيرة على مختلف نواحي الحياة على الكرة الأرضية، وما أحرى وطننا العربي بمتابعة تطور هذا العلم والاستفادة من بعض تطبيقاته في الحياة العملية، فقد حبانا الله سبحانه وتعالى بأراض شاسعة في مناطق حارة معظمها بأمس الحاجة إلى المياه العذبة، وخَلَقَ هناك في البعيد جبالاً من هذه المياه هي لمن يتمكن من جلبها والاستفادة منها، فهل نستطيع ذلك بشكل مخطط ومدروس؟! لنروي عطشنا ونبت زرعنا ونتخلص من سيف الحرب الغذائية المسلط على رقابنا، ومن شبح المجاعة الذي يعض أمتنا بنابه عاماً بعد عام في عالم لا مكانَ فيه إلا للقوي المتحرر من كل تبعية.


ثلاجة زاحفة

المراجع

١- التغيرات المناخية، علي حسن موسى. دمشق، ١٩٨٦.

٢- مبادئ الجغرافية الطبيعية، صلاح الدين بحيري. دمشق، ١٩٧٤.

3 - CZLOWIEK I NAUKA - PRACA ZBIOROWA WARSZAWA - 1971

4- PODSTAWOWE PROBLEMY WSPOLCZESNEJ TECHNIKI

PRACA ZBIOROWA WARSZAWA-1970

5- THE WEATHER MACHINE - CALDER . N. NEW YORK - 1974

6- ENCYKLOPEDIA: PRZYRODATECHNIKI WARSZAWA - 1969



أشعة الليزر
مبضع مثالي للجراحة

د. خالد عقيل

إنها الأشعة السحرية التي شغلت، وما فتئت تشغل، اهتمام العلماء والخبراء في شتى المجالات العلمية والتقنية. فما أشعة الليزر التي نستخدمها كمبضع مثالي للجراحة؟

من نظرة تاريخية موجزة نستجلي الحقيقة دون الغوص في أعماق المعادلات الرياضية الفيزيائية المعقدة، وفي الوقت ذاته نحرص كل الحرص على الأمانة العلمية تحليلا وتفسيرا، وبها نبدأ.

كان ألبرت إينشتاين قد تنبأ عام

١٩١٧م بظاهرة الإشعاع المحرّض (STIMULATED) الذي يتميز من الإشعاع التقليدي التلقائي (EMISSION) الصادر عن الأوساط المادية المشعة في حالاتها المختلفة الغازية أو السائلة أو الصلبة، حيث تصدر فوتونات الضوء مختلفة في مناحي انتشارها وأطوالها الموجية وشداتها وأطوارها، كالإشعاع الضوئي الصادر عن الشمس أو لهب الشمعة أو المصابيح الكهربائية أو المواد المحترقة، وغيرها، نتيجة انتقال الذرات أو الجزيئات المثارة من سويات طاقية أعلى إلى سويات أدنى بطريقة عشوائية.

ومن العجيب أن ذلك التنبؤ بقي بعيدًا عن اهتمام الفيزيائيين ردحًا من الزمن.

وما إن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى انكب العلماء والخبراء على دراسة إمكان توليد الأمواج الكهرطيسية ذات الأطوال الموجية الأقصر (أو التواترات الأعلى) لما لميزاتها الاستراتيجية المتعددة من أهمية قصوى في مجال رصد الأهداف أو توجيه القذائف أو الاتصال اللاسلكي منفردة أو مجتمعة. وقد أثمرت جهود لفيف من العلماء المبدعين من بلدان مختلفة في آن واحد (ثاونس وغوردون وتسيغر من الولايات المتحدة الأمريكية وباسوف وبروخوروف من روسيا وفيبر من كندا) في توليد الأمواج الكهرطيسية ذات الأطوال الموجية القصيرة وتضخيمها من مرتبة السنتيمتر من وسط غاز الأمونياك NH3. ودعيت تلك التقنية "الميزر" (MASER)، وهي كلمة حروفها مؤلفة من جملة إنجليزية MICROWAVE AMPLIFICATION BY STIMULATED EMISSION OF RADIATION

وتعني (تضخيم الأمواج القصيرة بواسطة إصدار الإشعاع المحرّض). ولهذا نالت تلك المجموعة من العلماء جائزة نوبل أواسط الخمسينيات من هذا القرن.

وتتالت الأبحاث بشكل لم تعهد المراكز العلمية مثيلا له في هذا المجال من أجل إمكانية توليد الأشعة الكهرطيسية وتضخيمها في المجالات ما تحت الحمراء والمرئيةوما فوق البنفسجي من الطيف.

ونتيجة ذلك كانت العاصفة التي قلبت تقنية الاتصالات رأسا على عقب عندما أعلن العالم الأميركي جامان عن إمكانية توليد أشعة كهرطيسية في المجال المرئي من الطيف (ضوئية) بواسطة بلورة من الياقوت الأحمر (RUBY) بطول موجة حمراء قدرها ٠.٦٩ ميكرونا (الميكرون جزء من ألف جزء من الميلمتر). ودعيت تلك التقنية «الليزر» (LASER)، وهي كسابقتها كلمة مؤلفة من الأحرف الأولى لجملة إنجليزية:

LIGHT AMPLIFICATION BY STIMULATED EMISSION OF RADIATION وتعني (تضخيم الضوء بواسطة إصدار الإشعاع المحرّض).

وقد تطورت تقنيات الليزر بشكل عاصف، وتنوعت الأوساط المادية المنتجة للأشعة الليزرية، وكذلك الأطوال الموجية والاستطاعات المولّدة، بحيث أصبحت تستخدم في شتى الحقول العلمية والتطبيقية، مما جعل العلماء يطلقون عليها تسمية « الأشعة السحرية » بسبب خصائصها المتميزة التالية:

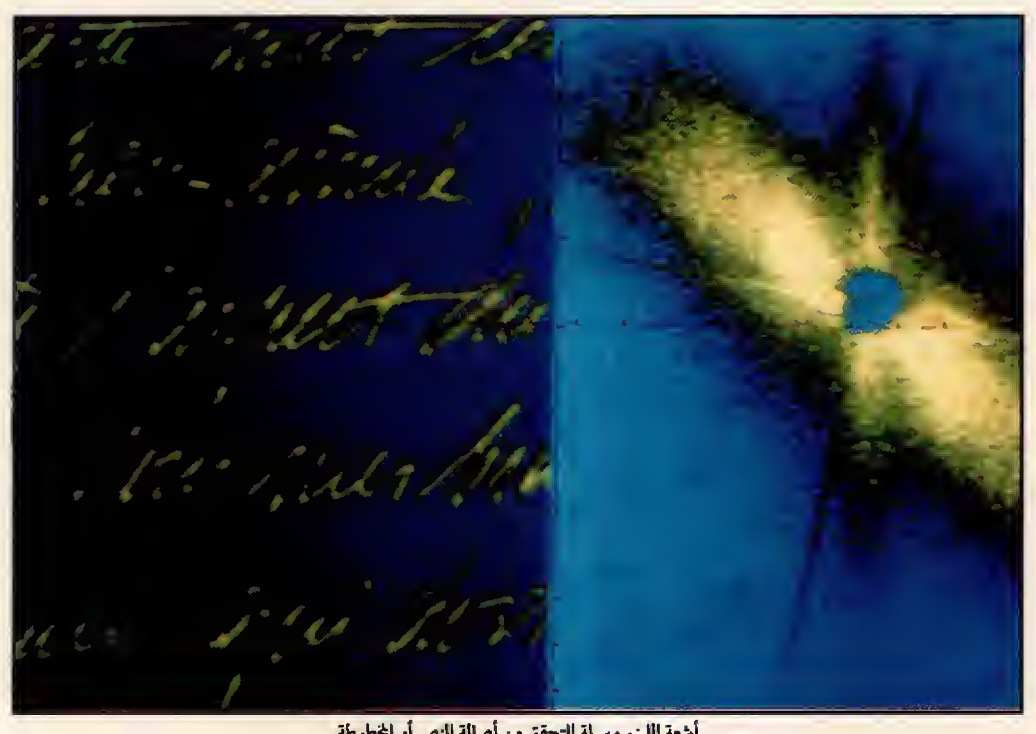
١- وحدة اللون.
٢- الاستطاعة العالية.
٣- درجة الترابط العالية.
٤- الاستقطاب.
٥- الانفلاش الزاوي الصغير.

استخدام الليزر مبضعا جراحيا

بعد أن عرّجنا قليلاً على تاريخ الليزر الحافل بالأبحاث المضنية والمعقدة والمذهلة، نعود أدراجنا إلى عنواننا حول استخدام الليزر كمبضع جراحي مثالي.

لقد استرعت خصائص أشعة الليزر الآنفة الذكر انتباه الجراحين في إمكان استخدامها مبضعا مثاليا بدلا من المبضع التقليدي للأسباب التالية:

١- تعتبر حزمة الليزر أداة



أشعة الليزر وسيلة للتحقق من أصالة النص أو المخطوطة



جراحية معقّمة مائة بالمائة.

٢ـ تمتص حزمة الليزر بدرجات متفاوتة من قبل الأنسجة الخلوية الحية المختلفة، مما يوفر ميزة فريدة في اختيار الجزء النسيجي المستهدف للعلاج دون غيره.

٣ـ تمنع حزمة الليزر النزيف الدموي الذي يمكن أن ينشأ عن العملية الجراحية.

٤ـ لا تسبب حزمة الليزر أيّ ألم للمريض أثناء العملية أو المعالجة.

٥ـ لا حاجة لتخدير المريض في كثير من الحالات.

ومن أجل أغراض مختلفة تستخدم أطوال موجية مرئية نبضية تُمَحْرَقُ بواسطة عدسة تسلط مباشرة من جهاز الليزر، أو تُحْمَلُ إلى المكان المرغوب فيه بواسطة حبل من الألياف الضوئية الزجاجية المرنة، ينتهي بعدسة محرقة تعطي بقعة ضوئية لا يتجاوز قطرها مائة ميكرون باستطاعات مختلفة، تتراوح بين الكيلو واط حتى المائة كيلو واط، بحيث تتكرر النبضة الليزرية أربع أو خمس مرات في الدقيقة الواحدة.

وتستخدم لهذا الغرض أجهزة ليزرية أوساطها المولدة من بلورة الياقوت الأحمر (Al203 + Cr)أو بلورة الياغ (Y3Al5012+Nd) أو غاز الأرغون (AR) أو غاز (CO2+N2+He) في النظام المستمر باستطاعة ٢٠ واط. ففي حالة العملية الخاصة بزرق العين أو الماء الأزرق (GLAUCOME) تستخدم الحزمة الليزرية المستمرة لإزالة السائل الزائد المتجمع عند سطح العدسة الأمامي الذي يضغط على الأوعية الدموية مما يؤدي في كثير من الحالات إلى العمى، وذلك بإحداث ثقب صغير للغاية كرأس الإبرة في نسيج القزحية ليصل إلى القناة الناقلة للسائل؛ وتجرى العملية خلال ساعة واحدة دون تخدير أو ألم أو نزيف، في الوقت الذي كانت فيه العمليات الجراحية التقليدية بهذا الخصوص خطرة وغير مأمونة النتائج.

كما يمكن استخدام تلك الحزمة من أجل رتق الشبكية أو لحامها بكل يسر خلال دقائق معدودات.

وفي حالة وجود ورم ليفي في البلعوم (FIBROME) يمكن استخدام النظام النبضي عبر حبل خاص مزدوج، فرعه الأول يستخدم كمنظار وفرعه الآخر يحمل الحزمة الليزرية عبر الألياف الضوئية من أجل إزالة الورم دون الإضرار بالنسيج السليم، ودون تخدير وألم أيضا، ودون تلوث يمكن أن ينتج عن الخلايا المصابة في الحالات التقليدية.

كما يمكن استخدام الحزمة الليزرية من أجل معالجة بعض الأمراض الجلدية الخبيثة مثل القيتامين (MELANOME)

أو في حالات القرحة المزمنة، وكذلك في حالات الأورام الدماغية، حيث تعتبر قشرة الدماغ والنسيج العظمى للجمجمة شفافين للحزمة الليزرية في الوقت الذي يمكن فيه إزالة الورم الدماغي بكل يسر.

هذا غيض من فيض، ومازالت الأبحاث في هذا المجال تتوالى حتى نشهد في عهد قريب سحراً لاكالسحر ودهشة تجعلنا نقف بإجلال وخشوع أمام قوله تعالى: ﴿علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ العلق٥.



عملية للقرنية بواسطة «الليزر» لا تدوم اكثر من دقيقتين



الليزر للتشويش على العدو

مخطوطات جديرة بالدراسة والنشر "٦"

الاكتساب في تلخيص الأنساب



حلقات يكتبها : حمد الجاسر

مؤلفات الخَيْضِرِيّ : أورد الخَيْضِريُّ أسماء بعض ما له من مؤلفات في كتابه «الاكتساب» في رسم (الخَيْضِرِيّ)، وقد انتهى من تأليف هذا الكتاب سنة ست وأربعين وثمان مئة، وعمره إذ ذاك خمسة وعشرون عاما، وعاش بعد هذا التاريخ ثمانية وأربعين عاما، وهذا وصف أكثر تلك المؤلفات بأنها لم تكمل بعد، وقد ذكرها السخاويُّ، وذكرها غيره ممن ترجم الخيضريَّ، وها هو بيانها : ـ

١ ـ «افتراض دفع الاعتراض»، قال عنه السخاوي : ردَّ فيه على من تَعَقَّبَ عليه في «الروض» من اليمانيين، يعني «الروض النَّضِر، في حال الخَضِر» وسيأتي ذكره.

٢ ـ «الاكتساب في تلخيص الأنساب» سيأتي الحديث عنه مفصلا.

٣ ـ «البرق اللموع، لكشف الحديث الموضوع»، قال عنه السخاوي : جَرَّد ما لشيخنا من المناقشات مع ابن الجوزي في الموضوعات، مما هو بهوامش نسخته وغيرها، ثم ضم ذلك لتلخيصه الأصل وسماه «البرق اللموع». انتهى، وقال الخَيْضِرِيُّ : إنه اختصر فيه كتاب «الموضوعات» لابن الجوزي، وناقشه في كثير منها، وزاد عليه مما تركه كثيرًا فجاء في مجلدين.

٤ ـ «بغية المبتغى، في تبيين مَعْنَى قول الروضة (ينبغي)»، ذكره السخاوي، وقال الخيضري : بأنه عمل منه قطعة صالحة، وتجرد له بعد ذالك.

٥ ـ «تحفة العابد بأحكام المساجد» في جزء صغير، قال عنه : بأنه أول شئ

○ المؤلفات المذكورة في "الاكتساب" تعدُّ بعضًا مما كتب الخَيْضِرِيُّ وليست كلها.

صَنَّفَه وكتبه بعض أصحابه قديما، ثم زاد فيه أشياء كثيرة، بحيث صار قدر مجلد في المسودة.

«تخريج أحاديث المهذَّب» : سيأتي في «الطراز المُذْهَب».

٦ ـ «تخريج مرويات أسماء ابنة المهراني ثلاثين حديثا عن شيوخها»، ذكره السخاويُّ أيضا.

٧ ـ «تقويــم الأسـل ، في تفضيل اللبن على العسل» ، ذكـره السخاوي ، وأضاف : وسبقه المجـد صاحب «القاموس» لضـده ، فله : «تثقيف الأسل في تفضيل العسل» .

٨ ـ «الرقـــم المُعْلَـمُ ، في ترتيب الشيــوخ بالسمــاع والإجــازة على حروف المعجم» ، ذكره الخيضري نفسـه ، وأضاف السخـاوي بعد ذكـره : وما علمت كيف عُمِلَ ، فكثيرا ما أُرْسِلُ أسألُهُ عن شيوخ بعضهم في العلم ، أو عن ضبط وفاته ، أو نسبـه ، أو نحو ذالك مما لا تتم الترجمة بدونه ، فـلا يدري ، وكأنه إن كان أكمله اقتصر فيه على نقل ما كتبه له النجم ابن فهد في مسموعهم ونحوه .

٩ ـ «رواة المراسيل» ، ورد ذكر هذا الكتـاب في رسم (الخيضري) من كتابه «الاكتســاب» إذ قال عن نفســه : وكتاب « . . . التفـاضيل في رواة المراسيل» ، كتب منه قطعة أيضا[١] .

١٠ ـ «الرّوض النَّضِرُ في حال الخَضِر» ، وأضاف السخاوي : استمد فيه من «الإصابة» لشيخنا ، بل رأيت شيخنا ـــ رحمه الله ـ أفرده بالتصنيف ، وكتب منه ما ليس فيها . انتهى[٢] .

١١ ـ «زهر الرياض ، في رد ما شنعه القاضي عِيَاض» ، وأضاف السخاوي بعد كلمـة (عِيَاض) : على الإمـام الشافعي ، حيث أوجـب الصلاة على البشير النذير في التشهد الأخير ، وذكر الاستاذ الزركلي أن الكتاب مطبوع .

١٢ ـ «صعود المراقي ، في شرح ألفية العراقي» ، ذكره السخاوي ، وأطال في اتهام الخيضري بأمر هذا الشرح ، وأنه رجع فيه إلى شرح السخاوي نفسه ، وإلى غيره . وقـال الخيضري عنه : إنـه ابتدأ في عمل شرح على «ألفيـة الحديث» التي للشيخ زين الدين العراقي ، وكتب منه قطعة .

١٣ ـ «الصفا بتحرير الشِّفا» ، ذكره السخاوي ، ووصفه الخيضريُّ بقوله : يشتمل على نكت مفيدة ، وإيضاح كتابة أحاديـث عاليةً ـ في المسودة ـ وكتب من مبيضته قطعة صغيرة .

١٤ ـ «طبقات البارعين من الشافعية» في مجلدين ، زاد فيه على الأسماء التي ذكـرهـا السُّبكي في طبقـاتـه الثـلاث خلقًـا كثيرًا ، وكـان قبل ذالك ذيلٌ على «الطبقات الوسطى» للسبكي ، سماه «كشف المغطَّىٰ» ، سيأتي ذكره .

١٥ ـ «الطِّـرَازُ المُذْهَبُ في تخريج أحاديث المهذَّب» ، قـال الخيضري : بأنه ابتـدأ في تخريج أحـاديث «المهذب» على طـريقـة اليمن[٣] ، فذكـر الأحاديث بأسـانيدها من عـدة طرق ، وتكلم على علـل الحديث ، وما في الرواة مـن جرح وتعديل ، عمل منه قطعة يسيرة ، سماه «الطراز المذهب» .

١٦ ـ «كشف المغطى عن الـزوائد والسمات على الطبقات الـوسطى» ذكره الخيضري وأتبعه بقوله : بأنه أعرض عنه وأدخله في الكتاب الكبير .

١٧ ـ «اللفظ المكرم ، بخصائص النبي الأعظم» ، ذكره السخاوي ، وأشار الأستاذان الزركلي والمنجد إلى وجوده مخطوطا[٤] .

١٨ ـ «اللُّمع الألمعية ، لأعيـان الشافعية[٥]» ، ذكره السخاوي وقـال : وقد استعار من شيخنا نسخته «الطبقـات الوسطى» لابن السبكي ، فَجَرَّد ما بها من الحواشي المشتملة على تـراجم مستقلة ، وزيادات في أثناء التراجم ، مما جَـرَّدتُّهُ أيضا في مجلد ، ثم ضمَّ ذالك لتَصنيف لـه على الحروف ، لخص فيه طبقات ابن

○ الخيضري يصف السخاوي بأنه شيخه وفي الوقت نفسه يرفض اطلاعه على مؤلفاته .

السبكي مع زوائد حصلها بـالمطالعة من كتب أمده شيخنـا بها ، كالموجود من «تاريـخ مصر» للقطب الحلبي ، و«تاريخ نيسـابور» للحـاكم ، والذيل عليـــه لعبد الغافر ، و«تاريخ بخارا» لغنجار وأصبهان ، وغير ذالك مما يفوق الوصف ، وسماه «اللمع الألمعية لأعيان الشافعية» .

١٩ ـ «مجمع العُشَّـاق على توضيح تنبيـه الشيـــخ أبي إسحـــاق» ، ذكره السخاوي وأضـاف : ما علمت كيف عَمِلَ فيهما يعني هذا الكتـاب ، وكتاب «الصفا بتحريـر الشفا» وقال الخيضري نفسه عـن هذا الكتاب : شرع في شرح على «التنبيـه» سمَّاه «مجمع العشـاق» . . . عمل منــه قطعـة كبيرة ، وَبَيَّضَ من أوائله يسيرًا .

٢٠ ـ «المنهـل الجـاري ، من فتح البـاري لشـرح البخـــاري» ، قـال عنه السخاوي : قيل إنه جـرد من «فتح الباري» لشيخنا أسئلة مع الأجـوبة عنها ،

غالبًا يستروح الواقف عليها حيث لم يتعب في استخلاصها، ما علمته أكمله، وذكر الخيضريُّ بأنه لخصه من شرح شيخه، شيخ الاسلام أبي الفضل ابن حَجَرٍ، ووصفه بأنه كتاب نفيس، جليل القدر، ابتدأ فيه، وكتب منه قطعةً.

هذه أسماء ما رأيته منسوبًا إلى الخيضري من مؤلفات، وهي مما أورده السخاوي في ترجمته، وقد قال في وصفها: وما علمته حَرَّر واحدًا منها، واشتد حرصي على الوقوف عليها فما أمكن، نعم رأيت أولها في حياة شيخنا، وانتقد عليه إذ ذاك بهامشه شيئًا، وشافهته بُعَيْدَ التسعين بطلبها، واسترسل في الكلام[٦]. وقال الخيضري بعد إيراد أسماء مؤلفاته ـ: «وأشياء كثيرة غير ذالك في مسوداتها إن فَسَح الله في الأجل، نرجو نجاز ذالك وتبييضه». ولا شك أن له مؤلفات غير هذه، فقد عاش بعد ذكرها ثمانية وأربعين عامًا، وازداد علمًا وسعة اطلاع، وصلة بعلماء ذالك العصر في مختلف الأقطار الإسلامية.

ومع ذالك فلم يسلم من توجيه سهام النقد من معاصر الخيضري، وهو السخاوي، الذي عُرِفَ في كثير مما أورد من تراجم معاصريه في «الضوء اللامع» بالنيل من كثير منهم، فكيف يسلم الخيضري من لسانه، وقد جرى بين الرجلين ما أحدث شيئًا من التنافر بينهما؛ فالسخاوي يشير إلى امتناع الخيضري من اطلاعه على ما رغب الاطلاع عليه من مؤلفاته، وإلى أنه استعار

○ في "الضوء اللامع" نال السخاوي من معاصريه وكان الخيضري واحدًا منهم.

بعض المؤلفات، وحال دون انتفاع السخاوي بها، وقال في ذكر «طبقات الشافعية»: وشافهته بُعَيْدَ التسعين بطلبه قائلاً له: إنما تركت توجهي لجمع الشافعية مراعاةً لكم، والاَّ فغير خافٍ عنكم أنني إذا نهضتُ إليه أعمله في زمن يسير جدًّا، فأجاب بأنه استعار كتبًا ليستمد منها في تحريرها «كتاريخ بغداد» للخطيب و«تاريخ غرناطة» لابن الخطيب، فتعجبت في نفسي من طلب تراجم الشافعية من ثانيهما، وتَأَلَّمْتُ لكون هـٰذَيْن الكتابين كانا عندي أنتفع بهما من أوقاف سعيد السعداء، فاحتال حتى وصلا إليه، مع عدم انتفاعه بهما. وقول السخاوي في موضع آخر: «وإنْ فَعَل مَعِي ما أرجو أَنْ يُجَازَى بمقصده عليه»، هذه الجملة تعبر عن شيءٍ جَرَى بين الرجلين، برز أثره في تحَامُلِ السخاوي في النيل من صاحبه.

والغريب في الأمر أن الخيضريَّ ـــ فيما بين يدي الباحث من كتابه «الاكتساب» ـ يقدِّرُ السخاوي، فينقل عنه كثيرًا من كتابه «الضوء اللامع»، بل يبلغ من تقديره له أنه يصفه بأنه شيخه، فيقول في رسم (الجِلاوي) ما نصه: بكسر أوله وآخره واو، كما رأيته بخط شيخنا السخاوي مضبوطا بالقلم[٧].

ومما قال السخاوي عن كتاب «الاكتساب[٨]»: (ولخَّص أيضا «الأنساب» لأبي سعد ابن السمعاني مع ضمه لذالك ما عند ابنِ الأثير والرُّشَاطِي وغيرهما من الزيادات ونحوها، وسماه «الاكتساب في تلخيص الأنساب»، وقد رأيت بعد موته بخطه كراسين من هذا الكتاب، فكان مما رأيته فيهما «نَكْت الهِمْيَان» قاله بالمثنّاة، وفيمن نُسِبَ إلى قنا من الصعيد: ولد بقناة بإثبات الهاء، وفيمن نسب الجبرتي: الجيزي، والحمصي: الجهني، أو حِزامي بالكسر والتخفيف: حَزَّامي بالفتح والتشديد، أو شكر بالمعجمة: بالمهملة، وفي ابن ماك باللاَّم، وإنما هو بالكاف، وقال في ابن أسدان الاستادار، أعطاه مشيخة مدرسته وخطابتها وإمامتها وهو غلط إلاَّ في الإمامة، وسمى جَدَّ النَّسَائي بحْرًا، وإنما هو علي بن سنان بن بحر، وجدّ الزواوي أحمد، وإنما هو نصر الله. انتهى كلام السخاوي، وما أراه في هذا النقد إلاَّ متمَحِّلاً متكلِّفًا للبحث عما يعيبَ هذا الكتاب، مع أنه لم يطلع منه إلاَّ على كراسين، وهو يقع في عشرات الكراريس.

وها هو ما استطعت فهمه من كلام السخاوي:

١ ـ أخذ على الخيضري أنه قال عن «نَكْت الهِمْيَان» بالمثناة، ولا أدري ماذا يراه السخاوي صحيحًا في اسم هذا الكتاب المعروف بهذا الاسم، إذ (نَكَتَ) أخرج ونثر، و(الهِمْيَان) وعاءٌ للدراهم يتخذ منطقةً، والصفديُّ في هذا الاسم عبَّر عن اخراج ما لديه من «نَكْتِ الهِمْيَان» في هذا الكتاب.

٢ ـ أما عن النسبة إلى (قنا) من الصعيد، وأنه قال: ولد بقناة بإثبات الهاء، فلدي صورة القسم الثالث من كتاب الخيضري بخط يده، فلم أَرَ فيه هذه النسبة التي ذكرها السخاوي، وليس فيه نسبة إلى (قنا) وانما فيه (القنوي) ـ بفتح أوله ـ نسبة إلى القناة وهي الرُّمْح وعملها، عُرِف بهذه النسبة أبو علي قرة ابن حبيب القشيري، وأورد ما في كتاب «الأنساب» للسمعاني.

٣ ـ وقول السخاوي أنه سَمَّىٰ جَدَّ النَّسَائي بحرًا، وإنما هو علي بن سنان ابن بحر، والذي في كتاب الخيضري: «النسائي... ومنها أبو عبد الرحمن أحمد ابن شعيب بن علي بن بحر بن سنان النسائي صاحب كتاب «السنن»». فهو كما ترى سَمَّى جدَّ النسائي علي بن بحر بن سنان، ولم يُسَمِّهِ بحرًا.

ولا داعي للاسترسال في بيان تحامل السخاوي على الخيضري، وهو تحامل يصدق عليه قول المتنبي: (لِهَوَى النُّفُوْسِ سَرِيْرَةٌ لاَ تُعْلَمُ)!

الحواشي:

(١) مكان النقط كلمة غير واضحة.

(٢) ذكر الدكتور المنجد أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة (لاله لي) برقم (٧٩٩).

(٣) كذا في مخطوطة «الاكتساب» رسم (الخَيْضِريّ) ولعل المراد: طريقة علماء اليمن.

(٤) مخطوطة مكتبة شستربتي رقم (٣٧٣٢) في (١٢٢).

(٥) ذكر الدكتور المنجد أن في خزانة الألوسي في المتحف العراقي نسخة بخط الخيضري رقمها (٦٢٤٢).

(٦) «الضوء اللامع»، ٩/ ١١٩.

(٧) يلاحظ أن بعض متقدمي العلماء كابن حَجَر ومعاصريه يذكرون هذا في باب الجيم بعدها لام ألف، وليس في باب الجيم بعد لام، ويتكرر هذا في كتبهم.

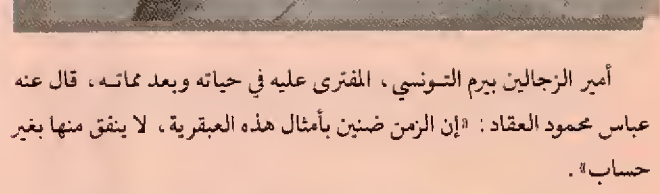
(٨) «الضوء اللامع»، ٩/ ١١٩.



محطات في حياة بيرم التونسي

شاعر العاميّة المفترى عليه!

محمد أحمد عوض



أمير الزجالين بيرم التونسي، المفترى عليه في حياته وبعد مماته، قال عنه عباس محمود العقاد: «إن الزمن ضنين بأمثال هذه العبقرية، لا ينفق منها بغير حساب».

إنه محمود بن محمد بن مصطفى بيرم التونسي، الذي ولد بحيّ السَّيَّالة بمدينةالإسكندرية يوم السبت ٤/ ٥/ ١٨٩٣ م. وكان والده يعمل في تجارة الحرير وصناعته في الحيّ نفسه. أرسله والده وهو في سن الرابعة إلى أحد الكتاتيب في زاوية الشيخ خطاب بالسيالة، لتعلم القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة، إلا أن قسوة الشيخ دفعته للنفور منه ومن ثم الانقطاع عنه. لكن والده أرسله مرة أخرى وهو في سن الرابعة عشرة إلى مسجد المرسي أبي العباس ليتعلم في معهده الديني، حيث حفظ القرآن الكريم وعرف مبادئ النحو واللغة والبلاغة. لكنه لم يستطع الاستمرار في الدراسة بسبب وفاة والده دون أن يترك لمحمود ووالدته ما يعينهما على الحياة الكريمة. فاضطر للعمل صبيًا لبقال في الحيّ. وفي هذه الفترة استهوت بيرم المواويل والمدائح والسير والحكايات الشعبية والشعر خاصة. وذلك ما دفعه لحفظ ديوان ابن الرومي وأزجال محمد توفيق صاحب مجلة «حمارة منيتي»، وقد تسبّب غرامه في الأدب بطرده من محل البقالة، فعمل مع زوج أمه الذي كان صانعا للبرادع وهوادج الجمال. وقد علمه بالإضافة إلى تلك المهنة حرفًا أخرى مثل إصلاح الساعات والطلاء بالجير.

ماتت أمه وهو في السابعة عشرة، فباع إرثه في البيت الذي تركته أمه واشترى ببعض ثمنه صفائح سمن، يبيعها لتجار التجزئة وببعضه الآخر بيتًا صغيرًا في حيّ الأنفوشي. في هذا المحل صُدم بظلم المجلس البلدي بالمدينة الذي طالبه بدفع مبلغ كبير عن سنوات لم يكن يعمل فيها بالتجارة. فواجهه بقصيدته الشهيرة عنه التي نشرتها جريدة الأهالي بالإسكندرية في ٢٥/ ٣/ ١٩١٧ م والتي يقول فيها:

و إن جلست فجيبي لست أتركه
خوف اللصوص وخوف المجلس البلدي
وما كسوتُ عيالي في الشتاء ولا
في الصيف إلا كسوت المجلس البلدي
كأن أُمّي بَلَّ الله تربتها
أوصت فقالت: أخوك المجلس البلدي

تزوج بيرم من ابنة عطار، وعاش معها في حجرة بمنزل أبيها بعد أن باع منزله. وفي هذه الفترة يلتقي بيرم بالدكتور أحمد زكي أبو شادي الذي يقدّمه إلى

سيد درويش ويتبادلان الإعجاب، فيكتب أغاني لسيد درويش مثل «اليوم يومك يا جنود» و«ضيّعت مستقبل حياتي».

وما تلبث زوجته أن تنتقل إلى رحمة الله تاركة له طفلين هما نعيمة ومحمد. ويتزوج من أخرى لا تطيقهما فيرسلهما إلى جدتهما لأمهما.

وفي ٤ أيار (مايو) ١٩١٩ م يصدر العدد الأول من مجلته «المسلة» بالإسكندرية. وقد نالت هذه المجلة في أعدادها الأولى نجاحا شديدا لمحاربتها الإنجليز والجهل بالشعر والنثر، مما شجعه على الانتقال إلى القاهرة للإقامة بها وإصدار مجلته حتى عددها الثالث عشر الذي نشر فيه زجلاً بعنوان «البامية السلطاني»، الذي كان سبب نفيه لمهاجمته السلطان فؤاد معرضًا بواقعة زواج ابنته من محمود فخري (باشا)، فيصدر الأمر بإغلاق المجلة:

البنت ماشية من زمان تتمخطر — والغفلة زارعه في الديوان قرع أخضر
تشوف حبيبها في الجاكته الكاكي — والسته خيل والقمشجي الملاكي
الوزة من قبل الفرح مدبوحه — والعطفة من قبل النظام مفتوحة

لكن بيرم يصر على الاستمرار، فيغني له الشيخ سيد درويش أوبريت «شهرزاد»، وفيه «أنا المصري كريم العنصرين» التي تتلقفها الجماهير بعطش وترددها في كل مكان:

أنا المصري كريم العنصرين — بنيت المجد بين الأهرامين
جدودي أنشؤوا العلم العجيب — ومجرى النيل في الوادي الخصيب

ولا يلبث أن يصدر بيرم صحيفة جديدة يسميها «الخازوق»، يفتتح عددها الوحيد بمقال يهاجم فيه محافظ القاهرة، وكان بعنوان «لعنة الله على المَحافظ»، وفي الوقت نفسه تطير بين الناس مقطوعة زجلية يهاجم فيها السلطان، ويعلم السلطان فيتم ترحيل بيرم إلى تونس في ٢٥/٨/١٩٢٠ م وهو في السابعة والعشرين من عمره تاركًا وراءه زوجته حاملاً، ومحمدًا أكبر أولاده من زوجته المتوفاة في السابعة من عمره.

ولا يطول به المقام في تونس حيث ينكره أولاد عمومته وتحرمه الإدارة التونسية من العمل بالصحافة فيعمل بائعًا في بعض المحلات. لكن الشرطة تطارده، فيقرر الرحيل إلى فرنسا ولم يقض في تونس سوى أربعة أشهر. وهناك يمر بيرم بمرحلة قاسية من الجوع وظروف العمل القاسية، لكنه مع هذا يستمر في إرسال أزجاله إلى الصحف المصرية مثل «الشباب» و«العيون» و«الإمام» و«أبوللو» و«النيل».

بيرم مواطن سيّئ السمعة؟!

ولا يحتمل بيرم الحياة الشاقة فيعود إلى الإسكندرية بجواز سفر مزور، وقد تنكر في هيئة شيخ ليعيش هناك أربعة عشر شهرًا في الخفاء، وينشر أشعاره في صحيفة «الشباب» من دون توقيع، حتى يبلّغ عنه أحد أعدائه دوائر الأمن فيتم ترحيله في اليوم نفسه إلى فرنسا، وهناك يجد عملاً في مصنع لغاز الكلور يضطره للسير مرتين يوميًا مسافة سبعة كيلو مترات مما يصيبه بالمرض، فيترك العمل ليتفرغ لكتابة مسرحيات «ليلة من ألف ليلة» و«عقيلة» وغيرها لفرقة فاطمة رشدي المسرحية. وحين يضيق به الحال يعمل في إحدى مكتبات باريس التي يفصل منها لحصوله على لقب «صاحب سمعة سيئة» من السفارة المصرية هناك بعد محاولته الفاشلة في مقابلة رئيس وزراء مصر مصطفى النحاس:

أصلّي على الهاشمي نبينا حبيبي — محمد المبعوث في قوم صالح
يقول الفتى الطهقان مما جرى له — والهم والأحزان تصدي القرايح
اللي الزمان رباه يصبح جامد — واللي الغرام سواه يصبح سايح
يا ما في سواد الليل شفت معايب — وجبت بياض الصبح أكتب تصاريح

ومرة أخرى يعود للعمل بمصنع للحديد والصلب لمدة عام تقريبًا حتى تقوم السلطات الفرنسية بترحيله مع غيره من الأجانب إلى بلادهم، فيعود إلى تونس باعتبارها موطنه الأصلي. وفي تونس يحصل على تصريح لجريدته «الشباب» التي تغلقها سلطات الاحتلال بسبب ما يكتبه من أزجال عامية مغربية ناقدة.

وفي نهاية عام ١٩٣٦ م يعاني من ألم في عينيه شديد، فيطلب السماح له بالتوجه إلى سورية للعلاج، وتوافق السلطات الفرنسية بشرط ألا يفكر ثانية في العودة إلى تونس. وتنجح العملية، وما إن يستريح قليلاً حتى يعاود الاتصال بالصحف المصرية لنشر مقاماته وقصائده في «الإمام» و«الصاعقة»، وتتردد أغانيه في الصالات بأصوات بديعة مصابني ورتيبة وإنصاف رشدي وغيرهم.

وفي عام ١٩٣٨ م تصدر السلطات الفرنسية قرارًا مفاجئًا بعودة بيرم إلى فرنسا، فيُحمل على إحدى السفن إلى مرسيليا. وعند ميناء بورسعيد يقرر بيرم المخاطرة فإما الوطن وإما الموت. وهناك يقوم أصدقاؤه من أمثال فؤاد أباظة وكليم أبو سيف وغيرهم بالحصول على كلمة العفو الشفهية من القصر. كما تنشر «الأهرام» زجل العودة وفيه استعطاف للقصر حتى يصدر النقراشي (وزير الداخلية) أمرًا بتجاهل وجود بيرم في مصر. كما يلقي بيرم زجلاً في الإذاعة في عيد جلوس فاروق على العرش يمدحه فيه في ١١ شباط (فبراير) ١٩٣٩ م.

وتظل هذه الأزجال مصدر ألم لبيرم حتى وفاته. وبعد صدور العفو يعمل بيرم مديرًا للدعاية في شركة بالإسكندرية، ثم يتركها بعد عام ليتفرغ للصحافة، فيعمل في مجلة «ياهوه» الفكاهية بالقاهرة، ثم يكتب أسبوعيًا في «أخبار اليوم» في عام ١٩٥٠ م. وفي بداية عام ١٩٥٢ م يتفرغ لجريدة «المصري».

بعد الحروب اللي هدت قلبنا الموجوع
طلع منابنا شوية خردوات وبتوع
وكام جباردين مشمع نصهم ممزوع
وجنبيهم رُبُعميت مليون جنيه مطبوع
وكام حمار حرب أصبح بالغنى ممروع
وجيش بنات أرتستات يقوده الجوع

إنتاج بيرم الأدبي

لقد شارك بيرم بقلمه في كل مجالات الأدب من شعر بالفصحى والعامية والمقالات والمقامات والقصص والمسرحيات والأوبريتات والتمثيليات والأغاني والطقاطيق والفوازير.

كما ألف رواية من جزأين باللغة العامية هي «السيد ومراته» في باريس وفي «مصر»، وعنه يقول العقاد:

«آية الآيات في بيرم أنه كان يفهم السريرة الناطقة بالعربية من بواطنها الخفية قبل أن يحكيها بلهجاتها الكثيرة على الألسنة والأقلام».

وهو في شعره الفصيح لا ينفصل عن قضايا عصره ومشكلاته. وشعره ينقسم إما إلى قصائد اجتماعية، وإما معارضات لقصائد القدامى أو المحدثين من الشعراء.

ومن النوع الأول قصيدته عن المجلس البلدي التي منها :

فمُــر بهــا علينـــا كــل عـــام ... بحـــيّ الأشقيــاء البائسينـا
ترى الوحـلات جاثمــة وفيهــا ... بنـات قد تعلمـن العجينـا
إذا كنت الطبيب ونحن مرضـى ... فــأوصِ الناس خيرًا بالبنينـا

ومن النوع الثاني قصيدة بعنوان «ابن الرومي في القرن العشرين» . مصورًا أحد من اعتادوا البصق في الطرقات :

أتى عبد الإله وقد جلسنا ... من اللهـو المحبـب في شـؤون
فرحبنـا وأفسحنـا مكانًـا ... يليـــق بذلك الحَبْـر السميــن
فأنذرنـا بصوت بلغميّ ... كصوت الكـف تعبث بالعجيـن
سمعنا عاخها منه فملنا ... نحـاذر بالأكــف على البطــون

وفي مجال المقامة كتب بيرم التونسي عـددً كبيرًا، يقدم فيها صورًا للمجتمع المصري في عصره بالنثر المسجوع المرصع بـالشعر. وتمتـاز مقامـاته بيعـدها عن الزخرفـة الثقيلة وقربها من كل الأذواق بأسلوب ظريف يظهر قـدرته على إبداع النكتة البـارعة في ألفـاظ مركـزة مؤثـرة. ومن هـذه المقامـات: المقامـة القرش صاغية، الرغيفية، الأتومبيلية، الشوالية، وغيرها. ومن أبطالها: الأكتع بن عصران، العاجز بن عميان، بعزق بن سعفان وغيرهم.

والبطل في المقامة عند بيرم ليس واحدًا، فلكـل مقامة بطل جديد، ولكن تجمعهم شخصية واحدة في أطوارهـا المختلفة، ألا وهي شخصية «المجاورين» ممن أفلحوا في الأزهـر أو فشلوا فيه، فامتهنوا حرفًا مثل المأذونية ــ قراءة القرآن على المقابر أو في البيوت أو الحانوتية وغيرها.

وإليك مثلاً من هذه المقامات :

يقول الحاذق بن قمذان في «المقامة الشعرية» :

«جلسنـا دستة من المشـايخ البهاليل، في جهـة على شاطئ النيل، وكلنـا فصيح شـاعـر، وأديب واعـر، عـارف بـالاستعـارة والتشبيــه، والإطـلاق والتوجيه. . . . حفظ الصرف والنحو، بلا خطأ أو سهو» إلى أن يقول: «وأخيرًا اتفقوا بالإجماع، على أن يصف كل منهم ما يعجبه من اختراع، فجلسوا يحكون الجباه، ويعضـون الشفـاه، فكـان بعضهـم يتمتم ويكتب، والآخـر يلحس ويشطب، فلما أنهى كل واحد كتابه، أعطاني أحدهم ورقته، وكان وجهه كقعر الـوابور وشفتـه كحـرف الماجور، ولما كـان يظن نفسـه أحـد الأعلام والشعـراء العظام.

فقــد قــال يصــف التـرام :

إن ارتكابنـــا على لــــــوح مـن الخشب
لم يبـق شخصًـــا مـن الأشخــــاص في تعب
لله هـــــذا تـــــرام حين تــــركبــــــه
تستغـن حقـــًا عـن الأفـــــراس والنجـب
إن الترام عجيـــــب حين يخرج مـــــن
شبرا فكـــالـــوت فـــالميــدان فـــالعتب

قال الحاذق : فلما قرأتها وقعت تحتها :

مـن كـــــان همتــــه تكبير عمتـــــه
فحسبــــه صنعـــــة الإفتـــــاء لا الأدب
قبح الله شعرك وأرخص سعرك»

ومن هذا المقطع يتضح مدى سخط بيرم على الجمـود الذي خيم على غـالبيـة الأزهريين، ويظهـر رغبتـه في التحـرر من القيـود الخاصـة بالقـواعـد والإعراب؛ لتصبح لغته رغم فصاحتها قريبـة من العامية مما يسهل فهمها لكل طبقات الشعب.

وكانت مذكراته في المنفى تشكل في مجموعها قصصا قصيرة تصور لحظات عاشها شاعرنا في تصوير أدبي بلغة القصة، ومنها: الدرجة الرابعة، مرسيليا، أحرج المواقف، الجوع، وجب الشغل. وغيرها.

وقدم لنا بيرم التونسي مجموعة من المقالات كتبها بقلمه الساخر يعالج فيها بعض الظواهر الاجتماعية المريضة في محاولة لإيقاظ الضمير العام لعلاجها.

وتتجلى فيها قـدرته على التقاط «صـورة» من الواقع وصياغتهـا في أسلوب سلس متدفق، ونـذكر من مقالاته، مقـالة «كيف نحترم أنفسنا؟»، نقتطف منها :

«إذا كنت بائع طعمية شهير أكسب أربعة جنيهات في اليوم فلا يمكنني أن أضع في أصابعي الملوثة بعجين الفلافـل خواتم غليظة من الماس؛ لأن الزبائن الذين يترددون على محلات الطعمية يقولون بالإجماع: شوف البأف لابس إيه! كلمة قومية أو كلمة إنسانية يقولها كل إنسان في ظروف مختلفة دون أن تتغير لأنها من جوامع الكلم.

فهي تقال أيضًـا بنصها إلى الفلاح الـذي يملك ألف فدان ويلبس جـزمه بـالية. الكهل الـذي يلبسُ «كـرافات» بمبـه أو فستقي، الممثل الـذي يلبس السموكن ليل نهار. . . ».

ونلاحظ أن فوازير بيرم ذات ألفاظ سهلة وتراكيب عامية قريبة من التناول الشعبي، وكذلك ظاهرة الانتقاد التي هي ميزة معظم إنتاجه الأدبي.

وتتراوح لغة بيرم في المسرح والأوبريت والتمثيليات الإذاعيـة ما بين العامية والفصحى بل وأحيانًا تجمعهما معًا في العمل الواحد.

ومن مسرحيـاتـه العـاميـة والفصحى «طباخـة بريمـو» و«سفينة الغجر» ومسرحية «الشيخ متلوف» وكذلك الحوار في أفلام: «سلاّمة»، «دنانير»، «عنتر وعبلة».

وله في الإذاعـة حلقات تاريخيـة عن عهد المماليك و«ملحمة محمد علي»، و«حلقات عزيزة ويونس». وكتب لمسرح العرائس بالاشتراك مع صلاح جاهين مسرحية «بنت السلطان»، وللتلفزيون تمثيلية «مهرجان إبليس»، ومن أغانيه «يا رب سبح بحمـــدك كل شيْ حي» لنور الهدى و«الآهـات»، «أهل الهوى»، «الأوّلة في الغرام» «الحب كده»، «كل الأحبة اتنين» وغيرها لأم كلثوم. وغنى له عبد الوهاب: «محلاها عيشة الفلاح»، «بعد الصبر ما طال»، وغنت له أسمهان «أنا اللي أستاهل كل اللي يجرى لي»، وغنى له فريد الأطرش «أحبابنا ياعين»، «أه في شبابك»، وغيرها كثير للعديد من المطربين والمطربات.

وبصفة عامة فإن الأغنية عند بيرم تمتاز بمذاق خاص يميل إلى الموال الذي يعشقه المصريون، كما تمتاز بسهولتها من حيث الإيقاع والموسيقى.

أزجال بيرم

كانت الأزجال أهم الألوان الأدبية التي أنتجها قلمه وسبب شهرته كزجال قبل أي شيْ آخر.

ويمكن تقسيم أزجاله إلى ثلاث مراحل زمنية هي :

المرحلة الأولى: وتقع بين عامي ١٩١٦ و١٩٢٠ م، وهو العام الذي نفي فيه إلى تونس ثم إلى فرنسا.

ويلاحظ على هذه الفترة قلة الإنتاج؛ لأن الشاعر كان يمر بمرحلة التكوين النفسي والفني كشاعر. ويلاحظ كذلك أن معظم قصائد هذه الفترة هي بالفصحى.

المرحلة الثانية: وتقع بين عامي ١٩٢٠ و١٩٣٨ م، الذي عاد في نهايته إلى مصر. وهنا ترتفع نسبة الإنتاج، ذلك لأن الشاعر قد اكتملت لديه أدواته الفنية إلى حد كبير، كما أنه قد خاض غمار تجاربه في واقع حضاري وثقافي

○ العقاد: بيرم التونسي كان يفهم السريرة الناطقة بالعربية من بواطنها الخفية.

جديد، وفي قالب تجربة النفي وما يعنيه من وحدة واغتراب وحنين للوطن والأهل.

وكان من الطبيعي أن يحتل الزجل جانبًا «مهما» من إنتاجه، ويميل إلى استخدام العامية أكثر من خلاله.

المرحلة الثالثة: التي تقع ما بين عامي ١٩٣٨ و١٩٦١ م، ويلاحظ هنا الارتفاع النسبي بين ما كتبه بيرم في هذه المرحلة عمّا كتبه في المرحلتين السابقتين. ويرجع ذلك إلى انشغاله في هذه الفترة بضمان الاستقرار المادي والمعيشي والأدبي، مما دفعه لاستنزاف طاقاته الإبداعية في كتابة الكثير من الأغنيات والفوازير والتمثيليات الإذاعية والتليفزيونية، مما أسهم إلى حد كبير في تقليل القيمة الفنية لهذه الأزجال.

وهناك أربعة محاور دار حولها معظم إنتاجه الأدبي في مجال الزجل هي:

المحور الاجتماعي، والمحور السياسي، والمحور الثقافي، والمحور الذاتي وهو أقلها نصيبًا في مجمل إنتاجه الزجلي؛ لأن شاعرنا حوّل أزمته الخاصة إلى تجربة إنسانية عامة.

وقد كان بيرم التونسي شديد الاعتناء بالقافية والحرص عليها، لذلك فهو يميل إلى الإكثار من القوافي، التي أمكن حصرها بصعوبة في عشرة أنماط يضيق المكان وهذه العجالة عن تفصيلها، ويمكن الرجوع إلى كتاب **الدكتور يسري العزب «أزجال بيرم التونسي: دراسة فنية»** لمن يرغب في التفصيل الدقيق.

وإليك بعض أمثلة من قوافٍ مختلفة:

من قصيدة «مونبليه»:

زريبـه متطـرفـه فيهـا المعيـز سـايبين
تـرعى حشيش المحبـة والـرعـاة غـايبين
سبع مـراكب بتشحـن عـدّ بـالطـسزازين
دكتـور، مهنـدس، محامي والجميع خـايبين

ومن قصيدة «سيد درويش»:

من بعـد موتـه بعـــام	طلعــت لنـا أقـوام
حطـوا عليـه مكــدام	وقـالـوا فنه قديــم

ومن قصيدة «الوجودية»:

قالــوا الــوجـوديـه	تفعـل مـا يحــلا لك
من كـل فعــل قبيــح	يخطــر على بــالك
البس شــوال مقلــوب	وارســم على شــوالك
وابــور وحــدايتين	إنســت وأمثــالك

ومن قصيدة «الخالق الرّزاق»:

الخالـق الـــــــــرّزاق
قـــال للحـــرارة تـــزيـــد
علشـــــــان يطيـب الموز
والشهـــد والعنـــاقيـــد
وينضـج الــــرمــــان
وتستـــــوي الكيـــــزان
ولمين؟ لنـــاس قـــاعـــدين
مِضَمْضَمين ســــاخطين
يقـــولـــوا حَـــرّ فظيـع
وجـــــوّ زفـت شنيـع
زدهـم بـــــارب بــــواخ

ويجدر التنويه هنا بأن بيرم قد اعتمد في ٨٠٪ من أزجاله تقريبًا على أوزان الشعر التقليدية، إلا أنه قد استخدم بعض الأوزان الخاصة بالزجل في بعضها. ومن الأوزان التقليدية التي استخدمها بيرم: البسيط، الرجز، المتدارك، الرمل، المنسرح المنهوك، الوافر، المتقارب، الهزج السريع، المجتث، الكامل، والمديد، وهما أقل الأوزان استخدامًا لدى بيرم. ويلاحظ أن استخدام بيرم للبحور المجزوءة فاق بكثير استخدامه للبحور التامة، **ويرجع ذلك إلى أسباب ثلاثة:**

١ ـ طبيعة المرحلة الأدبية التي عاصرها بيرم حيث مال فيها الشعراء إلى مجزوءات البحور.

٢ ـ طبيعة الشاعر الذي كان متعدد المواهب، غزير الإنتاج لملاحقة المطلوب منه للصحف والمجلات والسينما والأغاني.

٣ ـ طبيعة الشعر العامي نفسه الذي مال منذ نشأته حتى بيرم وما بعده إلى الأوزان القصيرة لارتباطه منذ نشأته بالموشحات الأندلسية.

الصور في شعر بيرم

احتلت الصور عند بيرم دور الأنماط أو النماذج البشرية التي يحاول نحتها مستعينًا بخاماته من الواقع الذي عايشه في مصر. ومنها صورة بنت البلد:

أحب بنت البلـــد من فـــرط خفتهـــا

هــوليــود على بــدعهـا مــاتجبش عصبتهــا
ولا بنــــات لنــــدرة تتلّف لفتهـــا
آدي اللي جـــاب لي البـــلا، آدي اللي هــابلني

وصورة ابن البلد استمع إليه يقول:

وأنـا اللي جيت من سيالـــه فيهـا العيـال والرجّالـــه
شجعـان ولكـــن بهبالــــه يـا ننتصـر يـا أكلناهـا

وصورة الاستعمار، حيث حوّل بيرم معنى الاستعمار إلى صورة رجل يتمدد فيأخذ كل الظلال البشعة في قصيدة «عزرائيل»:

في النــوم رأيت عزرائيـــل مركيـــز أوربـــــاوي
ضوفره إنجليـزي طويـل معــــووج وسبعـــــاوي
ونـــاب يشيل ألـــف فيل أزرق فرنســــــــاوي
والفـــم يبلـــع قابيـــل في بحـــره نمســــاوي

وصورة الفنان: كان الفنان (شاعـرًا، موسيقيًا، مطربًا... إلخ) هو الذي يعيش مشكلات الواقع ويتصدى لها بفنه. لكن بيرم يلاحظ أن هؤلاء، على قلتهم، مطحونين، ويجد أن المسيطرين هم من أطلق عليهم اسم «مناصرة الفن»:

ومبـــدع الفن في وسط المنــاصرة يلـــوص
وسكنـــوه بـالحيـا تُــربــة في ســابع قـــاع
لـو كنت يـا فن مجعـول لك قـانـون ونصـوص
لكنت زي الكــــــواكـب في السما لمّاع

صورة ذات الشاعر: إن صورة الشاعر كذات لا تحتل سوى مساحة صغيرة من إنتاجه، وتتضح من خلال معاناته في تجربة النفي حين يقول:

الأولـة مصر قـالـوا تـونسي ونفـوني جزاة الخير وإحسـاني
والثانيه تـونس وفيها الأهل جحـدوني وحتـى الغيـر ما واســاني
والثالثه باريس وفي بـاريس نكـروني وأنـا موليـيـر في زمـانـي

الأولـه شربتني من فــراقهــا كــاس بمــراره
والثــانيـه آه فـرجتني عـالجهال ينداس يـا خساره
والثالثه يا ناس يـا ريتني كان لي فيهـا ناس وإداره
الأولـــة اشتيكتهـــا للي أجــــرى النيـل
والثـــانيــه دمعي عليهـا غـــرق البــاستيل
والثـــالثــه لطشت فيهـــا ممثل وذليـل

وقد تشكلت تلك الصور من عدة عناصر فنية هي:

١ ـ المثل الشعبي، ومنه قوله:

وضـاع أدانكم في مـالطـه اكمنـه من فـوق سطـوحكم

٢ ـ التشبيـه: وهو عند بيرم مستـويان: التشبيـه بالأداة والتشبيه بـالأفعال والأسماء والأحرف. ومنه:

وقف المحــاضر يحاضر على السفــر والتجـاره
كأنـه واقف في شـادر بـايظ ومليـان سكــارى

٣ ـ الاستعـارة: وقد استخدمها بيرم في شعره العـامي بشكل لافت وكان يستقيها من لغة الشعب، ومنها:

البين نحـل جسمهــــا والهم كـــــاويها
والموت هجم على الحبـــايب من حـــواليهــا

٤ ـ التورية: وقـد استخدمهـا بيـرم كعنصر بيـاني يخدم تشكيل الصورة الشعرية.

٥ ـ اللفـظ المصور: وهنـا تمثل الألفـاظ صـورًا بلاغيـة تسهم في تشكيل الصورة الشعرية، وهي مستويـات تبدأ بالمستوى البسيط كإدراج بعض الأسماء (لأشخـاص) وتنتهي بإدراج ألفاظ الأصـوات من اللغة تعطي القـارئ فرصة لمعايشة حركة، مثل قوله:

«صوتهم يطشطش في ودْني ولا طشيش المقالي».

على أن لـدى بيرم ظاهـرتين تستحقان الـرصد: الأولى هي استعمالـه أسماء ليست حقيقية، ومنها «دعموش» و«بعضشيأن» و«الهبأري»:

شلـــه عليـــوه الهبـــاري اللي سكن في بـــولاق
مـــات منهـا خمســة وشلـــه سـالم البنـداق
مـــات منهسا سبعـــه وشلـــه عفت الحلاق
مـــا تــوا جميعــا ولا من بـــالضحــايــا اهتم

أمـا الظاهـرة الثـانيـة فهي وضعه لجمل كـاملـة في سيـاق يكون لصـورتها الصوتية دلالة خاصة، كما في قوله:

قــالـت مـراة إسماعيل راشـــد: يــا ربي أمـــان
نــاس فــلاحِين عُفش بطّـــالــه كهان دوشهان
خــرسيس أدب سيس يــرم لعنـــة أطـــوز يُقهان
هـرشوق فنـايـوق خهـا إيكي طوز أو غلي كـلاب

وقد عبر بيرم التونسي عن الإنسان في الواقـع المصري والعربي الذي عايشه بعدة أشكـال تعبيرية، منها القصيـدة الغنائيـة، والمنظومة ذات الـلازمة التي تتكرر، والقصائد الحوارية، وقصائد الربابة، والمواويل والقصة الزجلية.

ويمكننـا أن نقـول: إن بيرم قـد كتـب في معظم أشكـال التعبير العـامي بالـزجل، وأخذ منهـا ما لـزم لتشكيل تجاربه المعـاصرة، ثم راح يطور فيهـا ما استطاع، فاستخدم أسلوب الحوار في بناء بعض قصائده، كما استخدم بعض فنيات السيرة الشعبيـة في بعضها. كما أفـاد من السينما حين استخـدم أسلوب الارتداد في الزمن داخل قصائده (Flash back).

رحيل بيرم التونسي

وفي سنة ١٩٥٤ م يصاب بيرم بـالربو من جراء السهـر الطويل والتدخين والإرهاق المستمر في ما مضى من عمره. ويحصل في العام نفسه على الجنسية. وفي عام ١٩٥٥ م يعمل في جريدة «**الجمهورية**» التي ينشر فيها قصته الزجلية الطويلة «**كفاح شعب**»، كما يقدم فوازير رمضـان، وينشر أزجاله عن العدوان الثلاثي وفي عام ١٩٦٠ م يحصل على وسام الفنون والآداب.

ويشتـد المرض ببيرم فيقضي نحبـه في الخامس من كانــون الثاني ــ ينـايـر ١٩٦١ م عن عمر يناهز سبعة وستين عامًا وثمانية أشهر.

المراجع:

١ ــ أزجـال بيرم التـونسي، دراسـة فنيـة، يسري العزب.
٢ ــ خلاصـة اليوميـات والشـذور، عباس محمود العقاد.
٣ ـ محمود بيرم التونسي، عبد العليم القباني.
٤ ـ بعض كتـابات محمد محمـود بيرم التونسي نجل الشاعر.

د. عماد زكي

أدب الأطفال

أدب استراتيجي وليس ترفيهيًا!

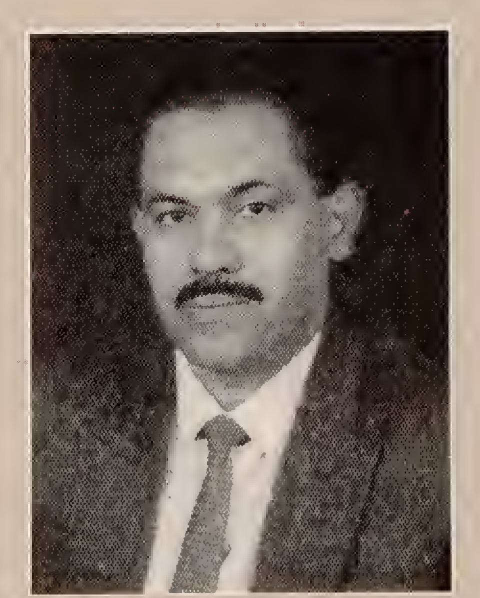
أجراه : خليل عبد الكريم

د. عماد زكي طبيب أسنان أردني، لكنه انتهج منهجًا آخر محببًا إلى نفسه. فقد كَتَبَ وأنتَجَ عِدَّةَ برامجَ تلفازية ناجحة للأطفال، أهمها البرنامج العلمي الترفيهي «تلفزيون الأطفال»، وله مجموعة من الكتب أهمها «قصة السلحفاة»، وسلسلة أدب الرحلات بعنوان «رحلات السندباد الصغير»، ومسرحية الدّمى «حكايات جحا العربي».

كما يكتب في أغلب مجلات الأطفال العربية، وله أبحاث كثيرة في مجال الطفولة أهمها: «تحضير الطفل العربي لعام ٢٠٠٠».

وهو يرى أن التلفاز أداة تثقيفية مهمة وفعّالة وضرورية إن أحسنّا استخدامها، ويقترح على الوالدين تنظيم أوقات الطفل ونشاطاته دون أن يطغى التلفاز على برنامجه اليومي.

ويطالب بأن تكون هناك حركة نقدية فعالة لأدب الطفل، تحمي أطفالنا من الكتّاب المتطفلين الذين يقتحمون المجال من أجل الشهرة والمال، ويعتبر أدب الطفل أدبا استراتيجيا، يتوقف عليه تقدم المجتمعات وليس مجرد أدب ترفيهي لتسلية الأطفال. إلى غير ذلك من الآراء التي تضمنها الحديث التالي:



د. عماد زكي

الطفل العربي والعام ٢٠٠٠ م

● ماذا أردت أن تقول في كتابك «تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠»؟

■ تحضير الطفل العربي لعام ٢٠٠٠ م دراسة مستقبلية تدرس واقع الوطن العربي وسبيل النهوض به من خلال إعداد الإنسان العربي إعدادًا نوعيًا، يساعده على مواجهة تحديات المستقبل، وتقترح اتجاهات مستقبلية في التربية لإعداد هذا الإنسان منذ الطفولة، ليصبح قادرًا على مواجهة التحديات في المستقبل. وتتلخص هذه الاتجاهات في:

أولاً: تعميق الثقافة الذاتية للطفل، بحيث يصبح أكثر انتماءً واعتزازًا بقيمه العربية والإسلامية، وتراثه الحضاري والشعبي، حتى يصبح في المستقبل أكثر استعدادا وحرصا على إحياء هذه القيم وتطبيقها في حياته، وإعادة أمته إلى المكانة الحضارية اللائقة التي تستحقها.

ثانيًا: التركيز على الثقافة العلمية وتحضير الطفل العربي لدخول العصر التكنولوجي، من أجل ردم الفجوة العلمية والتكنولوجية بين الأمة العربية والإسلامية والدول الصناعية المتقدّمة. ونقصد بالثقافة العلمية زيادة معلومات الطفل وتشجيعه على التفكير ومنهج البحث العلمي وابتكار الحلول للمشكلات التي تواجهه بطريقة علمية، والاستفادة من معطيات العصر الحديث كالكمبيوتر ووسائل الاتصال... إلخ.

ثالثًا: بناء الثقافة التنموية للطفل، ونقصد بمصطلح الثقافة التنموية تربية الطفل على قيم وعادات واتجاهات تساعده على أن يكون في

د. عماد زكي

المستقبل أكثر استعدادًا لتقبل خطط التنمية والتفاعل معها وإنجازها على أكمل وجه، كالتركيز على أهمية الأرض والزراعة والحرص على المياه وعدم التبذير في المأكل والملبس وميله للإنتاج والإبداع والابتكار.

التلفاز والأطفال

● يعتبر التلفاز أداة تثقيفية في رأي بعض الناس، بينما يعتبره بعضهم الآخر خطرًا على قدرات الأطفال وتفكيرهم. ما مدى صحة هذه الآراء؟

■ التلفاز كما أرى أداة تثقيفية مهمة وفعالة وضرورية في هذا الزمن بالذات، ويتوقف ذلك على نوع البرامج التي يقدمها، والأسلوب الذي تُقدم به هذه البرامج، والتوازن في برامج الأطفال بين كل جوانب ثقافة الطفل، وملاءمة هذه البرامج لأعمار أطفالنا وبيئتهم وظروفهم التي يعيشونها. فإذا لم يحقق التلفاز هذه الشروط في أدائه الثقافي، يمكن أن يتحول إلى مؤثر سلبي على تفكير الأطفال وقدراتهم وثقافتهم.

طبعًا هنالك تحذيرات من بعض علماء النفس والاجتماع حول خطورة الإدمان على مشاهدة التلفاز وهي تحذيرات محقة إلى حدّ ما، وهنا يبرز دور الأُسرة في تنظيم أوقات الطفل ونشاطاته، ومساعدته على ممارسة هواياته المختلفة وأداء واجباته الدراسية دون أن يطغى التلفاز على برنامجه اليومي. كما تقع على عاتق المسؤولين في التلفاز مسؤولية المادة البرامجية التي تُقدّم للطفل بحيث تدفعه هذه المادة إلى نشاطات أُخرى غير مشاهدة التلفاز. على سبيل المثال هنالك اتهام كبير ضد التلفاز بأنه أثّر على علاقة الطفل بالكِتاب، وعلى هؤلاء المسؤولين أن يُرمّموا هذه الثغرة بتشجيع المطالعة عند الأطفال وتعريفهم على كتب الأطفال المهمة وعرضها بشكل شيّق يدفع الأطفال لقراءتها والإقبال عليها.

● هل هنالك فرق بين معلومات طفل يشاهد التلفاز وطفل لا يشاهده؟

■ نعم هنالك فرق؛ لأن التلفاز يتميز بقدرته الفائقة على نقل المعلومات الحية والمباشرة، فهو نافذة الطفل الجذابة على كل العوالم التي يشتاق لمعرفتها ولا يستطيع الوصول إليها كعالم الصور الحيوان والبحار والفضاء والآثار والبلدان، فضلاً عن الأسلوب السهل والجذاب الذي يقدم به التلفاز المعلومات للطفل. إن الطفل المتابع للتلفاز يتلقى جرعات يومية من المعارف والخبرات، وهذا ما لا يتوافر له في وسائل الاتصال الأُخرى. طبعًا نحن نتحدث هنا عن المعلومات، ولكن هنالك وسائل أُخرى تفوق التلفاز في المناحي الثقافية الأُخرى كالمطالعة، أمّا في مجال المعلومات فالتلفاز هو الأكثر ثراءً.

● ما التأثير الثقافي الذي يتركه التلفاز في عقول الأطفال؟

■ يتوقف نوع هذا التأثير الثقافي على طبيعة البرامج المقدمة للطفل، فإذا استطعنا أن نقدّم برامج نوعية تشمل كل عناصر ثقافة الطفل وفق النموذج الثقافي الذي نؤمن به ونتبنّاه، وإذا استطعنا أن ننجح في جذب الطفل إلى هذه البرامج من خلال إتقانها فنيًا وملاءمتها لأعمار الأطفال وخبراتهم ومعرفة ما يشدّهم ويجذبهم إلى التلفاز؛ فإننا بهذا نستطيع أن نقول بأن تأثيره الثقافي إيجابي ومفيد وفعّال. أما إذا كان هناك أدنى خلل في مواصفات الشكل والمضمون التلفازي فإن تأثيره الثقافي سيتعرض للضعف، وقد يتحول إلى تأثير سلبي.

ونستطيع أن نقول أيضًا، إن التلفاز وسيلة مثالية لإثراء ثقافة الطفل، إذا أحسن استخدامه وتوظيفه، ونتمنى أن تعي الجهات المسؤولة عن إنتاج برامج الأطفال في الوطن العربي دور التلفاز الحقيقي في بناء ثقافة الطفل وتطوّر إنتاجها ليتّسق وينسجم مع الاتجاهات الجديدة في التربية للاستفادة من قدرات التلفاز الخلاّقة في التثقيف والبناء.

> "أدب الأطفال العربي يعاني من المدّعين والمتطفلين والباحثين عن الشهرة"

الإقبال على أدب الطفل ضعيف

● مسؤولية كاتب أدب الأطفال مسؤولية كبيرة في مجتمعنا العربي، فما مدى إقبال الأدباء على الكتابة للأطفال؟

■ أعتقد أن أدباء الأطفال في مقدمة الرواد القادرين على إعداد إنسان الغد وتحضيره لأداء دوره المستقبلي في بناء أمته ومجتمعه؛ لأنهم يقومون من خلال أعمالهم الأدبية المقدمة للأطفال بصياغة تفكير هؤلاء واتجاهاتهم في الحياة. من هنا على أديب الأطفال أن ينظر إلى دوره باعتزاز ومسؤولية، ويستشعر خطورة مهمته، ويطوّر دائمًا من أدواته وأساليبه، ويزيد من اقترابه ومعرفته بالطفل ونفسيته وميوله وتطوّره الحركي والنفسي والفكري واللغوي. إن أدب الأطفال في رأيي ليس أدبًا ترفيهيًا لتسلية أطفالنا فقط، بل أدبًا استراتيجيًا يتوقف عليه تقدّم المجتمعات.

ومن المفيد هنا أن ننوّه بأن أدب الأطفال العربي يعاني من كثرة المدّعين والمتطفلين الذين يقتحمون هذا المجال من أجل الشهرة والكسب المادي دون أن يمتلكوا القدرة الإبداعية والخبرات الضرورية مستسهلين الكتابة للطفل. وأرجو أن تقوم في الوطن العربي حركة نقدية فعالة لأدب الطفل لتحمي أطفالنا من هؤلاء الذين يهدّدون ثقافة الطفل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

”بعض الكتب المترجمة للأطفال تتناقض مع ثوابت ثقافتنا الذاتية!“



ونستطيع أن نقول عمومًا بأن إقبال الأدباء الحقيقيين والمبدعين في الوطن العربي على أدب الأطفال ضعيف، وذلك يعود إلى أمرين:

أولاً: إن الطفل لم يرتقِ في وجداننا العربي ليكون قضية تحفز المبدعين على الكتابة للطفل، ونحن بحاجة إلى إثارة الحماسة والانتماء لقضية الطفولة في نفوس الكتّاب الجادّين والمتمرسين حتى يلتفتوا إلى قطاع الطفولة العريض الذي يشكّل نصف المجتمع العربي ويمنحوه بعضًا من جهودهم وإبداعهم.

ثانيًا: إن الحوافز المادية والمعنوية المقدمة لأديب الأطفال العربي ضعيفة وغير منطقية، فالنظرة إلى أديب الطفل نظرة سطحية لا تقدّر القيمة الإبداعية لأدب الأطفال ودوره في بناء ثقافة الإنسان العربي، كما أن العائد المادي لأديب الطفل لا يشجعه على التفرغ والاستمرار في العطاء. ويجب على المؤسسات الثقافية في الوطن العربي أن تعالج هذا الأمر بجدّيّة، وترصد الجوائز التقديرية والتشجيعية القيّمة لأدباء الأطفال كي تحفزهم ونقّاد الطفل على العطاء المستمر والمتميّز.

ترجمة أدب الطفل

● **ما رأيكم في الترجمة لأدب الأطفال؟**

■ الترجمة مصدر مهم وضروري لثقافة الطفل العربي؛ لأنها ترفد أدب الطفل العربي بالمزيد من الأعمال الأدبية العالمية وتفتح نافذة مهمّة للطفل العربي على الثقافات العالمية؛ حتى يطّلعَ عليها ويتفاعل معها، ويأخذ منها كل مفيد ليثري ثقافته العربية والإسلامية. لكن يجدر أن نتنبه إلى أهمية اختيار الأعمال الأدبية المترجمة وانتقائها بحيث لا تتناقض مع ثوابت ثقافتنا الذاتية، كما يجب أن نختار الأعمال الراقية والهادفة التي تزيد من مستوى أطفالنا الثقافي وترتقي بذوقهم الأدبي وحسّهم الإنساني. ومن المؤسف أن بعض الكتب المترجمة للأطفال لا تنضبط بهذه الشروط وتقدّم لأطفالنا أعمالاً أدبية عليها بعض التحفّظات، وهنا يأتي دور النقاد والمؤسسات الثقافية في استبعاد الإنتاج المترجم الرديء وتشجيع الإنتاج الراقي.

مجلات الأطفال ينقصها الكثير

● **ما الشروط الواجب توافرها في مجلة الأطفال؟**

■ مجلة الأطفال أداة ثقافية مهمة ووسيلة اتصال مؤثرة يجب توفيرها للطفل لتثري ثقافته، ومواصفات مجلة الأطفال الناجحة كثيرة نستطيع أن نوجزها في النقاط التالية:

على المجلة أن تحدّد العمر الذي تتوجه إليه، وأن تقدّم مادّة ثقافية ملائمة لهذا العمر، لغويًا ونفسيًا وفكريًا، وأن توضع هذه المادة الثقافية في إطار أدبي وصحفي مناسب للطفل: كالقصص القصيرة والأحداث المصوّرة وأبواب التسالي والمعلومات والمسابقات... إلخ، ثم يأتي دور الرسوم والإخراج الصحفي والفني ليعطي المجلة مواصفاتها الكاملة ودورها المؤثر.

والملاحظ أن من مشكلات مجلات الأطفال العربية عدم تحديد السن الذي تتوجّه إليه، وبعضها ضعيفة الرسوم، ولا تشد الطفل بإخراجها وأسلوبها، كما يفتقر الوطن العربي إلى كتّاب الأحداث المصوّرة (السيناريو) المرتبة بشكل صحفي للأطفال بشروطها الأدبية والفنية، كذلك، نفتقر إلى مجلات الأطفال الموجّهة لأطفال ما قبل المدرسة ومجلات الفتيان والمراهقين الذين يتميّزون باهتماماتهم ومشكلاتهم الخاصّة.



مواقف من السيرة النبوية

د. عبد العزيز عبد الله الحميدي

كان رسـول الله ﷺ يتوجه في دعـوته إلى أهم الدوافع التي تـدفع أصحاب العقـول السليمة إلى الاستجـابـة لدعـوة التـوحيد. وذلـك بإثارة الاهتمام نحـو مستقبل النـاس بعـد الموت، حيث الحياة الخالـدة في الآخـرة، وذلك في النعيم الخالد لمن أجاب واهتدى، والعذاب المقيم لمن عصى وغوى.

ومع تصـديق الكفار لـه في كل أخباره الـدنيويـة لما توافر عنـه من الأمـانة والصدق فإن أغلبهم ردَّ دعوته، وكاده بعض عشيرته الأقربين.

ومن الأمثلـة التي تبين موقفـه هـذا وموقف قـومـه منه، مـا أخـرجه الإمـام البخاري من حديث ابن عبـاس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد إلى الجبل فنادى: يـا صباحاه. فاجتمعت إليـه قريش فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقـوني؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يـدي عذاب شديد، فقال أبـو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًا لك، فأنزل الله عز وجل ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ إلى آخرها(١).

وكذلك ما أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نـزلت هذه الآيـة ﴿وأنذر عشيرتـك الأقربين﴾ دعـا رسـول الله ﷺ قـريشًـا فاجتمعوا، فعم وخص فقال: يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يابنـي عبد مناف أنقـذوا أنفسكم من النار، يـابني هاشم أنقـذوا أنفسكم من النار، يابني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها(٢).

فهـاتان الـروايتان مع روايـات أخرى تبين لنـا الموقف الصعب الذي كـان يواجهه رسـول الله ﷺ من قومه، وقـد أمره الله تعالى بدعـوة عشيرته الأقربين، وإن في الأمر بالبدء بدعوة الأقـربين حكمًا عظيمة، منها أن بقاء الظلام المحيط بالنور من قرب يحول دون رؤية ذلك النور بـوضوح فكان تبديده عاملا مهمًا في انتشار ذلك النور.

فالبدء بدعوة الأقربين؛ لأنهم محل حكم الناس على الداعية، فإذا لم ينجح مع أقاربه كان لـذلك الأثر في الصد عن دعوته، هذا إضافـة إلى أن الدعوة برٌّ وإحسان وأحق الناس ببر الإنسان أقاربه.

ولقد قدّم النبي ﷺ بمقدمة تلزمهم بـالإذعان لو كانوا متجردين من الهوى والتقليد، وذلـك أنه صور نفسـه نذيـرًا لقومـه، ينذرهم من جيـش قد اقترب منهم: «أرأيتم لو حدثتكم أن العـدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم»، فهـذا يعني أنهم على استعداد لقبول إنذاره فيما يتعلق بـدنياهم، فلما اطمأن إلى ذلك ذكـر لهم ما جمعهم من أجلـه، وهو إنـذارهم مما هـو أجل خطرًا وأعظم عاقبة فقال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، يعني فكما صدقتموني في وقايتكم من مكروه الدنيا فصدقوني في وقايتكم من مكروه الآخرة الذي هو أشد وأبقى.

وفي هـذا دلالـة على أن من أسـاليب الدعـوة التي سلكهـا رسـول الله ﷺ الاستشهاد بـالأمر المعلـوم الذي تمت القناعـة به على الأمر الجديـد الذي يـريد الداعية أن يدعو الناس إليه.

فأهل مكة المكرمـة آنذاك كانوا يصدقون رسول الله ﷺ في كل مـا يقوله من أخبـار الدنيـا، ولذلك لقبـوه بـالأمين، فاغتنم هـذه القنـاعة الثـابتة عنـدهم لدعـوتهم إلى الإيمان بالآخرة. كما أن في هذا دلالـة على أنه مما يجب أن يتـزود به الداعيـة الرصيد الأخـلاقي الكبير الذي يجبر خصومـه على الاعتراف بفضله في هذا المجال ليتوصل بذلك إلى نشر دعوته السامية.

لكن أفراد عشيرته ﷺ هؤلاء صمتوا فلم يجيبوا ولم يستجيبوا لدعوته، بل إن عمه أبا لهب لم يكتفِ بذلك، وإنما رد عليه بهذا الرد القاسي. ومع هذه المعاملة القـاسيـة فإن النبي ﷺ ظل صـامدًا في دعـوتـه غير عـابئ بتحدي قـومـه ولا بصدودهم.

> للكفار أن يدّعوا أن لديهم مناهج إصلاحية دنيوية، ولكن ماذا عن الحياة بعد الموت؟

وإذا تأملنا دعوة النبي ﷺ نجد أنه قد بدأ دعوته هذه بتذكير قومه بالنار، وحثهم على استنقاذ أنفسهم منها، وهذا دليل على أهمية هذا الجانب في الدعوة.

وقد جاءت آيات الدعوة متضمنة التحذير من النار، وأحيانًا تأتي بالجمع بين الإنذار من النار، والتبشير بالجنة.

هذا وإن قيام الدعاة إلى الله تعالى بالتركيز على شرح محاسن الإسلام أمر حسن، ولكن يجب أن يكون المقام الأول في الدعوة الاهتمام بإيقاظ الناس، واجتذابهم عن طريق التبشير والإنذار. وقد بين الله سبحانه أن هذه هي مهمة الرسل عليهم السلام ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين﴾، فمن اهتم بهذا الجانب من الدعوة كان من سالكي منهج الرسل عليهم السلام، وحري به أن يستجاب له إذا خلصت نيته.

من كُتَّاب العدد

○ د. عبد العزيز عبد الله الحميدي

- ولد في مدينة عنيزة عام ١٣٦٣ هـ.
- حصل على الشهادة الثانوية من المعهد العلمي في عنيزة عام ١٣٨٠ هـ، وعلى الشهادة العالية في كلية الشريعة في الرياض عام ١٣٨٤ هـ، كما درّس في المعاهد العلمية عدة سنوات.
- حصل على الماجستير من جامعة أم القرى عام ١٣٩٥ هـ، وكانت الرسالة بعنوان «المنافقون في القرآن الكريم». أما الدكتوراه فقد حصل عليها من الجامعة نفسها عام ١٤٠١ هـ، وكانت الرسالة بعنوان «تفسير ابن عباس من كتب السنة».
- تولى وكالة كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٠٢ هـ، ثم تولى عمادة الكلية في العام نفسه، لمدة ست سنوات.
- في عام ١٤١٠ هـ أسندت إليه عمادة المعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة التابع لرابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع جامعة أم القرى، مع قيامه بالتدريس في كلية الدعوة وأصول الدين، ولا يزال عميدًا للمعهد.

إنه لاشك أن الإسلام يصل بالفرد وبالمجتمع الإنساني إلى أعلى المستويات في جميع المجالات الأخلاقية والتربوية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها مما تقوم عليه الحياة المثالية؛ لأن الإسلام دين الله تعالى، وهو سبحانه أعلم بما يصلح عباده في كل أمور حياتهم، بخلاف جميع المناهج البشرية التي مهما علت، لا يمكن أن توضع في مجال موازنته مع تشريع الله سبحانه خالق البشر.

وإنه من المفيد جدًا في مجال الدعوة أن يقوم الدعاة ببيان عظمة الإسلام في كل هذه المجالات من ناحية أثرها في إصلاح الفرد والمجتمع في هذه الحياة الدنيا، ولكن يجب أن لا يكون هذا هو الأساس الذي تقوم عليه الدعوة بحيث يغفل الدعاة مجال الدعوة بالتبشير بالجنة والتحذير من النار، أو يقصرون في ذلك، ذلك؛ لأنه بإمكان الكفار أن يدعوا بأن لديهم مناهج تقوم بإصلاح الفرد والمجتمع في المجالات المذكورة، وأن يضربوا على ذلك أمثلة واقعية من مجتمعهم المتقدم نسبيًا في هذه المجالات أو بعضها ـ وهم لا يدركون عظمة الإسلام في هذه المجالات إلا بعد التعمق في دراسته وقليلا ما يتم ذلك ـ ولكن لا يستطيعون أن يدّعوا بأن مناهجهم تلك توصل مطبقيها إلى دخول الجنة والنجاة من النار، فتبقى مناهجهم بذلك مناهج دنيوية، ويبقى في شعور كل مفكر عاقل فراغ في التفكير فيما سيؤول إليه بعد الموت، ولن يجد في كل الحضارات المادية والأفكار البشرية إجابة عن سؤاله هذا، وإنما يجده في الدين الإسلامي وحده.

وفي قوله ﷺ «فإني لا أملك لكم من الله شيئًا» دلالة واضحة على أنه لا ينجي الإنسان يوم القيامة إلا إيمانه وعمله الصالح، وإذا كان النبي ﷺ لا ينقذ من النار حتى أقرب أقاربه، فإن ذلك لا يكون لغيره من البشر مهما بلغوا من الولاية والصلاح. وقوله ﷺ «غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها»، يعني إذا كنت لا أستطيع إنقاذكم من النار إلا بدخولكم في الإسلام فإن ذلك لا يمنعني من أن أصلكم في الدنيا لقرابتكم مني. وهذا الاستثناء له أثره الكبير في إبقاء حبل الوصل مع عشيرته؛ لأنهم ـ وهم كفار ـ لا يهتمون بالآخرة، حيث لا يؤمنون بالبعث ولا بالجنة والنار، وإنما يهتمون بالحياة الدنيا. وقد أعلن لهم رسول الله ﷺ أنه لن يتغير شيء في حياته عما كان عليه من صلة رحمه، فلعل بقاء هذا الخيط الذي يعرفونه ويقدرونه يكون سببًا في إيمانهم بما أنكروه من دعوته ولم يقدروه حق قدره.

وإذا كان النبي ﷺ قد أبقى على صلته مع أقاربه وهم كفار، فمن باب أولى لعموم المسلمين وخاصة للدعاة أن يبقوا على صلتهم بأقاربهم المسلمين وإن أنكروا منهم بعض السلوك أو جابهوهم بشيء من النفور والتحدي، من أجل أن تكون هذه الصلة سببًا بعد ذلك في عودتهم إلى الالتزام بالدين واحترام دعاته المخلصين.

الهوامش:

(١) صحيح البخاري رقم ٤٩٧١ (الفتح ٨/ ٧٣٧).

(٢) صحيح مسلم رقم ٤٩٧١.

الألغاز الشعرية

محمد السيد عيد

عرف الأدب العربي الألغاز الشعرية منذ أقدم العصور، لكن الملاحظ أن هذه الألغاز كانت غالبًا، ما توجه من شاعر إلى آخر، فلايلبث هو الآخر أن يجيب عنها شعرًا من نفس البحر والقافية.

نتج عن هذا نوع من المباريات اللغزية حفلت بها كتب الأدب والتاريخ فضلاً عن دواوين الشعراء، وأصبحت تمثل ظاهرة فنية في تاريخنا الشعري.

من المباريات اللغزية التي ترويها كتب الأدب هذه المباراة التي يقال إنها تمت في العصر الجاهلي، بين امرئ القيس وعبيد بن الأبرص، فقد سأل عبيد امرأ القيس:

ـ كيف معرفتك بالأوابد؟

فقال امرؤ القيس: قل ما شئت تجدني كما أحببت.

قال عبيد:

ما حبّة ميتةٌ قامت بميتتها ... دَرْداء ما أنبتَتْ سِنًّا وأضراسا؟

فقال امرؤ القيس:

تلك الشعيرة تُسقَى في سنابلها ... فأخرجتْ بعد طولِ المكثِ أكداسا

فقال عبيد:

ما السود والبيض والأسماء واحدة ... لا يستطيع لهن الناس تمساسا؟

فقال امرؤ القيس:

تلك السحاب إذا الرحمن أرسلها ... روّى بها من محول الأرض أيباسا

وهكذا استمرت المباراة بينهما[1].

ومن المباريات (أو المساجلات) اللغوية التي ترويها كتب الأدب عن أبي عطاء السندي (ت ١٧٠ هـ) الذي كان أعجمياً، وفي لسانه لثغة، مما يضطره لنطق الجيم زاياً، هذه المباراة:

قال حماد الراوية إن مسلماً بن هبيرة سأله ذات يوم:

ـ أتستطيع أن تجعل السندي يقول: زُج (الزُّج: الحديدة في أسفل الرمح)، وجرادة، ومسجد بني شيطان؟

فقال حمّاد: فما تجعل لي على ذلك؟

قال: بغلتي بسرجها ولجامها.

فأخذ حماد ورقة بذلك من مسلم، ثم أرسل لأبي عطاء السندي، فلما جاء قال: مرهبًا بكم، هيَّاكم الله (أي مرحبًا بكم، حياكم الله).

ثم جلس، فعرضوا عليه الطعام فأبى وقال: هل عندكم نبيذ؟

فجاؤوه بالنبيذ، فشرب حتى احمرت عيناه، فقال له حماد: يا أبا عطاء، كيف علمك باللغز؟

فقال أبو عطاء: جيد.

فقال حمّاد:

أبِنْ لي إن سألت أبا عطاء ... يقيناً كيف علمك بالمعاني؟

فقال أبو عطاء:

خبيراً عالماً فاسأل نجدني ... بها طبًّا وآيات المثاني

فقال حمّاد:

فما اسم حديدة في رأس رمح ... دوَيْنَ الكعب ليست بالسِّنان؟

فقال أبو عطاء:

هو الزُّزّ[2] الذي لو بات ضيفا ... لصدرك لم تزل لك لوعتان

فقال حمّاد:

فما صفراء تُدعى أم عوف ... كأن رُجيْلَتَيها منجلان؟

فقال أبو عطاء:

أردت زرادةً[3] وأقول حقًّا ... بأنك ما عدوت سوى لساني

فقال حمّاد:

أتعرف مسجداً لبني تميم ... فُوَيق الميل دون بني أبان؟

فقال أبو عطاء:

بنو سيتان[4] دون بني أبان ... كقرب أبيك من عبد المدانِ

قال حماد: فرأيت عينيه قد ازدادتا حمرة، ورأيت الغضب في وجهه وتخوفته فقلت: يا أبا عطاء، هذا مقام المستجير بك، ولك نصف ما أخذته.

قال أبو عطاء: فاصدقني.

فحكى له حماد القصة كاملة، فترك لـه ما أخـذ، وانفلت يهجو مسلم بن هبيرة[٥].

ولو نظرنا إلى المبـارة الأولى بين امرئ القيس وعبيـد بن الأبرص لـوجدنـاها قائمـة على التحدي، أمـا المباراة الثـانية فتقـوم على حسن الاحتيـال والتسلية، وأظن أن هذين العنصرين (التحدي والتسلية) محور المباريـات الشعرية القائمة على الألغاز.

واللغز في هـاتين المبارتين لا يزيد على بيت واحـد، والإجابة أيضا لا تـزيد على بيت. وبالتالي فـالأمر أشبه بالتراشق السريع، وليـس فيه مجال للتقديم أو التعقيب أو الصناعة.

والألغاز هنا ينتظمها موقف شبه قصصي، لـذلك نجد عدة ألغاز متتالية، وهـذا سيتغير بعـد ذلك كما سنـرى، حيث سيتم التركيـز على لغـز واحـد ذي صفات فنية مختلفة.

(٢)

عرف الشعـر العربي في مصر المملـوكية ظاهـرة طريفـة هي ظاهـرة الشعراء أصحـاب الحرف، وهـم شعـراء من أبنـاء الشعب، لم يعملـوا في الـوظـائف الديوانية، بل نزلوا إلى الحياة العامة كحرفيين، هذا جزار، وذاك كتبي، والثالث وراق. وعلى أيـدي هـؤلاء الشعـراء تمت محاولات جريئـة للتقـريب بين الشعـر الـرسمي والأشكال الشعبيـة للشعـر، فازدهـر الـزجل الـذي يكتب باللهجـة المصرية كما ازدهرت الألغاز التي تعتبر فناً شعبياً في المقام الأول.

ومن الشعـراء أصحـاب الحرف الـذين أسهمـوا بدور بـارز في المباريـات الشعرية بالألغاز: النصير الحمَّامي، والسراج الورّاق.

والحمامي هـو النصير بن أحمد بن علي المنـاوي، كـان يتحـرّف بـاكتراء الحمامات، وقال عنه السيـوطي في «حسن المحاضرة»: «كان حجة في الأدب، ماهـراً في الشعر، له تصانيف عـديدة في فن الآداب المفيدة، وله معـرفة كبيرة، وفضائل كثيرة»[٦]. أما ابن حجر العسقلاني فقد قـال عنه في «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنـة»: «نصير بن أحمد بن علي المناوي المصري الحمامي، ولد سنة ٦٦٩ هـ وتعـاطى نظم الشعرفـاق فيـه مع عـاميتـه، وكـان يـرتـزق بضمان الحمامات»[٧].

وقد كان النصير يكتب الشعـر الفصيح، والزجل، والدوبيت، والموشح.
ومن أشعاره:

أقـــول والكأس قـــد تبـــدّت ... في كـفّ أحــــوى أغَـنَّ أحــــور
خـــــربـت بيتي وبيت غيري ... وأصــــل ذا كعبـــك المدوّر[٨]

ويمكن لمن يود الاطلاع على نماذج من إبداعه أن يرجع إلى فوات الوفيات، الذي كتب عنه أوفى من بقية معاصريه.

أما السراج الـوراق فهو عمر بن محمـد بن حسـن (ت ٦٩٥ هـ)، قـال عنه صاحب الفـوات: «الشاعر المشهـور والأديب المذكور... هذا الـرجل أقل ما يكون ديـوانه... في ثـلاثين مجلدًا... وكان حسن التخيـل، جيد المقـاصد، صحيح المعاني، عـذب التركيب، قاعد التورية والاستخدام، عارف بـالبديع وأنواعه»[٩].

ومن أشعاره:

وكنت حبيبـــاً إلى الغـــانيـــات ... فألبسني الشيبُ بغضَ الـــرقيب
وكنت سراجـــاً بليل الشبـــابِ ... فـأطفأ نـــوري نهار المشيب[١٠]

وحين نقرأ مـا وصل إلينا مـن أشعار النصير الحمامي والسراج الـوراق نجد فيها سمتين وطيدتي الصلة بعالم الألغاز والروح الشعبية، هما:

- خفة الظل
- التورية

لذا لم يكن غـريبا أن يبرعا في صيـاغة الألغـاز، وأن يتبادلا توجيـه الألغاز وحلها.

ومن هذه الألغاز:

كتب النصير إلى السراج لغزاً في حرف النون، يقول:

مـــا اسم ثـــلاثي يـــرى واحـــداً ... وقـــد يعـــد اثنين مكتـــوبـــه
يظهــــر لي من بعضـــه كلّـــه ... إذْ كلّ حـــرفٍ منـــه مقلـــوبـــه
أضعـف ثمانين إلى ستـــــــةٍ ... إن شئت لا يعـــددك محســـوبـــه
أطلبـــه في البرِّ وفي البحـــــر لا ... فـــات حجـــا مـــولاي مطلـــوبـــه

فكتب إليه الوراق الجواب:

يـــا ســـالب الألبـــاب من سحـــره ... بمعجــــزٍ أعجـــز أسلـــوبُـــهُ
ألغـــزت في اسم وهـــو حـــرفٌ وقـــد ... يخفى علينـــا منك محجـــوبـــه
وهـــو اسم أنثى مـــرضعٌ طفلهـــا ... غير لبـــان النـــاس مشروبـــه
مطّـــــرد منعكس شكلـــــه ... سيـــان في العين ومقلـــوبـــه

ولعلنا إذا قارنا هذا اللغز ورده بالألغاز السابقة لتبينا الاختلافات الآتية:

- أصبح اللغز أطول، ومن ثمّ أفسح المجـال لبعض المجاملات، فالسائل مثـلا يدعـو لصـاحبه بألا يفـوت عقله إدراك المطلـوب (لافـات حجا مـولاي مطلوبه) والمجيب أيضاً يستفتح إجابته بإطراء السائل:

يـــا ســـالب الألبـــاب من سحـــره ... بمعجـــز أعجـــز أسلـــوبـــه

ولا شك أن هذه المجاملات لم يكن لها مجال في المباريات السابقة.

- اللغـز والإجابـة هنا لم يكن المقصـود بهما التحدي، ولم يكن الشـاعران في مـوقف تعجيـز أحـدهما لـلآخـر، وبـالتـالي فلم يكن ثمـة داع لتكثيف اللغز والإجابة.

- الإطـالة سمحت بتعديد صفـات الشيء الذي يدور حـوله، بينما اكتفى الشاعر في المباريات السابقة بأقل عدد من الصفات.

- الإجابة لم تكن مباشرة، بل دارت هي الأخرى حول موضوع السؤال.

وتتوالى الألغاز والإجابات.

كتب النصير إلى السراج ملغزاً في النار:

ومـــا اسمٌ ثـــلاثي لـــه النفع والضّررْ ... لـــه طلعـــة تغني عن الشمس والقمـرْ
وليس لـــه وجـــهٌ وليس لـــه قفـــا ... وليس لـــه سمعٌ وليس لـــه بَصَر
يمـــد لسانـــاً تخشى الـــريح بأســـه ... ويسخر يـــوم الضرب بالصارم الـــذكر
يمـــوت إذا مـــا قمت تسقيـــه قـــاصـــداً ... وأعجب من ذا أن ذاك مـــن الشجـــر
أيـــا ســـامع الأبيـــات دونـــك شرحهـــا ... وإلا فنم عنهـــا ونبّـــه لها عُمَـــر

فكتب إليه الوراق الجواب:

الألغاز الشعرية

أراك نصير الدين ألغزت في التي	تعيد لمسك الليل كافورة السَّحَرْ
رأى معشر أن يعشقوها ديانةً	وتالله لا تبقي عليهم ولا تذر
وكل على قلبٍ لهم ران اسمها	فمسكنهم منها ومأواهم سَقَر
وقد وصفوا الحسناء في بهجة بها	كما وصفوا الحسناء بالشمس والقمر
ولو لم تكن ما طاب خبز لآكل	ولا لذّ ماء في حماك لمن عَبَرْ

ومرة أخرى كتب النصير إلى الوراق في ديك:

أيا من لديه غامض الشعر يكشفُ	ومنْ بَدْرُهُ بادى السّنا ليس يكسفُ
عساك هُدى لي إنني اليوم ذاهلٌ	عن الرشدِ فيها قد أرى متوقف
أرى اسما له في الخافقين ترفّعٌ	أخا يقْظَةٍ ذكراً ولا يتعفّف
رأيت به الأشياء تبدو وضدها	فكاد لهذا الأمر لا بتكيّف
فعرّفه ذو السمع وهو منكّرٌ	ونكّرُه ذو اللبّ وهو معرّف
فجاوبْ لأحظى بالجواب فإنه	إذا جاوب المولى العبيد يشرّف

فكتب إليه الوراق الجواب يقول

إليك نصير الدين مني إجابة	بها أوضح المعنى الخفّي وأكشفُ
رأيتك قد ألغزت لي في متوّج	بتذكاره أسماعنا تتشنّف
ينبّه قوماً للصلاة ومعشراً	عبادتهم آس وكأس وقرقف[١١]
له كرمٌ قد سار عنه وغيره	وعرفٌ به من غيره ظلّ يعرف
حظيٌ تراه وادعاً في ضرائرٍ	يزينه تاجٌ وبُردٌ مفوّف[١٢]
وفي قلبه كيدٌ ولكنّ صدره	غدا ضيقاً مثلي بذلك يوصف

ومرة ثالثة كتب إليه ملغزاً في نعامة:

ومفردٍ جميعاً يُرى	بحذف بعض الأحرف[١٣]
اسمٌ «نعا» أكثره	فقال باقيه أكفف
تراه يغدو مسرعاً	في بُردِهِ المفوّف

فأجابه الوراق:

لو قلت في من قد نعى	مات لصدقتك في
فكل باغ كالذي	تبغي رهين التلف
ألغزت في اسم طائرٍ	في الأرض عنا ما خفي
يفحص فافحصْ عنه يا	ربّ الفنون تعرف
وهو لعمري في السما	يُقتَفى ويقتفي

ومن الألغاز التي كانت بينهما أيضًا هذا اللغز الذي وجهه النصير إلى الوراق في الكنافة:

يا واحداً في عصره بمصره	ومن له حسنُ السّناء والسّنا
تعرفُ لي اسماً فيه ذوق وذكا[١٤]	حلو المحيا والجنان والجنى
والحلّ والعقد له في دستِهِ[١٥]	ومجلس الصدر وفي الصدر المنى
إن قيل يوماً هل لذاك كُنيةٌ	فقل لهم لم يخل يوماً من «كُنا»

فكتب الوراق مجيباً:

لبيك يا نعم النصير والذي	أذْنَتْ به المُنيةُ لي كلّ المنى
عرّفتني الاسم الذي عرفته	وكاد يخفى سرُّه لولا «الكُنا»
له من الحور الحسانِ طلعةٌ	تقابل المرآة منها الأحسنا
وخدنهُ بعض اسمه طيراً غدا[١٦]	أصدق شيء إن بلوت الألسنا
وهو لسانٌ كله وبعد ذا	تنظره عند الكلام ألْكَنا[١٧]
وفي خوان المجد كانا مألفي	عند الصيام ربّ فاجمع بيننا[١٨]

ولو نظرنا إلى هذه الألغاز من الناحية الفنية لوجدنا أن السائل يهتم في لغزه بالآتي:

١ ـ التركيز على الجانب اللغوي:

فاللغز الأول مثلا يدور حول حرف من حروف اللغة، وهو «النون»، والصياغة تعطي اهتمامها الأكبر عند تقديمه بسمات لغوية، مثل «يظهر لي من بعضه كله» لأننا لو شئنا أن نكتب «نون» لكررنا الحرف مرتين، ومثل «إذ كل حرفٍ منه مقلوبه» ذلك لأننا لو قرأنا كلمة «نون» من اليمين إلى الشمال، أو من الشمال إلى اليمين لكان النطق واحدًا.

وفي الألغاز الخاصة بالنعامة والكنافة فإنه يذكر أن الجمع من النعامة يكون بحذف بعض الحروف (نعام) وأن الكنافة لا تخلو من الكُنا.

٢ ـ الاهتمام بعنصر الإثارة:

ولعل المصدر الأول للإثارة هو الاهتمام بإبراز التناقض والتضاد بين الصفات التي ينصف بها الشيء الذي يدور حوله اللغز، مثل قوله عن النار إن لها طلعة تغني عن الشمس والقمر، والطلعة كما نعرف هي الوجه، ثم قوله بعد ذلك مباشرة «وليس له وجه».

وفي الأبيات نفسها أيضاً نجد أن وصف النار بأن طلعتها تغني عن الشمس والقمر تفيد الجمال بينما الصفات التالية مباشرة تناقض ذلك:

وليس له وجه وليس له قفا	وليس له سمع وليس له بصر

ويتوالى الأمر.

الموصوف في البيت الثالث من اللغز نفسه ينفجر قوة، وتخشى الريح بأسه، ويسخر في الحروب بالسيف، لكنه في البيت الرابع يموت إذا سقيته مما يدل على ضعفه. وفي البيت الرابع تضاد آخر بين شطري البيت، فالموصوف الذي يموت إذا سقيته من الشجر الذي لا يحيا دون سقيا.

إن الشاعر هنا يعتمد على التضاد في التعمية وتحقيق الإثارة في الوقت نفسه.

٣ ـ إضفاء الإنسانية على موضوع اللغز:

وهذه السمة ترتبط بالسمة السابقة الخاصة بالإثارة، ويمكننا أن نلمس

هذا في وصفه للديك بأنه ذكر ولا يتعفف، ووصفه للكنافة بأن لها الحل والعقد في مجلسها، ولها صدارة المجلس، ولها كُنية.

٤ ـ الاهتمام المحدود بالمحسنات البديعية:

وأول المحسنات التي تلفت النظر: التضاد أو ما يسميه البلاغيون وأصحاب البديع الطباق، مثل: بعضه وكله، البر والبحر، النفع والضر، الشمس والقمر، وجه وقفا، المفرد والجمع، عرّفه ونكّره.

ومن هذه المحسنات: التورية. فعند الحديث عن الديك يستخدم كلمة «معرّف» بمعنى أنه ذو عرف، وبمعنى التعريف اللغوي، وعند حديثه عن الكنافة يتحدث عن «الكُنا» باعتبارها مقطعًا من كلمة «الكنافة» وباعتبارها جمع كنية.

وأقل من هذا السجع والجناس.

ولعل هذا الاهتمام بالمحسنات يعكس الرأي السائد عن الألغاز الشعرية بأنها تعتمد على الصنعة اعتماداً كبيراً، وتعاني من التكلّف.

٥ ـ الاهتمام المتفاوت بالصور البيانية:

والسبب في هذا هو إضفاء الصفات البشرية على بعض موضوعات الألغاز للتعمية والإثارة، فإن مثل هذه الحيلة لا تتم إلا باستعارة صفات الإنسان وإضفائها على هذه الموضوعات، ولذلك نرى للنار طلعة، ولسانا، كما نراها تموت.

لكن حين تخفت الصلة بين الموضوعات الموصوفة والإنسان تتوارى الصور، وتصبح شبه مباشرة، كما هو الحال في لغز النعامة، الذي نرى الأشطار الثلاثة الأولى منه خالية من أية صورة، ثم لا تظهر الصورة إلا في الشطر الرابع منه «قال باقيه اكفف» ثم تظهر مرة أخرى وأخيرة في الشطر السادس حين يشبه ريش النعام بأنه «بُردٌ مفوّف».

وتتكرر هذه السمات نفسها عند الوراق في إجاباته، لكن الصور البيانية عنده أكثر.

ولابد من الإشارة إلى أن تراث هذين الشاعرين من المباريات الشعرية القائمة على الألغاز متفرق بين كتب الأدب والتراجم والتاريخ، وليس من اليسير الحصول عليه لعدم طبع ديوانيهما. وإذا كان ابن شاكر الكتبي قد أورد النماذج الماضية من مباريات النصير الحمامي والسراج الورّاق، فإن ابن حجر في الدرر الكامنة لم يأت إلا بنموذج واحد فقط لهما، حيث قال عند الحديث عن النصير:

«كانت بينه وبين السراج الوراق وابن النقيب وابن دانيال وغيرهم من المصريين مداعبات ومكاتبات يطول ذكرها، ومنها ما كتب إلى الورّاق:

رُبّ راوٍ عن النبي حديثا	مسنداً ثابتاً كلاماً فصيحا
قال قال النبي قولاً صحيحا	قلت قال النبي قولا صحيحا
ففهمت الذي أشار إليه	وسمعت الذي رواه صريحا
قال لي يا أديب أنت فقيه	قلت: لا. قال: حزت ذهنا مليحا

فأجابه الوراق:

إن فعلاً جعلته أنت قولا	ليس فيه يحتاج منك وضوحا
فابن منه مضارعاً يظهر الخا	في ويبدو الذي كتبت صريحا
وتراه يبدو لعينك مقبلا	وقد قلت فيه قولاً صحيحا
وهو فعل لم تأته أنت يا شيطان فافهم مقالتي تلويحا[١٩]	

إن الألغاز نوع من الرياضة العقلية، وفن من فنون الأدب جدير بالاهتمام، ويحتاج لجهود عديدة لجمعه وتصنيفه ودراسته.

(٣)

ومن شعراء المباريات ناصر الدين ابن النقيب.

قال عنه السيوطي في حسن المحاضر: «ابن النقيب محمد بن الحسن بن شاور الكناني ناصر الدين. من مشاهير الشعراء، مات في ربيع الأول سنة سبع وثمانين وستمائة عن سبع وثمانين سنة»[٢٠].

لكن ابن شاكر وابن تغري بردي يذكرانه باسم الحسن بن شاور فقط دون محمد، ويلقبانه بابن الفُقيسي، أو الفقيسي فقط.

يقول عنه ابن شاكر:

«شعره جيد عذب منسجم فيه التورية الرائقة اللائقة المتمكنة، وهو أحد فرسان تلك الحلبة»[٢١].

ويذكر أن له كتاباً سماه «منازل الأحباب ومنازه الألباب» ذكر فيه المجاراة التي دارت بين أدباء عصره وبينه، وهو في مجلدين، وله ديوان مقاطيع في مجلدين[٢٢].

ويقول عنه ابن إياس:

«كان من فحول الشعراء»[٢٣].

ومن أشعاره:

أنا العذري فاعذرني وسامح	وجُرّ عليّ بالإحسان ذيلا
ولما صرت كالمجنون عشقاً	كتمت زيارتي وأتيت ليلاً

ومنها:

وخودٍ دعتني إلى وصلها	وعصرُ الشبيبة عني ذَهَبْ
فقلت: مشيبي ما ينطلي؟	فقالت: بل ينطلي بالذهب[٢٤]

ومن ألغازه ما أرسله إلى عفيف الدين علي بن عدلان[٢٥] في السيف:

يا عفيف الدين يا من	دقّ في الفهم وجلاّ
يا أخا الفضل الذي فيـ	ـه لنا القِدْحُ المُعَلّى
أي شيء طعمه مُـ	ـرّ وإن كان مُحَلّى
وهو شيخٌ لايصلّي	ولكم بالضرب صلّى
ما لـه عقل وكم منـ	ـه استفاد الناس عقلا
جفنه من غير سهدِ	ما يذوق النوم أصلا
وهو ما يحسن قولاً	ولقد يحسن فعلا
وهو إن تعكسه قِيْـ	ـسٌ فصحّفه وإلاّ
وهو مطبوعٌ نحيفٌ	عندما يلقاك سلا
ولكم بدد جمعا	ولكم شتت شملا
ولكم قد سبق العذ	لَ وكم قطّع وصلا

الألغاز الشعرية

فـأبـن عنــــــه بـأجلى	منـــــــــه في اللفـظ وأحلى
وابـق في إيــوان عــزٍ	وبنــــــاءٍ ليـس يبلى

فكتب إليه عفيف الدين:

نـاصرَ الـدين الـذي فـا	ق جميع النـاس فضـــلا
والـــذي وافق في الاســـ	ــم الـذي وافق فعـــلا
والـــذي أشعــاره أشـــ	ــهى مـــن الحلي وأحلى
هـــو حلـــو في فـم النـا	س وفــي العينيـــن يُجْـلى
إن تسلنـــي عـــن رقيـــق	لــــك يجلى حين يحلى
هــــو أنثى في زمـــان	ويـــرى في ذاك فحـــلا
يشرب الماء ولا يـــأ	كـل إلا اللحـم أكـــلا
والنـدى يـؤذيـه والنـا	رُ لــــه إلـفٌ فيصْلى
وهـــو يُعمي العينَ لاشـــ	كَ متى مــا كــان كحـــلا
مُحرمٌ في كـــل وقـــتٍ	مــا رآه النــاس حــلاً
أعجمــــيٌ وفصيــــحٌ	جَمَع الــوصفين كـــلا
وهــــو كـــالمرآة يبـــدي	مثل رأي الشكـل شكـــلا
ولموعٌ بـــرقُـــهُ الخلّـــ	ـبُ لا يمطـــر وبــلا
وعليــه أبـــدَ الـدّهـــ	ـر ذبــابٌ مـــا تــولّى
وهـــو مثلُ النـاس في النشـ	ـأة مـذ قـد كـا ن طفـلا
ويـــرى شرخــاً وشيخـــاً	بعـدمـــا قـد كـان كهـلا
سبـــق التصحيـــف ذا الشي	ء وشنّـف الأذن حـــلا
قلت لما جـــاءني: أهـــ	ــلا بـــذا اللغـــز وسهـــلا

لغـز كـالشمس قـد دقـــ	ــتْ معـانيــه وَجَــلاّ[٢٦]

إن اللغز هنا أصبح قصيدة كاملة ذات ثلاثة عشر بيتا، أما الرد فقد بلغ تسعة عشر بيتاً، ولو حللنا اللغز لوجدنا أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- مدخل عدد أبياته بيتان.
- متن اللغز عدد أبياته تسعة أبيات.
- خاتمة عدد أبياتها بيتان.

ومعنى هذا أن التقديم والخاتمة يشغلان نحو ثلث القصيدة تقريباً.

ولو نظرنا إلى متن اللغز من الناحية الفنية لما اختلف كثيراً في سماته عما سبق من حيث اهتمامه بالتناقض والتضاد، فهو مر ومحلى، وهو لا عقل له ورغم هذا يستفيد الناس منه العقل وجفنه لا يسهد رغم عدم نومه.

إن هذا التضاد بلا جدال يدفع للإثارة.

ولا نكاد نجد سوى تورية واحدة في كلمة صلّى، التي يوحي ظاهرها بالصلاة بينما هي تشير أيضًا إلى التثنية في الضرب؛ لأن من معاني «صلّى» مجيء الفرس ثانياً لمن سبق، فالأول هو المجلّي والثاني هو المصلّي.

أما الصور البيانية هنا فهي غزيرة، ولا تقتصر على الجزء الخاص بالسيف فقط، بل نراها أيضاً في الأبيات الخمسة التي تقدم للغز وتختمه.

وفي الحل يشغل التقديم أربعة أبيات والتعقيب أو الخاتمة ثلاثة أبيات، وهي تفيض في مدح صاحب اللغز والثناء عليه، مما يوضح أن اللغز كانت له قيمة اجتماعية في توثيق العلاقة بين الشاعرين المتباريين، وليس مجرد مباراة بينهما وحسب. كما يؤكد أن مفكري هذا العصر كانوا يتسمون بسعة الصدر، ولايرون في الألغاز تحدياً يحاول تأكيدعدم قدرتهم، وإنما يرون أنها رياضة عقلية، يدل توجيهها إلى شخص بعينه على التقدير والاحترام.

مما سبق نرى أن مباريات الألغاز كانت جزءًا دائمًا من تاريخ الشعر العربي في العصور السابقة، وأن العربي اهتم بها منذ جاهليته، لذا فإنها تحتاج جهدًا في البحث عنها واستخراجها من بطون كتب الأدب والتراجم والتاريخ ودواوين الشعراء، ليكون ذلك تمهيدًا لتصنيفها ودراستها بشكل أوفى باعتبارها فناً من فنونالعربية.

الهوامش

١ ـ أحمد أمين: فجر الإسلام، القاهرة، ١٩٨٧ (ط ١٤) ص ٦٥.

٢ ـ الرز: الزج

٣ ـ زرادة: جرادة

٤ ـ سبتان: شيطان

٥ ـ محمد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات تحقيق د. إحسان عباس. بيروت، ١٩٧٣، جـ ١، ص٢٠٣ـ٢٠٤.

٦ ـ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) القاهرة، ١٩٦٧م، جـ ١ ص٥٦٩.

٧ ـ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق د. سالم الكرنكوي. ط. الهند (نسخة مصورة ببيروت) دون تاريخ، المجلد ٤، ص ٣٩٣.

٨ ـ فوات الوفيات، ص٢٠٦.

٩ ـ المرجع السابق، جـ٣، ص ١٤٠.

١٠ ـ المرجع السابق جـ٣، ص ١٤٠.

١١ ـ قرقف: ارتعد من البرد.

١٢ ـ برد مفوف: رقيق موشى.

١٣ يعني أننا لو حذفنا حرف الهاء من كلمة نعامه أصبحت جمعاً (نعام).

١٤ ـ ذكا الشيء: اشتدت حرارته.

١٥ ـ الدست: صدر المجلس.

١٦ ـ الخدن: الصديق، والمقصود به هنا: القطائف، وبعض الاسم الذي يشير إلى طير هو الحروف الثلاثة الأولى «قطا»فالقطا نوع من اليمام يؤثر العيش في الصحراء.

١٧ ـ الكن أي ذو لُكْنة وهو من لا يفصح في الكلام.

١٨ ـ هذه الألغاز وردودها من فوات الوفيات، ج ٢، ص ٢١٠ـ ٢١٤.

١٩ ـ الدرر الكامنة، جـ ٤ ص ٣٩٤.

٢٠ ـ حسن المحاضرة، جـ١ ص ٥٦٩.

٢١ ـ ٢٢ـ فوات الوفيات، جـ١، ص ٣٢٤.

٢٣ ـ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى. القاهرة ١٩٨٢م، جـ١، مجلد ١، ص ٣٥٧.

٢٤ ـ ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، ١٩٨٨م جـ٥، ص ٨٢، ٨٣.

٢٥ ـ علي بن عدلان، موصلي الأصل، ولد ٥٨٣ وتوفي ٦٦٦ وله كتاب «عقلة المجتاز في حل الألغاز».

٢٦ ـ فوات الوفيات، جـ٣، ص ٤٥ ـ ٤٦.

قصة قصيرة:

السّوط

عبد الكريم محمد النملة

لم تكن هذه الليلة تتسع لاحتواء شيء من سعادتها، حاولت باجتهاد إسداء شيء من نشوتها وبهجتها لبعض الحاضرين الذين أتوا يشاركونها فرحتها.

إحساسها بالآخرين بدا ملحوظًا هذه الليلة؛ بعض الوجوه التي تراها لأول مرة أحست هذه الليلة أنها عميقة المعرفة بها.

لَكَمْ حلمت بهذه الليلة، ونسجت لها من خيوط الأمل ما جعلها تتكامل يومًا بعد يوم حتى نضجت، وأصبحت أمنية غالية تملأ عليها لحظات حياتها، وتهوّن عليها ما يكتنف حياتها من مصاعب الأيام.

وها هي كالجوهرة الثمينة، فرحة منتشية بهذه الليلة، وفي غمار نشوتها وعمق سعادتها، رنت في أذنها كلمات أمها المخيفة:

ـ تذكري أنك ستتزوجين رجلاً نصفه ليس معك، عليك فعل المستحيل في سبيل الحفاظ عليه.

لماذا هذا التشاؤم؟ لست أول أنثى تقترن برجل متزوج، الأمر عادي لكن الشك يكاد يرهقني.

لم ينته الحفل إلا عندما أزاح ضوء الفجر أنوار الزينة. عندها غادر كل مدعو مكان الحفل مرهقًا من طول السهر. لكن الإرهاق والسهر طمسهما شوقهما لبعضهما.

مضت أيام حياتها الأولى سريعًا، وكانت السعادة تخيم على دارهما. كانت سعيدة جدًا بهذا الزوج الذي لم يشعرها قط أن هناك من تشاركها إياه.

لكن سعادتها لم تدم طويلاً، فمع مرور الوقت بدأت تشعر بأن شوق زوجها أخذ يتناقص شيئًا فشيئًا حتى أبدى برودًا ظاهرًا في معاملتها.

وقفت مع نفسها طويلاً، راجعت مسار حياتها منذ البداية، انهمكت في التفكير علها تجد سببًا لهذا الفتور الذي انقض على حياتها، لم تجد سببًا يذكر، كانت أكثر من زوجة لإدراكها وضع زوجها.

كان يلوذ بالصمت كلما سألته عن أسباب انقطاعه وغيابه المستمر عنها.

طلبت منه السفر إلى أهلها لزيارتهم، لعل بُعدها عنه يمكنه من مراجعة نفسه.

بدا مرحِّبًا بفكرة الزيارة على غير عادته، أوصلها إلى بيت أهلها وقبل أن يهم بالعودة، نظرت إليه محاولة استجلاب ابتسامة من بين شفتيه ربما تطمئنها، ولكنه لم يبدِ أيَّ تفاؤل.

طالت أيام الزيارة عليها، والزوج الغائب لم يتصل بها أو حتى يطمئن عليها.

كانت الحيرة تأخذها كل مأخذ:

ـ ماذا عساه يظن إن حاولت السؤال عنه؟

هكذا تمتمت مع نفسها، لكنها أخيرًا وصلت إلى قرار أكيد.

هرعت إلى الهاتف وأخذت تدير قرصه بحماسة مشوبة بقلق، وما أن انتهت من عملية الاتصال حتى سمعت صوته. حاولت بهدوء مصطنع السؤال عنه وعن أسباب غيابه، لكن تلعثمه كان حائلاً بينها وبين الاطمئنان على نفسها ومستقبلها.

لم تمض مدة طويلة بعد اتصالها به حتى أتاها من يخبرها بعزم زوجها على الانفصال عنها.

ـ هكذا ومن دون أسباب انهار بناء حياتي الجديد؟

لم يكن الانفصال يزعجها بقدر غموض سبب الانفصال. كان الغضب والحزن يشتركان في السيطرة على أعصابها الرقيقة؛ عندما علمت أنه حينما تزوجها لم يكن بحاجة إليها، بل كان بحاجة إلى تأديب زوجته التي يحبها ويزعجه منها بعض تصرفاتها المشينة.

ـ لماذا أيها الزوج العزيز الذي أهديته حب نفسي ومشاعري، ولم أكن أعلم بأني لست إلا سوطًا بين يديه؟!

الشعاراتُ البرّاقةُ



د. محمد بن سعد الشويعر

يحرص أعداء الإسلام على إظهار شعارات مختلفة، تتجدد في كل عصر بمسميات متباينة، بدعوى الترابط مع الإسلام، وجذب فئة من أهله بحسن نية أو جهل، إلى دعوات الأعداء للشعارات والمسميات والجمعيات، ذات الأهداف البعيدة. فقد لمسنا في قرننا الحاضر، بل في السنوات الأخيرة دعوات جديدة ترمي للتقارب مع المسلمين، ويحاول دعاتها جذب فئة من الشباب الإسلامي إلى الانصياع والتعاطف مع الزعامة اليهودية، أو الزعامة النصرانية، في الولاء والعقيدة، فأصحاب الديانات المناوئة للإسلام يهتمون بالدعوة إلى تجميع الديانات الأخرى من وثنية وإلحادية وغيرهما مع الإسلام، تحت مظلة هؤلاء تارة، وقيادة أولئك تارة أخرى، لإشعار الأمم الأخرى بأن الإسلام منضو تحت تبعية هذه الزعامة التي يتحمس لها قادتها من يهود ونصارى.

وهدفهم من هذا أن يقولوا بلسان الحال أو منطق المقال، بأنهم على حق وغيرهم على باطل، ويعنون بغيرهم الإسلام وأهله، وإذا حصلت القناعة بأنهم على باطل، فإن أهله دعاة لهذا الباطل حسب مفهومهم أو ما يريدون إقناع العالم به.

والشباب هم الجهة المخاطبة بما يطلق من شعارات، أو يقصد من أهداف؛ لأن بقناعتهم يمكن بث الفكرة وترويجها، بل إدخالها للمجتمع الإسلامي نفسه، وتبني ما تنطوي عليه.

ويبرز هذا الاتجاه في مؤتمرات وندوات دعي إليها كثير من المسلمين، ووجهت إعلاميًا لجذب المسلمين على الخصوص، واستقطاب اتجاهات الشباب بالذات، باسم التسامح والتقارب، والقضاء على المشكلات العالمية، موهمين من يتخاطبون معهم بأن المشكلات سطحية يمكن السيطرة عليها، والتغلب على مسبباتها، متناسين أن الخلاف بين هذه الطوائف والإسلام خلاف عقدي، لا ينهيه إلا إدراك مفهوم شرع الله والعمل بموجبه، وفي مقدمة ذلك إخلاص الوحدانية لله، بإدراك ما تنطوي عليه كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، من عمق الدلالة، وسلامة المقصد، ونبل الاتجاه، وصدق التوجه، ومن ثم جعل الحوار للتقارب ضمن مفهومها، وعمق معناها، وأن ما أحدثوه من شعارات لا تحقق شيئًا؛ لأنها بعيدة عن الالتقاء مع مفهوم كلمة الإخلاص لله: لفظا ومعنى، حيث برز ذلك البعد في نداءاتهم إلى:

١ ـ المؤمنون متحدون: وهي جماعة عالمية للمؤمنين بالله، يتزعمها البابا. وقد تأسست في شهر مارس من عام ١٩٨٧ م بهدف جمع الديانات بما فيها الإسلام تحت مظلة البابا وزعامته.

٢ ـ اللقاء الإبراهيمي: وقد دعا إليه قبل الجارودي يهود فرنسا وأوربا بتجميع الأديان في الديانة الإبراهيمية ـ نسبة لإبراهيم الخليل عليه السلام ـ الذي يرى اليهود أنه جدهم وحدهم، وليقولوا للناس إننا الأصل وعليكم أن تتبعونا، وقد عقد في فبراير من عام ١٩٨٧ م في قرطبة بإسبانيا.

٣ ـ صلاة البابا المشتركة التي أقيمت في قرية أسيس في ٢٧/ ١٠/ ١٩٨٦م، التي اخترعوا فيها صلاة ونشيدًا ليكونا مشتركين بين جميع الأديان، وفي حقيقة أمرهما أنهما على طريقة القدّاس، وبعقيدة النصاري، ومقصدهم من ذلك تحويل العالم للنصرانية بما فيهم المسلمون.

٤ ـ نادي الشباب المتدين: وقد أقيم صيف عام ١٩٨٧ م، وهو من نوادي الماسونية شبيه بالروتاري.

٥ ـ جمعية «الناس متحدون»: أقيمت في شهر أبريل ١٩٨٧ م، وهي تالية لتأسيس الجماعة العالمية للمؤمنين بالله، المذكورة سابقا، وقد أنشئت قبلها بشهر واحد، لتقطع الطريق على جماعة الموحدين الذين بدأ صوتهم يرتفع في أمريكا، حيث تقارب بعضهم مع المسلمين هناك؛ لأنهم لا يؤمنون بعقيدة التثليث.

وغير هذا من المسميات التي يقصد بها عدم تنفير شباب المسلمين في صحوتهم الجديدة. حسبما يرى من تواريخ هذه الجمعيات التي زامنت رغبة الشباب في العالم بأسره لمعرفة دين الإسلام، والتعمق فيه، ودخول مجموعات كبيرة من شباب الغرب فيه عن اقتناع ودراية، ودفاع بعض المفكرين في ديار الغرب عن وجهات نظر إسلامية ارتاحوا إليها، فإذا ضمنوا مشاركة شباب وعلماء مسلمين في أمثال هذه اللقاءات التي يديرها ويوجهها مفكرون ورجال عقيدة راسخة من اليهود والنصارى، كان هذا أكبر دليل على أحقية باطلهم الذي يدعون إليه، وأشعروا الآخرين بأسلوب عملي بعدم العمق في الإسلام وتعاليمه لعدم الفائدة، لأنه لا خلاف بين هؤلاء وتعاليم الإسلام وتشريعاته، ثم يخلصون إلى أن البابا هو القادر على توجيه هذا اللقاء، وهو المهيأ له؛ لأنه حامل رسالة السلام للبشرية جميعًا كما يقولون في ابتهالاتهم. وهذا من أولى الخطوات لهدم جدار العقيدة التي يتحصن بها الشباب في ديار الإسلام.

ولعله يتاح لنا بعد استكمال التيارات المعاصرة التي تواجه الشباب، الحديث عن هذه الجمعيات المذكورة وما وراءها من تخطيط بعيد في قلب موازين الفكر السليم لدى شباب المسلمين.



رينيه جينو
فيلسوف ملك الإسلام فؤاده

في الخامس عشر من شهر نوفمبر ١٨٨٦ م (صفر ١٣٠٤ هـ) وُلد الفيلسوف الفرنسي رينيه جينو، في بيت نصراني، وتلقى تعليمه حتى نهاية المرحلة الثانوية أو البكالوريا كما كانت تسمى آنذاك في بلدة تدعى «بلوا».

اتجه جينو عام ١٩٠٤ م إلى باريس عاصمة فرنسا السياسية والثقافية ليدرس في جامعتها وينهل من مناهل العلم والمعرفة فيها.

في باريس تعرّف الشاب رجلا يدعى شمبرينو، كان قد أسلم وتسمى باسم «عبد الحق»، يصدر مجلة «الطريق» التي كانت تنحى منحى صوفيًا، ورغم أن أفكار عبد الحق الإسلامية لم يكن الكثير منها صحيحًا، لتأثره بالصوفية وبالعديد من الأفكار البوذية والهندوسية، إلا أنه أسهم في تعريف رينيه جينو بالإسلام، وكان قد سمع به من قبل دون أن يعرف شيئًا عنه، وشارك الشاب صديقه في تحرير مجلته.

تأسيس مجلة «المعرفة»

حين توقفت مجلة «**الطريق**» عام ١٩٠٧ م عن الصدور، قرر جينو تأسيس مجلة، وصدرت المجلة الجديدة عام ١٩٠٩ م تحت اسم «**المعرفة**»، شاركه في تحريرها على مدى سنوات صدورها الثلاث صديقه عبد الحق، إلى أن توقفت عام ١٩١٢ م. أسهمت «**المعرفة**» في تعريف جينو بمستشرق يدعى إيفان جوستاف، كان قد سبق أن أعلن إسلامه وتسمى باسم «عبدالهادي»، يشرف على تحرير مجلة عربية إيطالية تدعى «النادي» أصدرتها إيطاليا حين طمعت في احتلال ليبيا.

التقى جينو وعبد الهادي عام ١٩١٠ م، أثناء جولة قام بها الأخير في أوروبا بهدف إقامة صلة روحية بين الشرق والغرب، وقام عبد الهادي بتعريف جينو على شيخه عبد الرحمن عليش.

هكذا كانت إرادة الله أن تكون لقاءات جينو بهؤلاء الأشخاص مقدّمة لاعتناقه الدين الإسلامي عن قناعة، بعد أن لمس نواحي العظمة والصدق في هذا الدين القيم من خلال مراسلاته مع الشيخ عليش، التي استمرت عامين، أعلن جينو - بعدها - في عام ١٩١٢ م دخوله في دين الله، وتسمى باسم «عبد الواحد يحيى».

الحرب العالمية وآثارها على فكره

كان لاشتعال الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م أثره في فكر عبد الواحد يحيى، إذ رأى الحرب تأكل الأخضر واليابس، ومدافع الطرفين تدك رموز الحضارة، وتقتل البشر دون تفرقة بين طفل وشيخ وشاب وامرأة، أو جنس ولون وعرق؛ حرب ضروس لا معنى لها، ولا هدف سوى إشباع غرائز غير سوية في السيطرة على العالم، ومزيد من طلب الدنيا، ولو عبر الموت.

كان صعبًا على «عبد الواحد يحيى» أن يعايش هذه الحرب ولا يتفاعل مع آثارها السلبية، وحين رأى كيف يؤدي طمع الإنسان إلى دماره، اتجه وجهة خاطئة بالانكباب على دراسة تعاليم ابن عربي وأفكاره الصوفية بما شابها من شبهات، وأغرق نفسه في صفحاتها متأملاً، وبخاصة أن صديقه عبد الهادي (إيفان جوستاف) وشيخه عبد الرحمن عليش كانا من المعجبين بأفكار ابن عربي، وأسسا جمعية في إيطاليا ومصر أسمياها «الجمعية الأكبرية»، وخلال الحرب مات عبد الهادي عام ١٩١٧ م في إسبانيا، فأخذ عبد الواحد يحيى مكانه في الجمعية.

> عشقه للإسلام حوّله إلى فيلسوف

في الجزائر

سافر عبد الواحد يحيى عام ١٩١٧ م إلى الجزائر، موفدًا من الحكومة الفرنسية لتدريس الفلسفة في هذا القطر العربي المسلم، الذي كان يكافح بقوة ضد مستعمرين يريدون سلب وطنه وطمس هويته.

أسهمت فترة وجوده في الجزائر - على قصرها - في إذكاء شعوره بالتأفف من النصرانية بعد ما رأى أبناء وطنه من النصارى يتعاملون بالبطش مع شعب أعزل، محاولين طمس هويته الإسلامية، وفرض عاداتهم وثقافتهم عليه دونما احترام لآدميته أو تقدير لخصوصيته وتراثه، وحقه في الحياة الحرة الكريمة، متنكرين للمبادئ التي نادت بها الثورة الفرنسية.

الرد على شبهات المستشرقين وتناقضات النصرانية

ما لبث عبد الواحد يحيى أن عاد إلى فرنسا بعد

مع الشيخ الخضر

يروي فضيلة الشيخ الدكتور **عبد الحليم محمود** شيخ الجامع الأزهر الأسبق ـ يرحمه الله ـ في كتاب له عن هذا الفيلسوف المسلم، صدر عن مطبعة لجنة البيان العربي إبان عمل د. **عبد الحليم** بالتدريس في كلية أصول الدين، أن فضيلة الإمام الشيخ **محمد الخضر حسين** ـ يرحمه الله ـ أحد أبرز شيوخ الأزهر في القرن الميلادي الحالي قد هاجم الصوفية وذكر عنها الكثير من المآخذ، مما كان له أثر في عتب **عبد الواحد يحيى** على هذا الشيخ الجليل، إلا أنه عتب لم يصل إلى حد البغض لمعرفة **عبد الواحد بأن الشيخ الخضر** يقيس كل ما يتصل بالشرع بمقاييس شرعية.



جامع الأزهر

عام قضاه في الجزائر، وعكف على التدريس في بلدته والكتابة في مجلة «**قناع إيزيس**».

مثلت كتابات **عبد الواحد** بعد عودته من الجزائر تطورًا كبيرًا في فكره، إذ قدم الكثير من المقالات التي تدافع عن الإسلام وتذود عنه، وتشرح جوانب مضيئة عديدة من الفكر الإسلامي، بما يصحح الأفكار المغلوطة عن هذا الدين القيم لدى الغربيين المتأثرين بكتب القساوسة وغلاة المستشرقين. وكلها تصب في قناة واحدة، هي الطعن في الشريعة الإسلامية ومحاولة نسبتها إلى شخص **الرسول** ﷺ، لإقناع البسطاء بأنها شريعة جاء بها **محمد عليه الصلاة والسلام** ولم تجئ من عند المولى تبارك وتعالى.

كشف **عبد الواحد** في مقالاته تناقضات النصرانية، ولم يفته أن يلمّح إلى أن ما تنادي به النصرانية من عدالة وإخاء يتناقض مع ما تمارسه جيوشها ضد شعوب عُزَّل، مقارنًا بين ذلك ودعوة الإسلام السمحة إلى المساواة بين البشر وعدم الإكراه في الدين.

أثمرت هذه المقالات وغيرها من كتاباته عن صعود نجمه، ومعرفة الناس به باعتباره فيلسوفًا متخصصًا في الدراسات الإسلامية، وأوفدته إحدى دور النشر الباريسية عام ١٩٣٠ م إلى القاهرة من أجل الاتصال بالثقافة الإسلامية بعامة، وبالفلسفة الصوفية بخاصة.

في جوار الأزهر

في مصر قضى **عبد الواحد** ما تبقى له من عمر، ليكون إلى جوار الجامع الأزهر لما يمثله من شموخ علمي ونور وهّاج أضاء ـ وما يزال يضيء ـ درب الدراسات الإسلامية. ورغم إعجابه بالأزهر وشيوخه الكبار، إلا أن حماسته الشديدة للصوفية، تلك الحماسة التي تسللت ـ خطأ ـ إلى وجدانه عبر صداقته **لعبد الحق وعبد الهادي والشيخ عليش** جعلته يعتب على شيوخ الأزهر رفضهم للصوفية انطلاقًا من فهم الأزهريين الصحيح للسنة الشريفة، وتفريقهم بين التدين الأصيل والبدع، وهو ما لم يدركه **عبد الواحد** الذي تفتحت عيناه على الإسلام من خلال كتابات الصوفية.

> «في الجزائر لمس التناقض بين ممارسات النصرانية وما تدعو إليه»

وفاته

مهما قيل ويقال عن **عبد الواحد يحيى**، ومهما كان رأينا له ورفضنا للكثير من أفكاره الصوفية، إلا أننا لابد أن نذكر له دفاعه المستميت عن الإسلام، وعشقه لهذا الدين عن قناعة وصدق، وإسهاماته في الرد على الحاقدين والمغرضين، وسعيه الدؤوب لاستثمار وسائل الإعلام لتحقيق هذا الهدف، إذ أسس، وأسهم في تأسيس، عدة مجلات كانت آخرها مجلة «**المعرفة**» في القاهرة. ومن خلال مقالاته ودراساته تعرف كثيرون الإسلام.

وربما كان لنشأة **عبد الواحد** في مجتمع غربي مادي أثره في اتجاهه إلى الصوفية، ونظرته إليها باعتبارها مخرجًا له من كابوس المادة وسيطرتها واستعبادها لمجتمعه. إلا أن هذا لا ينبغي أن ينسينا دور الرجل في المنافحة عن الإسلام والرد على أباطيل خصومه، والدعوة إليه، وإيضاح الكثير من الصور المشرقة عنه، حتى آخر أيامه.

توفي **عبد الواحد** في السابع والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٠ هـ (٧ يناير ١٩٥١ م) في القاهرة، وبها دفن، بعد أن أمضى بين ظهرانيها قرابة ربع قرن حفلت بالعطاء والتواصل والنهل من مناهل العلم. وشهدت قاهرة المعز انطفاء شمعة رجل غربي ملك الإسلام فؤاده، وحوّله عشقه له إلى فيلسوف.

طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

توقف القلب والدماغ هل تعتبر وفاة؟

○ **أحيانًا يتوقف القلب ويشير جهاز رسم القلب إلى هذا التوقف، وقد يطول خاصة عند مرضى السكري والضغط، فهل تعتبر هذه وفاة؟**

د. ل. ل الزقازيق. ـ مصر.

س. أ دمشق ـ سورية.

■ الموت ـ حسب علمي ـ له ثلاث مراحل:

الأولى: برودة الحركة واسترخاء الأطراف، وقد تستمر هذه الحالة ليوم كامل، وتسمى الغيبوبة مع دقات ضعيفة في القلب.

الثانية: توقف القلب عن العمل وتسمى السكرة، وقد يستمر هذا إلى ست ساعات أو أكثر، مع تدفق الدم بشكل ضعيف جدًا نتيجة الحرارة، وحركة العروق الذاتية بإذن الله تعالى.

الثالثة: توقف المخ وهو مثل مسألة توقف القلب. والمشكلة هنا هي العجلة في الحكم الطبي بحصول الوفاة، وقد تتضاعف المشكلة إذا شُرِّحت الجثة بعد ساعتين أو ثلاث ساعات على اعتبار الموت، وهذا حسب علمي وسماعي خطأ.

ولعل الصحيح هو عدم الأخذ بجهاز توقف القلب أو المخ، وهو ما يسمى «التوفي الدماغي»، وإبقاء الشخص فترة طويلة ليتيقن أنه فعلاً مات، وظهرت عليه علامات الوفاة المعروفة في كتب الشرع بجانب العلامات الطبية، والوقت مسألة ضرورية. والله تعالى أعلم.

الغش في البيع

○ **ما حكم بيع الأواني المستعملة على أنها جديدة لكنها، في الحقيقة، قديمة؟**

زيد. م. ل ـ الرياض

■ قد يحصل مثل هذا سواء في الأواني المنزلية، أو غيرها كالألبسة، والأطعمة مع تجديد التاريخ.

وهذا لا يقوم به إلا ذوو السفاهة والسقوط في براثن المادة الحرام، والمال المحرم له رونق وجمال فالنفس تزينه، وحب الثراء يدعو إليه ما دام القلب خاليًا من الإيمان.

وفاعل هذا جمع بين الكذب والغش، وكلاهما شر كبير. وقد ورد في الصحيح «من غشنا فليس منا»، فهذا العمل لا يجوز.

وعلى الباعة أن يتقوا الله جلَّ وعلا، وأن يبينوا للمشترين حقيقة السلعة المعروضة فرب قليل مال حلال خير من كثير حرام.

إعادة الحق للمظلوم وحدها تزيل الإثم

○ **رجل أساء إلى آخر، وناله بسببه سوء، وبعد مرور أعوام كأن المسيئ ندم، أو تأسف لما قام به، فبدأ يتودد لذلك الرجل، ويقربه، ويتحبب إليه ويقدمه. فهل هذا يكفي لرفع مغبة الظلم؟**

س. س. س ـ الرياض

■ لعل هذا السؤال فيه مغالطة، وكأن المسيئ كما قلت ندم، أو تأسف.

أقول: طريق هذا الظالم، ولو كان **الظلم قليلاً**، طريقة فيها مغالطة وفيها لعب.

وإجابة على السؤال: فإن البشاشة والترحيب وكل ما يدور حول هذا ومثله لا يكفي لدفع الإثم؛ لأن الشريعة مبناها على إعادة الحق وبخاصة المعنوي والحسي لأن أمره عظيم. وقد يصور الهوى، ويصور الشيطان، وقد تصور «عزة النفس» أن مثل هذه الطريقة تمحو ما في نفس المظلوم.

كلا، فالبشاشة والترحيب... إلخ، هذه من حسن الخلق التي دعا إليها الإسلام ابتداءً، فلا تكون ردًا لحق مظلوم، أو مهضوم، فتنبه لهذه النقطة، وقد يغتر الظالم باستجابة المسكين وقبوله الترحيب والبسمة. لكن كما تقدم، فإن العفو أصله مبني على رد الحق، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، وواضح حالته، ومن هنا فلابد من:

١ ـ استباحة المظلوم بعد تمهيد لطيف.

٢ ـ رد الحق إليه بصورة بينة قبل الموت.

٣ ـ إن لم يكن هذا ممكنًا «والإنسان بصير»، يبذل السبب لإعادة الحق.

وبعض الحقوق لا يكفي فيها المال مهما كثر، فلا بد هنا من رد الحق المعنوي بعزم، وعدم تردد، وليس في هذا أي هدم لعزة النفس، وقلة القدر، فطاعة الله أولى، ورضاه أحق بالإتيان، قبل أن يحضر الأجل.

فكن من هذا على بينة، ولا تحتقر شيئًا، فرب كلمة تعريضية فرقت بين زوجين، ورب كلمة تعريضية حرمت إنسانًا من حقه، ورب كلمة على سبيل النصيحة المراد منها الشر بشخص ما فحصل المراد، ورب رأي ناصح لكنه حاسد عند من يجهل الحال، فيحصل بسببه ظلم واسع على مسكين غافل، ورب بذل وعطاء المراد منه الظلم نفسه.

وللظلم صور، والأسباب تختلف، لكنها غالبًا تجتمع حول «نصرة النفس» و«طلب الرفعة» و«حصول الشهرة» و«التضييق على المظلوم» و«حب الغلبة والسيادة»... إلخ.

لكن تصوَّر نتيجة هذا كيف تكون بعد حين. فالمقصود أنه لا بد من رد الحق حسه ومعناه.

وعسى الله تعالى أن يتجاوز ويقبل.

ردود قصيرة

● **الأخ مزيد خ. أ. ـ الزلفي:**

■ لم يقع الطلاق، والنائم مرفوع عنه القلم.

● **الأخ نهار بن ودي بن سند الرشيدي ـ حائل:**

■ لا يجوز الصيد للعبث واللهو فقط.

● **الأخ ف. ل. ـ شيخان ـ الكويت:**

■ هذا أمر بينك وبين المحكمة طرفكم.

● **الأخ سعد بن محمد الزامل ـ جيزان:**

■ السفر لمسافة ٧٠ كيلاً يجيز الجمع والقصر حال السفر إذا كان السفر مباحاً.

● **الأخ سليم زنقة بن حيدرة ناتلي ـ ليبيا:**

■ المني يوجب الغُسل، والمذي يوجب الوضوء فقط. وموضوع «الختان» يصلك عنه جواب مفصل.

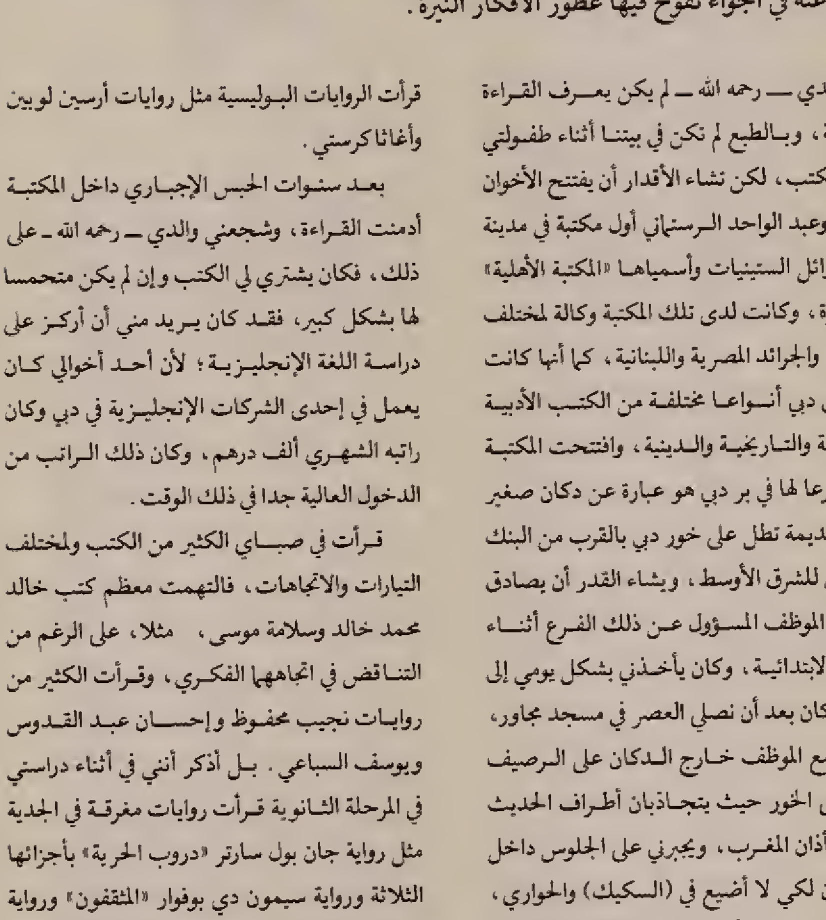
تجربتي مع القصة

بقلم: محمد المر

كثير من الكتاب والأدباء نشأوا في بيوت علم، أي أنهم منذ الصغر عاشوا في أسر تهتم بالأدب والثقافة، فبعضهم وجد في مكتبة والده أو أسرته النافذة الأولى التي أطل منها على دنيا الكلمات المبدعة، وبعضهم الآخر كانت مجالس والده أو أحد أقربائه من المجالس التي تناقش فيها نتاجات العقول المفكرة، فغرست فيه منذ الصغر أهمية الأدب ونتاجاته وعاش منذ يفاعته في أجواء تفوح فيها عطور الأفكار النيرة.



والدي ــ رحمه الله ــ لم يكن يعرف القراءة والكتابة، وبالطبع لم تكن في بيتنا أثناء طفولتي خزانة للكتب، لكن نشاء الأقدار أن يفتتح الأخوان عبد الله وعبد الواحد الرستماني أول مكتبة في مدينة دبي في أوائل الستينيات وأسمياها «المكتبة الأهلية» في بر ديرة، وكانت لدى تلك المكتبة وكالة لمختلف المجلات والجرائد المصرية واللبنانية، كما أنها كانت تجلب إلى دبي أنواعا مختلفة من الكتب الأدبية والفكرية والتاريخية والدينية، وافتتحت المكتبة الأهلية فرعا لها في بر دبي هو عبارة عن دكان صغير في بناية قديمة تطل على خور دبي بالقرب من البنك البريطاني للشرق الأوسط، ويشاء القدر أن يصادق والدي الموظف المسؤول عن ذلك الفرع أثناء دراستي الابتدائية، وكان يأخذني بشكل يومي إلى ذلك الدكان بعد أن نصلي العصر في مسجد مجاور، ويجلس مع الموظف خارج الدكان على الرصيف المطل على الخور حيث يتجاذبان أطراف الحديث إلى قرب أذان المغرب، ويجبرني على الجلوس داخل الدكان لكي لا أضيع في (السكيك) والحواري، ولقتل الوقت كنت أتسلى بقراءة الكتب والمجلات الموجودة في داخل المكتبة، وكنت في البداية اقرأ على طريقة (مجبر أخوك لا بطل)، لكنني سرعان ما أخذت استمتع بقراءة الكتب التي أثارت خيالي، فقرأت كتب السير الشعبية مثل سيرة عنترة بن شداد وألف ليلة وليلة والأميرة ذات الهمة وسيف بن ذي يزن وتغريبة بني هلال والزير سالم وغيرها، كما

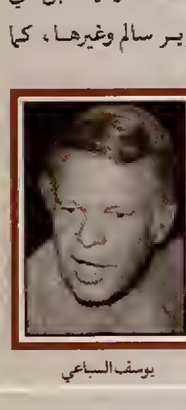


قرأت الروايات البوليسية مثل روايات أرسين لوبين وأغاثا كرستي.

بعد سنوات الحبس الإجباري داخل المكتبة أدمنت القراءة، وشجعني والدي ــ رحمه الله ـ على ذلك، فكان يشتري لي الكتب وإن لم يكن متحمسا لها بشكل كبير، فقد كان يريد مني أن أركز على دراسة اللغة الإنجليزية؛ لأن أحد أخوالي كان يعمل في إحدى الشركات الإنجليزية في دبي وكان راتبه الشهري ألف درهم، وكان ذلك الراتب من الدخول العالية جدا في ذلك الوقت.

قرأت في صباي الكثير من الكتب ولمختلف التيارات والاتجاهات، فالتهمت معظم كتب خالد محمد خالد وسلامة موسى، مثلا، على الرغم من التناقض في اتجاهها الفكري، وقرأت الكثير من روايات نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي. بل أذكر أنني في أثناء دراستي في المرحلة الثانوية قرأت روايات مغرقة في الجدية مثل رواية جان بول سارتر «دروب الحرية» بأجزائها الثلاثة ورواية سيمون دي بوفوار «المثقفون» ورواية دستوفسكي «الجريمة والعقاب»، وقرأت الكثير من الروايات العالمية المترجمة في سلسلة «روايات الهلال» وسلسلة «كتابي» التي كانت تصل بشكل منتظم إلى المكتبة الأهلية في دبي.

وعلى الرغم من استغراقي في القراءة إلا أن تلك العادة لم تجعلني انطوائيا، وكنت في صباي وشبابي المبكر أشارك فريق الحي لكرة القدم، وأرتاد دور



خالد محمد خالد



يوسف السباعي



سارتر



دستوفسكي





السينما حيث شاهدت الكثير من الأفلام السينمائية الميلودرامية وأفلام الكاوبوي التي تصور مغامرات الشرطة والهنود الحمر في الغرب الأمريكي، وبعض الأفلام العربية مثل الأفلام الكوميدية وأفلام المغامرات والأفلام العاطفية... إلخ.

أيام اللهو والدراسة

كما كانت السباحة مع رفاق صباي في مياه الخور - وهو اللسان المائي الذي يفصل مدينة دبي إلى قسمين (ديرة ودبي) - من المتع التي لا يمكن أن أنساها على الرغم من مرور الأيام ونعاقب السنوات، كنا خليطا من أسماك ونوارس.

في أيام الصيف لم نكن أبناء أهلنا، كنا أبناء البحر، نمكث فيه الساعات الطوال، نسبح ونلهو ونضحك ونصطاد السمك ونمارس كل طقوس شقاوة الطفولة. الصخور والقواقع تجرح أرجلنا فلا نهتم، الشمس الحارقة تكوي جلودنا فلا نبالي، القوارب والأبوام تكاد تصدمنا فنتجنبها ونحن نصرخ ساخرين من ملاّحيها ونواخذتها، قناديل البحر تلسع ظهورنا وأجسادنا النحيلة بضرباتها القارصة فنمسحها برمال البحر ونواصل لهونا. اعطني تلك الأيام الحبيبة وخذ عمري كله!

لم أكن أحب المدرسة، كثير من المدرسين آنذاك كانوا من أنصار مدرسة العقاب البدني، وأذكر أن مدرس الحساب ضربني بعصا خيزران ثلاثين ضربة في الصف الثالث الابتدائي؛ لأنني لم أكمل حفظ جدول الضرب للرقم خمسة، وأخذت أبكي من الحصة الرابعة إلى الحصة السادسة، وتورمت يداي الصغيرتان، وامتنعت من الذهاب إلى المدرسة لمدة ثلاثة أيام. والدتي كانت توصيني في أيام بداية الدراسة في فصل الخريف أن لا أخرج بألبسة خفيفة بعد الاستحمام بماء حار؛ لأن ذلك بالضبط سوف يجعلني أصاب بالحمى، وكنت أفعل ذلك وكلي أمل أن تصيبني الحمى، لكي لا أذهب الى المدرسة، لكني فشلت في مسعاي ولم تهاجمني الحمى!

وقد قرأت عندما كبرت في سيرة الشاعر الهندي طاغور أنه كان يفعل مثلي من شدة كرهه للدراسة الرسمية، وعندما كبر أسس مدرسة تقوم فلسفتها التربوية على الحرية والاقناع وليس على العقاب البدني.

بداية الكتابة

كانت موضوعات الإنشاء التي أكتبها في دروس اللغة العربية بسبب كثرة قراءاتي جيدة، وفيها الكثير من الأساليب البيانية والبلاغية التقليدية على طريقة المنفلوطي. وأذكر أن أحد مدرسي اللغة العربية الجدد عندما راجع لنا دفاتر الإنشاء في بداية السنة الدراسية سألني أمام الطلبة: يا محمد، من أي مكان نقلت موضوع الإنشاء؟ ولما قلت له إنني لم أنقله من أي مكان ابتسم ابتسامة صفراء ومغرضة، وكان قصده أنه من الصعب أو الاستحالة أن يكتب صبي مثل ذلك الموضوع. وبعد أن درسنا لمدة سنة كاملة وعرف مستوى تحصيلي اعتذر بشكل شخصي عن ملاحظته تلك، لم ارتح لاعتذاره كثيرا؛ لأن الإهانة حدثت أمام الجميع. تلك كانت طريقة الأساتذة في معاملة الطلبة، قسوة مخلوطة بالاحتقار.

شاركت في الصحافة المدرسية، وكتبت في صحافة الأندية مثل مجلة «النصر» التي كنا نحررها مع مجموعة من الشبان في نادي النصر بدبي.

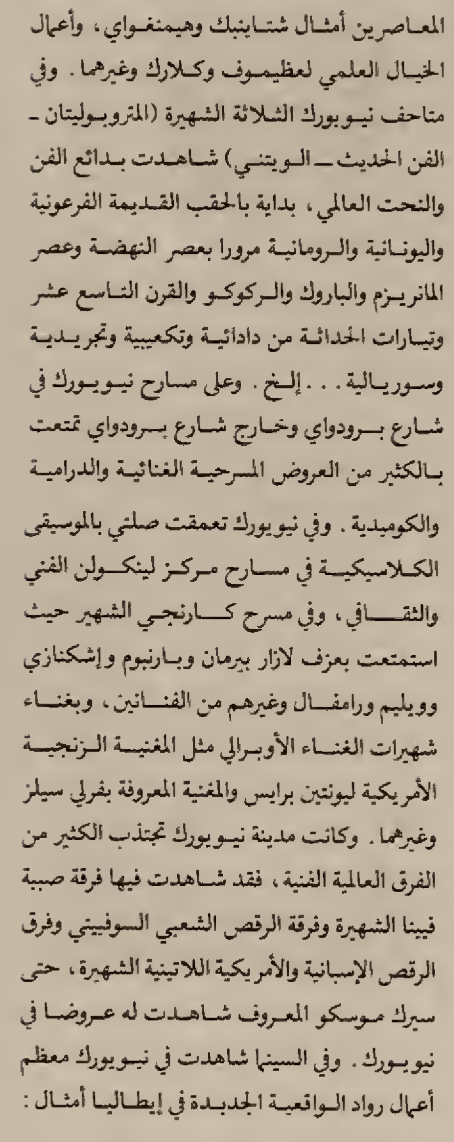
أثناء دراستي الجامعية في جامعة سيراكيوز في مدينة نيويورك بدأت بكتابة الخواطر واليوميات. والحقيقة أن العيش في ولاية مثل نيويورك يتيح للإنسان المتعطش للثقافة والأدب والفن الكثير من الفرص، ففي أثناء إقامتي في نيويورك في السبعينيات قرأت الكثير من الأعمال الفكرية والأدبية الكلاسيكية الإنجليزية، كما قرأت أعمال المعاصرين أمثال شتاينبك وهيمنغواي، وأعمال الخيال العلمي لعظيموف وكلارك وغيرهما. وفي متاحف نيويورك الثلاثة الشهيرة (المتروبوليتان - الفن الحديث - الويتني) شاهدت بدائع الفن والنحت العالمي، بداية بالحقب القديمة الفرعونية واليونانية والرومانية مرورا بعصر النهضة وعصر المانريزم والباروك والركوكو والقرن التاسع عشر وتيارات الحداثة من دادائية وتكعيبية وتجريدية وسوريالية... إلخ. وعلى مسارح نيويورك في شارع برودواي وخارج شارع برودواي تمتعت بالكثير من العروض المسرحية الغنائية والدرامية والكوميدية. وفي نيويورك تعمقت صلتي بالموسيقى الكلاسيكية في مسارح مركز لينكولن الفني والثقافي، وفي مسرح كارنجي الشهير حيث استمتعت بعزف لازار بيرمان وبارنبوم وإشكنازي وويليم ورامفال وغيرهم من الفنانين، وبغناء شهيرات الغناء الأوبرالي مثل المغنية الزنجية الأمريكية ليونتين برايس والمغنية المعروفة بفرلي سيلز وغيرهما. وكانت مدينة نيويورك تجتذب الكثير من الفرق العالمية الفنية، فقد شاهدت فيها فرقة صبية فيينا الشهيرة وفرقة الرقص الشعبي السوفييتي وفرق الرقص الإسبانية والأمريكية اللاتينية الشهيرة، حتى سيرك موسكو المعروف شاهدت له عروضا في نيويورك. وفي السينما شاهدت في نيويورك معظم أعمال رواد الواقعية الجديدة في إيطاليا أمثال: فسكونتي وفيليني وروسوليني وبازوليني وغيرهم، ومعظم أعمال رواد الموجة الجديدة في فرنسا أمثال تريفو وغودارد وشابرول وغيرهم، ومعظم أعمال



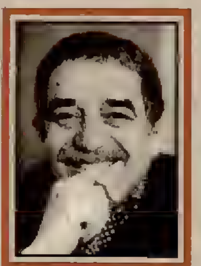
المنفلوطي



هيمنجواي



شتاينبك



ماركيز

> لا أحنّ إلى فراديس الماضي، وتعاطفي مع الإنسان الحائر في مرحلة ما بعد النفط



المخرجين العالميين المعروفين مثل برغمان وأزنشتاين وفورد وكيراساوا وساتاجتراي وغيرهم.

التجربة القصصية

عندما رجعت إلى الإمارات بدأت الكتابة في الصحافة المحلية في القضايا الثقافية والاجتماعية في بداية الثمانينيات، وذلك في عمود أسبوعي في صحيفة «الخليج» بعنوان «أوراق الأحد» الذي استمر لعدة سنوات، وكانت أول قصة نشرتها في جريدة «البيان» بعنوان «حب من نوع آخر» وهي عن حب بين أب فاشل وابنته المعاقة. وكتبت بعد ذلك عدة قصص نشرت في جريدتي «البيان والخليج». ثم صدرت مجموعتي القصصية الأولى في عام ١٩٨٢ م عن دار البيان بدبي وطبعت منها ألفي نسخة، وكنت مترددا ومتهيبا (ألفا نسخة من سيشتريها؟ سوف تكون طعاما للقوارض في المستودعات. أما كان يجب الانتظار قليلا؟ ... إلخ) لكن، والحمد لله، خلال أشهر ثلاثة نفدت المجموعة الأولى، وتتالت المجموعات القصصية وتضاعفت عدد النسخ المطبوعة كل مرة، ونُشِرَت بعد ذلك في بيروت حيث أصدرتها دار العودة في طبعات متفرقة، ثم أصدرتها في طبعة كاملة في ثلاثة أجزاء (١١ مجموعة). واختار المستعرب البريطاني الدكتور بيتر كلارك ٢٢ قصة وأقصوصة منها، وترجمها إلى اللغة الإنجليزية وصدرت في لندن بعنوان «أقاصيص من دبي» عن دار فورست للنشر المتخصصة في ترجمة الأدب العالمي، كما كتب الدكتور روجر ألن المستعرب المعروف مقالة ضافية جيدة عن القصص وترجمتها الإنجليزية في مجلة الأدب العالمي الأكاديمية الفصلية التي تتخصص في مراجعة الأعمال الأدبية العالمية المترجمة إلى اللغة الإنجليزية، التي تصدر عن جامعة أوكلاهوما الأمريكية.

واصلت كتابة المقالة الصحفية، وأعددت برامج ثقافية للإذاعة عن اللهجة المحلية وتأصيلها في القاموس العربي وعن تذوق الموسيقى الكلاسيكية، لكن بقيت القصة القصيرة حبي الكبير.

اتجاه قصصي

في مرحلة الثمانينيات كانت أكثر التجارب القصصية في الإمارات وباقي الخليج تتوزع في اتجاهات معروفة، مثل الواقعية النقدية والراديكالية باتجاهها السياسي والأيديولوجي المعروف، والواقعية السحرية تأثرا بكتاب أمريكا اللاتينية وماركيز على وجه الخصوص، حيث كانت قراءة روايته الشهيرة «مائة عام من العزلة» من علامات مجاراة التقدم الأدبي وأحيانا (السنوبزم) الأدبي، والسوريالية التي تخلط كثيرا بين السرد القصصي وقصيدة النثر.

عندما بدأت كتابتي القصصية في بداية الثمانينيات كنت مطلعا على معظم نتاجات تلك الاتجاهات، سواء الأصيل منها والهجين، العميق والسطحي، المبدع والمقلد، واخترت منذ البداية أن أكتب في اتجاه مختلف هو اتجاه الواقعية الاجتماعية الساخرة بظلال وتشكيلات طبيعية أحيانا، ورومانسية أحيانا أخرى.

ركزت في أعمالي على التناقضات والشروخ التي حدثت في شخصية الإنسان العربي في الإمارات، تأملت في أحوال مجتمعي في مرحلته الانتقالية من الطور الذي يعتمد على الحياة البسيطة إلى الطور الذي تعقدت فيه الحياة.

قصصي عن مرحلة ما قبل البترول بعيدة عن الحنين الرومانسي إلى الماضي، بل إنها تسخر من أولئك الذين يريدون أن يصوروا لنا مجتمعات الفراديس الماضية. قصصي عن مرحلة ما بعد النفط تتعاطف مع الإنسان الحائر بين العديد من أساليب الحياة والعلاقات الإنسانية المتناقضة والمتنافرة وهي لا تلقي عليه خطابات الوعظ المباشر. كثير من قصصي تجعل القارىء يضحك من أوضاعه عندما تشابه (شر البلية)، وإذا نجحت في ذلك ولو بمقدار بسيط فسأحصل على سعادة غامرة!

إضاءة

محمد المر

- من مواليد مدينة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة.
- درس في كلية ماكسوال بجامعة سيراكيوز الأمريكية في ولاية نيويورك.
- كتب القصة والمقالة الصحافية في صحافة الإمارات، وكان له عمود صحافي في جريدة «الخليج» بعنوان «أوراق الأحد» وعمود صحافي في جريدة «البيان» بعنوان «حديث الاثنين».
- صدرت له إحدى عشرة مجموعة قصصية هي على التوالي: حب من نوع آخر، الفرصة الأخيرة، صداقة، شيء من الحنان، المفاجأة، ياسمين، نصيب، حبوبة، مكان في القلب، قرة العين، الصوت الناعم، عن دار البيان بدبي في طبعتها الأولى وصدرت في طبعة ثانية عن دار العودة ببيروت، كما صدرت له دراسة عن اللهجة المحلية بالإمارات بعنوان «كلام الناس».
- آخر مجموعاته القصصية صدرت مؤخرا بعنوان «سحابة صيف».
- يرأس مجلس إدارة مؤسسة ندوة الثقافة والعلوم في دبي.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم
صدق رسول الله

رابطة العالم الاسلامي

بمكة المكرمة

تدعوك إلى برنامج

قوافل أهل القرآن في شهر الخير

أخي المسلم .. اعتادت رابطة العالم الاسلامي أن ترسل في شهر رمضان المبارك من كل عام طائفة من أهل القرآن الى مختلف دول العالم لامامة المسلمين في صلواتهم واقامة الدروس والمحاضرات والوعظ طوال شهر رمضان الكريم .. وتنهال الطلبات على الرابطة كثيرا من الهيئات الاسلامية لهذا الغرض . لذا ندعوك أن تشارك معنا بتحمل نفقات ابتعاث واحد أو أكثر من هؤلاء إلى أي دولة في العالم احتسابا للأجر عند الله سبحانه وتعالى .. يبلغ متوسط تكاليف المبعوث الواحد مع تذكرة السفر والاعاشة بالريال كما يلي

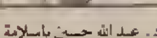
- ☐ أفريقيا ٩,٥٠٠ ريال
- ☐ أوروبا ١٠,٠٠٠ ريال
- ☐ آسيا ١٠,٠٠٠ ريال
- ☐ استراليا ١٧,٥٠٠ ريال
- ☐ أمريكا الشمالية ١٤,٠٠٠ ريال
- ☐ أمريكا الجنوبية ١٦,٥٠٠ ريال

ترسل التبرعات بشيكات باسم أمين عام رابطة العالم الاسلامي (برنامج قوافل أهل القرآن) إلى رابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة

للاستعلام : يرجى الاتصال بادارة (شؤون القرآن الكريم) بالأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامي - مكة المكرمة
هاتف : ٥٤٢٤٩٠١ أو ٥٤٢٢٧٣٣ - فاكس ٦٥٤٣١٤٨٨

من المكتبة السعودية




د. عبد الله حسين باسلامة

الكتاب : حكاية جيلين

المؤلف : د. عبد الله حسين باسلامة

الناشر: تهامة بجدة

الطبعة الأولى ١٤٠٤/ ١٩٨٣ م

في سلسلة الكتاب السعودي (٩٥)، وبقلم الدكتور عبد الله حسين باسلامة ـ وهو كاتب نحن في غنى عن التعريف به ـ نقرأ مجموعة خواطر أو مواقف تحاول أن تبرز الطفرة الحضارية التي واجهتها المملكة ربما في عمر جيلين فقط. وإذا كنا نشعر بأنّ ثمة إحساسًا بأسف من لدن الكاتب ـ مبعثه الذكريات والتعلق بالماضي مهما تكن قساوته ـ فثمة إيمان بقيمة التقدم، حتى إننا لنأخذ بالمفارقات التي يبرزها بأسلوب ذكي ورقة عاتبة.

في الموقف المعقد جدًا الذي يستهلّ به باسلامة كتابه نرانا أمام الجد والحفيد ووراءهما معا ـ في تلك اللحظة التي تلخص الموقف ـ فيلا فخمة وتليفزيون وفيديو وكراسي مريحة من إيطاليا ومياه معدنية وسيارة رولز وجينز وفكر تقدميّ وباي باي، وأمام كل أولئك كتاب قديم والزمزم وقمر الدين والفوطة الملونة وفكر سلفي وعليكم السلام.

الحفيد الشاب يتمتع بأسباب الرفاهية، والجد بفوطته الملونة يستمتع بأسباب التقشف، ولعله أكثر اقتناعا بحياة الزهد ـ في ذلك الموقف ـ مما كان أيام الضنك والمشقة.

إذن كل جيل راض بما نشأ عليه، وما بينهما من تناقض يمثل جدلية الحياة.. التقدم والحفاظ.. الجديد والقديم، وتلك هي سنة البشر، وللمستقبل جاذبية لا يمكن إنكارها.

ويمكن القول إن هذا الموقف يلخص القسم الأول من الكتاب (ص ص ١٣ ـ ٣٠) وقد ختمه بكلمة لها عنوان دال «في الطريق إلى الشهادات».. الشهادات وسيلة والثقافة غير العلم، والنجاح ـ ليس دائما ـ في حاجة إلى دبلومات، والحياة أكبر مدرسة.. والعقاد رحمه الله لم يحصل على الدكتوراه، وكل ميسَّر لما خلق له!

كلا يا دكتور.. لهذه النغمة، وإذا كان العقاد قد خلق لكي لا يحصل على الدكتوراه ـ مع أنها موضة العصر ـ فليس الناسُ كلّهُم عقادًا كما يقول الشاعر، ونحسب أن القول بأن الثقافة غير العلم ـ وهي مقولة صادقة ـ منطلق أو دعوة إلى التراخي، وإلا فلنسأل: لماذا إذن «جاهد» باسلامة ليحصل على الدكتوراه؟

وبقية الرأي في الخط نفسه، ورحم الله هذا الجيل إذا لم يأخذ حظه من التعليم والشهادات والثقافة!

والقسم الثاني من الكتاب «الحياة تسير عبر طريق مليء بالمآسي» ص ص ٣٥ ـ ٤٤ يضع أيدينا على الدُّمل الذي احتل رقعة من جلد الشباب وشباب المملكة في المحل الأول، نشأ في بلهنية ورخاء فظن أن لديه ـ عن طريق والده ـ مال قارون، وأنا فاعل به وفاعل وفاعل؛ لأن المال قوة وصحة وسلامة، مع أن النماذج التي قدمها من خلال سرد قصصي شائق وجذاب تقول بإيجاز: الأجيال السابقة واجهت مآسي فيها آلام، لكن وسائل القضاء على الحياة ليست بهذه السرعة وهذا العنف.

وزمان اليوم ليس كزمان أمس.. زمان اليوم يندر فيه وجود الأمان، حتى ولا داخل الأرحام!

كل ما نرجو هو أن يعلم ـ أي الشباب ـ أن الآباء جاءوا وكدوا من أجل جيل ينبغي أن يكد ويعمل ليواصل مسيرة الخير والنماء.

والقسم الثالث من خواطر باسلامة عنوانه «العادة.. وما تصنع» ص ص ٤٩ ـ ٥٦ يدخل في باب الطرائف وإزجاء الوقت، في حين يبدو الرابع «شخصيات تتحدى العجز» وهو قصير (ص ص ٦١ ـ ٦٦) من قبيل الاعتبار، والخامس في الحب والحنين (٧١ ـ ٨٠) نموذجه الرائع الذي قدمه باسلامة بصدق وفرط حساسية: زوجان افترقا.. الزوجة تزور الأهل، شده الحنين إليها ـ وهو عشق ـ وفجأة «جمع ثيابه.. توجه إلى المطار، وصل إلى هناك.. طرق الباب وسأل عنها، قيل له: لقد اشتدّ بها الحنين إليك وعادت في الطائرة التي ربما تكون أقلتك إلى هنا.. إنها قوة الحنين».

وأما القسم السادس من الكتاب وعنوانه «لقطات من شريط الحياة» (ص ص ٨٥ ـ ٩٤) فوراءه خبرات تلفتنا إلى أمور لا نوليها كبير اهتمام، لكن عين الكاتب اللاقطة تقول لنا ببساطة فيما يجب أن تقوله: انظر إلى هيئتك المرقشة في المرآة بشرط أن ترى ما تحت جلدك، وإلا فأنت محتاج إلى مرآة أخرى لتراه «اللهم زيِّنا من الداخل والخارج».

وهذه النظارة ـ عكاز العيون قصيرة النظر ـ لا تغني قط عن البصيرة مثلما لا يغني البصر!

ومن المفارقات الطريفة الدالّة أن تتعب الزوجة من أجل زوجها كي تسعده، فماذا تكون مكافأته لها؟

كلمة شكر؟

لا.. وإنما يقول الزوج ببساطة وقد لاحظ أمارات التعب عليها: (سرًا) لم تعودي كما كنت (جهرًا) ما رأيك لو أنني تزوجت من ابنة الشيخ جمعان؟

وأخيرا، الفصل السابع وعنوانه «الطريق إلى الله» (ص ص ٩٩ ـ ١٠٩) وباستثناء «نوع من الاستثمار» ص ١٠٤ نلقانا أمام ناموس قوامه الصراط المستقيم، فإن كنا نريد الخير لأنفسنا في الدنيا والآخرة فليكن رائدنا الحب.. وقد كان دعاء سيدنا إبراهيم إلى الله أن يجعل الناس يحبون المكان الذي أنزل فيه أهله، يحبون مكة (هو يرجو ككاتب ألا يشوب قدسيتها شوائب الإعلانات).

ومن الحب أن يرضى الله عمن يريد من عباده، ومنه غرس الطيبة في النفوس.. ولا يزال في الناس من لديه القدرة على استخراج الأعمال الجيدة من خضم الأعمال الأخرى البراقة.

ومن الحب أيضا أن يؤثر الرجل ـ منا ـ ما يقربه

من المكتبة السعودية

إلى الله زلفى، فذلك خير. بشرط ألا يفعل أحد الخير على حساب الغير!

وأمر أخير يكشف عنه الدكتور عبد الله حسين هو: لماذا لا يكون سلوك الانسان في رمضان ـ عبادة وزهدًا وطيبة ـ سلوكه طوال العام؟

بقيت كلمة أخيرة هي إخراج الكتاب الجيد، ونحن نثني ـ بصفة خاصة ـ على الفنان الذي قدم لكل قسم بصورة صنعتها ريشته الرقيقة.





خليل إبراهيم الفزيع

- الكتاب: إطلالة على مشارف الزمن.
- المؤلف: خليل إبراهيم الفزيع.
- الناشر: نادي المنطقة الشرقية الأدبي.
- ط ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م (١٠٤ص)

أهدى الأديب (خليل الفزيع) كتابه (إطلالة على مشارف الزمن) «إلى كل العاملين بصدق وإخلاص لرفعة شأن الوطن» كما يقدم هذه الإطلالة بكلمات وجيزة يبين أنها تحمل وجهات النظر حول العديد من قضايا أصبحت الشغل الشاغل للإنسان العربي في هذا الزمن المتلون.. وأنها قابلة للجدل، لكنه يرغب «في اكتشاف رؤية جديدة للواقع الذي يعيشه الإنسان وهو على مشارف هذا الزمن». وإن قضاياه المطروحة أدرجها تحت أربعة عناوين بارزة هي: آراء في الثقافة، وللمجتمع والحياة، وهموم اقتصادية، ومواقف صهيونية. وإن العناوين الجزئية المتفرعة عن هذه العناوين الأساسية (الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والصهيونية) تظهر نوعية الأفكار التي عرضها المؤلف في هذه الإطلالة الزمنية. فمثلاً ضمّ الأول: ثقافة المترفين، الثقافة المسطحة، الأدب التجاري، التجديد أو الصدأ، أزمة الوضوح، طريق للشهرة... طريق للفشل، زهور المستنقعات، الحصار، وكالات الأنباء، أثر الثقافة الخليجية في بناء الإنسان الخليجي. ويضم الثاني: الاتكالية، الخلاف والود، التسامح والعفو، أصحاب النوايا، حملة الريش، البخلاء، دراويش آخر زمن، الإشاعة، إدارة.. وإدارة، العناية بالطفولة المعوقون، الحضارة جهد إنساني مشترك، على من نطلق الرصاص، الحقد الأعمى. أما الثالث فيضم: مشكلة الغذاء، الديون تهدد العالم، الدول الغنية والدول الفقيرة، احتمالات الكارثة، المسألة الاقتصادية والتشكيل الاجتماعي، الأغنياء يسرقون الفقراء. وفي الرابع والأخير نجد أخلاقيات صهيونية، الموت الأصفر، نكتة إسرائيلية سمجة، اليهود أعداء الجميع.

وما أوردنا هذا الزخم من العناوين الجزئية للكتاب إلا لنبيّن أن الأديب الفزيع متعدد الاهتمامات، تثيره صنوف المعرفة، ويجيد الكتابة في مختلف الموضوعات. فضلاً عن موضوعه الأول في مجال كتاباته، وهو الأدب. لذلك سنجد الطابع الأدبي والإبداعي من قصة ورواية، هو الغالب والبارز على أسلوبه وطريقة علاجه لتلك الموضوعات، وبخاصة فيما يقدمه من أمثلة ونماذج أدبية وإبداعية وهو يوظفها لتأكيد أفكاره ورؤاه وما يود إثباته في ذهن ووجدان قارئه.. هذا بالإضافة لما تتوزع كتاباته من حين لآخر بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة وحكم العرب وشعرهم وغيره من أصالة إسلامية وعربية. وإننا ندعو القارئ إلى مطالعة هذه الكتابات المفيدة بوجه عام، وإن تخللها أحياناً بعض الميل لآراء الآخرين في الآداب الغربية ومفاهيمها الفنية والإبداعية.

وسنقف عند بعض كتابات الأديب الفزيع، ونعدها نماذج لما ذهبنا إليه.

لنأخذ مثلا من آرائه في الثقافة موضوعين بل ثلاثة: فمع (أزمة الوضوح) يبدأ بعبارة ناقد النقاد (برنارد شو): «أنا مثل طبيب الأسنان، ثمة ما يجرح في عملي»، فتكون هذه العبارة مفتاحاً يشرع به الأديب الفزيع باب موضوعه عن الإنتاج الأدبي أو العمل الإبداعي للمبدع والأديب، وبخاصة في نطاق الوضوح أو الغموض، فتتوالى هنا آراؤه وثقافته الأدبية من خلال انطباعات متعددة عن عبارة (برنارد شو) السابقة، ويبدؤها بقوله: «ما يقوله شعر يختصر معاناة الكثيرين ممن كان قدرهم إنزال الهزيمة بالظواهر السلبية في مجتمعاتهم، واكتسبوا اصطلاح المبدعين بجدارة فائقة، فكانت أعمالهم الإبداعية جارحة إلى حد الإزعاج مع أن هدفها العلاج أو على الأقل التشخيص».

ومع (زهور المستنقعات) يبدي الأديب الفزيع إعجابه وتعاطفه مع بعض النماذج البشرية المسحوقة التي يجدها أبطالا جديرة بالحب والتقدير في بعض الأعمال الأدبية، وذلك لقدرة الكاتب الإبداعية على أن يجعلنا نتأثر بأولئك الأبطال وكأننا حيال شخصيات حقيقية تصادفنا في درب الواقع.

يقول: «قد يعجبك عمل أدبي: روائي أو قصصي، ويستحوذ على تفكيرك ويسيطر على مشاعرك، وتتعاطف مع أبطاله مع أنهم من الطبقات الدنيا، حيث تتساوى النظرة للفضيلة والرذيلة، وحيث تختلط القيم الفاضلة وغير الفاضلة تحت وطأة الظروف وقسوة الحياة، فلا يكون أمام تلك الفئات المطحونة سوى الهروب من ضوابط الأخلاق، إلى الانغماس في الفاحشة، تشبثاً بالحياة وتحاشياً لغوائل الزمن، خاصة في المجتمعات التي انسلخت من قيمها حتى كادت تفقد إنسانيتها». ويبرر ذلك كله بقوله في نهاية المقال: «إنه الإبداع الذي يستطيع التقاط الزهور من المستنقعات، رغم كل الموانع الأخلاقية». وكأنه لم يقتنع بذلك، أو يمكن أن يجابه بتساؤلنا: أين هي الزهور؟! هل تلك النماذج البشرية المتعفنة في الرذيلة تُعدُّ زهوراً؟! لذلك نراه في مقال ثانٍ يتابع موضوعه وكأنه يود أن يجيب على تساؤلنا السابق بقوله في أول كلامه: «من يتحدث عن تلك الزهور

التي أنبتتهـا المستنقعـات يتـذكـر على الفـور تلك الشخصيـات الفـذة التي انسلخت من واقعهـا المر لتعيش إنسانيتها كما أرادت هي رغم الملامح المعتمة التي تشـوه صـورتها . . مـلامح من بقـايـا الماضي، لكنها جزء من تاريخهـا الخاص وحياتها السابقة . . حتى وإن لم تفلت مـن أسر الانسحـاق تحت وطأة الظـروف» . ويـود الأديب الفـزيع أن يبرر مـوقفـه السـابق من ذلك التعـاطف، بـأن تلك النماذج المشوَّهـة قـد قـدمت خـدمـة كبرى لمجتمعـاتها، فيقول: «وقد ساعدت كثير من القصص والروايات على الإسراع في الكثير من الإصلاحـات لتحـاشي بعض الأمراض الاجتماعية التي تشوه الحياة وتعرقل مسـارها الطبيعي» . ورغم هـذا التبرير فإن أبطـال تلك الـروايـات، التي يعتبرهـا بعضهم من الأدب الخالـد، لا يمكن أن تتفق مع الشخصيـة العربيـة المسلمـة التي ينتمي إليهـا أديبنـا الفـزيع، تلك الشخصيـة التي يحاول أن يجسـدها ويبرزهـا في غير هذه المقالات من كتابه .

ونجد رؤيـة الفزيع نفسها (في الحصـار) حيال عمل الروائي الأمريكي «كين كيسي»، وأحد أبطال روايته «طيران فوق عش الوقواق» ، فقد منحنا أيضاً حالة القبول والـرضى بأمثال تلك النماذج البشرية، وإن أصـاب الحقيقـة حين عـزا ذلك إلى «الانهيـار الأخلاقي التام الذي يعاني منه المجتمع الغربي» على أنـه أحسن التـوظيف الأدبي غايـة الإحسـان في رؤاه الاجتماعية والاقتصادية .

ولنقـــرأ بعض آرائه الاجتماعيـــة، ولتكـن عن «أصحاب النوايا»، يقـول بداية: «من المقاطع التي لا تكاد تنسى في روايـة [السيد الـرئيس] التي ألفها الغواتيمالي الحائز على جـائزة نوبل لـلآداب (ميغيل انخل استـوريـاس) مـا قـالـه السيـد الـرئيس عن أصحـاب النـوايا: (إنني أعنـي بأصحاب النـوايـا أولئك الـذين ينـوون القيـام بشيء أو عـدم القيـام بشيء، ثم لا ينفـذون هذا ولا ذاك نتيجة افتقـارهم إلى قـوة الإرادة، وهم بهذا لا في العير ولا في النفير. فمثلاً يمضي أصحـاب الصنـاعة عنـدنـا حيـاتهم مرددين مراراً وتكراراً إني أنوي بناء مصنع، إني أنوي تركيب آلات جديدة، إني أنوي هذا، إني أنوي ذاك وهكذا إلى ما لا نهاية . وأصحاب الـزراعة يقولون: ويقـول الكـاتـب . . والأستـاذ . . وأصحـاب الأعمال . . والصحفيـون . . ولكن كما قلت لك لا أحد ينفـذ شيئاً» . وتعكس هـذه النوايا كلهـا عند أديبنا الفزيـع رأياً واضحاً ملتزمـاً، عبر عنه في عدة مواضع من مقاله، آخرها قوله:

«فليست بـالنـوايـا تتقـدم الشعـوب والأمم، وليست بالنوايا تحقق البشرية انتصاراتها المتوالية على الظـواهـر السلبية التي تعترض طـريق ازدهـارهـا، ولكنه بـالعمل الجاد الذي يسعى لتحقيق الخير كل الخير للجميع» . ثم يختم كلامـه ومقالـه بهذا المثال التطبيقي: «لقد أصاب السيد الـرئيس كبد الحقيقة بقصـد أو بـدون قصـد، ولأن مواطنيـه كـانـوا من أصحاب النـوايا فقـد قُدّر لـه أن يتحكم في رقابهم عشرين عاماً» .

وكذلـك الحال في «حملة الريـش»، إذ استطاع الفزيـع توظيف الحكايـة في هدف اجتماعي أما مع «هموم اقتصاديـة» فنقرأ مـوضوع «الأغنيـاء يسرقون الفقـراء»، ويفتتحـه بنص مسرحي لبرنـــارد شـو، يختصر فيـه معـاني كثيرة بكلمات قليلـة: «يقـول مينـدوزا: إنني قـاطع طـريق . . أعيش على سلب الأغنياء، فيقـول تانـر: إنني سيد أعيش على سلب الفقـراء . . فلنتصـافح» ويورد الفـزيع أمثلـة وآراء أخرى من روايات فوكنر، وديستويفسكي لينتهي إلى هذه الـرواية الأصيلـة: «فما دام السادة يسرقـون الفقراء فإن حلم المساواة لن يتحقق في ظل القوانين التي تبيح هـذه السرقـة بل وتحميهـا . في النظـام الـرأسمالي وفي النظـام الشيـوعي تـرتكب مثل هـذه السرقـات على رؤوس الأشهـاد دون أن يـوجـد من يعترضهـا؛ لأنـه يعرف مصيره مقـدمًا . فإذا كـان (تشـاوشيسكو) في ظل النظـام الشيوعي قـد خلف ثراءً طائلاً، فلا غرابة أن يخلف (فرديناند ماركوس) مثل هـذا الثـراء في ظل النظـام الـرأسمالي . فكـلا النظامين فاسد لاعتماده على القـوانين الوضعية التي لا يمكن من خـــلالها ضبط النفس البشريـــة عن الانـزلاق في بؤرة حب المال، الإسـلام وحـده حقق الغاية بين البشر» .

ولأن خليل الفــزيع أديب فهـو يحسـن أيضـا استخدام النص الأدبي في غاية عربية وسياسية، كما في «أخـلاقيـات صهيـون» حين يفتتح، كعـادتـه مقـاله بنص شعـري لـ (يهودا عميحـاي) الشاعـر الصهيوني الذي قال يومًا عن فلسطين: [هذا وطني الـذي يمكنني فيـه أن أحلم دون أن أسقط/ وأن أرتكب أعمالاً سيئة دون أن أضيع ـ وأن أهمل امرأتي من دون أن أصبح معـزولاً، وأن أبكي دون خجل وأن أخـون وأكذب دون أن أتعـرض للهلاك] فقـد استطـاع الفزيع أن يكشـف مـن خلال هـذا النص زيف الصهيونية وخداعها في التلصص والتجسس على العـرب، وكـذلك كشـف أخـلاقهم منـذ أن أوضحـوهـا في (بـروتـوكـولاتهم) حين قـالـوا: (إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء) .


سليمان بن محمد العيسي

- الكتاب: من مدائن العقل .
- المؤلف: سليمان بن محمد العيسي .
- الناشر: المؤلف .
- الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م .

أذكر فيما أذكـره عن طـه حسين أنه بعـد أن قرأ آثـار ابن المقفع كتب يقول إنـه ليس أديباً، مع أنـه أثنى عليه كمفكـر متأثر بثقـافات أجنبيـة، ترجم منهـا أشيـاء، ومنهـا مـا أورده في الأدبين الكبير والصغير. ولما عَـرَضْـتُ لـه ـ في بحث جـامعي ـ ذكـرتُ أنـه مصلح اجتماعي، بـالـرغـم أنـه تبنّى أيديولوجية مشبوهة قضت عليه .

وكثيرون هـؤلاء في تـراثنـا الـذين كتبـوا كـابن

المقفع. هم لم ينصبوا أنفسهم دعاة إلى الفضيلة والخير، وإنما توجهوا إلى نقد المجتمع لإصلاحه أخلاقياً. وصاروا أشبه بكتاب المقال الصحفي في بعض أنماطه، ولاسيما الزوايا التي تتشكل وَفْقَ طبيعة كلّ متصدٍّ لها، وإن يغلب عليها قضية النفس في محياها.

هؤلاء أشبهوا صاحب «الأدب الكبير» و«الأدب الصغير». يعتمدون الحكمة — فهم مجربون أو محنكون بما فيه الكفاية - ولهم معجم لغوي من أبرز مفرداته: الوطن، الدين، الخير، الوفاء، الصدق، المجد، التربية والحضارة، الحياء والعفة، التعامل مع الآخرين، حسن الموعظة، صفاء الذهن، سداد الخُطى، شرف المهنة، إلخ...

كل هذه — وآلاف غيرها — هي المادة التي يصولون فيها ويجولون.

وصاحب «من مدائن العقل» هو من هذا القبيل، ينتمي شاء أو لم يشأ إلى ابن المقفع وَمَنْ لفَّ لفَّه من بعدِه، فهو ليس أديباً، بمعنى أن يكون شاعراً مثلاً أو روائياً. ولكنه كاتب اجتماعي أخلاقي تسعفه لغة رشيقة تصل أحياناً إلى مستوًى

رفيع، وبخاصة في مناجاته الغنائية — عن المدينة المنورة مثلاً، وإلى فتاة قروية، ولسان العفة، وبيت الطين، وبين ثنايا زمانك يغيبون - فيما يظل أسلوبه خارج هذه الدائرة مكتنزاً بغير تعقيد وواضحاً بلا تزيد. ولعل لعمله في التليفزيون مذيعاً أو مقدم برامج أو عاقد لقاء، دخلاً في ذلك الأداء السلس الذي يعانق السمع والفؤاد معاً وبلا مشقة.

أما محور مقالات الكتاب - وأنا أسميها بذلك - فهو الحياة الاجتماعية التي تقوم على رؤية إصلاحية محددة هي مثالية الإنسان المحققة بشرائط الفضيلة.. أو يجب أن تكون كذلك!

وحتى إذا نُكِبَ هذا الإنسان - فهو يعيش كما يقول في الزمن الرديء والزمن المتعب، وفي زمن الألم، وزمن اللهاث المرّ في الدنيا الفانية - يستطيع أن يسلح نفسه بالصدق، الأروع، لتتحول الحياة

إلى ساحة خير تسيطر عليها النية الحسنة الطيبة والنقية.

والصدق عند سليمان العيسى يعني ما هو أكثر مما في النية؛ فهو يقتضي إيجابية الطهر والتسامح والعدل والشرف والمحبة والصفاء، وسموّ الخلق وتواضع النفس. ولا يعوز صاحبه النظر الفاحص، ثم لا يني يفتش عن أساليب العطاء المثمر.

وعن الصدق تنجم معرفة الصادق بقدر الآخرين، واكتساب العبرة من سيرهم ومن إصرارهم على مجابهة الأمين والأشرار المنافقين، حتى وإن كانوا من ذوي الجاه. فهؤلاء سوف يقفون في حساب يوم عسير أمام الله تعالى عن كلّ ما قدّموه من أعمال «ولا ينفع غير ما عمله الإنسان بصدق من غير ظلم لأحد أو إساءة مقصودة أو أذيّة متعمدة» ص ٤١.

لكن هل يكفي الصدق في الحياة؟

إن العيسى يخطط لكلّ ما يقوّم سيرة الإنسان وللبيئة التي تكتنفه، مع تأكيد أن الحياة التي تعد الإنسان للآخرة دار البقاء الدائم هي الأولى بالتحقيق، سواء كانت تلك الحياة ركضاً يرهق أو مالاً يجمع أو جاهاً يستهدف أو قعوداً يخنق أو فقراً يُعجز. إن الدنيا في كل الأحوال لا تدوم، ومن ثم لابد من رسم الطريق القويم للخُطى السائرة نحو الأمن والأمان.

وها هنا يجب أن تتهاوى شعارات الفضيلة الزائفة حين يجامل الإنسان إنساناً كذباً، وحين يظلم بعض الناس غيرهم، وحين يتذاكون، ثم حين يدسّون ويكيدون ويتراشقون بما يجرح، مع أن الشائع المتفق عليه هو أن الكلمة الطيبة صدقة.

إنّ الشرور كثيرة، مع أن الأصل في الحياة أن يسود الخير. لكن مطامع الناس وضعف إيمانهم والعداوة - حتى وإن اتخذت شكل الصداقة مراءاة -

والخسة واللؤم والحماقة والرعونة والجبن نَمَّت تلك الشرور في التعامل اليومي الذي قد يفتقد - لأسباب شخصية - مثالية المنهج والدماثة وشجاعة المواجهة وعفة اللسان وصفاء القلوب. وكل هذه - عند العيسى - كالعسل بعضها صاف أصيل وبعضها كدر مغشوش (ص ٥٠).

لكن إلى أيّ هذا الحدّ تتلبّد سماء العيسى؟

هناك جنوح منه إلى التشاؤم، لكنه لا يستمر؛ لأن الحياة إذا كانت محدودة بزمن رديء أو متعب، وإذا كانت مرتعاً للشرير والجبان والكاذب، ففي وسع الإنسان أن يزرع الخير من حول الناس وأن يبذره داخل النفوس وأن يتلاقى مع الآخرين «برًّا ووصلاً وامتداداً صداقياً لا تنفصم عراه» هنالك يغدو كمن يمسك الوردة بيديه ويقدمها للآخرين تذكيهم رائحتها ويسرهم منظرها، برغم ما يتعاور عودها من أشواك.. فإن هذه تدمي أيدي الذين يجعلون الحياة «سراباً خادعاً وبريقاً زائلاً أمام حقيقة المواقف ومصداقية التعامل» (ص ٥٧).

على أن ذلك التشاؤم حتى وإن بدا سحابة تغيم على العيسى، هو من قبيل الحضّ على البحث عن أسباب التفاؤل. فكأنه من قبيل الإثارة المرحلية، وليس نهاية مرحلة، ومن هنا قلنا إنه لا يستمر.

وإذا الزمن الرديّ أو المتعب أو المؤلم أو كذا وكذا إلى آخر توصيفات العيسى — يتحول إلى بشاشة وفرح وقدرة على رؤية الخطأ لكي يُصْلَح والأذى لكي يُزال والحزن لكي يُقْضى عليه حتى بمجرد ابتسامة. فيأتي من ثم زمن الصفاء الذي لاينقطع، وتدوم فيه الصحة والسلامة وتواضع الكبير الذي يتلمس هيبته في «غرور لا يتعدى أرنبة أنفه» والعزوف عن التسويف - وبخاصة - في المؤسسات العامة فلا نحتاج إلى فيتامين «واو» لإنجاز ما نريد مع أنه موجود — من قبيل التشاؤم - في كل زمان ومكان. (ص ٨٦).

وبعد، فالكتاب سياحة ممتعة ونافعة، ثم هو نموذج مقنع لفنّ كتابة المقال الاجتماعي الرصين.

عمارة المسجد النبوي الشريف

بين روايات كتب السنن والسيرة النبوية وافتراءات مستشرقي العمارة

بقلم: د. عبد المجيد وافي

كانت هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بداية لمرحلة جديدة من مراحل الدعوة الإسلامية، فقد هاجر صلى الله عليه وسلم بدعوته التي حمله الله تعالى أمانة بلاغها للناس: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [سورة المائدة/الآية: ٦٧]. هاجر بدعوة الحق من مجاهدة المشركين ومصابرة أذاهم، بعد أن بلغت بهم الجرأة على الدين والوحي أن خططوا لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم! ولكن الله عز وجل أبطل سعيهم، وأخرج رسوله من بينهم بعنايته؛ إلى دار عزة ومنعة، بين أنصار أوفياء، عاهدوا الله وبايعوا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يمنعوه مما يمنعون منه أولادهم ونساءهم وأموالهم.

ومن هـذه الـدار انطلق ﷺ بأصحـابـه - المهـاجريـن والأنصار - بـدعـوة الإسلام إلى آفـاق جديدة من إرساء قواعد المجتمع المسلم، ينشر دين الله، على أسس من وحي الله عـز وجل المتتابع؛ حتى تم أمر الله: ﴿.. اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسـلام دينا..﴾[1] [المائدة ٣].

ومن هذا المنطلق، غـادر المسلمون خِدرهم في مكة، وصاروا أصحاب دار، بعد أن آخى رسول الله ﷺ بين الأنصار والمهـاجرين، ونـزع صمام انفجار الحروب القبلية بين أبناء العمومة الأوس والخزرج بأخوة الإسلام.

ميراث الإسلام

وأصبحت عيـون الأنصـار والمهاجرين، متفتحة على كل فعل، وآذانهم مصغية إلى كل قول يصدران عن رسول الله ﷺ، فقوله في الله ولله وحي، وفعله من هـدي الوحي، وهم بهذا التلقي الـواعي يحافظـون على ميراث الأمـة الإسلامية جيلاً بعد جيل، وأسوتهم برسول الله ﷺ إلى يوم الدين، وما أغفـل القرآن الكريم الإشارة إلى ذلك إذ يقـول: «وما آتـاكم الـرسـول فخذوه ومـا نهاكم عنه فانتهـوا واتقوا الله..» [الحشر ٧] ﴿وما ينطق عـن الهوى، إن هـو إلا وحي يـوحى﴾ [النجم ٣، ٤].

أول أعمال الرسول ﷺ في المدينة

أجمعت كتب السنن والسيرة؛ وعنها أخـذ المؤرخـون رواياتهم على أن رسـول الله ﷺ فـور أن أشرف على أطراف المدينة:

أ - نزل في قباء - الحي المعروف الآن - ليستريح من رحلـة الهجرة المبـاركة فكان أن أسس هنـاك المسجد الذي وصفه الله عـز وجل بقوله: ﴿لمسجدٌ أُسِّس على التقـوى من أول يـوم أحـق أن تقـوم فيه..﴾ [التوبة ١٠٨] أسسه مسجداً بسيطاً على غير مثال سابق من عمائر الأديان السابقة ليؤدوا فيه صلاتهم، ويجتمعوا على ما يدعوهم إليه وحي ربهم المتنزل على رسوله ﷺ.

ب - وما إن استراح ﷺ من رحلته؛ حتى غادر قبـاء إلى المدينـة، وكـان أول مـا فعلـه ﷺ أن بنى مسجده المعروف، وخبر ذلك نقلته إلينا نصوص صحيح السنن في البخاري ومسلم وغيرهما، وكتب السيرة كابن اسحـاق وابن هشام، وكتب التاريخ كـالطبري وابن الأثير وابن كثير وابن خلـدون... الخ.

جـ - ذكر المسعـودي في مروج الـذهب - ج ١ ص ٢٧٩ وابن خلدون - ج ٢ ص ١٨٨ وابن سعد في الطبقات - ج ١ - قسم ٢ ص ٢، وكل من أخذ عنهم وشاركهم في سندهم:

أن الرسـول ﷺ دخل المدينة لاثنتي عشرة ليلـة خلت من ربيع الأول، فـالتفَّ من حـولـه الأنصار؛ كل يمسك بـزمام راحلته، يرجـوه النزول عنـده، فكان ﷺ يقـول لهم: «خلوا سبيلهـا فإنها مأمورة»، وأرخى لها رسول الله ﷺ زمامها، فلم تزل تسير في فجاج المدينـة وسككها؛ حتى وصلت إلى موضـع بـاب مسجـده الـذي بنـاه بعـد ذلك، فبركت.. ثم قـامت، والرسـول ﷺ مازال راكبـا، ودارت ثم عادت وبركت في نفس موضعها الأول، فقال ﷺ: «هنا المنزل إن شاء الله»[2]

١ - كان المكان الذي بركت عنده الناقة - مربداً - أرضا فضاء تجفف فيه التمور، وكان بأطرافه نخيل وبعض قبـور جاهلية، وكـان ملكا لغـلامين من بني النجار[3]، وكان الأنصار لما بـايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، اتخذه وليّ الغـلامين «أسعـد بن زراره» مسجـداً يصلي في فضـائه مع المسلمين قبل قدوم رسـول الله ﷺ، وكان قـد أحاطه بسور دون سقف - طبقات ابن سعد - ج ١ - قسم - ٢ ص٢.

٢ - ونـلاحظ هنا أن الأنصـار قـد رأوا اتخاذه مكانا يجمعهم، وكان هـذا قرارهم قبل قدوم رسول الله ﷺ، ولم يُعـدوه إعداداً خـاصاً؛ إلا مـا أقاموا حوله من سور.

المسجد المبارك

٣ - وقع اختيـار رسول الله ﷺ على هـذا المكان لإقامـة المسجد، وليس لإقـامة سكن لـه، بعد أن بركت نـاقته، وكان ﷺ يعلم أنها تتوجـه بأمر الله، وقد أرخى زمامها: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة».

وأرسل إلى أصحـاب «المربـد» كما يـروي البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس بن مالك أنه ﷺ أرسل إلى ملأ من بني النجـار فجاؤوا، فقال: «يا بني النجار تأمنوني بحائطكم[4] هذا» فقالوا: لا والله.. لا نطلب ثمنه إلا إلى الله.

إلا أن رسول الله ﷺ أمـر أبا بكـر - رضي الله عنـه - أن يـدفع ثمن المربد، فـابتاعـه منهم بعشرة دنـانير - رواه الـزركشي في إعـلام السـاجـد، عن الزهـري، ورواه ابن سعد في طبقاته عن معمر عن ابن شهاب الزهري.

توجيه فعل النبي ﷺ

كان في إمكان رسول الله ﷺ - وقد سمحت نفوس بني النجار - أن يقبل عطاءهم، ولكن يبدو أنه أراد أن يضع قـاعدة شرعيـة وعمرانية؛ وبخاصة وأن المربد كان ملك يتيمين.

أ - القاعدة الشرعية:

أنه لا يجوز لـولي الأمر أن يستـولي على أرض دون أن يدفـع ثمنها لأصحـابها وبخاصـة إذا كان الهدف من امتـلاكهـا أن تكـون مرفقـا عـامـا للمسلمين.

ورسـول الله ﷺ يـومئـذ قـد التـزمـه الجماعـة

روعة العمارة الإسلامية القديمة بعد أن شملتها أعمال الترميم والتجديد

المسلمة آمراً فيهم، بما أقامه الله فيه من البلاغ عن الله ورسالته ودينه: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ [آل عمران ٣٢].

ب ـ القاعدة العمرانية:

أن يكون المسجد أول عمارة تخطّ في المدن الإسلامية عند تخطيطها، وحوله تقام خطط المدينة وأسواقها.

أما المدن التي مُصِّرت قبل الإسلام ـ سواء دخلت في الإسلام طوعا أو فتحا ـ فإن على الأمير عند دخولها أن يختار موقعا مناسبا متوسطاً للعمران، ليجعله مسجداً جامعاً، على أن يدفع ثمنه ويعوض من كان مالكا لأرضه، وقد دخلت المدينة الإسلام إيماناً وطوعاً.

وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك عندما زاد في المسجد في السنة السابعة من هجرته، عندما اشترى أرضا من أحد الأنصار فجعلها في زيادة المسجد، وكذلك فعل خلفاؤه من بعده عندما زادوا في مساحة المسجد [٥].

وقد اقتدى القواد الفاتحون برسول الله ﷺ عندما خططت الكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان، ولما فتحت دمشق كان مكان المسجد معبدا رومانيا خربا، ما زالت بعض بقايا عمده حول المسجد حتى الآن.

جـ ـ المسجد الجامع في المدينة المسلمة:

هو مجلس الأمير أو الحاكم، ومجلس القاضي، ومجلس العلم، ومجلس القرآن، ومجتمع أهل الحل والعقد في المدينة، فيه تبرم أمورهم وتبحث مشكلاتهم، ومنه كانت تخرج ألوية جيوش الفتوح، وفي ساحته كان رسول الله ﷺ يختبر قدرات شباب المجاهدين قبل أن يجيز خروجهم.

وبعد أن اتسع العمران وتطورت الدولة الإسلامية، انفصلت هذه المرافق بوظائفها، كل مرفق في دار، على أنها ظلت قريبة من المسجد الجامع أو تحيط به وبقي للمسجد الجامع مجلس الأمير أو الوالي يجتمع الناس حوله في الجمعة والمناسبات وبقيت مجالس القرآن والعلم.

وعدَّ بعض أهل العلم ما حدث تفريغا للمسجد الجامع من وظائفه القيادية الأولى، التي كانت خيراً على الأمة، ويحاول المجلس الأعلى للمساجد بمكة المكرمة إعادة ربط المساجد في المجتمعات الإسلامية المعاصرة بوظائفها القيادية السالفة لتعيد إلى المجتمع المسلم ترابطه بحقائق الدين ووظائفه في المجتمع.

مناقشة

١ ـ بعد قرون طويلة من بناء المسجد النبوي في المدينة، وبعد أن اتخذه المسلمون، عبر الآفاق والعصور، أسوة ومثالا يحتذى عند اتخاذ المساجد، وبعد أن توسعت كتب الخطط في الحديث عن مدينة الرسول ﷺ ـ أبعادها وأحيائها وعمرانها على عهد الرسول ﷺ وبعده على مر القرون التالية.

وبعد أن خصصت كتب السيرة والخطط فصولا لعمارة المسجد النبوي الشريف، أبعاده وجدرانه وأعمدته ـ سواريه ـ وما زيد فيه، بل طريقة وضع اللبن أو الحجارة . . . إلى غير ذلك مما يتصل بأساليب البناء فيه وتطورها جيلا بعد جيل، وما زاد فيه الخلفاء، والولاة. . . حتى أصبح تاريخ كل حجر أو لبنة في بناء ذلك المسجد المبارك معروفا دون لَبْس.

٢ ـ وبعد أن تطورت عمارة المسلمين لمساجدهم ودورهم ومؤسساتهم عبر القرون والدول المتتابعة لأمتهم، جاءت أجيال غريبة عن أمة الاسلام ـ بعد أن وقعت تأثيرات العمارة الإسلامية على عمائر الغرب في العصور الوسيطة ـ تريد أن تقنِّن لأصول العمارة الإسلامية، تلك العمارة التي قلّدوها، وتبحث عن نشأتها وأصول عناصرها.

والعجيب أن أصحاب هذه الدراسات، لم يلتفتوا من قريب أو بعيد إلى ما كان للمسلمين ـ أصحاب الشأن ـ من دراسات في ذلك الباب؛ قامت على الرواية والخبر الصادق والإسناد الموثَّق وأول ذلك السنة الصحيحة.

وانفرد هؤلاء الغرباء بآراء إجمالية أو تفصيلية، بنيت على تصورات يكذبها الواقع الذي كان ومازالت عناصره باقية عبر الأجيال.

وكان هؤلاء كمن نظر بين قدميه ووصف ما لا وجود له وصفا دقيقا جعله قانون القوانين، وبلغ بعضهم أن رسم تخطيطا أو أكثر لما ظن وتخيل وأكد أنه هو الحق بل هو الحق وحده، أما ما يعرفه المسلمون وما توارثوه من أخبار مسجدهم الأول؛ فهو شيء لا يعتدون به؟!

٣ ـ وكان من نتيجة هذا التخيل والتخرص: أن تعددت آراؤهم وتفرقت مناهجهم في حوار ترجيحي، كلٌ يدّعي سمت العلم وما هو بعلم ـ وتجنبوا آراء أصحاب الشأن، تحت دعاوى منهج العلم.

وبدلا من أن يبدؤوا بوصف ما كان عند بدء البناء، وما تتابع فيه من زيادات أو تعديلات روتها كتب السنن وتابعته كتب السير والخطط، بدؤوا من الصورة التي انتهى عندها البناء ـ في عصرنا ـ ونسبوا كل عنصر إلى أصل ـ من بنات أفكارهم ـ حتى إذا بلغوا البداية أنكروها ووصفوا بدلا منها بدايات من عندهم، لم يعرفها بناة المسجد الشريف.

● قالوا . . وياعجبا لما قالوا؟!:

١ ـ إن رسول الله ﷺ بنى لأول دخوله المدينة المنورة تسعة بيوت لزوجاته، وجعل بينها ساحة، وأحاط كل ذلك بسور له عدة أبواب!

٢ ـ وفي هذه الساحة كان ﷺ يجتمع بالمسلمين، وربما صلى معهم!؟ حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى.



الفن المعماري الإسلامي يبدو واضحًا في نقوش الأعمدة

٣ ـ لم يعرف المسلمون المساجد الجامعة إلا بعد وفاة الرسول ﷺ.

أ ـ قال بذلك . كيتاني في حوليات الإسلام ١٩٠٥ ميلانو Caetani : Annali del Islam Vol 1 - 1905 - Milan.

ب ـ وردد نفس الرأي بعده الكابتن كرومويل كريسويل. العمارة الإسلامية الأولى. ج أول وما بعده، طبع أكسفورد Creswell [K.A.C.] Early Muslim Architecture. Oxford 1932 - 1940.

جـ ـ وردد نفس الآراء هنري سلادان في كتابه «مسجد سيدي عقبة بالقيروان» Saladin "Henri" La Mosquee de Sidi Okba Kairouan. Paris 1899.

وزاد أن المساجد الإسلامية التي أنشئت فيما بعد اقتبست طابعها من المعابد الفرعونية!

د ـ وشاركه هذا الرأي لويس هوتكور في كتاب: «مساجد القاهرة» ألفه بالفرنسية مع جاستون فييت الذي كان مديراً لدار الآثار العربية بالقاهرة Wiet et Houtecour "Louis" Les Mosquees du Caire. Paris Leroux 1932.

هـ ـ وشارك في الدعاوى: ١، ٢، ٣ ـ أوليج جرابار، في كل ما كتبه عن المساجد الإسلامية[٦] "Oleg Grobar".

وقد لخص رأيه في بحث العمارة الإسلامية والفنون، من كتاب عبقرية الحضارة العربية الذي نشرته موبيل أويل ١٩٧٥، ١٩٧٦م بالإنجليزية في نيويورك، ونشرت الطبعة العربية لحساب وزارة الإعلام بدولة الإمارات العربية المتحدة ـ ١٩٧٧م وطبعت في إنجلترا، والبحث ص ٩٦ من الطبعة العربية.

٤ ـ ادعى سبيرز، وديكي، في كتابها المنجد الأموي بدمشق ١٨٩٧م Dickie Spiers : The Great Mosque of Omeyyads Damascus 1897.

أن أصول عمارة المساجد اقتبست من الكنائس المسيحية . وعنها نقل السيد كريسويل ص ١٢، ١٣ من الجزء الأول من كتابه العمارة الإسلامية الأولى.

وقال بنفس الرأي ديهل في كتابه حوليات الفن البيزنطي Charles Diehl. Manuel d'Art Byzantin. Paris 1910.

وأيدهم سترزجوفسكي J. Strzygouvski وماكس فان برشم Max Van Berchem وغيرهم.

٥ ـ ادعى إ. دييز E. Diez أن نظام المساجد الإسلامية ربما أخذ من القاعات الفارسية في قصور الفرس[٧]! Die Kunst der Islamics chen Valker. Berlin 1915

وكذلك مادة المسجد في دائرة المعارف الإسلامية Encyelipedie de L'Islam Art Masdjid T III.

٦ ـ رجع الكابتن «كريسويل» فقسم المساجد إلى نوعين:

أ ـ المساجد الشامية، وهي التي اتخذت الكنائس أصلاً لها.

ب ـ المساجد الفارسية، وهي التي اتخذت القاعات الفارسية نموذجا لها وذلك في كتابه العمارة الإسلامية الأولى ص ٤١١ من الجزء الأول.

٧ ـ أ ـ ادعى جان سوفاجيه Jean Sauvaget أن المساجد اقتبست نظامها من البازيلكا الرومانية ـ قاعات الاستقبال أو السوق أو المحاكمات ـ بعد أن اقتبستها الكنائس نظاما لها[٨]، قال ذلك في كتابه المسجد الأموي بالمدينة باريس ١٩٤٧م[٩] La Mosquee Omayyades de Medine. Paris 1947.

ب ـ وافق على هذا الرأي ـ بل نقله دون إسناد ـ الأستاذ أوليج جرابار، في كل ما كتب عن عمارة المساجد، وفي بحثه عن العمارة والفنون من كتاب موبيل أويل عن عبقرية الحضارة العربية ص ٩٦ من الترجمة العربية، التي طبعت على نفقة وزارة الإعلام بدولة الإمارات العربية المتحدة.

٨ ـ ادعى إيلي لامبير Elie Lambert أن المساجد اقتبست نظامها من المعابد اليهودية! قال ذلك في كتابه «هيكل دورا» ـ اليهودي ـ ومصادر المساجد. باريس ١٩٥٠ الجزء ٣ ص٦٧، ٧٢.

La Synaguogue de Douar - Europac et les Origines du Mosquees Semitica Vol III Paris 1950.

هذه بعض الأمثلة من الادعاءات، ولكنها محيطة بدعاواهم التي افترضت أنها أساس نظام عمارة المساجد الإسلامية.

وهذه ادعاءات ونظريات مرفوضة جملة وتفصيلا قبل ادّعائها.

● أولا: أما جملة:

فلأن الإسلام ـ وإن كان دينا موحّدا ـ وهو دين النبوات منذ بدء الخليقة؛ حتى ختام الرسل بمحمد ﷺ لم يقتبس أصلا أي لون من ألوان عباداته فضلا عن تشريعاته، حيث انفرد بصورة عباداته جميعا بما وضحه القرآن والسنة[١٠]، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، وليس هذا البحث محل بيانه، ويكفينا فيه ما أوجزنا.

● ثانيا: وأما تفصيلا:

أ ـ فلأن رسول الله ﷺ لم يبن ـ فور دخوله المدينة ـ تسعة بيوت لزوجاته ثم جعل بينها رحبة يلتقي فيها بالمسلمين؛ وذلك أنه ﷺ هاجر دون أهله، مع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، ولم يكن له من زوجات يومئذ إلا سوْدَة بنت زمعة ـ رضي الله عنها، والتي لحقت به وبناته إلى المدينة بعد ذلك بشهور، ولم يحتج إلى بيت آخر إلا في شوال من السنة الثانية من الهجرة ـ أي بعد اثنين وعشرين شهراً من البدء في بناء المسجد حسب الروايات



الإسلامية - وذلك حين بنى بعائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما.

ذكر ذلك الحافظ شمس الدين الذهبي، ونقله عنه الإمام الزركشي - محمد بن عبد الله بن بهادر - في كتابه إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٢٤.

ب - وما ذكروه من أن النبي ﷺ؛ ذكر كراهيته للبناء، وأنه مفسدة للمؤمن - كريسويل - أو أن الإسلام - في فجره - لم يتطلب أمكنة مقدسة للعبادة عملا بالحديث: «حيثما أدركتك الصلاة فصل فإنه مسجد».

فذلك يتنافى مع ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنن، ثم ما ذكرته طبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام وابن إسحاق، والطبري، وابن خلدون - وغيرهم - من أن أول ما فعله رسول الله ﷺ - بعد أن بركت ناقته - هو البدء ببناء المسجد.

جـ - وأما حديث «حيثما أدركتك الصلاة فصل فإنه مسجد» فليس إلا جزءا من حديث روته الكتب الصحاح كلها؛ عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أولا؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أيّ؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة» ثم قال: «أينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد» وفي رواية «فكلها مسجد» رواه الجماعة.

د - ولكنّ هناك أمراً يوضح أن الصلاة في أي مكان من الأرض؛ هو مما اختص الله عز وجل به نبيه ﷺ وأمته، ولا يتعارض ذلك مع إقامة الأبنية للعبادة، أما هذا الأمر فهو ما رواه مسلم عن جابر ابن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة؛ وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا؛ فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة».

فطهارة الأرض، والصلاة في أي مكان ميزة ميز الله بها محمداً ﷺ وأمته.

هـ - ويؤكد وجوب بناء المساجد، ما روي عنه ﷺ من أحاديث نكتفي منها بحديث رواه عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، حينما هم بتجديد وزيادة عمارة المسجد النبوي سنة ٢٩ من الهجرة، ورأى كراهة في وجوه بعض الناس، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى لله مسجدا[11] يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة» متفق عليه.

وهناك دليل آخر يثبت وجود المسجد النبوي الشريف في حياة رسول الله ﷺ وهو ما رواه الجماعة من قوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى».

وما رواه الإمام أحمد من قول رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة».

وما رأي هؤلاء الأدعياء في قول الله عز وجل:

﴿إنما يَعْمُرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة...﴾ [التوبة ١٨].

﴿.. لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه..﴾ [التوبة ١٠٨].

﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ [الجن ١٨].

وما يراه «سوفاجيه» وغيره من أن المسجد بني لأول مرة في المدة من ٨٩ إلى ٩٢ من الهجرة في ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة فإن هذه العمارة كانت التجديد الرابع في سلسلة أعمال تعمير المسجد النبوي؛ وهي حتى عمارة عمر بن العزيز على الترتيب:

١) تجديد النبي ﷺ للمسجد وتوسعته سنة سبع من الهجرة.

٢) تجديد عمر بن الخطاب للمسجد وتوسعته سنة ١٧ للهجرة.

٣) تجديد عثمان بن عفان للمسجد وتوسعته سنة ٢٩ للهجرة.

٤) تجديد عمر بن عبد العزيز للمسجد وتوسعته المذكورة وسنأتي في سياق البحث - إن شاء الله - على أسباب تلك الزيادات وأساليبها.

● **ثالثاً**: أ - قام الدليل التاريخي على أن رسول الله ﷺ بنى مسجدين لأول هجرته: الأول مسجد قباء الذي قال الله تعالى في حقه ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجالٌ يحبّون أن يتطهروا..﴾ [التوبة ١٠٨] أقامه من لَبِن ثم سقفه أهل قباء بعد ذلك بالجريد والخصف، اقتداء بما فعله رسول الله ﷺ في مسجده لما سأله الناس أن يظلهم من الحر والمطر.

الثاني: مسجده المعروف إلى يومنا هذا، والواقع غرب البقيع، وسنورد تفاصيل عمارته وكيف كان تخطيط الرسول ﷺ فيه أصل عمارة المساجد وتخطيطها من بعده.

بل كان من تدبير الله عز وجل أن اتخذ المكان نفسه «أسعد بن زرارة» مسجدا بعد أن سوّره ليصلي فيه مع مسلمي الأنصار قبل قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة.

ب - وبذلك يكون المسلمون الأوائل قد عرفوا المساجد الجامعة في حياة الرسول ﷺ.

جـ - لما همّ بنو سلمة - في أطراف المدينة - ببناء مسجد لهم في حيّهم، لبعدهم عن المسجد النبوي الشريف، ورغّبهم الرسول ﷺ في عدم فعل ذلك، ووجدت حول المسجد فسحة؛ فهموا بالانتقال للسكن حوله، فنبههم رسول الله ﷺ إلى ثواب المشيْ إلى المسجد.


مسجد قباء بعد انتهاء أعمال التجديد

فقد أخرج الإمامان أحمد ومسلم - بسنديهما - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد» قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: يا بني سلمة: دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم».

كما أخرج ابن أبي حاتم والترمذي ـ بسنديهما ـ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة، فأرادوا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد فنزلت ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾[12] فقال لهم النبي ﷺ: «إن آثاركم تكتب» فلم ينتقلوا[13] وكفوا عما يريدون من بناء مسجد أو الانتقال.

● **رابعا**: لم يختلف المؤرخون المسلمون على أن المساجد قد أقيمت حيث وجدت تجمعات المسلمين فيما تم فتحه من الآفاق، مع تخطيط المدن الجديدة مثل الكوفة والبصرة ـ ١٧هـ ـ والفسطاط ـ ٢٢هـ ـ والقيروان ـ ٥٠ هـ ـ كما اتخذ المسلمون المساجد في أماكن وسيطة في دمشق وحمص وبيت المقدس، وقد سبق أن ذكرتُ خبر مسجد دومة الجندل ـ في واحة الجوف ـ في مقالي: المآذن في آفاق المدن الإسلامية ـ الذي يرجع إلى عصر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ[14]

● **خامسا**: لم يكن الرسول ﷺ، ولا صحابته من الأنصار والمهاجرين في حاجة إلى من يعلمهم كيف يخططون وينشئون مسجدا، فقد كانت الحاجة هي التي أملت على رسول الله ﷺ ـ ثم امتدح الوحي فعله ـ أن يتخذ مسجداً، وكان المكان والخامات المتاحة هي التي أملت مراحل العمل، وما تم بعد ذلك هو خير ردّ على من زعموا أن للمساجد أصولا فرعونية، أو فارسية، أو بازيليكا رومانية، أو هياكل يهودية.

تخطيط المسجد النبوي الشريف

الحقيقة أن بناء المسجد النبوي في ذاته كان هدفا لرسول الله ﷺ فور وصوله إلى المدينة ـ وهذا ما أجمعت عليه كتب السنة وكتب السيرة ـ وقد صدرنا البحث بخلاصة ما جاء في هذه المراجع، والسبب الذي من أجله بدأ رسول الله ﷺ أعماله ببناء المسجد.

وقد كان اختيار المكان هو البداية، ثم تتابعت مراحل العمل حتى تمام البناء، ثم كان مُضيّ الزمان واحتياجات الناس عاملين في تطوّر التخطيط، حتى أخذ المسجد صورته الكاملة قبيل انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

وقد حافظ الصحابة والتابعون ومن خلفهم على هذا التخطيط، بل قد احتذوا حذوه فيما أقاموا من مساجد تفرقت في آفاق الأرض.

توسعة خادم الحرمين الشريفين زودت بنظام حديث لتلطيف الهواء

١ ـ المرحلة الأولى، وهي: أ ـ إعداد المكان للوظيفة التي اختير لها.

ب ـ إعداد المواد التي ستستخدم في تجهيز المكان لوظيفته.

٢ ـ وكانت المرحلة الثانية تتمثل في: أ ـ البناء الفعلي ب ـ أدوات البناء جـ ـ طريقة البناء وأساليبه.

٣ ـ أما المرحلة الثالثة فكانت في ظروف الاستخدام وطبيعتها التي اقتضت تعديلاً في عناصر المبنى، وقد تمثلت تلك الظروف في:

أ ـ عوامل الحرارة ـ حرارة الشمس في المكان غير المظلل ـ ثم برد الشتاء والمطر.

ب ـ تحويل القبلة من بيت المقدس ـ القبلة الأولى ـ إلى الكعبة.

جـ ـ ضيق المكان بالناس في السنة السابعة للهجرة والحاجة إلى توسعته.

وظائف المسجد الأول

كانت هذه الوظائف هي:

أ ـ أداء الصلوات الخمس جماعة مع رسول الله ﷺ ـ في حياته، وأثناء وجوده في المدينة، أو مع نائبه عندما يخرج لغزوة برأسها بنفسه، أو مع خليفته بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

ب ـ الاجتماع حول رسول الله ﷺ؛ لتعلم ما جدَّ نزوله من وحي، أو تفهم أمر من أمور التشريع.

جـ ـ الاجتماع عند النذير أو النفير، عندما يدعو رسول الله ﷺ، لتجهيز جيش لغزوة، أو عقد الألوية للكتائب والبعوث والسرايا.

د ـ القضاء في أمور المسلمين فيما يحدث من أحداث... الخ ما ذكرنا من وظائف المساجد في أول البحث.

وقد ظل هذا الأمر طوال عهود الخلافة الراشدة، ثم كان دأب الولاة بعدهم في المدينة والأمصار التي أصبحت عواصم إسلامية بعد اتساع رقعة دولة الإسلام.

● **المرحلة الأولى: الإعداد**

كان المكان ـ كما ذكرت الأخبار ـ مِرْبَداً فيه نخيل متفرقة، قبور جاهلية مهجورة، وماء مستنجل ـ أي نشع[15] مياه في أنحاء متفرقة نبتت فيها بعض الحشائش.

فأمر رسول الله ﷺ بالنخيل فقطع، ولم يُعَد النخيل المقطوع، بل جنّب لاستخدام جذوعه وجريده وخصفه ـ سعفه ـ فيما بعد.

وأمر بالقبور فنبشت، وجمعت عظامها، ثم غيبت على عمق بعيد في باطن الأرض.

والماء المستنجل سيروه عن مكانه إلى حيث استخدم بعد ذلك في إعداد عجينة اللبن للبناء، وانتزعت الحشائش مع تسيير الماء، وجمعت لتجفف وتدخل في تكوين اللَّبن.

وبعد إزالة العوائق، صارت أرض المربد فضاء متسعاً.

● **المرحلة الثانية: العمل**

١ ـ بدأ الصحابة في حفر الأرض ـ حول المكان ـ بعمق ثلاثة أذرع ـ لإقامة أساسات الجدران، ثم بنى الأساس بالحجارة؛ وذلك فهم معماري واع، لأن اللَّبن في الأساسات تفسده المياه الباطنية، فلا يساعد على تماسك الجدران القائمة فوق الأساس.

٢ ـ أ ـ بينما كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومعهم سيد الخلق ﷺ يحفرون الأرض في مواقع الجدران، كان فريق آخر يعد اللبن لبناء الجدران، باستخدام الطين ويابس النجيل ومخلفات الشعير أو القمح ـ التبن ـ وهو ما يعرف بضرب اللبن، حيث يقطع قطعا متساوية أو متقاربة، ثم يترك ليجف قبل أن يبنى به.

وعند ما بدأ البناء، كان النبي ﷺ يحمل

اللبن معهم: فقد جاء في حديث البخاري عن عـــروة بن الـــزبير رضي الله عنهما: [. . . فساومهما[16] بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة، حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً، فطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه، وهو يقول - حين ينقل اللبن:

هــذا الحمال لا حمال خيبر[17]

هــذا أبـــرّ ربنــا وأطهــر

ويقول:

لا هُمَّ إن الأجـر أجـر الآخـرة

فـارحم الأنصـار والمهـاجـرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسمَّ لي؛

قال ابن شهاب - الزهري - ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات[18].

ب - كانت هناك عناصر أخرى استعملت في عملية البناء؛ هي الحجارة بأنواعها المختلفة: البازلتية، وهي كثيرة في أطراف المدينة، والصخور الجرانيتية والرملية، وقليل من الحجر الجيرى، ثم جذوع النخيل التي انتزعت من أرض المربد عند تسويته.

٣ - أ - عندما بدأ البناء: جعل أساس الجدران من الحجارة، قريبا من ثلاثة أذرع.

ب - أقيمت الجدران فوق الأساس بارتفاع سبعة أذرع، وعرض الجدار لبنتان متجاورتان، فكانت الجدران من اللبن دون الحجارة.

جـ - جعل للمكان ثلاثة أبواب، وجعلت عضادات - أكتاف - هذه الأبواب من حجارة، وهذا فهم معماري آخر لكثرة الاحتكاك بالأبواب دخولا وخروجا.

د - القبلة - جدار القبلة - في البناء الأول: كانت تتجه إلى بيت المقدس، ومادة جدار القبلة تعددت الأخبار فيها:

١ - قال أنس بن مالك - رضي الله عنه - في حديث مسلم: إن جدار القبلة كان من جذوع النخيل مصفوفة، ونص عبارته: (وصفت جذوع النخيل قبلة).

٢ - يذكر صاحب «إعلام الساجد» أن جدار القبلة كان من اللبن.

٣ - ثم يذكر المرجع السابق أنها كانت من حجارة - نقلا عن عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري - ج - ٤ ص ١٧٤.

٤ - وهذا ما ذكره السهيلي في «الروض الأنف»، وذكره العمري في «مسالك الأبصار»: ذكر أن القبلة كانت من حجارة منضودة بعضها على بعض.

ويبدو من مقابلة الروايات أن جدار القبلة الأولى - الذي اتجه إلى بيت المقدس، كان من جذوع النخل مصفوفة، وهذا ما أجمعت عليه كتب السنة في الخبر عن العمارة الأولى.

فلما حولت القبلة بعد ستة عشر أو سبعة عشر شهراً إلى الكعبة؛ كان نحو جدار مؤخرة المسجد وكان من لبن.

ولما توسع رسول الله ﷺ في عمارة المسجد في السنة السابعة للهجرة جعل الجدار من حجارة منضودة، وهكذا يرتفع الخلاف.

● المرحلة الثالثة: الشكل النهائي على عهد رسول الله ﷺ

لم تكن الصورة التي ذكرناها: أرض فضاء مسورة بسور ذي أبواب ثلاثة، دون سقف هي الصورة النهائية للبناء؛ فقد تدخلت عوامل متعددة شاء الله عز وجل أن يكون لها تأثير في تعديل المظهر النهائي للبناء.

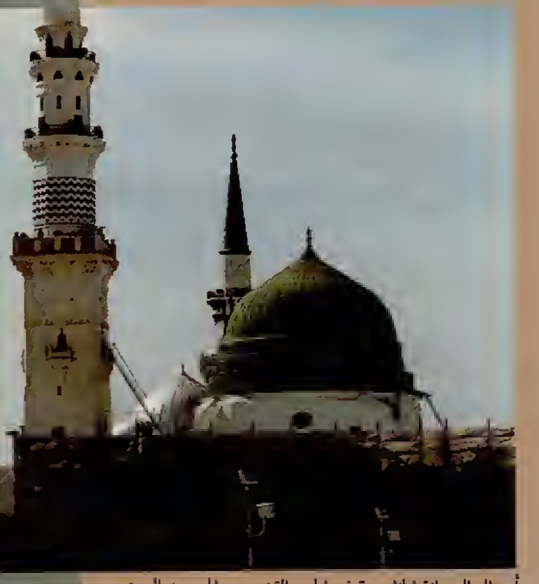
١ - يذكر السمهودي في كتابه «وفاء الوفى[19]»: أن البناء كان جدرانا أربعة بلا سقف، فلما شكا الناس شدة الحر ثم المطر، أقام رسول الله ﷺ لهم ظلة من جذوع النخل، سواريها «أعمدتها» من الجذوع، تحمل عوارض فوقها، ثم جعل على العوارض الجريد والسعف والخصف والإذخر[20]، ثم جعل فوق كل ذلك الطين المطرور، وبهذا شكل الخليط سقفا متماسكا أظلهم من الحر والمطر[21]، وبقيت بقية الساحة مكشوفة.

٢ - بعد ستة عشر أو سبعة عشر شهرا؛ نزل أمر الله بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة: ﴿قد نرى تقلُّب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره. .﴾ [البقرة ١٤٤].

فلما حُوِّلت القبلة إلى الكعبة؛ أقيمت ظلة ثانية مماثلة للظلة الأولى، وبنفس موادها وأبعادها ومواصفاتها، في المكان الذي كان مؤخر المسجد، فأصبح بهذا التحويل مقدما، وصار بين الظلتين رحبة سماوية مكشوفة، وصارت الظلة الأولى الشمالية مؤخر المسجد، وفي جزء منها سكن أهل الصفَّة - فقراء الصحابة.

٣ - اختلف رواة كتب السيرة حول أبعاد المسجد الأول؛ هل كانت ١٠٠ × ١٠٠ ذراع؛ أم كانت ٦٣ × ٧٠ ذراعا، ولم يختلفوا حول عدد الأساطين - الأعمدة - أو السواري، فقد أجمعوا على أنها كانت في كل ظلة ثلاثة صفوف كل صف يضم ست سوار.

٤ - في السنة السابعة من الهجرة ضاق المسجد



أعمال الصيانة الخارجية في الجزء القديم من المسجد النبوي

بالناس، ويذكر السمهودي: [ثم كثروا؛ فقالوا: يا رسول الله لو زيد فيه، ففعل؛ واشترى بقعة من أنصاري زيدت في المسجد] فزاد من شرقيه بمقدار عشرة أذرع ومن غربيه بمقدار عشرين ذراعا، وبذلك زاد أساطينه أو سواريه وعمده من جهة الشرق سارية، ومن جهة الغرب ساريتين، فصارت صفوف الأعمدة كل صف تسع سوار.

. وهكذا وفي حياة رسول الله ﷺ أخذ المسجد شكله وتخطيطه الذي اقتضته الوظيفة الشرعية والاجتماعية، وحاجة الناس وراحتهم في استخدام المكان.

٥ - لم يعمَّر البناء الذي أسسه رسول الله ﷺ طويلا، وذلك لأن المواد التي استعملت لم تكن تحتمل العوادي طويلا، ولقد أعيد تعمير المسجد ثلاث مرات قبل انتهاء القرن الأول الهجري، إلا أن هذه الإعادات قد التزمت تخطيط المصطفى ﷺ[22].

أ - وذلك أن جذوع النخل نخرت في عهد أبي بكر - رضي الله عنه - فجددها بجذوع النخل

والجريد كما كانت.

ب ـ وضاق المسجد بعد ذلك مرة أخرى بالمسلمين، فجدده عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في سنة سبع عشرة هجرية ـ ٦٣٧م ـ على بنائه على عهد رسول الله ﷺ، وأعاد عمده خشبا منجورا، وسقفه كذلك، وقال للبناء لا تحمّر ولا تصفّر حتى لا تفتن الناس وزاد في المسجد فجعله من المشرق إلى المغرب مائة وعشرين ذراعا، وما بين جدار القبلة إلى جدار المؤخرة مائة وثلاثين ذراعا، وكانت الزيادة من جهة القبلة والغرب والشمال.

والشيء الوحيد الذي زاده زيد بن ثابت، هو أنه جعل في الجدارين الشرقي والغربي طيقان أي نوافذ مما يلي السقف، وهذا لا يعدّ تغييرا في تخطيط رسول الله ﷺ، ولكنه يساعد على التهوية بعد اتساع السقائف.

د ـ وبقي المسجد بعد ذلك على حاله من عمارة عثمان ما يقرب من ستين سنة، حتى بعث الوليد بن عبد الملك بمال إلى عامله على المدينة ومكة عمر بن عبد العزيز، وأمره بإعادة بناء المسجد وتوسعته، وقد جاء كتاب الوليد بذلك سنة ٨٨هـ ـ


مشروع خادم الحرمين الشريفين للتوسعة وقد حشدت كل الإمكانات الهندسية والطاقات الفنية لإنجازه

وكانت الزيادة من جهة الغرب قدر بيت العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه عم المصطفى ﷺ وكانت لاصقة بنهاية جدار القبلة وجعل للمسجد ستة أبواب.. الخ.

ج ـ وفي سنة تسع وعشرين ـ ٦٤٩م ـ شكا الناس إلى عثمان ـ رضي الله عنه ـ ضيق المسجد فزاد فيه زيادة كبيرة، وأعاد بناءه بالحجارة المنقوشة ـ المنحوتة ـ والقصة ـ الجص ـ وجعل عمده من حجارة منقوشة ـ منحوتة ـ وسقفه بالساج ـ خشب متين معمّر ـ وكان عثمان يشرف بنفسه على العمل، وفرغ منه بعد عشرة أشهر، وزاد من جهة القبلة إلى ما هو عليه الآن، ولم يزد من جهة الشرق، ولكن زاد من جهة الغرب والشمال فأصبح طول المسجد مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وثلاثين ذراعا وكان المسؤول عن مباشرة العمل هو زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ فقدر أساطينه على قدر[٢٣] جذوع النخل على عهد رسول الله ﷺ، وما زالت هذه سنة كل من أعمر في المسجد النبوي حتى عصرنا.

٧٠٦م، وبدأ العمل حتى فرغ من العمارة سنة ٩١هـ ـ ٧٠٩م ـ وكان القائم على شؤون العمارة «صالح بن كيسان» معلم عمر ومؤدبه.

ومما ذكر السمهودي في «وفاء الوفى»: لما صار عمر بن عبد العزيز إلى جدار القبلة؛ دعا مشيخة أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالي؛ فقال لهم تعالوا احضروا بنيان قبلتكم، لا تقولوا: غير عمر قبلتنا، فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانه حجراً.

وكانت الأعمدة من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص، وزاد صالح بن كيسان عن التخطيط الأول أن وصل بين مقدم المسجد ومؤخره بسقائف على جانبي الرحبة المكشوفة، وجعل للمسجد أربع مآذن، وجعل في جدار القبلة أول محراب مجوف.

أساليب البناء

عند مراجعة كتب الخطط مثل مسالك الأبصار[٢٤]، ووفاء الوفى للسمهودي، وملخصاته، وكتب السيرة، نجد أن هناك عبارات اصطلاحية قد استعملها مؤلفو هذه الكتب، والمتتبع لهذه الاصطلاحات يخرج بنتيجة مهمة هي:

أن البناء الأول الذي تمت إقامته، رغم بساطة المواد والخامات، إلا أنه عمل هندسي متكامل الأبعاد، صالح لوظائفه التي بُني من أجلها، ودليلنا في ذلك الجمل الفنية التعبير، التي تميز خصائص الأساليب التي أصبحت بعد بناء المسجد الشريف قدوة في مساجد كثيرة بنيت بعده، وإن تطورت الخامات من لبن إلى آجر أو طابوق[٢٥]، ثم غلب استعمال الحجارة، وربما تبادل العنصران في البناء الواحد.

فابن فضل الله العمري حين يصف جدار القبلة بأنه بنى بحجارة منضودة؛ فإن ذلك يعني أن البناء كان مستقيم الهيئة، من حجارة مرتبة في نظام ونسق، حتى يتم تلاصق حواف الحجارة، وتماسك الجدار.

والسمهودي عندما ذكر أساليب البناء باللبن، وهو العنصر الغالب على بناء الجدران، قال: بنى الجدار بالسميط، لبنة على لبنة، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى. ونفهم من ذلك طريقة وضع اللبنات وتتابعها أو تقاطعها وذلك يكون في الجدار المفرد اللبنات والمزدوج.

وذلك التوزيع يمكّن لتماسك البناء؛ حيث تمثل اللبنات الخلايا الطولية والعرضية في تكوين عضلات الإنسان أو الحيوان، والألياف الطولية والعرضية في سمارة الأخشاب، وبذلك التوزيع يتم التماسك بعد جفاف الملاط.

وعندما أعيد بناء المسجد في السنة السابعة من الهجرة وتوسعته؛ يذكر السمهودي أنه بنى بالذكر والأنثى، وهو أسلوب يسميه البنّاؤون: «أذية وشناوي» عُمْدته تخالف صفوف اللبنات، وهو أدعى إلى جمال التوزيع قبل التجصيص وزيادة التماسك.

إذاً فلم يكن البناء والتخطيط بدائيين، ولكنه كان ـ رغم بساطة المواد ـ بناء فيه حِرَفية وصنعة عمّرت سبع سنوات في المرة الأولى، ثم إلى عهد عمر باستثناء استبدال الجذوع في عهد أبي بكر ـ رضي الله عنهما.

عبقرية الحضارة العربية!

هكذا كانت الحاجة والمكان والمواد هي التي

صنعت ذلك النموذج الأول للمساجد الذي بناه الصحابة رضوان الله عليهم؛ وشارك رسول الله ﷺ في كل مراحل العمل، حتى تم بفضل الله.

لكن عبارات «أوليج جرابار» في كتبه والتي لخصها في بحثه «العمارة والفنون» من كتاب «عبقرية الحضارة العربية» تثير حفيظة المؤمن الذي يثق في روايات السنة والسيرة.

١ ـ فقوله: «عندما انتشر الإسلام وازدهر، أخذت الجماعات الإسلامية تشعر بحاجة متزايدة إلى إضفاء شئ من الرسمية على الشعائر الدينية (!!؟) . . . فقد أصبحوا محتاجين إلى ما يسمى اليوم «مركزا تجميعيا» ـ أي مكان يجمعهم.

وهذا الكلام تنقضه أخبار السنة والسيرة فالمسجد النبوي وعمارته كان أول فعل فعله رسول الله ﷺ فور وصوله إلى المدينة.

ودعوى شعورهم بالحاجة المتزايدة إلى إضفاء شيء من الرسمية على الشعائر . . . ينفيه أمر الله بذلك في القرآن الكريم ومتابعات الحديث النبوي:

في سورة النساء يقول الله تعالى، بعد تحديد صفات صلاة الخوف: ﴿. . فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ [الآية ١٠٣] فهي شعيرة رسمية بأمر الله، وليست من إضافات المؤمنين، وإقامة الصلاة أداؤها في صفاتها وأولها الجماعة.

ويقول الله عز وجل في سورة التوبة: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ [الآية ١٨].

وفي سورة الإسراء: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر . .﴾ [الآية ٧٨].

٢ ـ وقوله: «وفي المدينة المنورة كانت هذه المطالب كلها يفي بها بيت الرسول، الذي كان يزداد اتساعا مع ازدياد أتباع هذه العقيدة الجديدة».

وهذا كلام ردّته قبل أن يقال أخبار السنة والسيرة وكتب التاريخ والخطط.

٣ ـ وقوله: «. . ولم تكن هناك في بادئ الأمر نماذج محددة سابقة يمكن أن تحاكى في مثل هذه الأبنية الواسعة . .».

وهل كلّ بناء يبنى ـ لحاجة وظيفية ـ لا بد له من مثال سابق حتى يقام على غراره؟ !

ثم يقول «. . . اللهم إلا المنشآت العامة التي كانت تقام في زمن الرومان، والتي كانت في القرن السابع قد هجرت في معظمها، وعاثت فيها يد الخراب . . .».

وأين كانت هذه الأماكن في المدينة حيث بنى رسول الله ﷺ مسجده، أو بناها الصحابة في الكوفة والبصرة والفسطاط . . الخ وكلها بنيت بنفس أسلوب وتخطيط مسجد رسول الله ﷺ الأول.

ويعود فيقول: «. . . إلا أن في وسعنا اليوم بفضل ما وصلنا من مؤلفات الأقدمين أن نعرف تفاصيل المسار الذي أعاد المسلمون من خلاله اكتشاف شكل البناء المعمد القديم، وجعلوه ملائما لحاجاتهم الجديدة . .».

ونقول إنهم مع رسول الله ﷺ صنعوه على غير مثال، وكانت حاجاتهم فرائض فرضها الله من أول يوم نزل الوحي، فخططوا بمقتضى ما افترض الله عليهم.

درة مساجد الدنيا

وبقي المسجد النبوي الشريف ـ بعد الحرم المكي ـ محط رعاية الخلفاء والولاة والسلاطين منذ عمارة عمر بن عبد العزيز، دخل في عناصرها الرخام والفسيفساء والتذهيب، وارتفعت السقوف فوق الأعمدة الحجرية أو الرخامية عالية، مع زيادة المساحة في كل عمارة تقام، وكان أول من عمّر وزاد في ساحة المسجد المبارك: المهدي العباسي ١٦١هـ/ ٧٧٨م، وقد عاين السمهودي بنفسه بعض الزخارف التي عمّرت منذ عهد المهدي.

كما زار المسجد الشريف الرحالة ابن جبير سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م ووصف أروقته وساحته وسقوفه، وحتى ذلك العهد لم تكن العقود أو الأقواس قد ارتفعت فوق الأساطين لتحمل السقوف.

ثم احتاج المسجد إلى ترميم إثر حريق شب في جزء منه سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م فرمّم وزيد في سعته، فلما سقطت الخلافة العباسية، وَالى سلاطين المماليك في مصر عنايتهم بالمسجد المبارك، بما حبا الله دولتهم من خيرات وصنائع، وصُنّاع ازدهت بهم فنون المسلمين.

وفي عهد سلطان مصر الملك الأشرف قايتباي، جاءه الخبر بشبوب حريق في المسجد الشريف فجهز العمال والصناع والحرفيين، وخرج في تعبئة كبيرة خرجت قوافلها إلى المدينة المنورة،

وبدأت العمارة سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م، وما تزال بعض زخارف وأعمال الأشرف قايتباي تُرى في واجهة محراب عثمان، ومحراب المصطفى ﷺ بجوار المنبر، فضلا عن أعمال النحاس في الغرفة النبوية، والمنارة الشرقية إحدى روائع تلك العمارة.

العمارة التركية

وقد ظلت عناية سلاطين آل عثمان مستمرة منذ أن سيطروا على عدد من البلاد العربية بما في ذلك مكة والمدينة حتى كانت سنة ١٢٦٥هـ ـ



النجف النحاسي المطلي بالذهب، أحد أكبر العناصر الجمالية داخل المسجد

١٨٤٨م حيث بدأت أكبر توسعة وعمارة في المسجد منذ عمارة الأشرف قايتباي.

فقد أرسل السلطان العثماني «عبد المجيد» حملة من المهندسين والعمال والصناع، حيث تم معاينة التصدعات، والكشف الكامل على مرافق المسجد المبارك، ثم استمرّ العمل ثلاثة عشر عاما، ومن أبرز معالمها الآن جدار القبلة، وزخارفه وكتاباته التي تنسب لأمراء البيت العثماني الذين كانوا يبدعون في القلم الثلث، والمنبر، والتمييز بين أعمدة الروضة وباقي عمد رواق الصلاة الأمامي، والقباب الصغيرة فوق سقف المسجد، فضلا عن الغرفة النبوية والقبة الخضراء.

عمائر آل سعود

وفي عهد العاهل السعودي الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أعلن سنة ١٩٤٨، ١٩٤٩م بيانا على العالم الإسلامي، بين فيه عزمه على توسعة

الحرم المدني، وقد بدأت أعمال تلك الزيادة عام ١٩٥٠م. وقد أصدر ـ رحمه الله ـ أوامره بالإبقاء على العمارة المجيدية لجمالها وفخامتها وتمت الزيادة فيما وراءها، وكانت زيادة الملك عبد العزيز أكبر مساحة أضيفت إلى رقعة المسجد منذ السنة السابعة للهجرة.

وقد تميزت عناصر الزيادة السعودية بالجمال والروعة تمثل ذلك في عقود الأروقة، وانتشار الأعمدة في نظام بديع، علتها تيجان عربية الطراز، جعلها المصمم مراكز إضاءة فازدهى الناظر شكلها ليلاً ونهاراً، فضلا عن توزيع الألوان في «صنج العقود» التي حاكت فروع النخيل جمالا وصنعة في تتابعها.

وفيها أثر عن رسول الله ﷺ: «لو مد هذا المسجد إلى صنعاء فهو مسجدي». لذلك توكل خادم الحرمين الشريفين «فهد بن عبد العزيز» على الله ووضع حجر أساس أكبر زيادة في عمارة الحرم النبوي سنة ١٩٨٥م وذلك بعد دراسة لعدة مشاريع قدمت لتنفيذ هذه الزيادة، وقد تم ـ مؤخراً ـ الانتهاء من المشروع بفضل الله وتوفيقه.

وفي هذه العمارة الواسعة التي بلغت خمسة أضعاف المسجد التي بلغها بزيادة الملك عبدالعزيز «رحمه الله» حشدت كل الوسائل الهندسية والتقنية ـ دون المساس بالتوازن الجمالي لامتداد المسجد القديم وتوسعاته السابقة ـ ليكون البناء قابلا للتوسعة



القباب المتحركة، للاستفادة القصوى من التهوية الطبيعية، وتظليل المسجد عند الحاجة.

ولم يكفّ خلفاء الملك عبد العزيز عن العناية بالحرم النبوي، فاتخذوا حوله الساحات المظللة، لتؤوي عمار المسجد في جميع مواسم السنة، مع تجهيزها بكل احتياجات الحجاج والزوار.

إبداع حضاري مؤمن

مع تقدم وسائل المواصلات ــ براً وبحراً وجواً ـ زاد عدد الحجاج والزوار، في موسم الحج وفي رمضان حتى تخطى المليونين وقارب الثلاثة في بعض السنوات، وجاء ذلك مع ما جدّ في أساليب الإنشاءات، وما دخل في المباني من أدوات تكييف الهواء والإضاءة المنظورة وغير المنظورة، والسقوف والقباب المتحركة.

وكل ذلك تمكنت منه المؤسسات التعميرية في المملكة فاحتاج المسجد إلى توسعة فريدة.

رأسيا وأفقيا إذا احتاج الأمر فيما يستقبل إن شاء الله، لمضاعفة طاقة استيعاب المسجد وساحاته.

وقد زادت مساحة العمارة المغطاة والمسقوفة بالسقوف والقباب المتحركة من ١٦٥٠٠ م٢ إلى ١٦٥٠٠٠ متر مربع، مكيفة صيفا وشتاء، دون تنافر بين طراز الزيادة، وعناصر الفن العربي والتركي في الزيادات السابقة، مع إضافة ست مآذن جديدة موزعة على أركان الزيادة سامقة الارتفاع لترى من آفاق بعيدة.

إنها عمارة جمعت محاسن الفن الإسلامي، وما جاءت به تقنية الحضارة الحديثة يطول الكلام لاستيعاب حسناتها، وقد طال بنا الحديث دفاعا عن أصول تاريخ عمارتنا المسلمة المفترى عليها، فاستطردنا لبيان حسنات المعمّرين، وفي ذروتهم آل سعود بارك الله في جهادهم وجهودهم. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الهوامش

(١) قال ابن كثير: لما نزلت ﴿اليوم أكملت لكم دينكم..﴾ وذلك يوم الحج الأكبر؛ بكى عمر، فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك؟» قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأمّا إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال: «صدقت».

(٢) لم يقصد ﷺ بالمنزل ما نعرفه الآن، وإنما قصد نهاية الرحلة، فنزل عنها، وحمل أبو أيوب الأنصاري متاع رسول الله ﷺ إلى داره، فلم يمانع رسول الله ﷺ.

(٣) هما: سهل وسهيل ولدا نافع بن عمر بن ثعلبة بن النجار، وكانا يتيمين تحت رعاية أسعد بن زرارة أحد نقباء بيعة العقبة الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام والنصرة والمنعة.

(٤) الحائط في عرف القوم البستان، ولما كان فيه نخيل عدّه رسول الله ﷺ حائطا.

(٥) إلا ما كان من العباس ــ رضي الله عنه ــ عم المصطفى ﷺ الذي تنازل عن داره عندما همّ عمر ــ رضي الله عنه ـ في الزيادة بعد أخذ ورد، وكانت الدار لصق المسجد الشريف.

(٦) وقد ناقشت صاحب هذا الرأي: أوليج جوابار، عندما التقيت به في ندوة المحاريب وزخارفها، التي عقدت في معهد جماليات الفن الإسلامي بالسربون ١٩٨٠م ــ أيار/ مايو ــ بإشراف الكمندر بابادوبلو ـ وهو يوناني مصري، هاجر إلى باريس في الخمسينيات.

(٧) ربما كان ذلك القول مبنيا على روايات المؤرخين التي ذكرت أن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ صلى صلاة الفتح في إيوان كسرى.

(٨) تصور مندهشا عندما تسمع: المسجد البازيليكا ؟!؟ ماذا تعني؟!

(٩) وكأن رسول الله ﷺ لم يبن مسجدا ثم زاد فيه الأمويون، وإنما هم الذين بنوه لأول مرة سنة ٩٠هـ.

(١٠) ومن ذلك رفض رسول الله ﷺ اتخاذ وسائل إعلام غير المسلمين للنداء إلى الصلاة حتى شرع الأذان نداء اسلاميا خالصا أحاط بأساسيات الإسلام.

(١١) وفي بعض الروايات «مسجداً ولو كمفحص ـ عُش ـ قطاة».

(١٢) آية ١٢ سورة يس.

(١٣) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(١٤) في العدد ١٩١ جمادى الأولى ١٤١٣هـ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٢م من مجلة «الفيصل».

(١٥) النشع: الماء الذي خَبُثَ طعمُه.

(١٦) أي ساوم سهلا وسهيلا يتيمي بني النجار.

(١٧) أحمال التمر التي اشتهرت بها خيبر.

(١٨) هذا لفظ البخاري وقد تفرد بروايته دون مسلم، وله شواهد من وجوه أخر.

(١٩) هو: نور الدين علي بن أحمد توفي ٩١١هـ، وكتابه: «وفاء الوفى بأخبار دار المصطفى».

(٢٠) السعف معروف، والخصف ما شُبك وجُدل من السعف، والإذخر نبات عريض الأوراق.

(٢١) أي تقليد أو تأثير في هذا من المعابد أو الكنائس أو الهياكل ؟!

(٢٢) التزمت بظلتين أو سقيفتين بينهما رحبة وكانت الزيادات في السواري على الجانبين.

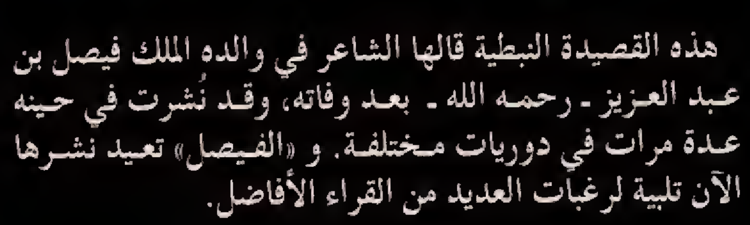
(٢٣) أي صار كل عمود حجري في نفس مكان أعمدة جذوع النخل، إلا فيما زاد من الناحية الغربية والشمالية، فقد قدّرت أبعادها كأبعاد ما بين الجذوع.

(٢٤) «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»: لشهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م.

(٢٥) اللبن طين مقطع مجفف، والآجر والطابوق لبن محروق بدرجات متفاوتة تزيد في عمر الطوبة وصلابة البناء.







هذه القصيدة النبطية قالها الشاعر في والده الملك فيصل بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بعد وفاته، وقد نُشرت في حينه عدة مرات في دوريات مختلفة. و «الفيصل» تعيد نشرها الآن تلبية لرغبات العديد من القراء الأفاضل.

شعر :
خالد الفيصل بن عبد العزيز

لاهِنْتْ ياراس الرّجـاجيـل لا هِنْـتْ
لاهـان راسٍ فـي ثَـرىَ العُـودْ مدفـون
والله ما حِطّكْ بالقبر .. لكن آمَنْتْ
باللّي جَعَلْ دَفْنَ المسلمين مَسْنُون
مَنْزِلْكْ يا عِزّ الشرَفْ لو تمكّنْت
فوق النجوم اللّي تعلّت على الكون

* * *

سكّنْتْ دار المجد يا شيخ واسكَنْتْ
شعبك مَعكْ في منزِل العزْ ممنون
صِنْتْ العَهَدْ يا وافي العَهْدْ ما خنت
علّمتهم وشْلونِ الاشراف يوفون
كم ظالم عاداك، واعفيت، واحْسنْتْ
واخْلَفْتْ ظَنْ اجْمُوعْ ناسٍ يظنّون
شِلْتَ الأمانة حافظ ما تهاوَنْت
شفنا بكَ رجالِ على النفس يَقْوون

ياللّي طَلَبْهُ المُلكْ .. بالحب زِيّنْت
عَرْشك ابتاجْ اقلوب شعب يحبّون
لَوّنْت تاج المُلْك ما قد تلَوّنْت
ماغـرّتك دنياك ما صرت مفتون
بالزّهد، والمعروف، والصّبر كوّنْت
منهاج «فيصل» مَنْهَجْ اللّى يَعدْلون

* * *

تَلَفّتتْ روس الخلايق .. وين انْتَ ؟
وين العظيم ؟! وعوّد الشوف مَطْعون
كم خافقٍ وقّف عقب ما تكفّنت
وكم ناظرٍ ذوّب سُوَادَاه محزون
لو شفْت حال الناسْ عقبك تَبيّنْت
مقْدار حبّ الناسْ للّى يودّون
مّما بقلبي قلت : يابوي .. لاهنْتْ
والاّ انت فوقَ القول مهما يقولون



سيف من طراز «قليج». النصل من الجوهر الهندي الشبيه بالجواهر الفارسية. انتشر هذا الطراز في العهد المملوكي. الغلاف من الحديد المكفت بالذهب والقبضة من قرن الجاموس.

لئن كانت صناعة السيوف الدمشقية توشك أن تنقرض، فإنها باقية كجزء من حياة الناس وذكرياتهم، ليس في دمشق وحدها بل في العالم الإسلامي قاطبة، فهي التراث بكل ما يحمله من ملامح وبطولات، وهي التاريخ أيضا، تحفظه الأذهان عبر الأجيال، وتتناقله بفخر وكبرياء، فالسيف ليس قطعة صماء، إنما يجسد حس الفروسية عند المسلمين عامة، وهو الشعور الذي حفظ الحس الحضاري المنقول منذ أيام الفتح الإسلامي، والذي ظل فاعلاً عبر تتالي الأجيال، وضمن هذا الإطار يمكننا أن نفهم السيف الدمشقي وصناعته، وأن نعرف مدى تعلق أجدادنا بهذا السلاح العريق.

مفهوم الحرب

وقبل الغوص في تطور هذه الصناعة العريقة، لابد من الوقوف قليلا عند مفهوم الحرب بشكل عام، وارتباط التقنية العسكرية به، فالتعلق بالسلاح عمومًا لا يخضع للنزعة العدوانية مطلقًا، وهو أمر له ما يبرره دائمًا، سواء في الماضي أو الحاضر، خصوصًا في بيئة حضارية شهدت احتياجات عسكرية كثيرة، إضافة لقلاقل متكررة، فمعاهد السلام الحديثة، ومن خلال دراستها لظاهرة الحرب، تؤكد أن هذه الظاهرة رفيقة درب التاريخ، فالحضارات المنقرضة هدمتها الحروب، والمدنيات القائمة تحفظ نفسها عبر التجهيز الدائم للتقنيات العسكرية، وهذه الدراسات نشأ عنها ما يسمى حاليا (علم الحرب)، وهو علم يعتمد على تحليل الحروب من خلال علم الاجتماع، محاولاً الوصول إلى السلام عبر دراسته لمختلف أنواع النزاعات المسلحة، كما يدرس بالدرجة الأولى تأثير البيئة الجغرافية على هذه الظاهرة، وما يمكن أن تخلفه داخل التجمعات البشرية، ومن هذا المنطلق فإنه يقسم العالم إلى مناطق عديدة يفصل بينها «خطوط تصدع»، وهي أماكن كانت دائمًا مسرحًا للحروب الطويلة والكبيرة، وعلى هذه الخطوط أيضًا نشأت الحضارات القديمة. وتدخل بلاد الشام والرافدين ضمن هذه الخطوط، فقد كانت مداراً لأشكال القتال والمعارك الحربية كافة، وهذا الأمر أثَّر على البنية الاجتماعية بشكل عام، فرغم أنه لم يخلق نزعة عدوانية، بل على العكس من ذلك أدَّى نتيجة التمازج الحضاري إلى إيجاد مجتمع منفتح ومتسامح، لكنه أدَّى في الوقت نفسه لخلق حالة من التوتر والتأهب في صلب المجتمع، وهذه الحالة هي المسؤولة أولاً وأخيرًا عن التعلق الشديد بالسلاح، وبخاصة السيف لما يملكه من مخزون حضاري كبير.

ودلت أبحاث «علم الحرب» أيضًا على أن هذا التعلق دليل على الفهم العميق من أبناء المنطقة لواقع الحياة واستيعابهم لموقعهم فيها، فهم مدركون بأن القوة المادية دليل على قوة نفسية راقية، لذا فإن الحروب بقيت مرتبطة بسمات عالية، وأخلاق نبيلة، إلى أن جاء الفتح الإسلامي فوضع حدودًا خاصة لها، وربطها بأهداف عالية عن طريق الجهاد في سبيل الله(١).

وهذه الظروف التي عاشتها بلاد الشام كانت سببًا رئيسًا في ارتقاء صناعة السيف، وتطوره إلى أن وصل إلى المرتبة التي جعلته من أشهر السيوف في العالم قاطبة، فتاريخه ليس مستقلاً عن مسرح الأحداث، فهو وليد التطور الاجتماعي نتيجة تأثر المنطقة بأمور خطيرة، فالسيف الدمشقي يرتبط بالتاريخ العربي عمومًا، والمعروف عن العربي ارتباطه الوثيق بالخيل



النصل من صناعة مصر أو سورية، القرن الحادي عشر أو الثاني عشر الهجري

والسيف، ومراجعة المعاجم العربية القديمة تعطينا أربعمائة اسم للسيف بحسب وضعيته وطريقة استعماله، وهذا الأمر دليل على أن المصطلح العسكري تطور أيضًا بتطور السلاح، فوصف المعركة بشكل دقيق هو من باب تطور فن القتال، ونقله للأبناء والمقاتلين الجدد، كما يظهر هذا الأمر في الأدبيات والشعر تحديداً، فالمرويات تنقل أشعاراً كثيرة عن المعارك وقوة السيوف، لكنها في الوقت نفسه تتغاضى عن صناعة السيف، وكأنه أمر عادي يتعايش معه الناس باستمرار، لذا فإن تاريخ هذه الصناعة ظل غامضاً فترة من الزمن باستثناء بعض المخطوطات القليلة، التي جاءت في وقت متأخر لتنقل لنا أهم أسماء الحرفيين في هذه الصناعة.

ويبدو أن عدم التطرق لمثل هذه الأمور كان وليد ما يسمى في الوقت الحاضر «السر العسكري» لأن صناعة السيف الجيد عامل حاسم في المعركة العسكرية، وإبقاء طريقة صنعه سرا يحفظ عامل التفوق ويصونه.

مراحل صناعة السيف

وعلى العموم يمكننا تقسيم صناعة السيف الدمشقي إلى ثلاث مراحل، تنتهي المرحلة الأولى مع بداية الفتح الإسلامي ونشوء الحكم الأموي، أما المرحلة الثانية فتبدأ مع الفتوح الإسلامية في العهد الأموي وتنتهي مع بداية الغزو الصليبي، حيث بدأت مرحلة جديدة شهد فيها السيف تطوراً كبيراً، واقتبس من أشكال السيوف التي حملها الغزاة، فخرج السيف الدمشقي بشكله الأخير والنهائي، الذي استمر حتى انقرضت هذه الصناعة مع ظهور الأسلحة والتقنيات الحديثة (٢).

والمرحلة الأولى كان فيها السيف ذا شكل بدائي ومستقيم وذا حدين، وكانت صناعته تابعة لأشكال الحضارات المسيطرة أو الغازية فكان هناك السيف البيزنطي والروماني، وهو سيف طويل وثقيل ومستقيم، وله شكلان أساسيان، الأول خاص بالمشاة والثاني بفيالق الخيالة، والأول يمتاز بقصره أما الثاني فبطوله ليتناسب ووضعية القتال المتحرك، ولايمكننا إطلاق صفة السيف الدمشقي على هذه الأشكال لأنها مثّلت حضارات وتقنيات غريبة، لكن المهم هنا هو نشوء الصناعة، أو انتقالها إلى بلاد الشام، فهي مرحلة ظهور حرفيين مهرة في المنطقة، استطاعوا إتقان عملهم لدرجة اعتماد روما عليهم.

وفي هذه الفترة أيضًا بدأ صيت السيوف المصنوعة في دمشق ينتشر مع أسماء الصانعين، ورغم عدم وصول الأسماء إلينا، لكن المرويات التاريخية في الجزيرة العربية في هذه الفترة تنقل لنا بعض القصص والأشعارعن السيوف، ومنها السيف الدمشقي، وهو دليل على تمايز هذه الصناعةوازدهارها.

الجوهر الدمشقي

ومع الفتح الإسلامي لبلاد الشام، ازدادت أهمية السيوف وصناعتها، خصوصا أنها احتكت مع حضارات أخرى، ومع تقنيات متعددة، ففي هذه



سيف دمشقي يسمى «سيف قواص» وهو الحارس الرسمي المعين من الدولة لسفراء الدول الأجنبية وقناصلها أو للحرس الخاص للكنائس. النصل منحني من الجوهر ألف إسلامبول أو ألف شام، والقبضة من قرن الجاموس. سورية، القرن الثالث عشر الهجري.



الفترة أعطى المسلمون للصناعة بشكل عام، ولصناعة السيوف بشكل خاص، مكانة متميزة في حياة الدولة الإسلامية، كما أنهم استطاعوا توفير احتياجات هذه الصناعة، فبدأ السيف الدمشقي يتطور بسرعة كبيرة، وظهر هنا «الجوهر الدمشقي»، وهو سيف ذو انحناءة مبسطة لتركيز القوة على طول السيف، والجوهر الدمشقي امتاز برشاقته وخفة وزنه، فالخليط الذي استعمل لصناعته ظل سرًا فترة طويلة، فنسبة الحديد إلى المغنسيوم فيه حفظت لدى العائلات التي توارثت هذه الصناعة جيلاً بعد جيل.

ويعتبر العصر الأموي عصرًا ذهبيًا لصناعة السيف الدمشقي، فدمشق غدت عاصمة الدولة الإسلامية، وانتقلت الخلافة إليها، وانتقلت معها أجهزة الدولة كافة، فأصبحت الحركة فيها متطورة جدًا، وأثَّر هذا الأمر على صناعة السيوف، فازداد الطلب عليها، وأولت الدولة عناية خاصة بها، وفي هذه الفترة تحديدًا انتقلت شهرة السيف الدمشقي مع الفتوح الإسلامية إلى كافة أرجاء المعمورة.

السيف العباسي

ولم يتوقف تطور هذه الصناعة مع انتقال الخلافة إلى بغداد، بل ظل السيف الدمشقي في تطور مستمر نتيجة الحاجة الدائمة إليه، وفي هذه الفترة ظهر نوع جديد من السيوف سمي بـ «سيف عباسي»، وهو لا يختلف عن الجوهر الدمشقي من حيث نوعية الفلزات المستعملة، لكنه أصبح أعرض قليلاً مع احتفاظه بدرجة الانحناء نفسها، كما حفرت عليه تجاويف طولية تُسمى «سواقي» والهدف منها ترك فراغات داخل العظم لخلق حالات تسمم إذا لم تقتل ضربة السيف الخصم، وتعتبر هذه التقنية دليلاً أكيدًا على أن صناعة السيوف لم تكن مستقلة عن باقي الصناعات أو العلوم، لكنها استفادت من العلوم التي ازدهرت في العصر الإسلامي العباسي كافة، وبخاصة الطب، وإذا عرفنا أن صنَّاع السيوف في هذه الفترة كانوا يلتقون بالمقاتلين، وقادة الجيوش، والولاة، بشكل دائم يسألونهم عن مشاكلهم في استعمال السيوف، أدركنا مدى التطور الحاصل في هذه المهنة، فقد كانت تتطور باستمرار، عبر سعي الحرفيين وأجهزة الدولة إلى تطويرها.

السيف الدمشقي والحروب الصليبية

كانت المرحلة الحاسمة في صناعة السيف الدمشقي هي فترة الغزو الصليبي والمغولي للأمصار الإسلامية، فالتحدي الحضاري الذي واجهته الدولة الإسلامية آنذاك، تَطلَّب تحضيرًا منقطع النظير، ليس على صعيد تطوير أجهزة الدولة وفقًا للشريعة الإسلامية، وبما يتناسب مع تسارع الأحداث فحسب، وإنما أيضًا من الناحية العسكرية، خصوصًا أن الغزاة الصليبيين أتوا بأنواع من التسليح جديدة بالنسبة للمنطقة، كما أنهم جهَّزوا جيوشهم بشكل فعَّال، وبتقنيات عسكرية متطورة بالنسبة لذلك العصر، وكانت السيوف التي استعملوها طويلة وكبيرة، أي أنها متناسبة مع طبيعة جيوشهم المدرعة بشكل جيد، فكانت صناعة السيف عندهم متناسبة وطبيعة الدرع، أو الزرد الذي يلبسه مقاتلهم، ورغم

صناعة التكفيت

أن السيف الدمشقي كان صلبًا مع طبيعة هذا التسليح، لكن صناعته تطورت نتيجة التجارب خلال الحروب الصليبية، فاستعملت طريقة سقاية جديدة، حافظت على رشاقة السيف، وزادته صلابة لكي يقاوم الدرع الخاص بالفارس الصليبي.

كما ازداد طول السيف بما يتناسب والأنواع المستعملة مع الصليبيين، ولا يمكن اعتبار هذا التغيير حاسمًا لكنه كان فعَّالاً، أي أن «الجوهر الدمشقي» بقي على حاله مع زيادة في مواصفاته



نصل دمشقي من الجوهر «الحناوي» أو «الحنون» من طراز «شمشير» مكفت بالذهب وكتب عليه «لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار» وكتب عليه أيضًا اسم «الحاج رضا مير علي»، كما كتب علي ظهر السيف أسماء يعتقد أنها لأهل الكهف



توشية غمد السيف بالذهب والفضة

طبقا لطبيعة الحرب الجديدة، وإذا راجعنا الكتب التي تحدثت عن الغزو الصليبي، وبخاصة تلك المكتوبة بأقلام الأوربيين، نرى أن السؤال عندهم قد تكرر أكثر من مرة حول: من أين يأتي الجوهر؟

لكنهم لم يصلوا آنذاك إلى جواب محدد، رغم أنهم خمَّنوا أن فلز هذا المعدن يؤتى به من جنوب الهند على شكل فلزات بيضوية سميت «حمضية الدكن» (٣).

وفي الوقت الحاضر تم تحليل الجوهر في المخابر المتطورة، وتبين أن إنتاجه مكلف جداً بالطرق الحديثة، أو بالمعيار التجاري الحالي، كما حددت طرق السقاية المعدنية التي كان يعالج بها الجوهر، وهي ليست على درجة عالية من التعقيد، لكنها حفظت داخل البيوت الدمشقية، والعائلات التي توارثت هذه الصناعة جيلا بعد جيل، وكان السيف يُوثَقُ بختم خاص حسب البيت الذي خرج منه أو الحرفي الذي صنعه، ولا نزال حتى الآن نقرأ على السيوف القديمة أسماء مثل «الطباع» و «السيوفي» أو «أسد الله الدمشقي»، وهي عائلات دمشقية مازالت تحافظ عليه حتى الآن رغم اختفاء صناعة السيوف.

القبضة من قرن الجاموس.

السيوف التترية

أما التطور الأخير الذي طرأ على السيف الدمشقي، فهو اقتباسه من السيوف التترية (الفلج)، فظهر «الباله الدمشقي» وهو يمتاز بعرضه وقلة انحنائه ليستعمل في الاتجاهين، أي أنه ذو حدين، كما أنه أخف من باقي السيوف، وهو تطور جاء أيضا بما يتناسب ومرحلة القتال مع جيوش تفضل الالتحام القريب، وتمتاز بخيَّالتها وحركتها، وخلال هذه الحروب لم تقتصر الجيوش الإسلامية على استعمال سيوف معينة بل تسلحت بكل الأنواع الدمشقية، وبذلك فإن هذه الحروب هي التي أعطت السيف الدمشقي هذه الشهرة الكبيرة.

أيام الدولة العثمانية

وإذا عدنا إلى هذه الفترة بالذات، أي قبل قيام الدولة العثمانية، فإن المرويات تحكي قصصًا كثيرة عن السيف، أهمها ما يروى عن أسد الله الدمشقي كأشهر صانع للسيوف، وكيف اضطر للسفر إلى إيران للعمل هناك، وهناك ظهرت صناعة سيوف متطورة موشومة بـ «أسد الله الأصفهاني» وابنه «قلب علي»، و «شاه عباس»، وهم ـ كما يروى ـ تلامذة أسد الله الدمشقي، لكنهم على الأرجح ظهروا في صدر الدولة العثمانية وليس قبلها، وذلك بتحليل أنواع السيوف التي صنعوها.

تكفيت السيف

ولم يقتصر السيف الدمشقي على شهرته في القتال، بل إن جماليته أيضًا غدت أمرًا مشهورًا، وتزيين السيوف صناعة بحد ذاتها، وهي تسمى «التكفيت»، أي صناعة الأغماد الموشاة بالفضة والذهب، وهي صناعة ما تزال قائمة حتى الآن، وتُستوحى الرسوم على الأغماد من النقوش الإسلامية القديمة، التي تعود إلى العهود الفاطمية والمملوكية، وهي حرفة متوارثة أيضا بين العائلات القديمة، ورغم أنها كادت تندثر مع بداية هذا القرن بسبب تكلفتها المرتفعة، وتوقف صناعة السيوف في آن، إلا أنها عادت في أواسط هذا القرن مع حملة تشجيع الصناعات التراثية.

إن هذه اللمحة الموجزة عن تاريخ السيف الدمشقي لا يمكن أن تكون كافية، لكنها تعطينا فكرة عامة عن أهم صناعة في التاريخ الإسلامي، لأنها كانت مفتاح الأمن العسكري للدولة، وهي جزء مهم من تطور الصناعات عند المسلمين، يوحي تطورها بالقدرات الإبداعية التي ساعدت على ارتقاء الحياة العسكرية الإسلامية بشكل عام.

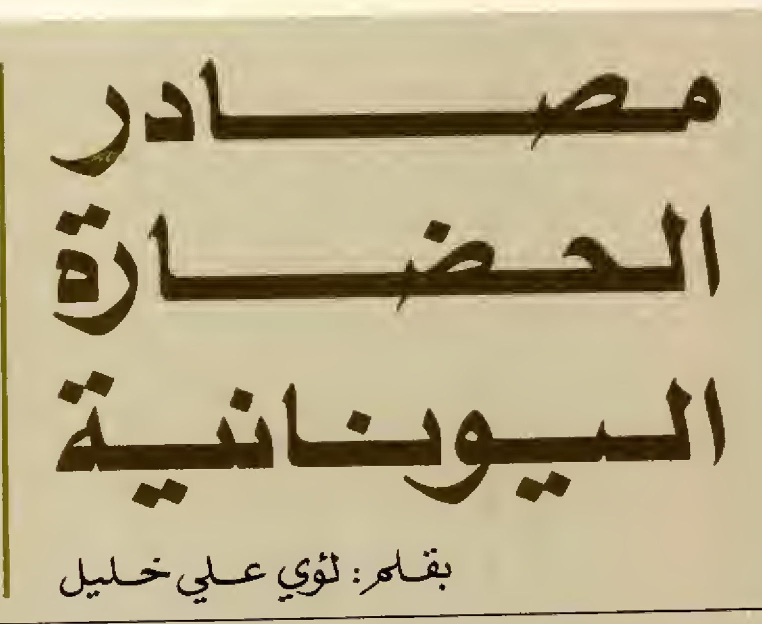
• صور السيوف جميعها أخذت من معرض «السيوف والدروع» الذي أقامه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض عام ١٤١١هـ.

المراجع

(١) كتاب الحروب والحضارات تأليف: غاستون بوتول، جان لويس انيكان، من المعهد الفرنسي لعلم الحرب، من منشورات المؤسسة الفرنسية للدراسات الدفاع الوطني.

(٢) سيف العالم الإسلامي، تأليف زكي حسن.

(٣) للاستفاضة في هذا الموضوع يمكن الرجوع لكتاب: فن الحرب عند الصليبيين، تأليف: ر.سي.سميل ـ ترجمة محمد وليد الجلاد (مركز الدراسات العسكرية) دمشق ١٩٨٢م.



مصادر الحضارة اليونانية

بقلم: لؤي علي خليل

يشيع بين أروقة المثقفين، من حين إلى آخر، تعبير «المعجزة اليونانية» قاصدين به وصف الفكر اليوناني بالرفعة والسمو، وكأنهم يرون، بذلك، أن ما حدث بين القرنين السادس والثاني قبل الميلاد، في تلك البقعة المكانية من أرض اليونان، أمر يعجز البشر عن الإتيان بمثله. فلفظة «معجزة» تعني أن ثمة أمرًا طارئًا يستعصي على التفسير، ويخرج عن أطر القوانين الطبيعية والتاريخية والإنسانية قاطبة وكأنهم ينزّهونه عن الخضوع لقانون السببية.

فهل يبدو هذا الفكر، حقًّا، معجزة تستعصي على التفسير؟.

إن ما عرف عن تاريخ الإنسان على هذه الأرض، يدلّ على أنه ـ هذا الكائن العجيب ـ دائم التطور والرقي، فالجماعات البشرية في كل حقبة كانت تبدأ من حيث انتهت سابقتها، لذلك وصفت المعارف الإنسانية بأنها **«معارف تراكُميّة»**. بل إن هنالك من يرى أن البشرية تتوارث ـ إلى جانب الأفكار ـ العواطف والنزعات الغريزيّة(١) وهذا يعني أن لا شيء يولد من فراغ، ولا أحد يستطيع أن يخلق شيئًا من العدم إلاّ الخالق وحده. **يقول سارتون**: «من سذاجة الأطفال أن نقول إن العلم بدأ في بلاد الإغريق»(٢)، وهو يرى أن «العلم اليوناني كان إحياءً أكثر منه اختراعًا»(٣). فإذا كان الأمر كذلك، بطل الزعم بالمعجزة اليونانية، وأصبح لزامًا تعليل هذا الفكر وتبيّن أصوله ومصادره.

وقبل أن نوغل في مصادر هذا الفكر يجب أن نشير إلى أن الحضارات لا تقاس بميزان الفلسفة فقط، وإنما بمجمل الإنتاج الإنساني فيها، سواء أكان علميا تطبيقيا، أم فلسفيا، أم فنيًا أدبيا. وليس ثمة استقلال بين هذه المجالات، فكلها تعكس نمطًا من التفكير، كما يؤثر كل منها في الآخر؛ فانتقال فكرة علميّة، مثلاً، من حضارة إلى أخرى، يعني انتقال نمط تفكير محدَّد سيؤثر في المجالات الأخرى كافة؛ فاكتشاف أن الكواكب ما هي إلا كتل حجرية سيعني أنها ليست آلهة روحانية، وهذا قد ينعكس على الأدب فلا يعود يصور أضواء النجوم ملائكة تسبح في الفضاء. وغير خافٍ على أحد ما أثير في القرن التاسع عشر من جدال حول تأثير الروح العلمية في روح الفن الشعرية، ذلك التأثير الذي دفع كيتس إلى أن يقول في جمع من أصحابه: «لتسقط ذكرى نيوتن؛ لأنه هدم الخيال الشعري في قوس قزح بإرجاعه إلى موشور»(٤).

إن التسلح بهذه النظرة عن طبيعة التأثير المتداخلة، سيكون ضروريًا لدى دراسة تأثّر اليونان بالحضارات الأخرى.

يدين الفكر اليوناني في وجوده ـ بالإضافة إلى قوانين تطور المعرفة الإنسانية ـ إلى مصدرين اثنين ـ:

١ ـ **الحضارات الخارجية** (القادمة من خارج بحر إيجه).

٢ ـ **الحضارات الداخلية** (التي سبقت اليونان في بحر إيجه).

الحضارات الخارجية

يمكن إجمالها بالحضارة المصرية والفينيقية والبابلية والهندية، فهذه الحضارات كانت قد سبقت الحضارة اليونانية زمنيًا وفكريًا، فيرى برتراند راسل أن الحضارة اليونانية «حضارة متأخرة بالقياس إلى حضارات العالم الأخرى، إذ سبقتها حضارتا مصر وبلاد ما بين النهرين بعدة آلاف من السنين... ولقد توصلت مصر القديمة وبابل إلى بعض المعارف التي اقتبسها الإغريق فيما بعد»(٥). **ويقول سارتون** «كفانا سوءًا أننا أخفينا الأصول الشرقية التي لم يكن التقدّم الهيليني مستطاعًا مِنْ دونها»(٦).

الحضارة المصرية:

يقول ديورانت: «كان معظم اليونان يعتقدون أن عناصر كثيرة من حضارتهم قد جاءتهم من مصر. وتعزو قصصهم نشأة كثير من المدن اليونانية إلى رجال... جاؤوا من مصر أو نقلوا الحضارة المصرية إلى اليونان»(٧). يعكس هذا الرأي الأثر الكبير الذي مارسه المصريّون في اليونان، مما دفع أهلها إلى الاعتقاد بأن مدنهم بنيت بأيدٍ مصرية، الأمر الذي يعني أن ثمة تشابها كبيرًا بين الحضارتين، بل لقد «بلغ تشابه الثقافتين في أول عهديهما حدًا جعل بعض العلماء يظنون أن موجة من الهجرة قد حدثت من مصر إلى كريت»(٨).

أما تاريخ العلاقات المصرية اليونانية، فقد شهد علاقات تجارية قديمة بين مصر وكريت، وقد دلّ على ذلك اكتشاف بعض المصنوعات المصرية القديمة في تلك الجزيرة(٩). «كما استخدم فراعنة الأسرة السادسة والعشرين مرتزقة يونان ضد خصومهم الأثيوبيين... ثم منحوا حريّة التجوال للتجار اليونان... **ثم بدأ تدخل اليونان في مصر فأخذوا الهندسة ـ النموذج الأصلي للمعرفة بحسب مذهب أفلاطون** ـ عن المصريين، **وكانت مقاييس المسطّحات والمكعّبات دقيقة إلى أقصى حد عند المصريين... وقد أخذ اليونان كل هذه العلوم بما فيها خيط البناء والساعة الشمسية، وساعة الماء. أما في مجال الفلك فقد جعلت السنة ٣٦٥ يومًا وربع اليوم مقسّمة إلى ١٢ شهرًا، والأسبوع سبعة أيام مسماة بأسماء الكواكب السيّارة... وفكرة البروج والكون الكروي وكرّوية**

الشمس والقمر ـ أما الأرض فقد اعتبرت حلقة مستوية ممنطقة بالمحيط ـ وطبيعة النجوم النارية، وشرح الكسوف والخسوف وتبرير دوران الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ . . . كما أخذوا نظرية العناصر الأربعة في الطبيعة مع فكرة أن الماء هو العامل الأساسي .(١٠)»

بل لقد تعدّى الأمر التأثيرات العلمية إلى التأثيرات الفنية، «فالأساليب المستخدمة في النقش على الحجارة الكريمة، وفي فن الخزف والتصوير تتشابه في البلدين تشابها جعل شبنجلر يعتقد أن الحضارة الكريتية ليست إلا فرعًا من الحضارة المصرية»(١١).

ويذكر الآلوسي ـ في معرض ردّه على رينان ـ نصًا لأفلاطون يمتدح فيه العلم المصري، ويتحدّث عن مستوى الرياضيات التي تعطى للأطفال ـ أول تعليمهم ـ عن طريق اللعب والتسلية، إذ «يتحدث المتحاورون قبل هذا النص في ضرورة إدخال بعض الدراسات في المنهج الذي على الدولة الأخذ به، فيقول الغريب الأثيني ـ أحد المتحاورين ـ: كل المواطنين الأحرار يجب أن يتعلموا الكثير عن هذه الفروع من المعرفة كما يتعلّمها كلّ طفل في مصر، عندما يتعلم حروف الهجاء. وفي هذا البلد ـ مصر ـ ابتدعت الألعاب الحسابية التي يستخدمها الأطفال ويتعلمونها كنوع من المتعة والتسلية، فعليهم ـ والكلام عن الأطفال ـ أن يقسموا التفاح والزهور مستخدمين العدد نفسه، مرّة مع عدد أكبر من الأفراد، ومرة مع عدد أقل.

لقد سمعت أنت بدهشة بجهلنا في هذه الأشياء. ونحن كما يظهر أشبه ما نكون بالخنازير مِنّا بالبشر، وإنني أَجِدُّ خجل، ليس من نفسي فقط، بل ومن الهيلينيين كلّهم»(١٢). فيدل هذا الحوار على قوّة الرياضيات عند المصريين، كما يدل على حسن إدراكهم لكثير من أصول التربية العلمية حين أدخلوا الفواكه والزهور في تعليم الأطفال الرياضيات، وهذا يعني أنهم بلغوا شأوًا طويلاً من الإدراك الفكري يجعل (المحاور) يخجل من نفسه بل من اليونان كلها أمامهم. وهذا التقدّم الرياضي يدفع إلى الاعتقاد بأن طاليس الملطي قد تعلّم الهندسة النظرية عندهم(١٣).

الحضارة الفينيقية:

يُعدّ الفينيقيون «من أول الرواد والمستعمرين في العالم القديم، الذين أنشؤوا إمبراطورية بحرية تجارية تصل الشرايين البحرية ما بين مستعمراتها التجارية» (١٤). وقد كان هذا الأسطول البحري ـ الذي اشتهر به الفينيقيّون ـ عاملاً مهما في نقل حضارتهم إلى الحضارات الأخرى، كما ساعدت رحلاتهم المتعددة على مزج الحضارات بعضها مع بعض، فقد أتاح لهم التنقل بين قبرص ومصر وكريت وفرنسا وسواحل البحر المتوسط وسواحل إنجلترا الجنوبية، أن ينقلوا الأفكار من جماعة إلى أخرى، وكأنهم صلة الوصل بين الحضارات؛ «إذ كانت سفنهم تحمل مع البضائع الأفكار والآلهة والصنائع، وتصل ما بين الحضارات» (١٥). ولعل أهم ما أعطاه الفينيقيون إلى اليونان ـ إضافة إلى تعليمهم صناعة السفن ـ الحروف الأبجدية، فلقد «اقتبس الإغريق الحروف التي كانت قد عرفت لدى التجار الفينيقيين من قبل، بإضافة حروف متحركة إليها»(١٦). ولعل هذه الهبة تكفي للدلالة على الأثر الفكري العظيم الذي قدّمته لليونان؛ فالحروف تعني اللغة، واللغة تعني الفكر، والفكر يعني الحضارة.

الحضارة البابلية والهندية والحضارات الأخرى:

كشفت بحوث المستشرقين المتأخرة عن «وجود حضارة شرقية بابلية زاهرة نجد فيها مثلاً، آراءً عن خلق الكون من الماء تشبه كلام طاليس. وهذه الفكرة هي الفكرة الرئيسية في جميع الأساطير (الكسموجينية) عند المصريين القدماء والهنود في التوراة، كما نجدها عند هومر وهزيود والأورفية، وإلى حد ما عند الكريتيين»(١٧). كما أثبتت الاكتشافات أن البابليين كانوا متقدّمين في علم الفلك(١٨). وقد ذكر العديدون سَبْقَ الحضارة البابلية إلى معارف عدة اقتبسها اليونانيون عنهم(١٩).

أما الحضارة الهندية فقد قام الآلوسي بتلخيص التطور التاريخي للفكر الهندي، واستنتج بعد ذلك أن الهنود «سبقوا اليونان في مجال الفلسفة المثالية، أي في استخدام طريق الحدس، والتمييز بين عالم الحس وعالم الأشياء الثانية، النفس وخلودها وخطيئتها، وطرق خلاصها . . . إلخ، الله وصفاته. في هذا هي أقدم من الفكر اليوناني، ومن كلّ مثالية يونانية سواء أفلاطون أو سواه»(٢٠).

إن هذه النظرة التاريخية الموجزة إلى الحضارات التي سبقت اليونان تثبت أن الحضارة اليونانية متأخرة نسبيًا إذا ما قيست بغيرها. كما أن العديد من مفكريها تأثروا بالحضارات الأخرى عبر زياراتهم لها واطلاعهم على أفكارها؛ فقد عُرف عن فيثاغورث وطاليس زيارتهما إلى مصر، حيث تأثر فيثاغورث بهندستها، ونقل طاليس فكرة خلق العالم من الماء عنها. وقد أُثِر عن علماء اليونان أمثال «هيرودوت وأفلوطرخس أن العقيدة الأورفية القائلة بأن الخلق يحاسبون بعد موتهم على ما قدّموا من خير وشر في حياتهم، وأن الاحتفالات التي كانت تقام لبعث دميتر وبرسفومي في اليوسبس مأخوذة كلها عن عبادة إيزيس وأوزريس المصريين»(٢١) مما يعني أن اليونانيين قد تأثروا بديانة مصر أيضًا.

وهكذا لم تكن اليونان منعزلة عن العالم في قمقمها الخاص، بل كانت كغيرها تختلط وتستفيد من تجارب الحضارات الأخرى. وهذا لا يعني، بالضرورة، أنها حضارة هجينة، إنما يعني أنها لم تبدأ من فراغ.

الحضارات الداخلية

لعل قرب المدن الواقعة على بحر إيجه من الحضارات الأخرى قد أتاح لها تثبيت دعائم مبكرة، تمهد الطريق نحو بناء حضارتها الخاصة. لذلك لم تنشأ المذاهب الفلسفية في بدايتها «في شبه جزيرة اليونان، وإنما في المدن الأيونية على شاطئ آسيا الصغرى الغربي . . . إذ كان الأيونيون قد اقتبسوا الكثير من الأفكار والمعارف العلميّة عن المصريين والفينيقيين والكلدانيين نتيجة التبادل التجاري والاحتكاك المباشر بين الأطراف المعنية»(٢٢). وقد اشتهر من هذه الحضارات:

١ ـ حضارة كريت (٢٥٠٠ ـ ١٤٠٠ ق. م): التي ساعدتها علاقاتها التجارية واتصالها بالشرق على أن تكوّن لنفسها نمطًا حضاريًا خاصًا تقيمه على دعائم الحضارات الأخرى.

وقد كان الكريتي «متديّنا يعبد الجبال والعدد ثلاثة والشمس والقمر والأفاعي والثيران . . . ولم تكن لهم معابد مخصصة، بل الجبال والمغاور

والقصور والأيك مواضع للقرابين التي تقدّم للآلهة . . . وهم يعتقدون بيوم آخر وبجزاء وعقاب وفقًا للأعمال»(٢٣).

وقد عثر فيها على آنيات حجرية ونحاسية قويّة الشبه بالآنية المصرية، مما دفع بعضهم إلى الاعتقاد بأنها «خضعت للحكم المصري في القرن الخامس عشر ق. م»(٢٤). ومهما تكن الآراء في طبيعة هذه الحضارة فإنها تبقى حضارة فذّة ـ كما يرى ديورانت ـ(٢٥) نقلت ثقافتها إلى الجماعات المحيطة بها، وساعدت على المضي قدمًا نحو فكر إنساني أكثر تطورًا. وقد كشفت أعمال التنقيب والكشف عن أن «جزيرة كريت كانت عبارة عن جسر عبرت منه الحضارتان المصرية والفينيقية . . . إلى العالم الإغريقي»(٢٦).

٢ ـ الحضارة المسينية (١٦٠٠ ـ ٩٠٠ ق. م): ويبدو أن أصل المسينيين لا يمكن تقديره، وقد يعود إلى جزيرة كريت على أثر رحلة تجارية قادمة من هناك «وكانوا يؤمنون بنوع من الحياة في الدار الآخرة، وبقية دينهم كريتي»(٢٧).

لم تكن اليونان منعزلة في قمقم، بل كانت كغيرها تختلط وتستفيد من تجارب الحضارات الأخرى

٣ ـ الحضارة الآخية: يرى ديورانت أنهم قبيلة يونانية انتقلت إلى بحر إيجه فاختلطوا بالمسينيين وأصبحوا حكامًا عليهم (١٢٥٠ ق. م) ونقلوا إليهم اللغة اليونانية وعبادة الآلهة الجبلية(٢٨). لكن هذه القبيلة لم تلبث أن انمحت ببطء لتفسح المجال لعهد جديد من الحضارة اليونانية(٢٩).

٤ ـ الغزو الدوري (حوالي ١١٠٤ ق. م): «اجتاح الدوريون الآتون من الشمال جزر إيجه واستولوا على البلاد وقضوا على الحضارة المسينية تمامًا. وهم شعب حربي . . . ولا نعرف عنهم سوى أنهم كانوا في مرحلة الصيد والرعي، ويعرفون الحديد، لذلك لم يستطع الوقوف أمامهم الآخيون والمسينيون والكريتيون الذين كانوا يستخدمون أسلحة من البرونز»(٣٠).

وعلى حين يَعُدّ راسل هذه الفترة «مرحلة من الظلام»(٣١)، نرى ديورانت يبارك هذا التمازج الثقافي ويذهب إلى أن هذا الاتصال بين الحضارات المختلفة قد بعث «الشباب من جديد في حضارة بدأ يدب فيها دبيبُ الفناء»(٣٢).

أول مدرسة للفلاسفة العلماء

ساعد هذا التمازج الحضاري على ظهور أول مدرسة للفلاسفة العلماء «في ملطية، وهي مدينة كانت تقع على ساحل أيونية، وكانت مركزًا نشطًا للتبادل التجاري، توجد في جنوبها الشرقي قبرص وفينيقيا ومصر. وفي شمالها بحر إيجه والبحر الأسود، وإلى الغرب ـ عبر بحر إيجه ـ توجد أرض اليونان الأصلية وجزيرة كريت، ولقد كانت ملطية تتصل اتصالاً وثيقًا، في الشرق، بإقليم ليديا، وعن طريقه تتصل بإمبراطوريات ما بين النهرين»(٣٣). **وقد ساعدت عدة عوامل خاصة في دعم التقدّم الحضاري لملطية، منها الازدهار الاقتصادي الذي يتيح التفرّغ للعلم، وقلة التفكير (الميثولوجي) وانحساره شيئًا فشيئا بعيدًا عن الخرافات والأساطير، ومعاهدات السلم التي عقدت مع ملك ليديا فحرّرتهم من الخوف السياسي**(٣٤). **يضاف إلى ذلك العوامل الشخصية الخاصة بالملطيين، تلك التي لا تعود إلى فوارق عرقية ـ كما رأى بعضهم ـ أو إلى تكوينهم الفيزيولوجي**، بل تنبع من «تكوينهم الاجتماعي وظروفهم البيئية، ومن التجربة والتراث التاريخي القصيرين؛ لأن تجمع الخبرات كان في بواكيره الأولى. وهذا التراكم في الخبرات، مع تنوّعه، إذا انتقل إلى شعب في مرحلة متقدّمة، وفي ظروف مساعدة اجتماعية وبيئية حسنة يكوّن قفزة كيفية، وحضارة جديدة» (٣٥).

وقد كانت مدينتا أثينا وإسبارطة آنئذ تخوضان الحروب ضد الجيوش الفارسية القادمة لاحتلال المنطقة، حيث مُني الفرس بعدّة هزائم على أيديهما؛ فأمام الأثينيين هزموا في بلاتايا، وأمام الإسبارطيين في تيرموبيلاي(٣٦). ثم التفتت كل منهما إلى بناء إمبراطورية تفوق صاحبتها، فعمدت أثينا، مثلاً، إلى إعادة المباني والعمران، واستقدمت الفنانين والعلماء «وعهد بُناتها إلى تدعيم حكمهم ببعث العبقريّات الفنية في شتى المجالات وخاصة العمارة والنحت والمسرح، ومن هنا فقد حدث تجديد في القيم الفنية والأخلاقية يواكب هذه التغيرات السياسية والاجتماعية»(٣٧).

ويبدو أن عوامل عدّة ساعدت على النهوض بالإنسان اليوناني واستنهاض شعوره بقوّته وقدراته الخلاقة؛ فانتصاره على الفرس يعني إثباتًا لذاته، كما أن روح التنافس التي ظهرت بين الدول اليونانية التي عرفت (بالدولة ـ المدينة) كانت محرّكًا للطاقات الإبداعية؛ فكل دولة ـ مدينة ـ تسعى إلى بناء إمبراطورية تضاهي أخواتها، لذلك برز الاهتمام واضحًا بالإنسان، فغدا محط اهتمام النحاتين الذين عنوا بتصوير عضلاته وجمال جسده، ومالوا أيضًا إلى إبداع فني وجمالي يحمل روحًا جديدة فيها الكثير من الاعتزاز بالنفس والشعور بالجمال الإنساني، والتطلع إلى الآفاق العظيمة، وفيه نبض الحياة بكل ألقها. وسيبدو التأكيد على الإنسان واضحًا في المدرسة السفسطائية التي ستذهب إلى أنه هو قوام هذا الكون، ومقياس كل شيّ فيه.

كيف حدث التبدل النوعي

ولعل أحدًا يتساءل: إن هذا التراكم الحضاري ما هو إلا تراكم كمّي للثقافة، فكيف استطاع هذا الكم أن يخلق تحوّلاً كيفيًا؟

يمكن تعليل هذا الأمر استنادًا إلى ما يُدعى علميًا **(بقانون التحوّل)**، ومفاده: «أن التحولات الكميّة البسيطة تنتهي في مرحلة محدّدة إلى تحوّلات كيفية وبالعكس. ومعنى ذلك أن تجمعات التحوّلات في نواحي الحضارة

الثقافة اليونانية ليست وميضًا لاح فجأة في بحر مظلم من الهمجية!

المختلفة في العلوم والصنائع، والفنون، وسائر النواحي الأخرى كالاعتقادات والنظم التي قدمتها وأنجزتها البشرية قبل اليونان، انتهت مع اليونان وبدء القرن السادس ق. م وتحت ظروف معيّنة إلى تحوّل كيفي» (٣٨). **ويمكن أن نضرب مثالا تقريبيًا لشرح هذا القانون**: فالماء عندما يُسخّن على النار تتزايد درجة حرارته تزايدًا كميًا تصاعديًا، إلى أن تصل إلى نقطة الغليان حيث يبدأ هنا تغير كيفي يتحوّل بموجبه الماء إلى بخار، وعكس هذا الأمر يمكن أن يُقال عن درجات التجمّد؛ إذ يتحوّل الماء عندها ـ بعد تناقص الحرارة ـ الى جليد. يقول كونستانتينوف: «إن قانون التبدّلات الكميّة إلى تبدّلات نوعية هو قانون تخزّنت بموجبه التبدلات التي كانت في البداية غير ملحوظة وتكدّست تدريجيا حتى بلغت حدًّا معينا يخرق مقياس الشيء ويستدعي حدوث تبدّلات نوعية أساسية تتبدّل بسببها الأشياء وتختفي النوعية القديمة، وتنشأ نوعية جديدة»(٣٩).

وهكذا، يبدو من يرى الفكر اليوناني معجزةً لا تمتّ بصلة إلى ما أنتجته الإنسانية سابقًا، كمن ينظر إلى حلقة كبيرة في بركة ماءٍ ويعتقد أنها نشأت وحدها، دون أن يدرك بأنها كانت نتاج حلقات صغيرة سبقتها، وتعود كلّها إلى الحجر الأول الذي ألقي في هذه البركة، ولعل آدم عليه السلام هو الذي تحركت به حلقات بحر المعرفة الإنسانية العظيم.

ويبدو ديورانت مصيبًا حين يقول: «ليس من حقنا أن ننظر إلى الثقافة اليونانية على أنها وميض لاح فجأة، وبطريقة غير عادية، في بحر مظلم من الهمجية، بل إن علينا أن ننظر إليها على أنها عملية بطيئة كدرة أدت إلى خلق شعب غنيّ غنًى يكاد يكون مفرطًا في تنوّع دمائه وفي ذكرياته، تحيط به وتتحداه وتعلّمه جموع همجية، وإمبراطوريات قويّة، وحضارات قديمة»(٤٠).

من كتاب العدد

● لؤي علي خليل
ـ معيد في كلية الآداب، تخصص لغة عربية، في جامعة دمشق.
ـ ماجستير في الأدب الأندلسي.
ـ قاص وباحث له إنتاج منشور في الدوريات المحلية والعربية.

الهوامش

(١) يرى كارل غوستاف يونغ أن الإنسان يتوارث النزعات الغريزية وأشكال السلوك البدائية والآراء والأفكار والمشاعر، التي تفسر الخبرات الأولى. ويُسمي ذلك كله «اللاشعور الجمعي». انظر: عبد العزيز القوصي، علم النفس، ص ٣٥٠.

(٢) عبد الحميد الصالح. المدخل إلى تاريخ الفلسفة، ص ١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠.

(٤) عصام قصبجي، محاضرات ألقيت على طلاب دبلوم الدراسات العليا ١٩٩١ـ ١٩٩٢ م.

(٥) راسل، حكمة الغرب؛ ص ٢٢ـ ٢٣.

(٦) عبد الحميد الصالح، المدخل إلى تاريخ الفلسفة، ص ١٠.

(٧ـ٨) ديورانت، قصة الحضارة، ٦، ص ١٢٩ ـ ١٣٠، ص ١٤٢.

(٩) انظر: نعيم فرح، تاريخ حضارات العالم القديم، ص ٢٨٠.

(١٠) عبد الحميد الصالح، ص ٣٧ـ ٣٨.

(١١) ديورانت، ٦/ ٤٢ـ ٤٣.

(١٢) حسام الآلوسي، بواكير الفلسفة قبل طاليس، ص ٢٣ـ ٢٤ (الحاشية).

(١٣) ديورانت، ٦/ ١٣٠.

(١٤) نعيم فرح، ص ١٩٣.

(١٥) نعيم فرح، ص ١٩٤.

(١٦) راسل، ص ٢٥. وانظر كذلك: ديورانت، قصة الحضارة، ٦/ ٣١.

(١٧) الآلوسي، ص ١٤ـ ١٥.

(١٨) عبد الحميد الصالح، ص ٨.

(١٩) راسل، ص ٢٢ـ ٢٣.

(٢٠) الآلوسي، ص ٢٨١.

(٢١) ديورانت، ٦/ ١٣٠.

(٢٢) نعيم فرح، ص ٢٩٧.

(٢٣) الآلوسي، ص ١٧٤.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٧٤.

(٢٥) ديورانت، ٦/ ٤٣.

(٢٦) نعيم فرح، ص ٢٧٩ـ ٢٨٠.

(٢٧) الآلوسي، ص ١٧٦.

(٢٨) ديورانت، ٦، ص ١٢٠ ـ ١٢٢.

(٢٩) الآلوسي، ص ١٧٧.

(٣٠) الآلوسي، ص ١٧٧. راسل ص ٢٥.

(٣١) راسل، ص ٢٥.

(٣٢) ديورانت، ٦/ ١٢١.

(٣٣) راسل، ص ٣٢.

(٣٤) الآلوسي، ص ١٨٨ـ ١٨٩.

(٣٥) الآلوسي، ص ١٩١.

(٣٦) راسل، ص ٩٤ـ ٩٦.

(٣٧) أميرة مطر، فلسفة الجمال، ص ١١.

(٣٨، ٣٩) الآلوسي، ص ١٧٢، ١٧٣.

(٤٠) ديورانت، ٦، ص ١٢١ـ ١٢٢.

المراجع:

١ ـ الآلوسي، حسام. بواكير الفلسفة قبل طاليس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ط ٢، ١٩٨١ م.

٢ ـ ديورانت، ول. قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران. لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ج ٦، ١٩٥٣ م.

٣ ـ رسل، برتراند. حكمة الغرب، ترجمة د. فؤاد زكريا. سلسلة عالم المعرفة، العدد ٦٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، شباط ١٩٨٣ م.

٤ ـ الصالح، عبد الحميد. المدخل إلى تاريخ الفلسفة (الفلسفة القديمة)، مطبعة ابن حيّان. دمشق، ١٩٨٦ م.

٥ ـ فرح، نعيم. تاريخ حضارات العالم القديم، دمشق، ١٩٧٥ م.

٦ ـ قصبجي، عصام. محاضرات ألقيت على طلاب دبلوم الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة حلب، بين عامي ٩١ـ ١٩٩٢ م.

٧ ـ مطر، أميرة حلمي. فلسفة الجمال. دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٤ م.



دور الكبار في بناء شخصيّة الصّغار

إن بناء الشخصية السليمة، لطفل اليوم وراشد المستقبل، يقوم على قاعدة مهمة هي الثقة المتبادلة بين الكبار والصغار. فالأطفال ينمو لديهم الإحساس بالثقة بالنفس عندما يلمسون الحب والرعاية والاهتمام والدعم من قبل الكبار.

فاهتمام الكبار ورعايتهم ودعمهم للصغار يمثل العامل الأقوى في عملية غرس المفاهيم الأساسية وتطويرها لدى الصغار، وينمي أحاسيسهم باحترام الذات والالتزام بالسلوك الاجتماعي المقبول، كما يعطي الطفل دفعة قوية في طريق التفوق المدرسي والاجتماعي، إضافة إلى أنه يشبع أهم حاجات الطفل الضرورية وهي حاجته للأمن والطمأنينة.

ولا يعني إطلاقًا أن الرعاية والحب والاهتمام بالطفل هي: (دع الطفل يعمل ما يشاء) بل لا بد أن يكون الكبار حازمين في تعاملهم مع الصغار يرسمون حدودًا ويصنعون ضوابط على سلوكهم ويعرفونهم بأن هناك تصرفات مرفوضة وغير مقبولة على الإطلاق ولا يمكن التسامح أو التساهل معها.

ذلك؛ لأن فرض القوانين الجيدة ورسم الحدود والقواعد المعقولة بحزم، ضروري ومهم جدًا لإكساب الطفل مهارة ضبط النفس وتعلم السلوك والتصرف المقبولين. وقد تبين من دراسات علماء النفس والاجتماع أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين الضبط الحازم من قبل الكبار وتطور ضبط النفس والشعور بالمسؤولية والاستقلالية لدى الأطفال، مع التركيز على أن الضبط الحازم يتضمن معرفة كيفية وضع الحدود المعقولة، ومن ثم فرضها بأسلوب إنساني، فالضبط الحازم يختلف كلية عن أسلوب الضغط والكبت والتسلط والقهر، الذي يلجأ إليه بعض الكبار لضبط سلوك أطفالهم، حيث يستخدمون التهديد والوعيد والعقاب الجسدي أو النفسي للعمل على تغيير سلوك أطفالهم. وتلك الطريقة تفتقد صفة التدعيم والرعاية التي يتطلبها التوجيه السليم؛ لأنها قائمة على الإرهاب والضرب والإذلال والتهديد والسخرية، واللجوء إليها يؤدي إلى شعور الطفل بالمهانة والانكسار وعدم القدرة على ضبط النفس. إن مثل هؤلاء الأطفال لا يتعلمون تحمل مسؤولية سلوكهم ولا تنمو لديهم مشاعر الثقة بالنفس أو المشاركة أو التعاون مع الآخرين. إضافة إلى أن الأطفال يتعلمون الكثير من أنواع السلوك من خلال ملاحظة الكبار وتقليدهم، وعليه فإن الأطفال الذين ينشؤون في محيط يتسم بالعدوانية والعنف والإذلال سيستخدمون الأسلوب نفسه في تعاملهم مع الآخرين.

إن الطريقة المثلى التي يتوجب على الكبار استخدامها، هي الطريقة القائمة على الاتصال المباشر بين الكبار والصغار. هذا الاتصال المبني على الحوار والنقاش والمنطق، فالأطفال الذين يعملون ويلعبون ويدرسون في جو مفعم بالرعاية والحب والاهتمام والصدق والصراحة والوضوح يطور لدى الصغار مشاعر الإحساس بالمسؤولية والمشاركة والتعاون مع الآخرين ويعودهم على تحمل مسؤولية سلوكهم وضبط النفس.

د. تماضر حسون



صيام الأطفال
ميعاده وكيفيته

د. محمد مصطفى السمري

ليس ثمة شك أن الصوم فريضة إسلامية عظيمة، لها أثرها المباشر في تهذيب النفس وتقوية الروح. ولا عجب أن تطبع العبد على قوة الإرادة ومضاء العزيمة، وتعوّده الصبر وشدة الاحتمال. وشهر رمضان هو شهر الصحة الجسمية والنفسية والروحية، فرضه المولى سبحانه وتعالى على المسلم البالغ العاقل الصحيح المقيم.

ولقد حثنا المشرع العظيم على العناية بتدريب أطفالنا، وتعويدهم على أداء التكاليف الدينية كالصلاة والصوم، حتى إذا بلغ الطفل الحلم أو مرحلة البلوغ (وهي ١٢ ـ ١٤ سنة في الفتيان و١١ ـ ١٣ سنة في الفتيات في المعتاد) كانت هذه التكاليف مألوفة له غير شاقة عليه. يدل على ذلك قول الرسول ﷺ فيما رواه أبو داود بإسناد حسن: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع».

ولقد ثبت أن شهر رمضان الكريم هو أنسب الأوقات لتدريب الأطفال على أداء التكاليف الدينية في سن مبكرة. ويشير علماء المسلمين إلى صوم الأطفال قائلين: «ليس هناك سن معينة لبدء الصيام، ولا بأس من تدريبهم عليه منذ سن السابعة، غير أن بعض الفقهاء لا ينصحون بصيام الأطفال؛ لأنهم قد يكرهونه في المستقبل. وإن كان هذا الرأي يعارضه أغلب العلماء المسلمين». ولقد روى البخاري ومسلم، أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يدربون صبيانهم الصغار على الصوم. لذلك فصيام رمضان للطفل الذي لم يبلغ الحلم بعد مندوب للتمرين، ويراعى أن يكون تدريبهم عليه

٥ الصيام الصحي للأطفال يعتمد على التدرج وتوازن العناصر الغذائية

بالتوجه الرقيق والأسلوب الشائق مع مراعاة استعداد الطفل البدني والنفسي لتقبل هذا التدريب.

متى يصوم الطفل؟

يجب تدريب الطفل على الصيام بعد سن السابعة؛ لأن طفل السابعة قد لا يقدر على الصيام. وتُعد العاشرة السنة النموذجية لصيام الطفل، لكن يمكن تدريبه ابتداء من السنة الثامنة أو التاسعة حسب استعداد الطفل. وصيامه عندئذ لن يشعره بأي متاعب صحية. ويجدر بنا أن ننبّه إلى خطورة صيام الطفل عند السابعة أو ما قبلها؛ لأنه عند هذه السن يكون في أمسّ الحاجة إلى المواد الغذائية المختلفة، وبنسب معينة تلاحق نمو جسمه السريع وتحميه من الأمراض العضوية التي قد يتعرض لها والتي قد تؤثر على نموه في المستقبل.

ويجب ألا تخاف الأم على طفلها من الصيام بدعوى أنه ما زال صغيرًا؛ لأنها سوف تجد أن طفلها، عند سن الثامنة أو التاسعة أو العاشرة، مقبل على الصيام بحماسة شديدة، تشبّهًا بوالديه وإخوته الكبار، ولما يحويه الشهر الكريم من عادات وتقاليد عائلية محبة وبخاصة اجتماع العائلة حول مائدة الإفطار والسحور، ناهيك عن التقاليد الشعبية التي يتميز بها شهر رمضان في كل بلد من بلادنا الإسلامية.

كيف يصوم الطفل؟

يتم ذلك بصيام الطفل لعدة ساعات من النهار، تزداد تدريجيا كل يوم. وهناك طريقتان لذلك:

الأولى: تعتمد على تأخير تناول الطفل لوجبة الإفطار العادية، فبدلا من أن يتناولها في السابعة أو الثامنة صباحا كما هي العادة نؤخرها إلى الساعة الثانية عشرة ظهرًا؛ ثم يصوم الطفل بعدها حتى يفطر مع أسرته عند أذان المغرب (أي يكون قد صام حوالي ٥ ساعات) وذلك لعدة أيام. وفي الأيام التالية نؤخر وجبة إفطار الطفل العادية إلى الحادية عشر صباحا، ثم إلى العاشرة، ثم إلى التاسعة، وهكذا.

الطريقة الثانية: تكون بأن يصوم الطفل ابتداء من تناوله لوجبة السحور، ثم يفطر عند أذان الظهر (أي يكون قد صام حوالي ٧ ساعات) وذلك لمدة عشرة أيام. ثم نزيد فترة الصيام في الأيام العشرة الوسطى بأن يصوم الطفل ابتداء من تناوله لوجبة السحور وحتى أذان العصر (أي يكون قد صام حوالي ١٠ ساعات). ثم يصوم الطفل الأيام العشرة الأخيرة مثل والديه، أي ابتداء من السحور وحتى أذان المغرب. وبذلك يستطيع الطفل صيام يوم رمضان كاملاً، وعندما يقبل رمضان التالي يكون قادرًا بإذن الله على صيامه كاملا.

ويراعى التدرج في الصيام، فكلما تدرج الطفل في الصيام في عدد ساعات الصوم يوما بعد يوم، وعاما بعد آخر، نتج عن ذلك توازن من الجسم للتغيرات الفسيولوجية التي تحدث نتيجة للصيام. وبالتالي يستطيع الطفل الصيام، وهو في حالة صحية وجسمية سليمة ودون تعب أو مشقة وفي إيمان وخشوع.

ويجب على الأم مراقبة طفلها أثناء صيامه، فإذا شعرت بمرضه أو إرهاقه أو عدم تحمله الصيام، يجب عليها أن تسارع بإفطاره؛ لأن قدرة الطفل على الجوع والعطش أقل بكثير جدا من قدرة الشخص البالغ. والجدير بالذكر أن هناك بعض الأمراض تمنع الطفل من الصيام مثل: مرض السكري، والدرن (السل)، وقرحة المعدة، والأنيميا، وأمراض الكلى؛ لاحتياج الطفل الدائم للسوائل، وغيرها من الأمراض التي ينبّه إليها الطبيب.

وجبتا الإفطار والسحور

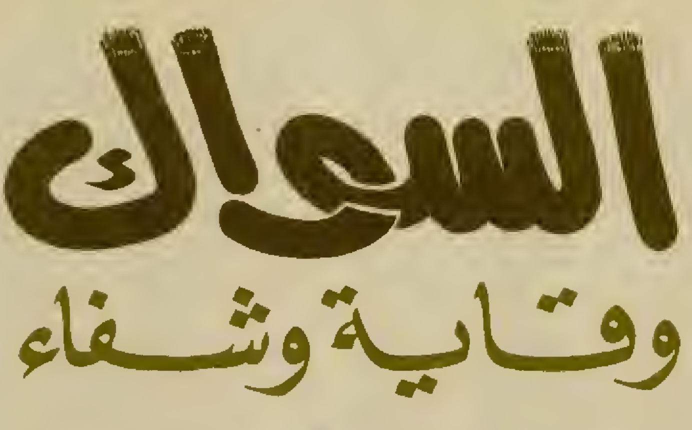
بالنسبة لوجبة الإفطار، يجب أن تحتوي على العناصر الغذائية المتوازنة كمًا ونوعًا مثل المواد البروتينية والسكريات وأيضا الخضروات والفاكهة مع الماء وقليل من المواد الدهنية. ويجب أن نعجل بالإفطار بتناول بعض الرطب أو التمر أو عصير الفاكهة أو الماء بكميات قليلة وبتمهل، اقتداء بسنة النبي ﷺ. فعن أنس رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن، فعلى تمرات، فإن لم تكن حسَا حسوات من الماء**» رواه أبو داود. ولا يجب شرب الماء المثلج مباشرة بكميات كبيرة وقت الإفطار؛ لأن ذلك يربك الجهاز الهضمي ويعطل الهضم. ويجب عدم الإكثار من الحلويات مثل الكنافة والقطائف والفطائر... إلخ، حتى لا يصاب الطفل بالتخمة ويشعر بالكسل مما يؤثر على نشاطه وإقباله على الاستذكار.

وبالنسبة لوجبة السحور فيجب الاهتمام بها وعدم إهمالها، كما يجب تأخيرها ما أمكن اقتداء بالنبي ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تسحّروا فإن في السحور بركة**» أخرجه البخاري. وقال: «**لا تزال أمتي بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطر**» رواه الإمام أحمد. ذلك؛ لأن وجبة السحور هي التي تشبع الطفل الصائم لأطول مدة أثناء النهار. ولهذا السبب أيضا يجب أن تحتوي وجبة السحور على الفول المدمس والبيض والزبادي مع الفاكهة والخبز، ولا مانع من شرب فنجان من الشاي.

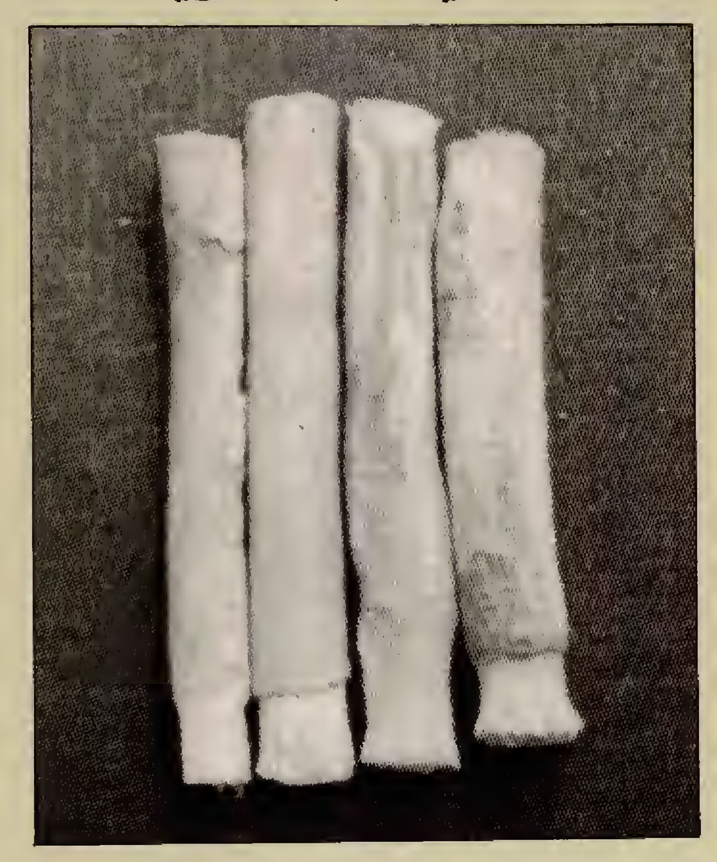
وهذه المواد من شأنها أن تعطي الطفل الإحساس بالشبع أكبر وقت ممكن، فلا يحدث انخفاض في نسبة السكر في الدم، وبالتالي لا تشتد قسوة الجوع على الطفل أثناء النهار. كما يجب أن تخلو وجبة السحور من الأملاح والمخللات والمواد الحريفة مثل الشطة والفلفل الأسمر، وذلك حتى لا يشعر الطفل بالعطش في اليوم التالي.

وأخيرا، يجب على الأم الحرص على إيقاظ طفلها وقت السحور، وتعويده على رؤية أفراد الأسرة وهم يمارسون هذا الفرض الديني العظيم، حتى يصبح ملمًّا بالأصول الدينية المعمول بها في هذا الشهر الكريم. كما يجب على الأم أن تنتهز فرصة شهر رمضان في إلزام طفلها بالصلاة في ميعادها إلى جانب الصيام، وتعليمه قراءة القرآن الكريم. ويجب ألا تنسى أن تعلمه معاني الصوم السامية لترسخ في نفسه أسس الرحمة والعطف على الضعيف والفقير.





وجيدة حجازي



الفم والأسنان مصدرا الداء لكثير من الأمراض، وبخاصة أمراض الجهاز الهضمي والتنفسي. لذا فهما عنوانا الصحة الجيدة؛ فإذا كانا بحالة جيدة أدى ذلك إلى مستوى صحي مرتفع بالنسبة للفرد.

السواك (الأراك) اسمه العلمي SALVADORA-PERCICA، وهو قطعة من فرع أشجار الأراك، وهو أحسن وسيلة للمحافظة على نظافة الفم والأسنان، وأجوده ما استُعمل مبلولاً بماء الورد.

وأجود ما يتخذ السواك من أشجار الأراك، وهي دائمة الخضرة تشبه شجرة الرمان، وتنمو في المناطق الحارة، وتكثر عادة في أودية الصحارى وتكون قليلة في الجبال، وهي موجودة بكثرة في المملكة العربية السعودية وبخاصة في المناطق الجنوبية. كذلك ينمو الأراك في طور سيناء وصعيد مصر والسودان وإيران وشرق الهند والشام.

والسواك حاليا موجود بكثرة أمام المساجد وفي الصيدليات وفي الأماكن العامة كمحطات القطارات ومع بائعي الصحف... إلخ.

مكونات السواك

أجمع علماء الصيدلة والطب على أن السواك يحتوي على العديد من المواد الطبية التي لا توجد في أي معجون للأسنان، وهي:

- السينجرين (SINNIGRIN)، وهي مادة مطهرة قوية تقتل الجراثيم.
- العفص (TANNIC. ACID)، وهو مطهر قابض يوقف النزيف ومضاد للتعفنات والإسهال ويشفي الجروح الصغيرة باللثة.
- مواد سكرية مثل الجالاكتوز والنشا والمواد الصبغية، وهي تساعد على توزيع المواد الفعالة.
- مادة الفلورايد التي لابد من وجودها في أي معجون للأسنان، موجودة طبيعيًا في السواك.
- مادة بيكربونات الصوديوم وكلوريد البوتاسيوم اللتان تقومان بمهمة نظافة الأسنان.
- مادة شبيهة بالبنسلين تخفف من حدة آلام الأسنان.
- بللورات السيليس، وهي مواد زالقة للأوساخ حيث تحك القلح عن الأسنان.
- مادة تمنع النخر السني، وألياف السليلوز وبعض الزيوت الطيارة.

السواك في السنة المطهرة

كان الرسول ﷺ أول الذين اعتنوا، وأوصوا بنظافة الفم والأسنان، حيث حثنا على استعمال السواك لشمول منافعه وفوائده وعمومها.

قال رسول الله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»، وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: «كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك»، وفي صحيح البخاري: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»، وفي صحيح مسلم: «أنه ﷺ كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك».

وفي السنن عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ ما لا أحصي يستاك وهو صائم».

فاستعمال السواك في الليل والنهار، للمفطر والصائم سنةٌ مستحبة، لعموم الأحاديث فيه ولحاجة الصائم إليه؛ ولأنه مرضاة للرب، ومرضاته مطلوبة في الصوم أشد من طلبها في الفطر.

فوائد السواك الطبية

بعد الدراسات والبحوث التي أجريت على السواك، أدرك أطباء الأسنان الفروق الجوهرية بين المساويك والمعاجين، كما أثبتت الدراسات والبحوث المضاعفات والآثار السلبية التي يسببها المعجون.

ومنافع السواك وفوائده لا تقتصر على الفم والأسنان فقط، بل إنه يطيب الفم ويطهره ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويذهب بالحفر، ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويسهل مجاري الكلام، وينشط القراءة والذكر والصلاة، ويدر البول، ويطرد النوم، ويرضي الرب، ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات، ويجلي الأسنان، ويطلق اللسان، ويشهي الطعام، ويحمي الفم من السرطان، وهو مسكن لآلام الأسنان، كما أنه يعطي للفم رائحة ذكية وطعمًا مستحسنًا.

ثلاثون وصيّة حول مائدة رمضان الصّحيّة

د. فوزي عبد القادر الفيشاوي



كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعجل الافطار على التمر أو الماء

دار الزمن دورته، ومرت الليالي والأيام، وهذا شهر رمضان جاءنا من بعد عام. وهو يجيء ليمضي. ويمضي ليجيء. والناس، كلما هلّ هلاله، رجلان في لقائه؛ فأما أحدهما فيلقاه مستبشرًا، واعيًا فاهمًا لحكمته، فصوم رمضان عنده ليس بجوع وحرمان، وإنما هو شبع من موائد الرحمن، شبع المعرفة والفطنة، لا شبع الغفلة والبطنة. وأما الآخر فيلقى رمضان على هامش وعيه، فالصوم عنده جوع وخمول بالنهار، وشبع ولهو بالليل. وفوق الشبع تخمة بها لذ وطاب من الطعام والشراب. ومع التخمة تفتر همته، ويعتل بدنه، ويتبلد ذهنه، وتظلم روحه، ويظل يتخبط في غياهب الغفلة، حتى تضيع منه مآثر الحكمة.

ثمة وصايا ذهبية، نود أن نذكّر الصائمين بها، وقد جلسوا على موائدهم. إنها ثلاثون وصية غذائية، نود أن نتداولها معًا، وصولاً لمائدة رمضانية مباركة، وصحية إن شاء الله:

(١) عجلوا الفطر

إنها وصية رسولنا الكريم ﷺ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» رواه البخاري ومسلم والترمذي. وربما يسأل سائل عن الحكمة، ونقول: إن في تعجيل الفطر خير ومنفعة صحية ورحمة؛ فالصائم الذي يمسك عن الطعام والشراب طوال ساعات الصوم (بمتوسط ١٤ ساعة)، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، يكون في أشد الحاجة لما يعوضه عما فقد من ماء في نهار رمضان، حتى يزول عنه الظمأ وتبتل لديه العروق. وهو كذلك في حاجة عاجلة إلى ما يعوض الهبوط الحادث في سكر دمه، وبخاصة في ساعات الصوم الأخيرة، حتى يستعيد جسمه توازنه الحيوي، لئلا يصاب بهبوط عام وإنهاك واضطراب. ولأن الله تعالى لا يريد لعباده الصائمين مزيدًا من العنت والمشقة، ولا يريد بهم عسرًا ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ البقرة ١٨٥. إذن فليمتثل الصائمون لوصية رسولهم الكريم، وليعجلوا إفطارهم!

(٢) ترفق بمعدتك واحذر الماء البارد

لعل أكثر ما يتأثر بالصوم، من أجهزة الجسم، إنما هو الجهاز الهضمي، هذا الجهاز الذي ظل يعاني طوال أحد عشر شهرًا من الإجهاد والعمل الشاق، ثم يأتي رمضان فيتغير فجأة ما ألف من نظام، فلا طعام ولا شراب طوال ساعات الصوم. فإذا جاء ميعاد الإفطار، وجب إيقاظ المعدة من راحتها الطويلة رويدًا رويدًا، ووجب تحذير الصائمين من شرب الماء المثلج الكثير، لما يسببه ذلك من أضرار؛ فقد تبين أن دخول الماء البارد فجأة بعد صيام طويل، يتسبب في انقباض الشعيرات الدموية بالفم والبلعوم والمريء والمعدة، كما يؤدي إلى توتر عضلات المريء والمعدة، فتتقلص.

(٣) ليكن شرابك قليلا وعلى فترات

ذكرنا أن الماء يقل كثيرًا في أجسام الصائمين في النهار، وبالتالي فإن حجم دمائهم يقل ويزيد تركيزه، ويزيد تبعًا لذلك ضغط الدم الأزموزي. فإذا حل ميعاد الإفطار، وشرب الصائمون كميات قليلة من الماء، عاد ضغط دمائهم مرة ثانية إلى مستواه الطبيعي. لكن مع شرب كميات كبيرة من الماء، خلال وقت قصير، تحدث زيادة كبيرة في حجم دمائهم، ويقل تركيزه، وينخفض ضغطه الأزموزي كثيرًا.

(٤) افطر على رُطَبَاتٍ

دعونا نذكر هذا الحديث النبوي الشريف،

> **١٥ احذر التخمة: فمعها تفتر الهمّة، ويعتلّ البدن، ويتبلّد الذهن، وتظلم الروح!**

الذي رواه أبو داود والترمذي. فعن أنس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان يفطر قبل أن يصلي على رُطَبَاتٍ، فإن لم تكن رُطَبَات فتُميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من الماء». لقد علمنا أن الصائم مثلما يكون في حاجة إلى الماء، يكون كذلك في أشد الحاجة إلى مصدر سكري سريع، يدفع عنه شعور الجوع. وهكذا جاء الهدي النبوي، داعيًا الناس لأن يفطروا على مادة سكرية حلوة غنية بالماء مثل الرطب. ونستطيع اليوم أن نوصي الصائمين بالرطب، أو بمنقوع التمر في الماء، أو بشراب قمر الدين، أو بمنقوع الفواكه المجففة المحلاة (الخُشَاف)، أو بعصير الفواكه المحلى بالسكر كالبرتقال والليمون والجوافة والعنب، أو بماء مذاب فيه ملعقة من العسل الأبيض أو الأسود. فكل هذه الأغذية تتشارك في خصائصها الأساسية، من حيث احتواؤها على الماء والسكريات سهلة الامتصاص.

ففي نحو خمس دقائق، يمكن للأمعاء امتصاص الماء المحلى بالسكر، لترتوي الأجسام من بعد ظمأ، وتزول أعراض نقص السكر، وتنكسر حدة الجوع، ويقبل بعدها الصائم على طعامه معتدلاً، بغير شراهة أو اندفاع.

(٥) افطر على مرحلتين

من آداب مائدة النبوة في رمضان الفطر على مرحلتين: فقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يعجّل فطره أولاً على التمر والماء، ثم يصلي المغرب، ويكمل بعد الصلاة فطره. والحقيقة التي يجب أن نعيها، أنه في خلال هذه الفترة القصيرة (١٠ ـ ١٥ دقيقة)، التي تستغرقها الصلاة، يحدث امتصاص سريع للمادة السكرية التي بدأ بها الصائم فطره، فيرتفع مستوى السكر في الدم، مما يبعث الهمة والنشاط في الأجسام، ويزول عن الصائم الإحساس «بالدوخة» والكسل، وتتبدد عنده أعراض نقص السكر، ويقل شعوره بالجوع. فإذا قضيت الصلاة، وعاد الصائم يستكمل فطره، أقبل على طعامه بنفس راضية مطمئنة، فلا يصيب منه إلا بقدر حاجته، بلا إسراف ولا تبذير. ونزيد أن الكمية اليسيرة التي يبدأ بها الصائم فطره، تعد منبهًا جيدًا لجدار المعدة فينقبض، ومنبهًا لغدد اللعاب، وغدد جدار المعدة فتفرز عصاراتها، استعدادًا لمهمة العمل الأكبر القادم بعد الصلاة. وفي ذلك ضمان لحسن إجراء عملية الهضم والامتصاص على أوفق حال.

(٦) إياك والتدخين على معدة خاوية

بعض الصائمين يجعلون أول فطرهم سيجارة، فيكون دخانها أول ما يدخل معدهم الخاوية. وهنا يأتي الضرر، فالتدخين ـ على هذا النحو ـ يتسبب في حدوث اضطرابات للمعدة، كثيرًا ما تؤدي إلى تقرحها. ناهيك عما يفعله دخان السيجارة من أثر سيئ على شهية الصائم للطعام، حيث تقل كثيرًا، بل تضيع أحيانًا، والشهية للطعام ــ كما يعلم الكثيرون ــ مرتبطة بإفراز العصارات المعدية الهاضمة. وهكذا فإذا كان التدخين ضارًا على الإطلاق، فهو أشد ضررًا والمعدات خاوية.

ثلاثون وصية حول مائدة رمضان الصحية

(٧) احرص على توازن وجبتك

يعتقد بعض الصائمين أن احتياجاته من عناصر التغذية تزيد في رمضان عنها في غير رمضان. وهذا غير صحيح، إذ لا تختلف الاحتياجات الغذائية، ما دام الفرد يؤدي العمل نفسه، ويقوم بالمجهود ذاته. فعلى سبيل المثال، إذا كانت احتياجات الفرد البالغ تبلغ نحو ٢٠٠٠ سعر حراري يوميًا، وكان يحصل عليها في الأيام العادية، بتناول ثلاث وجبات هي الإفطار والغداء والعشاء، فإن هذا الفرد يمكنه تحصيل القدر نفسه من السعرات في وجبتي الإفطار والسحور في رمضان. وفي كل الحالات ينبغي أن يحرص الفرد على تكامل وجبته الغذائية وتوازنها، ويكون ذلك باحتوائها على مصادر مناسبة للبروتينات والدهون والنشويات والمعادن والفيتامينات.

(٨) جهّز وجبة إفطار صحيحة

لا تختلف وجبة الإفطار كثيرًا عن وجبة الغداء الرئيسة في غير رمضان. والصائم الواعي الحصيف يمكنه (حسب عاداته الغذائية، وحسب حالته الاقتصادية) أن يعد وجبة إفطار صحيحة، تتكون من شريحة لحم (نحو ١٠٠ جرام) أو ربع دجاجة متوسطة الحجم، أو ربع أرنبة، أو ما يماثلها من السمك، أو قطعة جبن أبيض، أو قطعة جبن قريش مضاف إليها قليل من الزيت، أو نحو خمس ملاعق من الفول المدمس مع جبن أبيض أو قريش، أو طبق من العدس، أو أي نوع من البقول المطهية. إنك إذن مخيّر بين هذه المصادر البروتينية، تختار واحدًا منها. وأنت كذلك مخير بين مصادر النشويات المختلفة، تختار واحدًا منها يناسب عاداتك وقدرتك. وهذه كثيرة، منها رغيف واحد، أو ثماني ملاعق كبيرة من الأرز، أو نحو اثنتي عشرة ملعقة مكرونة. وعلى مائدتك ضع مصادر الأملاح المعدنية والفيتامينات الرئيسة كالخضروات والفاكهة.

(٩) تجنب التوابل في طعامك

الفلفل والشطة وأمثالها من التوابل، يلزم تجنبها بقدر الإمكان في طعامنا. فهي تهيج الغشاء المخاطي للمعدة، وتؤدي إلى زيادة الحموضة، كما تزيد الشعور بالعطش، فتدفعنا لشرب ماء كثير. وكثرة التوابل بالطعام تؤدي إلى تهيجات في الغشاء المخاطي للمستقيم والشرج. كما أنها قد تحدث تقرحات بالمعدة.

(١٠) احترس من المخللات

من العادات المألوفة، وبخاصة في شهر رمضان، تناول المخللات مع الطعام، لتثير عند أكلها مزيدًا من الرغبة في الطعام. وهي عادة مؤذية، إذ إنها بحكم غناها بأملاح الصوديوم، تزيد الإحساس بالعطش وتدفع الآكل لشرب ماء كثير تمتلئ به المعدة. والمخللات تزيد كذلك نسبة

> ○ تكامل الوجبة الغذائية وتوازنها من ضرورات المائدة الرمضانية الصحية.

الملح في أنسجة الجسم، مما يؤدي لاحتفاظها بماء أكثر للتوازن، وهي حالة غير صحية.

وعند البروفيسور الأمريكي الدكتور كلاريبورن أن ثمة علاقة بين البدانة والإفراط في تناول المخللات. فالمخللات، وإن لم تزد الوزن في حد ذاتها، إلا أنها تساعد على احتجاز الماء في الجسم، كما أنها تقلل من قدرة الآكلين على تحكمهم في شهيتهم، فيأكلون ويأكلون.

لهذا فهو ينصح باستبعاد المخللات والحوادق من موائد الطعام، والاستعاضة عنها بالسلطة الخضراء مع عصير الليمون الطازج. وهي نصيحة جديرة بعناية مرضى الضغط المرتفع ومرضى القلب على سبيل التخصيص.

(١١) أوصيك بطبق السلطة الخضراء

إننا ننصح الصائمين بطبق السلطة الخضراء على موائدهم. فهي علاوة على إمدادها الصائم بالأملاح المعدنية والفيتامينات اللازمة لسلامة الجسم، والمحافظة على الصحة؛ تحتوي على كمية من الألياف التي لا يهضمها الجسم، وتشعره بالامتلاء، كما أنها تزيد في حركة الأمعاء، وتمنع الإمساك، وتسهم في انتظام التبرز. هذا علاوة على ما تحتوي عليه الخضروات من مواد قلوية تعمل على معادلة حموضة الدم. ونعود فنقول بأنه يفضل استعمال الخل أو الليمون مع السلطة الخضراء، وتجنب وضع الملح عليها.

(١٢) اختر المسلوق والمشوي، وتجنب المقلي من الطعام

يحسن أن نغير بعض عاداتنا وتقاليدنا الغذائية ونبدأ بأن نعتبر الطعام العادي المألوف هو الطعام المسلوق المضاف إليه الزبدة أو الزيوت الطازجة، أو الطعام (السوتيه). فالحق أن الطعام المسلوق أو المشوي أفضل كثيرًا ـ من وجهة النظر الغذائية ـ من المحمرات والمقليات. ولا ريب أن القلي يُعقّد الأمور أمام المعدات، كما أن المقليات والمحمرات تتحول إلى دهن يجعل هضم الطعام أشد عسرًا، وأكثر إرهاقًا للكبد والمعدة والأمعاء.

(١٣) احذر . . فالسم في الدسم

حقًا كم من الأضرار يمكن أن تحيق بالمرء إذا أفرط في تناول الأطعمة الدسمة. إن كل وجبة دسمة هي بالفعل عبء ثقيل على المعدة، فهي تحتاج إلى جهد أكبر لهضمها، كما أنها تعيق مرور الطعام من المعدة إلى الاثنى عشر فترة أطول، مما يؤدي إلى انتفاخ البطن وكثرة ما فيها من غازات. ويتخلف من عمليات تمثيل المواد الدسمة في الخلايا الكبدية زيادة نسبة الدهون في الكبد، ويؤدي هذا تبعيًا إلى زيادة عمليات احتراق

الأحماض الدهنية في الكبد، حيث تتكون كمية كبيرة من أحماض تسمى (الأجسام الكيتونية)، التي تذهب إلى الدم فتزيد من حموضته. وكثرة الدهون ترهق الكبد وتعجل بتدمير وظائفه الحيوية، وتؤدي لزيادة نسبة الدهنيات والكوليسترول في الدم، مما يُعَجِّل بحدوث ضيق في الشرايين وبخاصة شرايين القلب، الذي يمهد للإصابة بالذبحة الصدرية. إن الطعام الدسم لا يناسب الجميع، وهو ممنوع مطلقًا على المرضى المصابين بالضغط، أو المصابين بأمراض القلب.


الفول طبق رمضاني غني بالبروتينات يُفضل تناوله في السحور

(١٤) واجه المسبكات بحزم

الأطعمة المسبكة هي الأطعمة التي يجري إعدادها باستعمال الصلصات والتوابل والدهون وأشياء أخرى غيرها. وهي - في الواقع - تركيبة معقدة، تكفي تمامًا لأن تؤذي الآكلين منذ وصولها إلى معداتهم، وحتى خروجها على هيئة فضلات في البراز. فالطعام المسبك يتسبب في تمدد عضلات المعدة، ويؤدي إلى قفل الفتحة الواصلة بين المعدة والأمعاء، كما يزيد من اتساع الفتحة ما بين المعدة والمرئ. والطعام المسبك يمكث في المعدة زمنًا أطول. مما يزيد شعور المرء بالحرقان في أسفل الصدر، مع حدوث انتفاخ، وعادة ما يصعد الحامض إلى الحلق، ويزيد احتمال القيء. إنها معاناة يظل الآكل يعايشها طوال ساعات الهضم. والأطعمة المسبكة هي في العادة لذيذة الطعم. مما يغري الآكل بالتهام المزيد منها بلا وعي. وينجم عن ذلك قدر منها يظل بلا هضم، ويبقى في القولون زمنًا، مما يشجع البكتيريا القولونية على النمو والتكاثر بصورة مفرطة لا يحتملها القولون فيصاب بالالتهاب. وفي الوقت نفسه تتعرض الفضلات الكثيرة المتراكمة لعمليات كيميائية حيوية نتيجة النشاط البكتيري، لينتج عنها غازات عديدة مثل ثاني أكسيد الكربون، والأيدروجين، والميثان ذي الرائحة الكريهة. ومن هنا يأتي الشعور بالانتفاخ، ويزيد التجشؤ. وعادة ما ينتج عن تخمر الطعام بالأمعاء أحماض تلهبها، وتزيد الرغبة في الإخراج، الذي يكون على هيئة إسهال، مصحوبًا بحرقان في الشرج. وفي أحيان أخرى، ينتج عن هذا الطعام مادة مخاطية تصاحب البراز، وقد تمنع امتصاص الغازات من الأمعاء، فيزيد شعور المرء بالانتفاخ وتتكاثر لديه الغازات. وهكذا، حموضة وانتفاخ وغازات وآلام والمسؤول هو طعامك المسبك.

(١٥) يا من تعاني من القولون العصبي: تخير طعامك بعناية وحذر

مرضى القولون العصبي الصائمون، ينبغي عليهم اختيار طعامهم بعناية، فلا يكون معقدًا، ولا مسبكًا، ولا مُحَمَّرًا، ويكون خاليًا من المخللات والحوادق والتوابل وكل طعام حرّاق. ولابد لهم من تناول نوع من الخضروات يناسب معدهم وأمعاءهم. وفي العادة يفضل الكثير منهم تناول الخس والبقدونس والجرجير، وبعضهم يفضل تناول الطماطم، غير أن غالبيتهم لا يناسبها الفجل أو البصل. ولا بأس من تناول الحليب، على عكس ما هو مشهور وشائع بين الناس.

(١٦) ترفق بمعدتك ولا تتخمها

إتخام المعدة - عند الإفطار - بالطعام الكثير، يؤدي عادة إلى الضغط على الحجاب الحاجز ويعوق حركته، مما يؤثر على الجهاز التنفسي، وبالتالي يعوق ميكانيكية التنفس، ويحدث ضيقًا في التنفس، ويؤدي اتخام المعدة كذلك إلى متاعب هضمية جمة، مع آلام يشعر بها الصائم تحت ضلوعه في الجانبين. هذا علاوة على الإحساس بالخمول والتراخي والميل إلى النعاس نتيجة سحب الكثير من الدماء (نحو ٣٠٪) إلى منطقة الهضم، لمجابهة الوُجبة الكبيرة، ويكون على حساب كمية الدماء الواردة إلى أعضاء الجسم الحيوية، وبخاصة المخ، إتخام المعدة إذن لا فائدة ترجى من ورائه، بل هو مصدر لكثير من الضرر.

(١٧) لا تنتظر من المنبهات والمهضمات حلاً

بعض الصائمين يحاولون التغلب على مشكلة الفتور، وجثوم الطعام على القلب، باستعمال كميات كبيرة من المنبهات كالقهوة والشاي، أو باستعمال الأدوية الهاضمة والفوارات والمياه الغازية ونحوها. وهي حلول غير عملية؛ لأن هذه المواد تعمل والمعدة ممتلئة، ولن يبدأ تأثيرها في التو واللحظة، ولكن بعد فترة من الوقت، يكون الجسم

ثلاثون وصية حول مائدة رمضان الصحيّة

خلالها قد تمكن ـ بواسطة عملياته الفسيولوجية الطبيعية من هضم وامتصاص وتمثيل غذائي ـ أن يعود إلى حالته الطبيعية.

(١٨) لا تنم ويكفيك الاسترخاء

يخلد بعض الصائمين إلى النوم عقب الإفطار، نتيجة لما يصيبهم من فتور بسيط بعد الأكل، بسبب سحب كمية كبيرة من الدماء إلى مكان الهضم. وحقيقة الأمر أن النوم مباشرة عقب الإفطار، وبخاصة إذا كان الطعام دسمًا، يتسبب في زيادة العسر الذي تعانيه عملية الهضم، علاوة على إلقاء عبء ثقيل على الدورة الدموية التي تكون في حالة استرخاء أثناء النوم. ويتسبب عن نوم مرضى القلب والشرايين ـ عقب الأكل مباشرة ـ مضاعفات خطيرة على حالتهم. لكن النصيحة هي الاسترخاء قليلاً عقب الإفطار، فيما بين المغرب والعشاء، مما يساعد على زيادة توافر الدم إلى منطقة الجهاز الهضمي، لعدم الحاجة إليه في أنشطة أخرى، كما يفيد ذلك في زيادة كفاءة الهضم، ويزيد من معدلاتها.

(١٩) تجنّب الحلويات بعد إفطارك الدسم

يؤكد خبراء التغذية على ضرورة تجنب تناول المواد السكرية والحلويات على معدة ممتلئة بالطعام الدسم، أو الطعام الغني بالبروتين (مثل اللحوم). وعلة ذلك أن السكريات تبقى في المعدة مدة قصيرة حتى تهضم ويتم امتصاصها في الدم، أما المواد الدسمة والبروتينية فتظل في المعدة ساعات طويلة، قد تصل إلى خمس ساعات، بسبب عمليات الهضم البطيئة التي تتعرض لها.

إن ما يحدث عند خلط المواد السكرية أو الحلويات مع الدهون أو اللحوم داخل المعدة هو أن السكريات تميل إلى التخمر سريعًا، لينتج عنها غازات كثيرة تملأ المعدة، ويشعر الآكل بالانتفاخ. ولعل من الأمثلة على الأخطاء الشائعة، تناول عصير الفواكه أو المياه الغازية مع الطعام الدسم بدعوى أنها تساعد على الهضم، بل العكس، فإنها تعطله.

(٢٠) راقب «شايك» المغلي

اعتاد بعض الصائمين شرب الشاي المغلي، بعد تناولهم الطعام مباشرة. وهي عادة خاطئة، إذ يؤدي غلي الشاي إلى انفراد مادة التانين، التي يتسبب عنها إصابة المرء بالإمساك، كما أنها تترسب على غشاء المعدة وتحول دون إفراز العصارات الهضمية المختلفة، فيسوء الهضم ولا يمتص الجسم الطعام المهضوم جيدًا، ومن بين العناصر الغذائية التي يحول الشاي دون امتصاصها عنصر الحديد، مما يؤدي ـ بدوام الممارسة ـ إلى ظهور نقص الحديد.

(٢١) لا تدخّن بعد الإفطار

بعض الصائمين من المدخنين، ما يكاد طعام الإفطار يُرفع، حتى يشرع في التدخين بشراهة تعويضًا عن فترة الحرمان! وهذا عين الخطأ، فقد تأكد أن أول سيجارة يتعاطاها الصائم بعد انقطاع دائم طوال ساعات الصوم، يصاحبها إحساس «بالدوخة» وهو الإحساس الذي يرتبط بالتغيير الحادث في توزيع الدم على أجهزة الجسم والمخ. وهي ملاحظة جديرة بعناية الصائمين، خاصة كبار السن منهم، ومن يعانون متاعب في جهازهم الدوري.

(٢٢) خاصم المكسرات

كثير من الصائمين تعودوا على قضاء ليلهم في صحبة المكسرات، مثل اللوز والجوز والبندق والفستق، وهي أغذية شديدة التركيز، صعبة الهضم، لاحتوائها على نسبة عالية من الدهنيات. ويكفي أن نعلم أن في اللوز حوالي ٥٤٪ مواد زيتية، كما يحتوي الجوز على ٦٤٪، منها، وفي جوز الهند ٥٢٪ زيوت، ويحتوي الفول السوداني على ٥٠٪ زيوت، بينما يحتوي الصنوبر على ٦٢٪ وتصل نسبة المواد الدهنية في البندق إلى ٦٢٪، وفي الفستق ٥٤٪، ويحتوي البيكان على ٧١٪ مواد دهنية. فإذا عرف المرء أن كل مائة جرام من الفول السوداني تعطي ٥٨٥ سعرًا حراريًا، ويعطي اللوز ٥٩٨ سعرًا، أما البيكان فيعطي ٦٨٧ سعرًا، وكل مائة جرام فستق تعطي ٥٩٤ سعرًا، ويعطي الجوز ٦٥١ سعرًا، ويعطي البندق ١٦٤ سعرًا حراريًا، نعم إذا عرف المرء هذه القيمة العالية من السعرات، لتأكد من فداحة الأخطار التي تأتي من وراء الإفراط في تناولها.

(٢٣) ابعد طعامك عن التلفاز

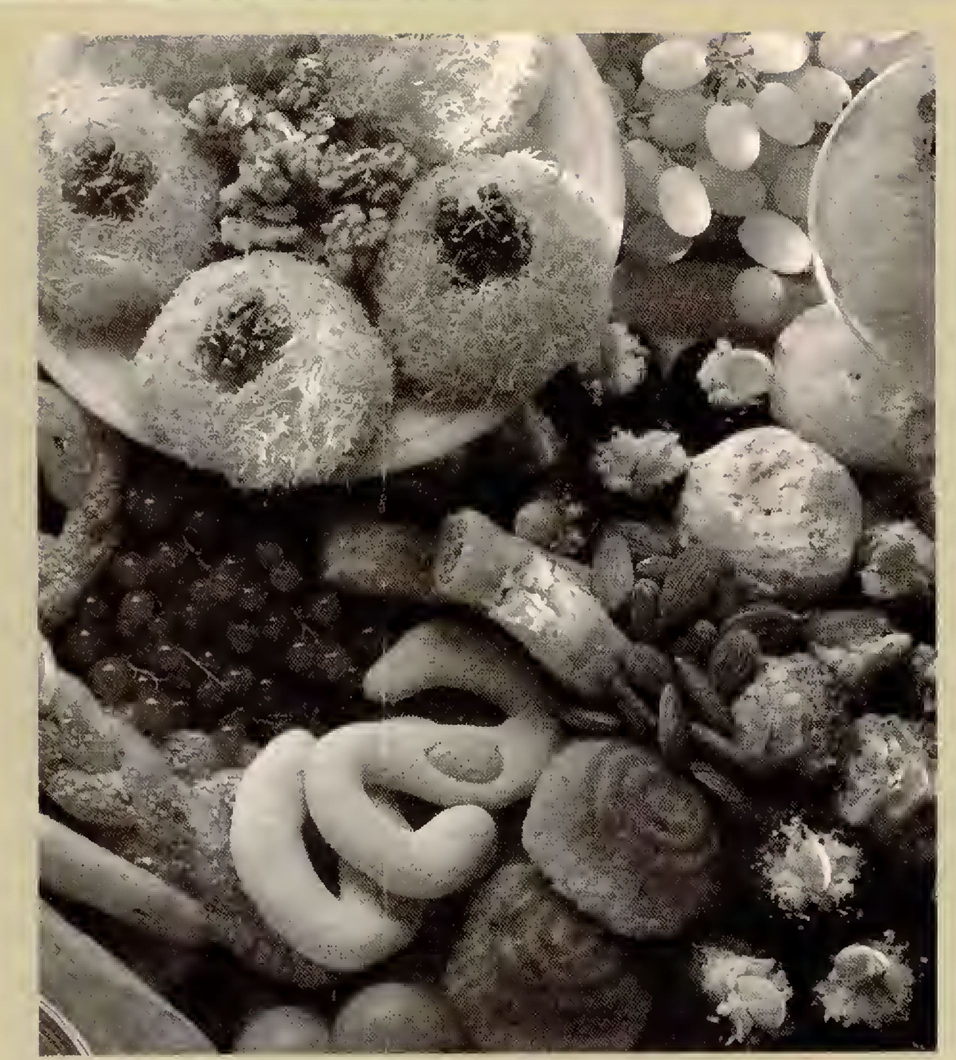
تذكر أن تناول الطعام أثناء مشاهدة التلفاز يجعل المرء غير واع لما يأكل. وهو إذ يكون مشغولاً بتتبع ما يجري أمامه من أحداث، سوف يأكل كميات أكبر بكثير من حاجاته الغذائية. ومن جهة أخرى، فقد لوحظ أن الجلوس لساعات طويلة أمام التليفزيون، في صحبة الحلويات والمسليات طوال ليل رمضان، يساعد على تخزين وادخار كميات كبيرة من الطاقة في الجسم، مما ينجم عنه زيادة واضحة في الوزن.

(٢٤) الاعتدال الاعتدال، حتى في القهوة والشاي

درج كثير من الصائمين على شرب القهوة والشاي، فيما بين الإفطار والسحور، مما يتسبب عنه مضايقات عديدة لهم، نذكر منها ما يحدث للجهاز العصبي من توتر، نتيجة لوجود مادة الكافيين، التي كثيرًا ما تسبب للشاربين أرقًا طوال الليل. والإفراط في شرب المنبهات يصاحبه عادة إفراط في كمية السكر؛ لأن ملعقة واحدة صغيرة مملوءة بالسكر تعطي ما يوازي أربعين سعرًا حراريًا. ونعود فنذكّر كل من تعوّد على شربها، بأن الاعتدال أولى وأوجب.

(٢٥) تسحروا ففي السحور بركة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تسحروا فإن في السحور بركة» رواه البخاري ومسلم. والحق أن السحور بركة وخير وضرورة. ومن بركاته أن الصائم يتوسل به إلى استكمال حاجاته الغذائية اليومية، التي لا يمكن لوجبة الإفطار وحدها أن تسدها. والصائم الذي لا يتسحر يشعر بصداع شديد وإعياء، وربما أصابته رعشة، كما يصاب بالإرهاق عند قيامه بأقل



الحلويات، أغذية ذات سعرات حرارية عالية، بطيئة الهضم، يفضل تناولها منفردة.

مجهود، هـذا فضلاً عن العطش الشديـد الـذي يستشعره، ولابد أن ينتهي به الشهر منهكًا، ناقص الوزن، تبـدو عليه أعـراض نقص التغذيـة. ومن جهـة أخـرى، فإن الصـائم الـذي لا يتسحـر، ويكْتفي بـوجبة إفطـار كبيرة (حوالي ٢٠٠٠ سعـر حـراري)، يجلب على نفســه كثيرًا من المتـاعب والاضطرابات وبخاصة في جهازه الهضمي. والأهم من ذلك أن جسمه سوف يحرق من الطعام ما يكون في حاجة إليه لاستمرار عملياته العاجلة، أما باقي الوجبة فسوف يتحول إلى مخزون دهني.

إن السحــور ضروري للجميع، وهـو أكثـر ضرورة لكل من تستلزم حالته عناية بالتغذية أكبر، مثل المراهقين وكبـار السـن والنـاقهين والحوامل الصائمات.

(٢٦) أخروا السحور

قـال رسـول الله ﷺ: «لا تـزال أمتي بخير مـا عجّلوا الفطـر وأخّروا السحـور» رواه أحمد. وهكذا يفضل تأخير السحـور إلى مـا قبل الفجـر. وهـو تـوجيـه نبـوي كـريم، لــه العـديـد من الجوانب الصحيـة، أولها: أن تأخير السحور يمنح الجهـاز الهضمي فـرصـة زمنيـة مناسبـة (بمتـوسط ٧ ــ ٩ سـاعـات) لاستكمال هضم الطعـام بصـورة شبـه كاملة، وفي يسر وسهـولة. وثانيها: أنـه في خلال هـذه الفترة يتخلص الجسم من فضـلات الطعـام المتراكمـة، وتصبح قنـاة الهضم ــ على إثـر ذلك ــ خالية تقريبًا من كل المراحل الهضمية، وتكون على استعداد لتلقي وجبة السحور، دون أن يختلط طعام لاحق ببقايا طعام سابق. وثالثها: أن الصائم ينتفع بما أكل في سحوره أطول فترة ممكنـة في اليوم التالي، مما يقلل من سـاعات صيـامه الفعليـة، وبذا يقل لديه الإحساس بالجوع والعطش.

(٢٧) لا تحمل معـــدتـك عبء الكنافة وأخواتها

يقبل الناس في شهر رمضان على تناول الكنافة والقطايف والبقلاوة وغيرهـا من أصناف الحلوى. وهي مواد عالية القيمة السعـرية، بسبب ما تحويه من نشـويات ودهنيـات وسكريـات. فعلى سبيل المثـال، تعطي قطعة الكنـافة التي تـزن مائة جـرام قدرًا من السعرات الحرارية يعـادل ما يعطيه رغيف خبز، أي حوالي ٣٥٠ ــ ٤٥٠ سعرًا. وتعطي مائة جرام من القطايف حـوالي ٢٥٠ ـ ٣٥٠ سعرًا، أما الكمية نفسها من البقلاوة فتعطي نحو ٥٤٠ سعرًا حراريًـا. ومثل هذه الأغذية المركزة بطيئة الهضم. وهكذا فلا ينبغي أكلها مـع وجبة دسمة أو ثقيلة، بل يفضل تناولها منفردة، أو مع أطعمة خفيفة، أو مع اللبن الـزبــادي، أو قليل من اللبن الحليب، حتى تتـوازن الـوجبة الغـذائيـة. ولهؤلاء الـذين لا يؤدون عمـلاً يدويًـا متلفًا للطـاقة، ينصح الخبراء بعدم الإكثار من تناول مثل هذه الأغذية.

أما لمن يعـانون من مرض السكـر، ولأصحاب البـدانة، فينصح أهل الاختصـاص بضرورة تجنب أكلها فلا قليل منها ولا كثير.

(٢٨) لا تنس في سحــورك الفــول المدمّس

يفضل أن تحتـوي وجبـة السحـور على الفـول المدمس كعنصر غـذائي أســاسي. فهـو بحق من الأغذية البروتينية الجيـدة، كما أنه يحتوي على نسبة غير قليلة من الحديد والكالسيوم والفوسفور. وهو إذ يضاف إليـه الزيت وعصير الليمـون، بما يحتوي عليه من فيتامين ج، وتـؤكل معه سلطة الطماطم، يصبح وجبـة طيبــة، تكــاد تحتـوي على معظم العناصر الضرورية للجسم. ويتميز الفول المدمس بقدرته على المكث في المعدة طويلاً، مما يقلل شعور الصائمين بالجوع؛ لأن قشوره بطيئة الهضم بواسطة

العصارات، مما يستلزم وقتًا أطول في هضمه.

(٢٩) عليك بفك الاشتباك بين الشاي والمدمّس

لا تندهش إذا علمت أن الفول المدمس يعد أحد الأغذية المهمة المرشحة لأن تؤدي دورًا أساسيًا في تخفيف الإصابة بالأنيميا، غير أنه يمكن أن يفقد منزلته تلك بمجرد أن يشرب المرء كوبًا من الشاي المغلي بعد تناوله وجبته، وتسأل كيف؟ الحق أن غلي الشاي يؤدي إلى استخلاص التانينات الموجودة في أوراق الشاي، وهي تمنع الجسم من الاستفادة من حديد وكالسيوم الفول. ومن ثم، فإنه لتحقيق رغبة تناول الشاي مع طبق المدمس، أو بمعنى آخر، لفك الاشتباك الحادث بينهما، يفضل عدم غلي الشاي، بل يكون خفيفًا (شاي كشري) حتى لا تنفرد التانينات. وربما يفضل بعض الناس إضافة قليل من اللبن إلى الشاي، لضمان تحريره من التانينات الذائبة، بترسيبها في القاع. وكذلك يمكن بإضافة قليل من عصير الليمون إلى الشاي إضعاف قوى الارتباط بين التانينات وحديد وكالسيوم الفول. وهكذا يمكن للجسم استخلاص الفائدة المرجوة، والاستفادة من عناصر الفول الحيوية.

(٣٠) تجنب هذه المأكولات حتى لا تعطش

إذا كنت تريد دفع الشعور بالعطش عنك، أثناء النهار، فعليك باستبعاد المخللات والتوابل الحريفة والفسيخ والسردين وسائر المملحات والمسبكات من فوق مائدة سحورك. وفي الوقت نفسه يُنصح بتناول اللبن الزبادي، لما يحويه من أنزيمات ومواد تسهل الهضم وتريح المعدة، ولما له من تأثير ملطف ومرطب للمعدة. ويُنصح كذلك بطبق السلطة الخضراء في السحور لما يحويه من خضروات غنية في أليافها، مما يجعلها تحتفظ بالماء كالأسفنج، وبذا يقل شعور الصائم بالعطش.

وأخيرًا يُنصح كذلك بشرب كمية معتدلة من الماء في السحور.

ختام الوصايا

عجيبة نظرات بعضنا إلى شهر الصيام. ففي شهر الزهد وتدريب النفس على مقاومة الرغبات وضبط الشهوات، ما يكاد مدفع الإفطار ينطلق، حتى يحشو بعضنا بطونهم حشوًا بأطايب الطعام، ثم يثنون باللذيذ من المشروبات والحلويات، فإذا اشتعلت النيران في المعدات، راحوا يصبون في أتونها أكواب المياه الباردة والمثلجات. فلابد إذن أن تسوء



الفواكه ضرورية لما تحتويه من فيتامينات وسكريات سهلة الهضم

صحتهم، وترتبك أجهزة الهضم لديهم، ولابد أن يخرجوا من شهر الصيام أثقل وزنًا، وأكثر اعتلالاً وضعفًا. والعجيب الغريب أنك تسمعهم يشكون من الصيام، ويتهمونه بما هم فيه من علل وضعف واضطراب. والصيام منهم براء، فهم لم يرعوا للصوم حقًا، ولم يعرفوا لموائده أدبًا. ألا فليسمعوا قول النبي ﷺ: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع»، وليتأدبوا بآداب مائدة النبوة العامرة «ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لِنَفَسِهِ».

المراجع:

١ ـ محمد علي البار: الصوم وأمراض السمنة، الدار السعودية للنشر، جدة.

٢ ـ علي أحمد الشحات: الصيام وصحة الإنسان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣ ـ مختار سالم: المأكولات الشعبية، مكتبة رجب للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م.

٤ ـ حسن عبد السلام: الطعام الرخيص والدخل المحدود، الدار القومية، القاهرة.

٥ ـ محمد كمال عبد العزيز: الأطعمة القرآنية غذاء ودواء، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة.

٦ ـ محمد فتحي عبد الوهاب: رمضان شهر الصحة، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٨٧م.

٧ ـ إبراهيم فهيم: عالج نفسك بالغذاء، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.

٨ ـ رفعت كمال: أحاديث طبية في شهر الصيام، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٨٦م.

٩ ـ علي مؤنس: الطب النبوي، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٠ ـ علي مؤنس: طعامك في الصحة والمرض، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٨٩م.

١١ ـ ر. ف موترام: التغذية الصحية للإنسان، ترجمة (ا. الشامي، م. عبد القادر، ح. شرارة) ـ الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥م.

١٢ ـ مصطفى نوفل: طعامك يجدد قوامك. دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م.

١٣ ـ أحمد هاشم: رمضان والطب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٤ ـ مجلة طبيبك الخاص: الأعداد: أكتوبر ١٩٧١م ـ سبتمبر ١٩٧٥م ـ يونيو ١٩٨٥م ـ يوليو ١٩٧٨م ـ أغسطس ١٩٧٨م ـ يوليو ١٩٨٠م ـ يونيو ١٩٨٣م ـ أبريل ١٩٨٩م ـ أبريل ١٩٩٠م ـ دار الهلال ـ القاهرة.

15 - Smith, C. H. and Bidlack, W. R. 1982. Food and drug interactions. Food Technology. Oct. PP. 99 - 103.

نافذة على ثقافة الغرب



تأليف: جان كلود بريخت

تعليق: محمود قاسم



الرحيل إلى الشرق

مع نهاية عصر النهضة، اكتشف الأوربيون جاذبيتين جديدتين، لم ينتبه أحد إلى وجودهما من قبل. الأولى كانت اكتشافا فرديا قام به إسحاق نيوتن عندما توصل إلى جاذبية الأرض، والثانية كانت جماعية، وهي جاذبية الشرق.

فقد اكتشف العالم الغربي أن الشرق يتمتع بسحر غريب، وأن المرء عليه أن يسافر إليه مرة واحدة في حياته، حتى إذا حدث ذلك وقع في سحره، وراحت نداهته تناديه أن يعود المرة تلو الأخرى. وتظل هذه النداهة تنادي حتى يستجيب لها.

لذا، فالحديث عن رحلات الأوربيين إلى الشرق قد رصد بعضها في عشرات الألوف من الصفحات، و ما تزال هناك مئات الرحلات التي لم تُرصد، ولم يسجلها أصحابها. وعلى سبيل المثال فإن الكتاب الذي أعده جان كلود بريخت عن «الرحيل إلى الشرق» ضم فقط مختارات من الرحلات الفرنسية وحدها في القرن التاسع عشر، وقد وقع هذا الكتاب في طبعته الشعبية في ١١١٠ صفحات. تضم كل صفحة تقريبا ٢٥٠ كلمة، مما يعكس مدى أهمية هذا الحدث وأهمية ثقافة الرحيل إلى الشرق بالنسبة للغرب في تلك الحقبة من الزمن.

ولسنا هنا بصدد عرض هذا الكتاب، وتقديمه إلى القارئ العربي، ولكن من المهم أن نشير إلى أن هذه الرحلات اقتصرت فقط على الدول التي تطل على البحر المتوسط، ومنها فلسطين وسورية ومصر وتركيا. إذن، كما رأينا، ليس كل ما ضمه هذا الكتاب الضخم عن رحلات إلى كل دول الشرق العربي بل إلى بعضها. فقد خلا تماما من رحلات إلى دول المغرب العربي على سبيل المثال.

الرحيل إلى الشرق.. لماذا؟

السؤال الملح: لماذا هذه الجاذبية، ولماذا الرحيل إلى الشرق بالذات؟

بدأت الأسباب دينية من خلال رحلات التبشير، لكنها ما لبثت أن أصبحت سياسية تبعا للعلاقات التي ربطت بين العالمين. وقد تولد عن هذا الاحتكاك وتلك العلاقات حالة من التمازج الثقافي، فأبدى الغرب إعجابه بحكايات الشرق، وبخاصة الموجود منها في «ألف ليلة وليلة»، فحاول أن يزور الأرض التي حدثت فيها تلك الحكايات الجذابة.

وعندما نتابع ما كتبه الرحالة الغربيون إلى الشرق سوف نلاحظ أن أغلب هؤلاء الرحالة الذين كتبوا من الأدباء، وبخاصة في القرن التاسع عشر، على سبيل المثال، مثل شاتوبريان وجوستاف فلوبير ولامارتين.

Le voyage en Orient

الرحيل إلى الشرق

وهؤلاء الرحالة كانوا ينظرون إلى رحلاتهم بمثابة اكتشـاف، أو تخيل بمعنى أنهم كـانوا طـلائع المسافرين المحدثين إلى الشرق. لذا فسوف نرى أن كلمة «الشرق» قـد تغيرت مفاهيمها في الموسوعات الأوروبية على مدى السنين، ففي بداية الأمر كانت أفـريقيا أقـرب إلى معنى «الفضـاء» الذي نقصـده الآن. وفي بـداية القـرن التـاسع عشر ذكرت كلمـة الشرق مرات قليلة في كتب الـرحلات. ولعل الذي أرسى هـذا المعنى الأدبي هـو الشـاعـر لامـارتين في قصيدته «ذكريات ومشاعر وأفكار ومشاهد» أثناء رحلته إلى الشرق عام ١٨٣٥م.

ومع بداية القرن التـاسع عشر كانت الرحلات الاستكشـافية للشرق بمثـابـة حالات واجتهـادات فرديـة يقوم بها أشخـاص فوق خيـول، متجهين إلى شرق أوربـا، فتركيـا ثم سـوريـة وفلسطين ومصر. وإذا كـانت الحملة الفـرنسية قـد جاءت بحـرا إلى مصر، فإن شاتـوبريان قـد وصل فوق حصـانه إلى أثينا، ثم مدينة القدس، ثم جاء إلى القاهرة، وآثر أن يعود إلى بـلاده بحرًا عن طـريق الإسكنـدرية في شهر نـوفمبر ١٨٠٦م ويعد ما فعلـه مغامـرة، فقد فاجأت السفينـة التي تقله عاصفـة بحرية شـديدة فجنحت إلى تونس.

ولم يكن السفـر إلى الشرق سهلاً في تلك الآونة، فهـو يتطلب تفرغـاً ومشقـة وأمـوراً كثيرة ومسانـدة دبلوماسية، وقـد تكلف الشاعر لامارتين الكثير في رحلتـه إلى الشرق عـامي ١٨٣٢ و١٨٣٣، ورغم ذلك لم يطق أن يبتعد طويـلا عن الشرق، فعاد مرة أخـرى إلى إسطنبول عـام ١٨٥٠م، أي بعد الثـورة التي شهدتها فـرنسا عـام ١٨٤٨م فراح يبحث عن السلام في الشرق.

التقدم التقني اختصر المسافات

وقـد سـاعد التقـدم التقني واختراع القطـارات البخارية وتطور الملاحة التجارية على زيادة الرحيل إلى الشرق، فجعل هنـاك حركـة بريـدية متميـزة، وجاء محمد علي بالفـرنسيين من أجل صناعة نهضة في الشرق على المستـوى الفني. وبظهـور الخطـوط الملاحيـة المتطـورة زاد عـدد الرحـلات وكثـر هـؤلاء الرحالة الذين لم يسعوا إلى التعرف على الموانئ والمدن الكبرى. ففـي مصر على سبيل المثـال ربطـت السكك الحديـديـة بين القـاهـرة والإسكنـدريـة في خمسينيـات القـرن التـاسع عشر، ثم امتـدت هـذه الخطوط إلى صعيد البـلاد، وما لبثت أن انتشرت في سورية فربطت بين دمشق وبيروت ويافا والقدس، ثم بين بغـداد وتركيـا وجبال الألب عـابرة سلسلـة جبال طاوروس.

وهكذا أصبح الرحيل إلى الشرق عمليـة سهلة وسريعـة، فقـد تمكن نـرفـال من الـوصـول إلى الإسكندرية في أسبوعين لا أكثر عام ١٨٤٣م. أما عن رحلـة فلـوبير بعـد أقـل من ستـة أعـوام فقـد استغرقت ثمانية أيام. وهكذا بدأت السياحة الحديثة بصورتها التي تطورت إلى ما نراه اليوم، هذه السياحة التي بدأها وبرع فيها الإنجليز، وازدهرت بعد حفر قناة السـويس حيث بدأت سياحة المجموعات.

ورغم أن هـذه السياحـة بدأت دينيـة، إلا أنها كانت من أجل التعرف على حضارات الأقدمين في المقام الأول. وقد تبع ذلك ظهور أدب الرحلات إلى الشرق. وعندما بدأت الصراعات العسكرية تخف بين دول أوربا وفرنسا، فإن السائحين كانوا يلتقون لأول مرة في شوارع مدن الشرق وفي فنادقها، وأيضا في دروب الصحـراء. وقـد بدا هـؤلاء الفـرنسيـون مشـدوهين بشكل الحيـاة في الشرق في تلك الآونـة، وبخـاصــة الجمال التي تـرمــز إلى الصبر وأشجـار النخيل والكثبان الرملية الغريبة الألوان.

وقـد تطلب وجـود هذه الأفـواج المتـدفقـة من السـائحين والعلماء تــوفير الكثير من الخدمـات الفندقية والسياحية، وظهـرت وظائف جديدة مثل الإرشاد السياحي، وموظفي الفنـادق الراقية. وعاد هؤلاء السـائحون إلى بلادهم ليعبروا عن سعادتهم بما شاهدوه وعن دهشتهم لما عاشوا فيه.

ولا يمكن لشخص أن يـؤلف كتابًا عـن رحلته إلى الشرق في ١١٠٠ صفحـة مثل الـدكتـور أميل إيزامبير إلا إذا كـان قد شاهـد في الشرق ما يستحق الكتابة عنه في كل هـذه الصفحات. ولم يكن كتابه عن «الشرق» هو الوحيد من نـوعه، وحجمه، فقد ظهرت كتب عديدة لأشخاص شدهوا بالرحيل إلى الشرق، وشجع هـذا الكثيرين للسفـر نحـو بـلاد أخرى ليس مـن بينها دول البحر المتـوسط، بل اتجه الرحيل إلى الجزيرة العربية.

ووجد أدب الرحلات إلى الشرق مجالات جديدة وموضـوعات متنـوعة، وأصبح الـرحيل إلى الشرق مرتبطًا في الكثير من أشكاله بـالكتابة عنه، وازدهر علم الاستشراق وأدب الكتـابــة عن السفــر إلى الشرق، مثلما كتب الكونت نوربان: «قضينا الليل نائمين فـوق الرمال نشعـر بدفء هذه الـرمال التي امتصت أشعة الشمس طيلـة النهار. ولم نحس بأي برودة منتظرة، هكذا كانت الصحراء».

ويقول الكاتـب الروائي أندريه جيـد الذي فاز بجـائزة نـوبل عام ١٩٤٧م: «أنـا الآن عـرفـت أن حضـارتنـا الغربيـة ليست فقط أجمل الحضـارات. كنت أعتقد أنها الوحيدة. الآن اكتشفت أننا ميراث هذه الحضارات الشرقية».

أرض المعجزات

أمـا الشاعـر لامـارتين فيقـول عن رحلاتـه إلى الشرق: «أحسست أن جسـدي وروحي هما أبنـاء



شاتوبريان



نابليون

ضوء الشمس، وأنها في حاجة إلى شعاع الحياة الذي يأتي من هناك».

وقد أعلن لامارتين سخطه الشديد على حضارة الغرب التي ملأت الجو بالأدخنة والغازات السامة، والعرق والأوحال. وعلل كثرة السفر إلى الشرق بأنه في حالة هروبية إلى أماكن أكثر نقاء وبراءة، وأطلق على هذه البلاد «أرض المعجزات».

ويعترف لامارتين أن كلمة الشرق لا تعني أبدا التخلف عن كل الأوربيين، بل هي نهضة الروح. إنها قفزة نحو الأمام، فنحن أمام طبيعة تقوم على أسس ثلاثة من مخلوقات الله عز وجل وهي الجبال والبحار والصحراء. ففيها تتوحد الكائنات بخالقها، «لم نكن نشعر بالملل قط من هذه الصباحات المنعشة، ولا من النوم في أحضان الشمس».

ويعترف لامارتين، وهو من أهم الشعراء في القرن التاسع عشر، أن وجود المرء في الشرق يحرره من خطيئته المرتبطة بالمتع المادية، «هكذا قضينا أغلب أوقاتنا.. الرموش نصف مفتوحة، والأفكار شاردة، وترنيمات الصلاة على الشفاه. لم أعرف أي عطر يفوح من هذا العالم الشرقي الذي كان يغزونا».

هذه الرحلات ساعدت في تغيير منظور الغرب نحو الشرق، فهو لم يعد ذلك المكان الساحر الذي تدور فيه أحداث ألف ليلة وليلة كما يقول جان كلود بريجخت، الذي يعترف أن بعض الكتابات عن الشرق لم تكن صادقة مثلما فعل مونتسكيو، لذا فليس من المناسب أبدا أن نكتفي بالقراءة كي نتعرف الشرق، ولكن من المهم الاتصال به: «لقد اكتشفنا أن إخوة لنا يعيشون هناك، وعرفنا أنه ليس مجتمعاً قائماً على المتع الحسية فقد أخطأ مونتسكيو عندما تصور أن حكام الشرق أشبه بنيرون».

أما فولتير، فقد أخطأ بدوره فيما كتبه عن عادات الشرق. ويهمنا هنا أن نقيس الكثير مما كتبه أدباء مشهورون ومفكرون ورحالون موثوق فيهم. فبعد لامارتين ونرفال جاءفلوبير مؤلف رواية «مدام بوفاري»، وأندريه جيد. فقد تغيرت نظرة فلوبير قليلا، لكنها لم تكن سيئة، فهو يرى أن الشرق يعيش في سبات وسكون، وذلك تبعا لدرجة حرارة الجو التي قد تبعث على الكسل.

ولم يخف الكاتب الرحالة فوشيه أن اكتشاف الشرق قد فتح عيون رحالي الغرب على خصوبة الأرض والكنوز المحفورة هنا في الشرق.

قدوم الجيوش

مثل هذه المفاهيم عكست رؤية الغرب للشرق، ووفرت الأسباب التي دفعت الجيوش للتأهب من أجل القدوم الى الشرق عند أي بادرة. وربما بلا سبب، مثلما حدث في مصر عام ١٨٨١م وذلك للبقاء فيه لفترة طويلة. وقد بدا هذا المنظور في الدليل السياحي الذي أعدته الباحثة جوان عام ١٨٧٨م حيث قالت: «إن هذا الشرق قد تجاوز السكون وهو يتغير بسرعة».

فتنوا بالشرق وكتبوا عنه

والجدير بالذكر أن عدد الرحالين الذين جاؤوا إلى الشرق ورد بيانهم في كتاب «الرحيل إلى الشرق» ومنهم على سبيل المثال فرانسوا شاتوبريان (١٧٦٨ ـ ١٨٤٨م) الذي قام برحلة طويلة من باريس، مارا بأثينا واسطنبول، ووصل إلى يافا في أول أكتوبر عام ١٨٠٦م، ثم وصل إلى القاهرة ورحل منها إلى تونس. وعن هذه الرحلة التي استغرقت قرابة العشرة أشهر ألف كتابا يحمل عنوان «رحلة من باريس إلى القدس».

أما جوستاف فلوبير (١٨٢١ ـ ١٨٨٠م) فقد رافق زميله ماكسيم عام ١٨٤٩م إلى الشرق، وقد جاء ذكر رحلته إلى الشرق في الجزء الثاني من رحلاته التي نشرت عقب وفاته. وقد عرف الفرنسي لامارتين المجد في صباه وشبابه كشاعر متميز لا ينسى له العالم قصيدته التي يقول فيها:

«من العار أن يغني المرء بينما روما تحترق»

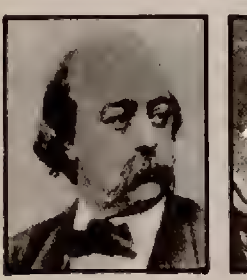
ولامارتين عاش بين عامي ١٧٩٠ و١٨٦٩م، وقد رحل إلى الشرق مع وفد من المغامرين هم خمسة عشر رجلا في يوليو ١٨٣٢م، فزار دمشق وبيروت والقدس، وقد اضطر للعودة إلى باريس بسبب وفاة ابنته، ثم عاد في العام التالي إلى الشرق ونشر كتابا عن رحلته إلى الشرق في أربعة أجزاء عام ١٨٣٥م.

أما الأديب بيير لوتي فإنه لا تؤتى سيرته إلا وتذكر الناس الشرق. فهو لم يرحل فقط إلى مدن بل عاش فيها، وارتبط بها، واعتنق الإسلام، عاش بين عامي ١٨٥٠ و ١٩٢٣م وتنقل بين مدن الشرق مثل دمشق وبعلبك والإسكندرية والقاهرة والجزيرة العربية، وله العديد من الكتب منها: «الزيارة» عام ١٨٧٩م، و«إسطنبول» عام ١٨٩٢م، و«الصحراء» و«القدس» و«الجليل» عام ١٨٩٥م، «ثم الموت» عام ١٩٠٨م.

كما جاءت شهرة جيرار دي نرفال (١٨٠٨ ـ ١٨٥٥م) أيضا من رحيله إلى الشرق، حيث سافر من باريس في ديسمبر ١٨٤٢م وركب سفينة «برسنابة» في الإسكندرية، وظل يتجول على ضفاف النيل، لمدة عام بأكمله، وقد ذاق نرفال طعم السفر إلى الشرق فلم ينقطع عنه ولا عن الكتابة حول ما شاهده من الحياة الشرقية.

أما المؤرخ والفيلسوف إرنست رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢م) فقد سافر إلى الشرق مع أخته هديدت بناء على اقتراح نابليون الثالث في مايو ١٨٦٠م، وأرخ لهذه الرحلة في كتابه الضخم «ذكريات الطفولة والشباب».

الكتابة عن الشرق أشبه بالغوص في محيط جميل، واسع، مزدهر. والتوغل في هذا البحر الخضم يجعل المرء يكتشف بسهولة الذين أعجبوا بالشرق وأحبوه أكثر بكثير من الذين حاولوا انتقاده. ولعل هذا يفسر سبب تلك الجموع المتدفقة من الزائرين لبلادنا مهما كانت الأجواء، ومهما بدت الأزمات. فالحياة تتدفق ولا تتوقف عن الدوران والسريان.





أندريه جيد — فلوبير



شخصية جحا بين الحقيقة والخيال

محمد يوسف كرزون

لعل جحا وحده الذي لا ينعزل ولا ينزوي ولا يرغب في اعتزال الناس، حتّى كأنّ أكسجين تنفّسه ينبع من قهقهاتهم. يحلو له أن يسخر من سخف بعض الناس، فإن لم يجد من يسخر منه، فإنّه يسخر من نفسه باختراع مفارقة مضحكة ليكون مثلاً لغيره، وليفرّج أسارير الناس في الأفراح والأحزان، فأكثر شغله منصبّ في التفكير في الطريقة التي تجعل الناس يضحكون تلقائيًا وبشكل عفوي دون أيّ لون من ألوان التصنّع.

ذلك هو جحا. فمن جحا؟

كثيرًا ما نسأل أنفسنا هذا السؤال: **هل جحا شخصية حقيقية؟** وإذا كان كذلك، فمن أين له بكلّ تلك الطرائف والنوادر التي لا تكاد تنتهي، ومن أين له بكلّ تلك المواهب والمهن التي لا حصر لها؟ أمّا إذا كان شخصية مخترعة، فمن الذي اخترعها؟ وبالتالي، ما أوسع خيال من اخترعها وأبدعها!

ولعلّ الإجابة تقودنا إلى شيْ من البحث في التاريخ والاجتماع والسياسة والفقه والفن القصصي والأدب الشعبي، بل الأدب المقارن أيضًا، لنستطيع أن نفهم الشخصيّة الجحويّة، البسيطة المركّبة، الحقيقيّة المخترعة.

كان من بين رجال القرن الأوّل الهجري رجل يسمّى **«دُجَيْنُ بن ثابت»**، ويكنى بـ**«أبي الغصن»**، وأمّا لقبه فهو **جحا**، وقد امتدّ به العمر إلى ما بعد النصف الثاني من القرن الهجريّ الثاني، وبالتحديد إلى عام ١٦٠ للهجرة. ولعلّ اللقب قد لحقه من طريقته الخاصة في المشي التي فيها بعض التمايل والاضطراب، هذا ما يذهب إليه **ابن منظور** صاحب معجم لسان العرب في مادّة **«جحا»**.

كان **«أبو الغصن»** على علم ودراية بأمور الفقه والحديث الشريف، حتى إنّه عدّ من التابعين، بل لقد كان أحد رواة الحديث، وهو معاصر للصحابي الجليل **أنس بن مالك**، رآه ورافقه، كما روى الحديث عن أسلم مولى **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، وروى عن غيره أيضًا. وممّن روى الحديث عن جحا؛ رجال يشهد لهم التاريخ بفضلهم في علوم الدين واللغة، وأشهرهم **عبد الله بن المبارك والأصمعي**. وهذه الشهادة أوردها **ابن شاكر الكتبيّ** في كتابه **«فوات الوفيات»** الذي نتبيّن من خلال ترجمته لجحا أنّه كان رجلاً معمّرًا، وهذا دليل لا شكّ فيه على أنّ المرح والضحك يطيلان العمر. وعلى هذا، فإنّ جحا تابعيّ وإن لم يرقَ إلى مرتبة فضلى في رواية الحديث الشريف.

كان هذا هو أوّل جحا ظهر في التاريخ البشريّ، وهو ـ كما يبدو ـ شخصيّة عربيّة قلبًا وقالبًا، وينتمي إلى قبيلة **يربوع التي أقامت في البصرة بعد الفتوحات العربيّة الإسلامية**.

وقد عُرِفَ **أبو الغصن** بالظرف والدعابة، وكانت له انتقاداته الاجتماعية، وتعليقاته الذكيّة الطريفة، لكنه دخل المعترك السياسيّ عندما راح يسخر من قائد عسكريّ شهير هو أبو مسلم الخراساني، الذي كان اليد اليمنى للعباسيين عندما قاموا بثورتهم على الأمويين، ثم تخلّصوا من أبي مسلم عندما لمحوا في أفعاله بعض ملامح العصيان. وهذا الموقف الذي اتخذه جحا من أبي مسلم كان له أثره السلبيّ عند الفرس والترك الذين كانوا ينظرون إلى أبي مسلم على أنّه بطل تاريخيّ قوميّ لهم. أضف إلى ذلك أنّ كُتّاب الأدب في ذلك العصر كانوا منشغلين في تدوين التراث الجاهليّ وما تلاه، فلم يعيروا نوادره كبير اهتمام، بل إنّ مؤرّخًا عظيمًا مثل **ابن الجوزيّ** يعدّ جحا في عداد الحمقى، فيذكره في كتابه **«نوادر الحمقى والمغفلين»**

ويروي بعض أخبـاره التي ظاهرها الحماقـة، لكنّها تخفي مواقف ذكيّة لمّاحة.

جحا التركي

وفي إبّان الغـزو المغولي الثاني للبلاد الإسـلامية بقيادة **تيمورلنك** في مطلع القـــرن الخامس عشر الميلاديّ ظهر بين الترك رجل فكـه سريع البديهة، هذا الرجل هو **الخوجة نصر الدين**، وقد ظهـر في بلدة آق شهـر التركية، ولقّب هو الآخـر بـ«**جحا**» وشـاع لقبـه بين النـاس، وكـانـت لـه منـادمـات ومسامرات مع تيمورلنك الذي قرّبه إليه، ولم يكن ينزعج من تقريعات جحا له، بل كان يضحك لها من كلّ قلبه، هذا إن صحّت الروايات التي نقلت أخبارهما.

وقد دوّن الأتـراك نوادر جحـاهم وجمعـوها في كتـاب حمل عنـوان «**نـوادر جحـا الكبرى**»، وهذا الكتـاب تـرجم إلى العــربيـة وانتشر في الأوسـاط الشعبيّة العـربيّة والتركيّة على حـدّ سواء. وهـذا الـ «جحا» التركيّ هو أشهر من لقّب بـ«جحا»؛ لأنّ صيته ملأ الآفاق، فلم تكد أمّة آسيوية أو أوربية أو أفـريقية إلاّ وتعـرّفت روحـه المرحـة وفكاهـاتـه من خلال ما وصلها من أخبـاره، سواء أكان ذلك عن طريق النقل الشفهيّ أم عن طريق الترجمات.

وبعـد ظهـور جحـا التّركيّ صـارت تظهـر في آداب الشعوب شخصيـات ظريفة تشبـه شخصية جحا، فعرف أهـل مالطا «**جاهان**»، وكان لأهل صقليّة «**جويكا**» أو«**جويخا**»، وهاتان الشخصيتان لا تختلفـان عن شخصيـة جحا في شيءٍ سـوى أنّهما تحملان الطابع المحلي لكلّ شعب منهما.

على أنّ حكـاية الفـرس مع **جحا** تأخذ طابعًا آخر، فهم مصرّون على أنّ هـذه الشخصية فـارسيّة صرف، بل إنّ لقبـه الحقيقيّ ــ حسب مـا يـرون ـ «جوحي»، أمّا اسمـه فهو الملاّ ناصر الدين، وقد وُضِع كتاب كبير بالفارسية يتضمّن نوادره.

جحا المصري

وأهل مصر ليسـوا بأقلّ تعصّبـا لجحـاهم من الفرس، فهم ـ أيضا ـ يعتبرونه مصريّا، بل يصرّون على تأكيدهم، أنّه ولد ومات في مصر، وهذا الجحا المصريّ ليس إنسانـا عاديّا، بل هو شيخ صـوفيّ له كراماته التي ظهرت في حياته، وله كرامات مستمرّة على مرّ الدهور بعد أن مات، ولا يعيب هذا الشيخ أن يكون صاحب نكتة وجواب سريع، يحمل روح الدعابة. ومن كراماته الباقية حتى اليوم ـ حسب ما يتناقلون ـ أنّ كلّ من يمـرّ بقبره وهو عابس مقطّب لا يـريد أن يبتسم فإنّـه لا بـدّ سيصاب بفـالج في فكـه. وقد فسّر لي بعض الإخـوة المصريّين السبب بأنّ سقف قبر جحا عليه أقفـال ضخمة وقويّة لا يستطيع أحـد كسرهـا، ولكـن رغم كلّ ذلك ليس للقبر غطاء!

وعنـدمـا سألت أحـد الـذين يـروون نـوادره ويحفظـون منهـا الكثير الكثير: هـل سبق لك أن رأيت القبر؟ أجـاب بالنفـي، وقد دعـاني ذلك إلى الإلحاح في التسآل: هل تعرف أين القبر؟ فقال لي: أهل مصر ـ يعني القـاهرة ــ يقولون إنّـه في طنطا، وأهل طنطـا يقـولـون إنّــه إسكنـدرانيّ، وأهل الإسكندريّة يقولون إنّه بالقـرب من أسوان، وأهل الصعيـد يقولـون إنّـه مدفـون في دميـاط! عندهـا علمت أنّـه لا قبر هنــاك، وأنّ جحـا المصريّ ربما يكــون أكثـر من شخصيــة ظهــرت في المجتمع المصريّ، وربّما تكون كلّها مخترعة. ولعلّ السبب في ادّعاء إخوانـنا المصريين دون غيرهم من العرب بأنّ جحا منهم تأصّل روح الدعابة فيهم. وهذا ما نراه مستمرًا إلى يومنا، فهم أكثر النـاس مرحًا، رغم ما لاقوه على مر الأزمان.

وشخصيــة جحــا متعــدّدة المواهب والمهن والمهمات، فهـو تـارة قـاضٍ، وتـارة متّهم، وتـارة مدافـع عن الأبريـاء أمام قـاضٍ ظالم، وهو نـديم للحاكم، نـراه في صورة من الصور تاجـرًا فاشلاً، وفي أخرى نـاجحًا أو مستغلاً رابحًا، نـراه في هيئة فلاّح مـرّة وفي هيئة مدنيّ مرّة أخـرى، ونجده أجيرًا بسيطًا في أحد المحلاّت، أو معلّمًا ماهرًا في مهنته.

> **تعـــدّد المواهب والمهـن والمهـمّات مـيّـز جحـا من أبي نُـواس وأشعـب وبـخلاء الـجاحـظ**

هذا بـالإضافـة إلى ذكائه وفطنتـه إلى جانـب غبائه وبلادته، فقهه وجهله، حكمته وحماقته.

من طرائفــه

ولعلّ في عرض بعض الصور الطريفة الجحويّة ما يجلو لنا ما تحويـه هذه الشخصيّة من تناقضات عجيبة.

□ **مرّ زمان كان فيه جحا قاضيًا للبلد، فجاءه شخص وقال له:**

ـ إذا بال كلب على حائط فكيف يطهر؟

فقال جحا:

ـ تهدّ الحائط سبع مرات وتبنيه سبعًا أيضا!

فقال الرجل:

ـ ولكنّه الحائط الذي بيني وبينك.

فقال له جحا:

ـ أمّا هذا الحائط، فقليل من الماء يطهره.

■ وتنـازع رجلان، فـذهبـا إلى جحا، وكـان قاضيًا، فقال المدّعي:

ـ لقد كان هـذا الرجل يحمل حملاً ثقيلاً، فوقع من فوق عاتقه، فطلب إليّ أن أعينه، فسألته عمّا يدفعه من أجر على ذلك، فقال: لا شيء، فرضيت بها، وحمّلته حملـه. وأنا أريـد أن يدفـع لي الـ «لا شيء» التي وعدني بها:

فقال جحا:

ـ دعواك صحيحة.. اقترب مني.. ارفع هذا الكتاب.

فـاقترب المدّعي، ورفع الكتــاب. فقــال لـه جحا:

ـ ماذا وجدت تحته؟

فقال: لا شيء!

فقال له جحا: خذها وانصرف!

□ **اختصم رجــلان من أصـدقـائه، فجـاءه أحـدهما يعـرض شكـواه، فقال لـه جحـا بعـد أن استمع إليه: إنّك محقّ في شكواك أيها الصديق.**

وجاء الصـديق الثـاني في اليوم التـالي، فعرض عليه شكواه، فقال له كما قال لخصمه: «إنّك محقّ أيها الصديق».

وكانت امـرأته تستمع إلى الـروايتين، فسخرت من زوجها قائلة:

ـ يـا لك من منافق! خصمان مختلفـان وكلاهما محقّ في شكواه؟



فقال: ولماذا تغضبين؟ فأنت أيضا محقة في ما تقولين!

■ وعلى ذكره مع امرأته، فقد شكت امرأته يومًا من ألم أصابها، فأشارت إليه أن يأتي بالطبيب، فذهب لإحضاره، وفيما هو خارج من الباب أطلّت من النافذة، وقالت له: الحمد لله لقد زال الألم، فلا لزوم للطبيب.

لكنه أسرع رغم أنّ الوقت بعد منتصف الليل، وذهب إلى الطبيب وقال له:

ـ إنّ امرأتي قد تألّمت، وأشارت إلي بضرورة إحضارك.

فتهيأ الطبيب، واستعد للذهاب، لكنّ جحا تابع كلامه قائلاً:

ـ إلاّ أنها أطلّت من النافذة وقالت لي: الحمد لله، زال الألم فلا لزوم للطبيب، لذلك جئت أخبرك حتى لا تتحمل مشقّة الحضور!

□ **كانت زوجة جحا حاملاً، ولما جاء وقت الوضع عسر عليها الطلق، فارتفع ضجيج النساء، وجئن إليه يقلن له:**

ـ ادعُ لها أن يسهّل عليها الوضع، وإلاّ ماتت أو اختنق المولود.

فهزّ رأسه وخرج مسرعًا إلى السوق، فاشترى كمية من الجوز، وعاد فقرّب كرسيّه من امرأته ووضع ما معه من جوزات قربها، وقال:

ـ لعلّ الولد إذا رأى الجوز يخرج ليلعب به!

حكاياته مع تيمورلنك

قلنا إن جحا ظهر في فترة تاريخيّة عصيبة، فترة الهجمة المغولية الثانية بقيادة قائد عرف عنه الظلم والبطش، هو تيمورلنك. وكان أوّل عهد جحا به أن دعاه وقال له:

ـ أعادل أنا أم ظالم؟

فردّ جحا:

ـ إنّنا نحن الظالمون، وأنت سيف العدل الذي سلّطه علينا الله الواحد القهّار.

فأعجب الطاغية لهذا الردّ.

ثم إنّ النوادر التي تظهر تهكّم جحا بتيمورلنك تجعل منه بطلاً شعبيًا بطريقة أخرى، ليست بالطبع طريقة المقارعة بالسيف، **وإنّما سلاح جحا هو الاستهزاء والفضح والتعرية.**

■ سأله يومًا:

ـ يا جحا! أين يكون مقامي في الآخرة يا ترى؟

أجاب جحا:

ـ يكون مع الملوك والعظماء الذين خلّدوا أسماءهم في التاريخ!

أعجب تيمور بذلك، وأراد أن يستوضح أكثر، فقال:

ـ مع مثل مَنْ مِنَ الملوك يا جحا؟

فقال جحا:

ـ مثل فرعون موسى، والنمروذ، وهولاكو، وجنكيز خان من أمثال جلالتكم يا مولاي!

■ ومرة أخرى طلب من جحا أن يختار له لقبا يشبه ألقاب الخلفاء العباسيين: «المعتصم بالله» و«المتوكل على الله» والموفق بالله».

فقال له جحا:

ـ إن أردت ما يليق بك يا مولاي فليس أفضل لك من لقب «نعوذ بالله»!

□ **ومرة ثالثة سأله أن يقيّمه بما يلبس ويقول له كم يعادل ثمنًا. فقال له جحا: ألف دينار. فقال له تيمورلنك: ويحك! إنّ الجوهرة التي تعلو تاجي تعادل وحدها ألف دينار.**

فقال له جحا: وهل هناك أمامي ما له قيمة غيرها؟



وعلى هذا، فإنّ جحا، أو بالأصح نوادر جحا، كانت تنتقم من الظالم بشكل آخر، عندما لا تنفع حيلة الانتقام بالقوّة.

جحا والحمار!

أمّا الحمار، فقد كانت علاقة جحا بهذا الكائن الذي يحسبه الناس بليدًا جدّ حميمة، ويبدو أنّ ذلك كان نابعًا من نفسه؛ لأنّه يريد أن يردّ جزءا من فضائل الحمار عليه، ذلك الحيوان الذي كان يقدّم للناس فوائد جمّة إلى الحدّ الذي يمكن القول معه إنّهم لم يكونوا يستطيعون الاستغناء عنه، فهو وسيلتهم للتنقّل والحرث والجرّ، وهو أداتهم المستعملة في نقل الأحمال. ثمّ إنّه لم يكن ليكلّفهم كثيرًا، فالمادة الأساسيّة لغذائه موجودة ومتوفّرة بكثرة ورخيصة الثمن، هذا إن كان لها عندهم ثمن. ومع كلّ هذا فإنّ الحمار لم يكن يترك الناس يمتّون عليه كثيرًا في غذائه، فغالبًا ما يرعى النباتات الخضراء في أوقات فراغه. ألا يستحق هذا الحيوان «الحيويّ» في نظر جحا جزءًا من ردّ المعروف؟ ذلك نراه يحاور الحمار ويشاوره ويراضيه وربّما أدّى به الأمر إلى حمل الحمار على كتفيه عندما يشعر أنّه متعب.

□ **ذهب جحا مرّة إلى السوق، واشترى حاجيات، ووضعها في الخرج، ثمّ علّق الخرج على عاتقيه وركب حماره وساقه. فصادفه أحدهم في الطريق، فعجب من ذلك، وقال لجحا:**

ـ ما هذا الذي تفعله يا شيخ نصر الدين؟

فأجاب جحا:

ـ إنّني أشيل عن هذا الحمار بعض العبء، ألا يكفي أنّه يحملني، أفلا أحمل عنه بعض ما أستطيع؟

■ وجاءه مرّة جاره يطلب إليه إعارته حماره، فطلب منه أن يمهله حتى يستشير الحمار في ذلك فعساه يقبل. ثم دخل الإصطبل وعاد، فقال لجاره:

ـ استشرت الحمار، فلم يرض؛ لأنّه يزعم أنّك سوف تضربه ضربًا مبرّحًا، وتشتمه هو وصاحبه!

□ **ذهب جحا إلى السوق، واشترى حمارًا، وربطه بحبل، ومشى يسحبه وراءه، فتبعه لصّان، فحلّ أحدهما الحبل، وربطه في عنق اللصّ الآخر،**

وهرب بالحمار، وجحا لا يدري ما يفعلان. وبعد مدّة التفت خلفه، فوجد إنسانًا مربوطًا بالحبل، فعجب وقال له:

- أين الحمار؟

فأجاب الرجل المربوط:

- أنا هو!

فقال له جحا:

- وكيف ذلك؟

فأجاب:

- كنت عاقًا لوالدتي، فدعت الله أن يمسخني حمارًا، فلمّا أصبح الصباح قمت من نومي، فوجدت نفسي ممسوخًا حمارًا، فذهبتْ بي إلى السوق، وباعتني للرجل الذي اشتريتني منه، والآن أحمد الله لعودة رضا أمي عليّ، فها قد عدت آدميًا.

فقال جحا مستغربا متعجّبا:

- لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، ما كنت لاستخدمك وأنت آدمي. اذهب في حال سبيلك.

وحلّ جحا الحبل من حول عنقه، وهو يقول:

- إيّاك أن تُغضب أمّك مرّة أخرى. والله يعوّضني خيرًا.

وفي الأسبوع التالي ذهب جحا إلى السوق ليشتري حمارًا آخر، فوجد الحمار نفسه الذي اشتراه من قبل، فتقدّم منه، وجعل فمه في أذنه، وقال له:

- يا شؤم! عدت إلى عقوق أمّك؟ ألم أقل لك لا تغضبها؟ إنّك تستحقّ ما حلّ بك!

طرائف أخرى

كان للشيخ نصر الدين بعض التفسيرات العجيبة لبعض الظواهر والمواقف لا تخطر على بال من مفارقات لا تتقبّلها العقول. وفي حقيقة الأمر، فإنّ هذه التفسيرات كانت موجّهة إلى متحدّثه، وغايتها التهكّم عليه أو الهزء به أو التقريع له:

■ ذات مرّة كان يتجوّل مع شيخ فارسيّ يبدو عليه الوقار في بستان في ظاهر بلدته، وإذا بهما يريان تلّة سوداء مرتفعة، فسأله الشيخ الفارسيّ:

- ما هذا يا شيخ نصر الدين؟

فأجاب جحا على الفور:

- إنّها بئر البستان!

فازداد تعجّب الفارسيّ منه، وقال:

- أنا أعرف أنّ البئر تكون حفرة منخفضة، وهذه تشكّل أعلى تلّة في البستان.

فردّ جحا موضّحًا:

- من عادة أهل هذا البستان أن يغسلوا بئرهم وينظّفوها ثم يقلبوها عكسًا حتى تجفّ وتبلغ الشمس جوفها!

□ ومن تفسيراته الأخرى أنّه عندما سئل: لماذا يتناقص البدر بعد اكتماله ويصير هلالاً ثمّ يغيب؟

أسرع جحا في الإجابة: إنّهم يقطّعونه ويصنعون منه نجومًا!

■ وممّا يروى عن جحا المصري أنّ أحدهم سأله وقد رآه قليل شعر اللحية:

- لقد كان أبوك كثيف الشعر، فما بالك قليله؟

أجاب جحا:

- أصلي أنا طالع لأمي!

□ رأى رجل جحا وهو يبذر حبّا، فأراد أن يسخر منه، فقال له:

- يا جحا! إنّك تزرع، ونحن نأكل ثمرة تعبك.

فأجابه جحا على الفور:

- صدقت، فإنّني أبذر حبّ البرسيم!

وهاتان الطرفتان لهما طابع مصريّ واضح، فلهجة الجواب في الأولى أقرب إلى اللهجة الدارجة في مصر، والبرسيم هو علف للحيوانات، يزرع في مصر بشكل خاصّ.

■ توضّأ في أحد الأيام، وكان الماء قليلاً، فبقيت رجله اليسرى من غير وضوء، فلمّا قام إلى الصلاة وقف رافعًا إيّاها كما يرفع الإوزّ رجله، فقالوا له: ماذا تفعل يا شيخ؟ فقال: رجلي اليسرى غير متوضّئة!

□ شوهد جحا في أحد الأيام مهندمًا، تعلو محيّاه ابتسامة عريضة، وحين سئل عن السبب قال:

- صهر السلطان يجب أن يكون هكذا!

دهش الناس من كلامه، وسألوه:

- ومتى كان ذلك؟

فأجاب وهو يرفرف عينيه وينظر إليهم من طرفها:

- لم يحصل بعد.

فقالوا له:

- ومتى سيحصل؟

قال لهم:

- قريبًا!

قالوا وهم في شوق لمعرفة الأمر:

- امض في حديثك.

فتنهّد وقال:

- لقد قطعت نصف الشوط، أنا وأهلي موافقون، وهذا هو النصف الأوّل الذي أنجزته، ولم تبق إلاّ موافقة ابنة السلطان وأهلها، وهي ليست بأكثر من النصف الآخر!

وكان لجحا باع كبيرة في النقد، ولا غرابة في ذلك ما دام يجمع المتناقضات، فالنقد لن يعيبه، أو لن يزيد من مواهبه التي لا تكاد تحصى.

■ كان أمير البلد يزعم أنّه شاعر، وما أكثر الذين نافقوا له حتى صدّق أنّه أشعر الشعراء. وحدث أن أنشد ذات يوم قصيدة، فهلّل المنافقون وشرعوا يلتمسون أوجه البيان والإعجاز فيها، بينما ظلّ جحا صامتًا، فسأله الأمير: أليست بليغة؟ فردّ جحا باشمئزاز: ليس فيها من رائحة البلاغة شيء. فثارت ثائرة المنافقين، حتّى غضب الأمير، فأمر بحبسه في الإصطبل، فمكث محبوسا مدّة شهر.

وفي يوم آخر نظم الأمير قصيدة وأنشدها، وكان جحا حاضرًا، فقام مسرعًا، فبادره الأمير: إلى أين يا هذا؟ فقال جحا: إلى الإصطبل يا مولاي.

وما يزال الناس إلى يومنا هذا يخترعون النوادر، ويقولون إنّها حصلت مع جحا، وكأنّ جحا يعيش بيننا، ولا يتحرّجون من ذلك، بل ربّما يتعمّدون أن ينسبوها إلى جحا ليريحوا أنفسهم من الطفيليين الذين يدقّقون في الأخبار حتّى ولو كانت هزليّة لا تصدق. ومن هذه الطرائف نختار ما يأتي:

□ هبّ جحا من نومه ذات ليلة، وقال لامرأته:

- أعطني النظّارات بسرعة قبل أن استيقظ.

فناولته إيّاها، وقالت:

- ما سبب هذا الطلب؟

فقال: إنّي أرى رؤيا لطيفة جدًا، وأريد أن ادقّق في تفاصيلها!

■ صعد جحا إلى الحافلة ومعه حماره، وبعد



أن بلغا داخلها، ركب حماره وكأنّ أمرًا لم يكن، فمرّ به الجابي (المحصّل) وطلب من جحا الأجرة، فقال له جحا: إنّني على صهوة حماري فكيف تطالبني؟ عندما أكون راكبا حافلتك يكون لك الحقّ في الأجرة!

شخصيات هزلية أخرى

وفي حقيقة الأمر، فإنّ جحا ليس الشخصية الهزليّة الوحيدة التي ظهرت في تراثنا العربيّ، فقد ظهرت شخصيات كثيرة، ولعلّه يتبادر إلى الذهن اسم أشعب، ذلك الطفيليّ الذائع الصيت، الذي تحفل كتب الأدب بمواقفه التي تظهر رغبته في الحصول على أيّ شيئ مهما بدا تافهًا، ما دام هذا الشيئ دون مقابل ماديّ.

كما ظهرت شخصيات البخلاء التي تحدّث عنها الجاحظ في كتابه الشهير «البخلاء»، وكان للوحات التي رسمها الجاحظ في نثره ما يدعو إلى الإعجاب من خلال رصده لتلك العادة الاجتماعية الذميمة. وما تزال طرائف بخلائه ومواقفهم تثير فينا التعجّب، وتذكّرنا بكثيرين ممّن هم حولنا الآن، وكأنّه كان يحكي عن عادة متأصّلة في طبع بعض البشر، لا تزول على مرّ السنين وتعاقب الأجيال، مهما بلغ الإنسان من رقيّ ومهما زاد ما بين يديه من خيرات.

وقد حاول بعض الرواة والقصّاصين الشعبيين أن يجعلوا من شخصيّة الحسن بن هانئ المكنّى بـ «أبي نواس» شخصية منافسة لجحا، فنحلوا كثيرًا من الأخبار النواسية الماجنة، وقد تطلّب عملهم ذاك أن يقرنوا طرائف أبي نواس بحاكم معاصر له، فرأوا في الخليفة العبّاسي هارون الرشيد كبش فداء، لا سيّما أنّ عصره كان العصر الذهبي للدولة العبّاسية لما بلغته من قوّة وغنى وتنوّع في الحضارات. فجاءت أخبارهما في كتب كثيرة لا يسلم معظمها من تلفيق واختراع. ولست في صدد مناقشة التلفيق؛ لأنّ ما روي من نوادر عن جحا لا يسلم معظمه - أيضا - من الاختراع والوضع، لكنّ المهمّ في أمر تلك الشخصيّات: أشعب، وبخلاء الجاحظ، وأبي نواس، وغيرها، أنّها كانت وحيدة الجانب، فأشعب طفيليّ طمّاع، والبخلاء لا حاجة لخصّهم بأكثر من هذه الصفة، وأبو نواس لم تُروَ عنه إلاّ الأخبار الماجنة سواء منها الخمريّات أو الغلمانيّات. أمّا جحا، فإنّه متعدّد الجوانب، متعدّد الوجوه والصفات، فتراه تارة طفيليًا طمّاعًا، وتارة أخرى غبريًا أريحيًا، تراه بخيلا مقترًا، ولكن تراه في كثير من الأحيان جوادًا سخيًا لا يجاريه في كرمه أحد من مجتمعه، بل هو يسخر من البخلاء، تراه ماجنًا، ولكن تلمح فيه من زاوية أخرى الورع والتقوى والترفّع عن المعاصي وكبح الشهوات، وفوق هذا وذاك تراه في صور أخرى لم تظهر بها شخصيات مماثلة، لذلك فإنّ جحا أضحى جزءا مهمّا من الأدب الشعبي في طابع شموليّ متعدّد الألوان، في حين كان غيره وحيد اللون.

ومن هنا طغت شخصية جحا على غيرها من الشخصيات؛ لأنّه جمع كلّ أشكال الظرف في شخص واحد. ولهذا ذهب كثير من الدارسين، وأنا منهم، إلى أنّ شخصية جحا مركّبة من كتلة عجيبة متنوعة، مع كمية هائلة من الروايات الحقيقيّة والمتخيلة، أو إن شئت الموضوعة، وكلّ ما هو غريب ومتناقض من المواقف ينسب إلى جحا حتّى يومنا هذا.

جحا في الأدب العربي

وقد تسلّلت شخصية جحا إلى الأدب العربي الحديث، فكتبت الروايات والقصص والمسرحيات التي كان جحا فيها البطل. ومن جملة من استفاد منها الأديب محمد فريد أبو حديد في روايتيه: «آلام جحا» و«جحا في جانبولاد»، كما كتب الأديب علي أحمد باكثير مسرحيته «مسمار جحا»، وكان طابعها السخرية من الاستعمار من خلال توظيف النادرة الشهيرة لجحا الذي باع البيت كلّه ما عدا مسمارًا داخل البيت. أما الأديب الكبير توفيق الحكيم فقد أفاد من التراث الجحوي الشعبي في كثير من أعماله الأدبيّة، وأهمّها «حمار الحكيم» و«حماري قال لي»، وكان آخرها في مسرحيّته «مجلس العدل» التي انتقد فيها مجلس الأمن وأحكامه التي لا عدل فيها سوى ما ينفع القاضي الذي يصدرها، وقد ظهرت هذه المسرحية بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ م. كما كتب الأديب كامل الكيلاني قصصا شائقة للأطفال وجمعها في كتابيه «قصص جحا» و«جحا قال لي».

أمّا الكتب والمؤلّفات، فلعلّ أهمّها على الإطلاق كتاب «جحا الضاحك المضحك» للمفكر الكبير عبّاس محمود العقاد، ويأتي بعده كتاب لا يقلّ أهميّة عنه ألّفه د. محمد رجب النجار وأسماه «جحا العربيّ» وصدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية.

وظهرت شخصية جحا في مسلسلات إذاعية وتلفازية متعدّدة، كما صُدِّرَتْ إلينا أفلام رسوم متحركة تصوّر بعض طرائف جحا. وأفاد واضعو النصوص الهزليّة لبعض التمثيليات من نوادره كثيرًا.

ولكن إلى أي حدّ استطاعت هذه الأعمال الأدبية والفنّيّة أن تضحكنا؟ بل هل استطاعت أن تؤثر فينا كما تؤثّر النادرة التي نسمعها أو نقرؤها في صيغتها الشعبيّة؟

شخصية عصيّة على الأدباء

الحقّ يقال إنّ الشخصية الجحويّة ظلّت عصيّة على الأدباء والفنّانين لسبب أرى أنّه يتمثّل في طبيعة الفكاهة الجحويّة وطبيعة بناء الكتاب الشعبيّ الشهير «نوادر جحا الكبرى». فمن غير المعقول أن نقدّم حياة متكاملة لشخصيّة إنسانيّة مبنيّة كلّها على الكوميديا، مهما كانت معلوماتنا غنيّة عن تلك الشخصية. وجحا، بكلّ جنسيّاته، لم يعش حياة هزليّة صرفا، ولم تسر حياته على نمط واحد هو المزاح وحسب، لذلك فقد كانت نوادره ومضات هزليّة فكاهيّة، ضمن سياق حياته العامّة، وما هو إلاّ رجل غلبت عليه روح الدعابة كما تغلب على غيره روح الجدّ والحزم، أو روح الصبر والحلم.

وصفوة القول إنّ جحا غدا جزءًا من تراث الإنسانية جمعاء، فما أحوجنا إلى روحه بيننا، في زمن افتقر إلى البسمة الصادقة النابعة من حنايا الأفئدة، فليس أجمل من أن يهدي الإنسان لأخيه الإنسان البسمة!



إعداد: أحمد دوغان

أديبات عربيات معاصرات "٢"

ط

طلعة الرفاعي

شاعرة من مواليد مدينة حمص في الجمهورية العربية السورية عام ١٩٢٢ م، انتسبت إلى كلية الحقوق، وتخرجت فيها عام ١٩٤٧ م.

لدى تخرجها عملت موظفة في وزارة الشؤون الاجتماعية، وساعدها ذلك على دراسة المجتمع بصورة عملية، وعندما رأت الوزارة اهتمامها العميق أوفدتها إلى أوربا للدراسة، فاغتنمت فرصة وجودها، وانتسبت إلى جامعة السوربون في باريس، وفي عام ١٩٥٥ م نالت شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية والسياسية وفي الحقوق الجزائية، ثم عادت إلى ممارسة وظيفتها في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بدمشق.

تعمل الآن في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية في تونس، وقد مثلتها في عدد من المؤتمرات الثقافية والمهرجانات الشعرية العربية.

كانت نشأتها الشعرية مبكرة، وهي في العاشرة من العمر، وقد التقت المثقفين والأدباء في مرحلة بداية الشباب في صالون السيدة عبلة الخوري، وناقشتهم في شؤون السياسة والشعر، والفلسفة، والفن، وأسمعتهم قصائدها الوجدانية والوطنية في أكثر من أمسية.

من مؤلفاتها الشعرية «مهرجان الشرق» القاهرة، و«ثائرة» بيروت ١٩٧١ م، و«فتاة من القدس» قصة شعرية.

ظ

ظبية خميس

أديبة إماراتية من مواليد «دبي» عام ١٩٥٨ م.

درست السياسة والفلسفة في جامعة أنديانا ـ بلومنجتن في الولايات المتحدة الأمريكية، والأدب في جامعة لندن.

عملت في مجال التنمية الثقافية والصحافة والتلفاز في دبي، وعملت محررة في مجلة «أوراق» التي أصدرها الشاعر حبيب الصايغ.

من مؤلفاتها خمس مجموعات شعرية: «خطوة في الأرض» بيروت ١٩٨١ م، والثنائية: «أنا المرأة، الأرض» و«كل الضلوع» لندن ١٩٨٣ م، و«صبابات المهرة العمانية» بيروت ١٩٨٥ م، و«قصائد حب» بيروت ١٩٨٥ م، و«السلطان يرجم امرأة حبلى بالبحر» لندن ١٩٨٨ م، ومجموعة قصصية: «عروق الجير والحنة» بيروت ١٩٨٥ م. كما صدرت لها ـ مؤخرًا ـ مجموعة شعرية بعنوان: «موت عائلة» القاهرة ١٩٩٣ م.



عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

ولدت عام ١٩١٣ م في مدينة دمياط المصرية، ونشأت في أسرة دينية، إذ كان أبوها من خريجي الأزهر الشريف، ومدرسًا في المعهد الديني بدمياط، ووالدتها حفيدة الشيخ الدمهوجي شيخ الأزهر.

تلقت تعليمها الابتدائي في دمياط، ثم في مدرسة المعلمات في المنصورة، كما نالت شهادة الثانوية العامة في الوقت الذي كانت تنشر فيه قصائد ومقالات في مجلة «النهضة النسائية». وحينما نُقلت لتعمل في كلية البنات بالجيزة، عهد إليها القيام بأعباء كل من رئيس التحرير ومدير الإدارة، وفي هذه الآونة اختارت اسم «بنت الشاطئ» وعُرفت به منذ عام ١٩٣٣ م.

واصلت دراستها فحصلت على ليسانس الآداب عام ١٩٣٩ م، وعينت معيدة في الجامعة، نالت الماجستير عام ١٩٤١ م عن أطروحتها «الحياة الإنسانية لأبي العلاء»، ثم حصلت على الدكتوراه في عام ١٩٤٤ م وكان موضوعها «دراسة نقدية لرسالة الغفران»، وفي العام نفسه تزوجت من أستاذها أمين الخولي.

تولت رئاسة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس، وقامت بالتدريس في الكثير من الجامعات العربية، وهي عضو في عدد من اللجان والمجالس الثقافية.

من أهم الجوائز التي نالتها: وسام الكفاءة الفكرية من ملك المغرب عام ١٩٦٧ م، جائزة الدولة الأولى في الدراسة الاجتماعية، جائزة المجمع اللغوي لتحقيق النصوص (١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ م)، جائزة المجمع اللغوي للقصة القصيرة، وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٧٣ م، جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٨ م، وشهادة تقدير من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٨٠ م.

أدت بنت الشاطئ دورًا بارزًا في الكشف عن التيارات الدينية وبخاصة الحركة البهائية. ومن أهم مؤلفاتها: «نساء النبي»، «مقالة في الإنسان: دراسة قرآنية»، «التفسير البياني للقرآن الكريم»، «مع المصطفى في عصر المبعث»، «من أسرار العربية في البيان القرآني»، «القرآن وحقوق الإنسان»، «المرأة في الإسلام»، «الطلاق وأثره في المجتمع»، «المفهوم الإسلامي لتحرير المرأة»، «الحياة الإنسانية عند أبي العلاء»، «الشاعرة العربية المعاصرة»، و«أعداء البشر هم الصهاينة». وأهم دراساتها الاجتماعية: «الريف المصري»، و«قضية الفلاح».

أما أهم قصصها وأعمالها الأدبية: «على الجسر»، «أرض المعجزات»، «سيد العزبة»، «رجعة فرعون»، «صور من حياتهن»، «سر الشاطئ»، و«امرأة خاطئة».

عزيزة هارون

شاعرة سورية من مواليد حي القلعة بمدينة اللاذقية في سورية عام ١٩٢٣ م. درست دراسة خاصة في منزل والدها.

عملت مقدمة برامج في التلفزيون العربي السوري، وفي مكتب الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون.

وفي الفترة الأخيرة من حياتها غلبتها الأمراض، فاحتجبت عن الأنظار إلا من جارة عجوز كانت تطلّ عليها، وبعض الصديقات الأديبات أمثال إلفة الإدلبي، وعفيفة الحصني. وفي مساء ١٢/ ٢/ ١٩٨٦ م وفي مشفى الشامي بدمشق ودعت عزيزة هارون الحياة الدنيا.

بدأت الشاعرة عزيزة رحلتها مع الشعر في سن مبكرة، ونشرت أولى قصائدها «خمرة الفن» في العدد الأول من مجلة «القيثارة» الصادرة في اللاذقية في حزيران ١٩٤٦ م، وكان اسمها إلى جانب قلة من الشاعرات تتصدر الصحافة الأدبية العربية في الخمسينيات والستينيات (نازك الملائكة، فدوى طوقان، سلمى الخضراء الجيوسي). ومن المجلات التي نشرت فيها: «الأديب والآداب» لبنان، و«الثقافة» و«المعرفة» و«الموقف الأدبي» و«الصباح» و«التمدن الإسلامي» و«أصداء» في سورية. وأسهمت في العديد من المهرجانات الشعرية. وكُتِبَتْ دراسات كثيرة عن شعرها.

صدر ديوان عزيزة هارون بعد رحيلها بستة أعوام ونيّف، في عام ١٩٩٢ م عن الندوة الثقافية النسائية بدمشق، وقد أعدت مخطوطته الأديبة عفيفة الحصني، وفيه مقدمتان لكل من الأديب عبد اللطيف أرناؤوط، والأديبة إلفة الإدلبي.



غادة السمان

أديبة سورية ولدت في دمشق عام ١٩٤٢ م. نالت إجازة في الأدب الإنجليزي من جامعة دمشق، حيث عملت معيدة بها. غادرت دمشق عام ١٩٦٤ م لمتابعة تحصيلها الجامعي في إحدى الجامعات الأمريكية، لكنها انقطعت عن الدراسة وأقامت فترة في لندن، ثم آثرت العودة إلى بيروت، وأنشأت دارًا للنشر تحمل اسمها. وهي مقيمة حاليا في باريس.

من أهم أعمالها الأدبية: «بيروت ٧٥» بيروت ١٩٧٥ م، «أعلنت عليك الحب» ١٩٧٦ م، «الجسد حقيبة سفر» (مقالات وقصص) ١٩٧٩ م، «حب من الوريد إلى الوريد» (قصص) بيروت ١٩٨٠ م، «زمن الحب الآخر» (قصص) بيروت ١٩٧٨ م، «الرغيف ينبض كالقلب» (قصة) بيروت ١٩٧٢ م، «السباحة في بحيرة الشيطان» بيروت ١٩٧٩ م، «عيناك قدري» بيروت ١٩٨٢ م، ورواية «كوابيس بيروت» صدرت عام ١٩٧٦ م وتُرجمت إلى اللغة البولندية.



فدوى طوقان

ولدت في مدينة نابلس عام ١٩١٧ م، حيث تلقت تعليمها الابتدائي بها. ظهرت موهبتها الشعرية في وقت مبكر، وكان لشقيقها الشاعر إبراهيم طوقان دور كبير في تنمية هذه الملكة فيها، وكانت مرثيتها في وفاة شقيقها عام ١٩٤١ م سببًا في لفت الأنظار إلى موهبتها.

عبرت في الكثير من أشعارها عن مأساة شعبها، وما مر به من متغيرات سياسية واجتماعية.

وحرصًا منها على توسيع مداركها المعرفية أمضت عامين دراسيين في جامعة أوكسفورد بإنجلترا، حيث درست اللغة الإنجليزية وآدابها. تم تكريمها في أكثر من محفل أدبي، وفازت بأكثر من جائزة أدبية، فقد حصلت عام ١٩٧٨ م على جائزة الشعر الدولية من جمعية الثقافة المتوسطية في باليرمو الإيطالية،

وفازت عـام ١٩٨٣ م بجائزة الشعـر من رابطة الكتّاب الأردنيين، وتم منحها وسام القـدس للثقافة والفنون في عـام ١٩٩٠ م، وفي العام نفسه نـالت جائزة العويس الأدبية في الإمارات العربية المتحدة.

من أبـرز دواوينها الشعـرية: «وحـدي مع الأيـام»، «وجدتها»، «أعطنـا حبًا»، «أمـام الباب المغلق»، «الليل والفرسـان»، «على قمة الدنيـا وحيدًا»، «تموز والشيء الآخر»، وجـاء كتاب «رحلة جبليـة رحلة صعبة» يحمل مـذكرات هذه الأديبة الفلسطينية الذائعة الصيت.

فوزية شلابي

أديبة ليبية برزت بصوتها الأدبي، وكان لها موقعها في الساحة الأدبية الليبية، وصحافتها الثقافية، وعرفت بنشاطها، ودأبها في التواصل، وقد مارست عددًا من الأجناس الأدبية، غير أنّ هويتها الإبداعية تتمثل في الشعر.

صدر لها في الـدراسة والنقد: «في الثقافـة والحرب» ١٩٨٤ م، و«قراءات مناوئة» ١٩٨٤ م، و«قـراءات عاقلة جدًا» ١٩٨٥ م. وفي القصـة صدرت لها مجموعـة قصصية بعنـوان «صـورة طبق الأصل» ١٩٨٥ م، ولها روايـة «رجل لروايـة واحدة» ١٩٨٥ م، وفي الشعـر صدر لها: «في القصيـدة التاليـة أحبّك بصعوبة» ١٩٨٤ م، و«فوضويًا كنت وشديد الوقاحة» ١٩٨٥ م، و«بالبنفسج أنت متهم» ١٩٨٥ م، و«السكاكين أنت لخدّها يا خليل» ١٩٨٦ م.

ق

قمر كيلاني

أديبة سورية من مواليد مدينة دمشق عام ١٩٢٨ م. تلقّت تعليمها فيها، وتخرجت في جامعتهـا ـ كليـة الآداب ـ وحصلت على إجـازة في اللغة العـربية وآدابها عام ١٩٥٢ م ثم على دبلوم في التربية.

عملت في حقل التـدريس في دور المعلمين، وفي ثـانويـات دمشق، وفي المغرب، وهي عضو في المكتب التنفيـذي لاتحاد الكتاب العرب بدمشق، وفي مجلس هذا الاتحاد لدورات عدة.

تكتب القصة والرواية والدراسة والمقال الصحفي، وكانت قد بدأت النشر في الخمسينيات في معظم الدوريات والصحف السورية والعربية.

من مؤلفـاتها في القصة: «عالم بلا حـدود» بغداد ١٩٧٢ م، و«الصيادون ولعبـة الموت» دمشق ١٩٧٨ م، و«امـرأة من خـزف» دمشق ١٩٨٠ م، و«اعترافـات امـرأة صغيرة» دمشق ١٩٨٠ م، و«حلم على جـدران السجـون» تـونس ١٩٨٥ م، و«المحطة» دمشق ١٩٨٧ م. وفي الـرواية: «أيـام مغربيـة» بيروت ١٩٦٥ م، و«بستـان الكـرز» دمشق ١٩٧٧ م، و«الهودج» دمشـق ١٩٧٩ م، و«حب وحرب» دمشق ١٩٨٠ م، و«طائر النار» دمشق ١٩٨١ م، و«الأشبـاح» ليبيـا ١٩٨٠ م و«الدوامـة» دمشق ١٩٨٠ م. وفي الـدراسـات: «التصوف الإسلامي» بيروت ١٩٦٢ م، و«أسامة بن منقذ» دمشق ١٩٨٣ م.



لميعة عباس عمارة

شاعـرة عراقيـة من مواليـد العمارة في جانب الكـرخ من بغداد ١٩٢٩ م. وفيها أتمت دراستها الابتدائية، و في بغـداد درست الثانوية، ثم التحقت بدار المعلمين العـاليـة وحصلت على إجـازتها عـام ١٩٥٠ م وعيّنت معلّمـة بـدار المعلمات الأولية.

قضت زمن طفولتها مريضة، وكان اغتراب والدها من العراق، مطوّفًا بين عدد من الدول العربية والأوربية، ليتخذ من أمريكا إقامة، كان هذا الاغتراب ذا أثر عميق في ابنتـه. ومن المؤسف أنّ فرحة اللقـاء لم تدم سوى شهـرين فقد توفي الوالد عام ١٩٤٦ م.

ظلّت لميعة وفيّة لذكرى أبيها من خلال القصائد العديدة التي جاءت فيها على ذكره. كانت بدايتها الشعرية، وهي في الخامسة عشرة من عمرها، وكانت قد أرسلت قصـائد البدايـة إلى الشاعـر إيليا أبي ماضي الـذي تربطـه بوالـدها صلات ودّ وصداقـة حين جمعتهما ظروف المهجر والاغتراب، وكان أبـو ماضي يشجّعها ويوافيها بصحيفته «السمير» التي أصدرها عام ١٩٢٩ م في نيويورك، هدية منه إلى لميعة التي كان يسميها دائمًا «الشاعرة الصغيرة».

بدأت حياتها الشعرية هجّاءة ساخرة، ومازالت هذه الروح الساخرة ظاهرة في شعرها.

اتخذت في بداية الثمانينيات من بيروت إقامة لها.

صدرت لها خمس مجموعات شعرية هي: «الزاوية الخالية» و«عودة الربيع» و«أغاني عشتار» و«عراقية» و«يسمونه الحب».



ملكة الدار محمد

أديبـة سودانيـة برزت في الأربعينيـات صـوتًا نسـائيًا رائدًا في مجالي القصـة والروايـة، وقد نـالت في النصـف الثاني من عقـد الأربعينيات جـائزة في القصة القصيرة، وقد اعتبرهـا مختار عجـوبة في كتـابه «القصـة الحديثة في السـودان» الصادر عن جامعة الخرطوم ١٩٧٢ م أول قصصية سودانية، ومن رواد القصة

www.ahlaltareekh.com

الرومانسية، وأثبت النور عثمان في دراسة عن الرواية السودانية ريادة ملكة الدار محمد لمجالي الوظيفة والنشاط الإبداعي، وأنّ روايتها من أهم أربع روايات سودانية صدرت بعد الاستقلال. أما محمد المهدي البشري فقد قال عن روايتها «الفراغ العريض» التي كتبت ما قبل استقلال السودان في أوائل الخمسينيات، وصدرت عام ١٩٧٢ م عن المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون بالخرطوم: «ليست رواية رائدة فحسب بل هي معلم بارز في خارطة الإبداع السوداني، فقد أكدت هذه الرواية إمكانات الروائي السوداني ورسوخ أقدامه في درب جنس أدبي مهم هو الرواية، ولذلك هي بحق عمل يحمل كل فضائل الريادة».

ن

نازك الملائكة

أديبة عراقية ولدت في بغداد عام ١٩٢٤ م. حاصلة على بكالوريوس لغة عربية من دار المعلمين العالية ببغداد، ودبلوم معهد الفنون الجميلة ببغداد، وماجستير آداب مقارنة من جامعة وسكونسن الأمريكية عام ١٩٥٧ م. عُينت معيدة بكلية التربية عام ١٩٥٧ م، وتولت رئاسة قسم اللغة العربية في كلية الآداب، وعملت بالتدريس في جامعة الكويت.

من أهم مؤلفاتها: «عاشقة الليل» (شعر) بغداد ١٩٤٧ م، «شظايا ورماد» (شعر) بغداد ١٩٤٩ م، «قرارة الموجة» بيروت ١٩٥٧ م، «قضايا الشعر المعاصر» بيروت ١٩٦٢ م، «شجرة القمر» (شعر) بيروت ١٩٦٨ م، «مأساة الحياة وأغنية للإنسان» (مطولة شعرية) بيروت ١٩٧٠ م، «المجموعة الكاملة» (شعر) بيروت ١٩٧١ م، «للصلاة والثورة» (شعر) بيروت ١٩٧٨ م، «ويغير ألوانه البحر» (شعر) بغداد ١٩٧٨ م.

ومن دراساتها النقدية: «محاضرات في شعر علي محمود طه» صدرت عام ١٩٦٤ م، وكان صدور طبعتها الثانية منقحة عام ١٩٦٥ م بعنوان «دراسة نقدية في شعر علي محمود طه»، ومن دراساتها الاجتماعية: «مآخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية».

نجاح العطار

باحثة وأديبة سورية ولدت في دمشق عام ١٩٣٣ م. حصلت على إجازة في الأدب العربي من جامعة دمشق عام ١٩٥٤ م، ودبلوم في الدراسات العليا من جامعة أدنبرة البريطانية عام ١٩٥٦ م، ومن الجامعة نفسها نالت دكتوراه شرف في الأدب العربي وكانت أطروحتها عن الشاعر «أبو العتاهية».

عملت زمنًا في سلك التعليم، ثم في مديرية التأليف والترجمة بوزارة الثقافة حتى تبوأت منصب المديرة، وهي تشغل حاليًا منصب وزير الثقافة والإرشاد القومي في سورية.

تتعدد اهتمامات هذه الأديبة إذ نُشرت لها دراسات في المسرح والشعر والقصة.

من أهم أعمالها «أدب الحرب» عام ١٩٧٦ م، و«من يذكر تلك الأيام» عام ١٩٧٤ م، وهما بالمشاركة مع الأديب السوري حنامينا، ولها كذلك «نكون أو لا نكون» من جزءين صدرا عام ١٩٨١ م، و«مفكرة الأيام»، و«أمثلة الحياة» صدرا عام ١٩٨٢ م، وهما يضمان مجموعة من مقالاتها الصحفية، إلى جانب كتاب فكري بعنوان «كلمات مدونة» صدر عام ١٩٨٦ م.

نعمات أحمد فؤاد

أديبة مصرية من مواليد القاهرة في ١٩٣٤ م. حاصلة على الدكتوراه في الأدب من جامعة القاهرة عام ١٩٥٩ م، أستاذ الدراسات العليا بكلية الفنون بجامعة حلوان، مدير عام للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في القاهرة. مثلت مصر في العديد من المؤتمرات الدولية.

لها أكثر من ٢٢ كتابا في الأدب والنقد، ترجم بعضها إلى لغات أجنبية، كما أن لها الكثير من الأبحاث والمقالات المنشورة في صحف العالم العربي ومجلاته.

من أهم مؤلفاتها: «النيل في الأدب الشعبي» ١٩٧٣ م، «شعب وشاعر: أبو القاسم الشابي» ١٩٧٧ م، «مصر تدخل عصر النفايات الذرية» ١٩٧٩ م، «من عبقرية الإسلام» ١٩٨٣ م، «الجمال والحرية والشخصية الإنسانية في أدب العقاد» ١٩٨٣ م، «الإسلام وإنسان العصر: العودة إلى المنبع» ١٩٨٤ م، و«دراسة في أدب الرافعي».



هيام رمزي الدردنجي

من مواليد يافا ١٩٤٢ م. وهي ابنه المربي والمؤرخ رمزي شكري الدردنجي الذي ترك مؤلفات عدة في التاريخ والتربية والفلسفة، وكان عمله في الصحافة والتعليم.

تلقت تعليمها الابتدائي والثانوي في طرابلس بليبيا، وحازت على دبلوم المعلمات من كليّة معلمات طرابلس عام ١٩٦٥ م، وحصلت على ليسانس اجتماع من كلية الآداب جامعة بنغازي عام ١٩٧٦ م، ونالت شهادة تمهيدي ماجستير (قسم الاجتماع) كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٨ م.

قضت فترة من حياتها في ليبيا ثم في مصر، وتقيم الآن في الأردن، وتعمل مدرّسة في كلية «الأندلس» بعمّان.

شاركت في معظم المؤتمرات الأدبية في طرابلس وبنغازي حتى عام ١٩٧٥ م، وفي العديد من الندوات والمهرجانات الأدبية في كل من ليبيا والأردن.

وهي عضو في اتحاد الكتاب والأدباء الليبيين، وعضو في رابطة الكتاب الأردنيين، وفي اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين.

صدر للشاعرة عشر مجموعات شعرية: «زهرات في ربيع العمر» ١٩٦٦ م و«ألحان وأحزان» ١٩٦٩ م، و«دموع الناي» ١٩٦٩ م، و«أغنيات للقمر» ١٩٧٣ م، و«عبير الكلمات» ١٩٨٢ م، و«رسمتك شعراً» ١٩٨٤ م، و«قصائد رحلة صيف» ١٩٨٥ م، و«مزامير في زمن الشدة» ١٩٨٧ م، و«بحور بلا موانئ» ١٩٨٩ م، و«هموم امرأة شاعرة» ١٩٩٢ م. وفي مجال الرواية والقصة الطويلة صدر لها: «إلى اللقاء في يافا» ١٩٧٠ م، و«وداعًا يا أمي» ١٩٧٢ م، و«النخلة والإعصار» ١٩٧٤ م.



وفاء وجدي

هي من شواعر الجيل الثاني للرواد في مصر ـ الستينيات والسبعينيات ـ من مواليد مدينة بورسعيد، أتمت دراستها في المعهد العالي للفنون المسرحية ـ قسم النقد، وحصلت على شهادة البكالوريوس عام ١٩٦٩ م.

بدأت محاولاتها لكتابة الشعر قبل العاشرة، فوالدها هو الشاعر محمد وجدي شبانه، وكانت مكتبته الكبيرة التي تحتوي على الكثير من شعر التراث يسمح لها بالمطالعة وتغذية موهبتها، إلى جانب أن والدها كان يقضي معها أوقاتًا طويلة لتستوعب عروض الشعر العربي، وفي المرحلة الثانوية من دراستها التقت بأشعار صلاح عبد الصبور ونازك الملائكة وبدر شاكر السياب، وفدوى طوقان، فاستهوتها تجربة الشعر الحديث.

كتبت الشعر والمسرحية الشعرية، وشاركت في العديد من الملتقيات الأدبية، وهي تعمل في (مسرح الطليعة).

صدر لها في الشعر: «ماذا تعني الغربة؟» ١٩٦٧ م، و«الرؤية من فوق الجرح» ١٩٧٣ م، و«الحب في زماننا» ١٩٨٠ م، ومسرحية شعرية «بيسان والأبواب السبعة».



يمينة مشاكرة

أديبة جزائرية من مسكيانة، القرية القريبة من قرى الأوراس، هذا الجبل الذي كان مركز ثورة أول تشرين الثاني (نوفمبر) التحريرية ١٩٥٤ م.

كانت ولادتها عشية حرب التحرير في الأول من تشرين الثاني نوفمبر ١٩٥٤ م. ويمينة مشاكرة تمارس مهنة الطب الاجتماعي والنفسي. صدرت لها رواية «المغارة المتفجرة» عن المؤسسة الوطنية للكتاب في الجزائر ١٩٨٩ م.

كوابيس العبث

الليل شديد الظلمة، والرياح تخبط النوافذ. امتدت يده إلى رواية «الغثيان» لسارتر، وأخذ يقرأ حتى هجم عليه النوم، واستغرقه هذا الحلم العجيب:

«باب على شكل مستطيل، الضلع الطويل رأسي، كأنه مدخل لقلعة قديمة. غير متصل بحيطان ولا موضوع على منزل وإنما هو هكذا وضع في وسط المكان. فقط يظهر خلفه ـ وكأنه إطار لصورة ـ ممشى ترابي تحيط به الأشجار والأدغال من الجانبين. يبدو أن هذه الأشجار لم تمتد إليها يد بشرية من قبل.

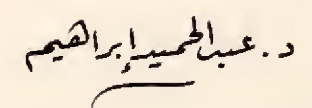
فجأة يظهر أمام الباب رجل كأنه نبت من الأرض، شعره منفوش وعليه غبار السفر، يصيح ويخبط الباب بيديه ويهز رأسه بعنف جنوني. لا أحد يرد. يدخل من أحد مصاريع الباب مع أنه مغلق؛ لأن المصاريع مفرغة ليس بها زجاج ولا خشب. ما إن يخطو خطوات حتى تطلع عليه من جانب الشجر ريشة رمح، فيقع ميتا لا حراك به، ولكن لا دماء ولا ثقب ولا أثر للرمية.

يظهر ثان وثالث ورابع فيتساقطون كل واحد أمام الآخر حتى يسدوا الممشى.

ثم تظهر شخص لا يبدو على وجهه أيّ تعبير، لا يصيح ولا ينادي ولا يقف أمام الباب وإنما يندفع ولكن ليس في الممشى الترابي وإنما من خلال الأدغال. ويظل يسير مسرعا لا يلتفت يمنة ولا يسرة، ثم تظهر على وجهه حماسة تزيد كلما تقدم، ويظل يسير حتى يصل إلى نهاية الأشجار، وهناك يواجه بالباب نفسه كأنه باب لقلعة قديمة لكنه غير متصل بشيء، وليس وراءه معالم ما عدا الممشى الترابي والأشجار من حوله. فيرتد من خلال الممشى الترابي. وفي خطوات بطيئة هذه المرة، وقد اختفى من وجهه انفعال الحماسة، فيجد الأجساد المتساقطة قد اختفت. وحل محلها نوع من الطيور، بيضاء ذات بقع رمادية، مناقيرها واسعة ومفتوحة، وفي عيونها شراهة، وتتكاثر بسرعة عجيبة وهي تخرج من نقرة في الممشى. فترتفع لا بسبب الطيران وإنما بسبب دفعة قوية من داخل النقرة، وعند ارتفاع محدد تقع مقلوبة على الجانبين مكان الأشجار، التي تكون قد اختفت بدورها وخلفت مكانها أرضا سوداء وزراعية. وما إن تصل الطيور المقلوبة إلى الأرض الزراعية حتى تختفي واحدة وراء الأخرى في نقرة أخرى، ثم تظهر من جديد واحدة وراء الأخرى من النقرة التي في الممشى معتدلة، لترتفع، ثم تسقط عند الحد المعين في الأرض الزراعية مقلوبة، لتظهر من جديد في الممشى، لتسقط في النقرة، لتظهر من النقرة، لتسقط في النقرة، لتظهر من النقرة، لتسقط في النقرة، لتظهر، لتسقط، لتظهر، لتسقط، لتظهر، لتسقط، لتظهر، لتسقط...

يسير الرجل حتى يصل إلى النقرة التي تندفع منها الطيور معتدلة، لتسقط عند ارتفاع معين على الأرض الزراعية مقلوبة. وهناك بالتحديد يفقد الإحساس بنفسه تماما، ويصير واحدًا من تلك الطيور المتدافعة الشرهة، وتجرفه الدوامة الدائرية. والباب ما زال في مكانه وفي الوضع نفسه، وإن كانت الصورة التي وراءه هي التي تغيرت فقط».

استيقظ من نومه مذعورا، تعوّذ بالله وعزم على ألا يقرأ بعد اليوم شيئا لسارتر، وألا يأكل قبل النوم أكلة دسمة. فالكوابيس المزعجة قد تأتي نتيجة انحراف في الصحة، أو نتيجة انحراف في المزاج، وكلاهما اختلال يحرمانه من النوم المريح. وأدرك صحة ما قاله البعض من أن سارتر كتب روايته «الغثيان» تحت سيطرة عقار الهلوسة.



د. عبد الحميد إبراهيم

ردود خاصة

○ الأخ علي محمود صالح باشا - عمان - الأردن:

نرجو أن تكون الجائزة التي فزت بها في المسابقة قد وصلتك.

○ الأخ إبراهيم محمد سيف الشهراني - خميس مشيط:

المعلومات التي طلبتها عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ستصلك عن طريقه حيث أحيلت رسالتك إلى القسم المختص هناك.

○ الأخت كريمة أحميدي بوجلطية - الشلف - الجزائر:

لا تتوافر لدينا عناوين المراكز التي تسألين عنها، وليس في المجلة ركن للتعارف أو المراسلات. وقد أرسلنا لك بالبريد عددًا سابقًا من أعداد «الفيصل» نشرت فيه المناظر التي طلبتها، وأهلاً بك.

○ الأخ أحمد معيزة - بسكرة - الجزائر:

رسالتك أحيلت إلى قسم الاشتراكات الذي سيوافيك بالمعلومات اللازمة، وشكرا.

○ الأخوين محمد حسن ومطيع الله - بشاور - باكستان:

رسالتكما أحيلت إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامي للنظر في إمكان تقديم العون اللازم. مع دعائنا لكما بالخير والتوفيق.

○ الأخ عبد العزيز محمد موسى - الخرطوم - السودان:

المجلة لم تنقطع عن الأسواق السودانية، وعموما أبلغنا قسم التوزيع بملاحظتك للتأكد منها وتلافيها مستقبلا. أما الموضوعات التي أرسلتها فسوف ينشر منها ما هو مناسب للنشر. وشكرا لك.

○ الأخ عبد المنعم السروجي - القاهرة - مصر:

القصيدة التي أرسلتها فاتت مناسبة نشرها. للإحاطة وشكرا.

○ الأخ نضال أحمد مرتضى - اللاذقية - سورية:

الموضوعات التي أشرت إليها في رسالتك ننشر عنها باستمرار، مع الشكر على ما جاء في رسالتك.

○ الأخ إبراهيم حاتم كريم - إسلام أباد - باكستان:

رسالتك أحيلت إلى هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، لعلها تستطيع تقديم المساعدة اللازمة لك، مع دعائنا لك بالعون والتوفيق.

○ الأخ حميد محمد قاسم - حمص - سورية:

الأسئلة التي بعثت بها إلينا ستجد الرد عليها في باب «طريق الهدى» في أحد الأعداد القادمة إن شاء الله.

○ الأخوين: زايد سويد العتيبي - الطائف، الرقراقي محمد - تطوان - المغرب:

العدد الأول من «الفيصل» غير متوافر حاليا، والطريقة الوحيدة للحصول عليه هو شراء مجلدات «الفيصل» كاملة.

○ الأخت أماني سلطان - عدن - اليمن:

عنوان الكاتب يوسف فجر رسلان هو: عكرمة القديمة، ش. الضياء، منزل رقم ٢٧، حمص، سورية.

○ الأخ عكاشة عبد الرحمن - سعيدة - الجزائر:

شكرا على تحياتك وتمنياتك لأسرة التحرير.

○ الأخ صلاح عثمان مصطفى - الرمازين - السودان:

اللقاءات التي تقترحها موجودة بالفعل في المجلة، أما ركن التعارف فلا يتناسب مع طبيعة المجلة ومستواها. وحبذا لو ذكرت لنا اسم مؤلف الكتاب الذي أشرت إليه، ودار النشر حتى نساعدك في الحصول عليه، وشكرا.

○ الأخت فريال علي محمد - إربد - الأردن:

أحلنا رسالتك إلى قسم التوزيع، وبالنسبة للأعداد المطلوبة، فسوف ترسل إليك إذا كانت متوافرة لدينا، وشكرا.

○ الأخ فاضل عبيد سريع - رفحاء:

لا يتوافر لدينا - مع الأسف - الكتاب التعليمي الذي تسأل عنه.

○ الأخت فاطمة بركان - البليدة - الجزائر:

سميت هذه المجلة «الفيصل» تخليدا لذكرى الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله. ولا نتفق معك حول عدم ملاءمة هذا الاسم للمجلة!

○ الأخ مبارك عايض الرشيدي - حائل:

الأعداد الأولى من المجلة نفدت منذ سنوات، والطريقة الوحيدة للحصول عليها هي شراء مجلدات «الفيصل» كاملة. أما إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فيمكن طلبها من المركز مباشرة.

○ الأخ بريك محمد الطاهر - ورقلة - الجزائر:

نعتذر من عدم تقديم اشتراك

مجاني حيث إن ذلك غير متاح ولا تسمح بـه إمكـانـات المجلـة، وشكرا.

○ الأخ طـلال الطاهـر قطبي بشير ـ الخرطوم ـ السودان:

رسـالتك أحيلـت إلى قسم خدمات المعلومـات بمركز الملك فيصل للبحـوث والـدراسـات الإسـلاميـة، ونأمل أن يستجيب لطلبك.

○ الأخ أحمد علي حسـن الموشكي ـ إب ـ اليمن:

أحلنـا رسـالتـك إلى قسم التوزيع، وسيرد عليك بما يلزم.

○ الأخ رجب عبد المنعم فتح الله ـ الإسكندرية ـ مصر:

نظام المسابقة لا يسمح بتغيير الجائزة أو التعويض عنها ماليا.

○ الإخـوة: علي عبد ـ ديـر الـزور، مـريم ق. أ. ـ حلب ـ سورية، حروزي محمد ـ غرداية، بـركـات جمال ـ بـاش حـراج ـ الجزائر، يونس بوطريقة ـ طنجة ـ المغرب:

نعتذر من عدم تلبية طلباتكم حيث إنها ليست ضمن إمكانات المجلة، مع تقديـرنا لحسن ظنكم بنا.

○ الأخ عبـد الفتاح أفكـوح ـ الرباط ـ المغرب:

الكتـاب الـذي تسأل عنـه طبعته قـديمة وتعـود إلى أكثر من نصف قـرن ممـا يتعـذر أن نجـد نسخة منها الآن. لذا نقترح عليك البحث عنـه في المكتبـات الكبيرة (خزائن الكتب) في بلدكم.

○ الأخ شحم أحمد ـ فـاس المغرب:

يمكنك الحصول على عناوين الجامعـات السعوديـة من الملحق التعليمي بـالسفـارة السعوديـة في الربـاط. وسوف يصلـك إيضاح حول كيفية الحصول على مجلدات «الفيصل».

○ الأخ رشيد نـاصر الراشـد ـ رحية:

مؤلفات مالك بن نبي ومحمد إقبـال وجمال حمدان تجدهـا في المكتبات التجارية الكبيرة.

○ الأخ وليد حمدي علي كحلة ـ البحيرة ـ مصر:

رسـالتك أحيلت إلى مـركـز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسـلاميـة، ونأمل أن يستجيبـوا لطلبك.

○ الأخـوين: الشريف الإدريسي ومحمد أحمد الشنقيطي ـ مكة المكرمة:

شكـرا لكما على رسـالتكما الكـريمـة، وهي محل التقـديـر والاعتزاز.

○ الإخوة والأخـوات: زبيري حكيم ـ بـاتنـة، طيبي تـوفيق ـ بـراقي، غيابـة عبـد الرحمن ونـور الديـن أرحيمين ـ بسكـرة، مهاية حميـد ـ البويرة، صـافري نصر الـدين وابن دحـو مصطفى ـ البيض، حمور محمـد ومنصـوري محمد ـ تلمسان، بوغابة إسماعيل وعفون الصـادق ومكروشـة مراد ـ جيجل، ابـن خـروف خليل ـ تيبازة، بشير بوخنوفة ـ سطيف، خليل أيـوب ـ الطـارف، حمي مجـدوب فضيلـة ـ عين الـدفلى، كروشي حمّو بن سليمان بن محمد ـ غـردايـة، ابن بـابـا علي حسين ـ المدية، زيتوني الشارف ولد محمد ـ مستغـانم، بوشيبـة محمـد الشيخ وأعبيـد الطـاهـر وغـزال حبيب ـ المسيلة، سعيدات كمال ـ المنيعة ـ الجزائر:

الأعـداد التي طلبتمـوهـا في طريقها إليكم، وشكرا.

○ الإخـوة: مـذيكـر محمـد المطيري ـ الرياض، خالد عبد الله محيميـد ـ القطيف، زايـد سويـد العتيبي ـ الحويـة، سيرين كـان السنغالي ـ المدينـة المنورة، سليمان عبد الله العويـوين ـ تفي، حافظ العمار ـ رفحاء:

طلبـاتكـم أحيلت إلى قسم التـوزيع، وسيتم إرسال الأعـداد المطلوبة إليكم، وشكرا.

○ الأخت نكـاي حسيبـة ـ تيبازة ـ الجزائر:

شكرًا على البطاقـة البريدية. وللأسف لا تتـوافر لدينـا عناوين الشركـات والمجـلات التي تستفسرين عنها. أما الاشتراك في المجلـة فيصلك بـريديـا إيضـاح حول ذلك. وأهلا بك.

○ الإخـوة والأخوات: هشـام حسن نتو ـ مكـة المكرمة، شنوف جهـاد ـ الجلفـة ـ الجزائر، فارس عزيزة ـ حلب ـ سورية:

استفسـاراتكـم أحيلت إلى قسم الاشتراكـات الذي سيتـولى الرد عليهـا بريديا، أمـا الطلبات الأخرى التي وردت في رسـائلكم فسيتم تلبيتهـا في أقرب فـرصة إن شاء الله.

○ الإخـوة: بـراف «سفيـان» رابح وبلحيمـر إليـاس ودريس محمد السالم ـ الجزائر:

يـرجى تـزويدنـا بعنـاوينكم «كـاملـة» حتـى نتمكـن مـن التجـاوب مع استفسـاراتكم وطلباتكم.

○ الأخ عبـد الحكم إبـراهيم الحاج ـ أم درمان ـ السودان:

ملاحظاتك حـول التوزيع في السودان نقلناها للقسم المختص، ونأمل أن تتعـاون معنـا شركـة التوزيع لتلافيهـا مستقبلا. ورأينا أن الاشتراك السنـوي هـو الحل الأمثل والـوسيلـة المضمـونـة للحصول على الأعداد بانتظام.

الأدب والعلوم: علاقة قديمة



«الأدب والعلاقة التكاملية بين المعارف»، تحت هذا العنوان جاء مقال إبراهيم النويري عبر مجلة «الفيصل» الموقرة العدد ١٩٧ . طالعت سطور هذا المقال فأثار إعجابي وحرك في نفسي شجونًا عديدة جعلت الأفكار تتقافز إلى رأسي وتضج بصدري.

يبدو لي أن العلاقة بين الأدب والعلوم التطبيقية على وجه الخصوص من طب وبيولوجيا وصيدلة وهندسة . . . إلخ، علاقة قديمة وثيقة شديدة الارتباط، وإن كنا أحيانا لا نحسها إلا إذا أثمرت لنا، تلك العلاقة، نماذج حية من أولئك المبدعين من البشر الذين يجمعون عمليًا بين طرفي علاقتنا موضوع الحديث.

لكننا لو تساءلنا: ما أكثر صفات أهل الأدب المبدعين تميزاً، وما أبرز خصائصهم التي نشاهدها بوضوح في العلماء الذين قدموا للبشرية فعلاً كل ما هو جديد، وأسهموا بشكل فعال في دفع عجلة العلم؟ **فإننا نجد في المقام الأول ما فطروا عليه من الشغف بالتأمل، والصبر عليه ودقة الملاحظة**، وهي مواهب إلهية تصقلها الظروف المحيطة، ولسنا في حاجة لتسليط الكثير من الضوء على موقع ذلك من الأدب وأهله، لكننا نسوق بعضا من الأمثلة، لنرى كيف أن حسن التأمل ودقة الملاحظة كان لها القدح المعلّى في الاكتشافات العلمية دون التقيد بفترة زمنية محددة.

ها هو ذا **إلكسندر فلمنج يكتشف البنسلين**، الذي أنقذ الله به الإنسانية من أمراض عدة، في عام ١٩٢٨م. فعندما كان **فلمنج** يدرس خواص بعض البكتريا المسببة للمرض، حدث في إحدى المرات أن تلوث الطبق الذي يزرع فيه البكتريا بنوع من الفطر، يومها لاحظ أن البكتريا التي كان يدرسها لم تستطع النمو في منطقة الطبق التي تجاور الفطر الملوث، فدفعه ذلك ليستنتج أن مادة قاتلة للبكتريا تخرج من هذا الفطر وتتسرب في البيئة المجاورة فتمنع البكتريا من النمو.

فَمَن غيرُ أحد الاثنين، الأديب أو العالم، يمكن أن يفطن لمثل هذا الحادث؟! مَنْ غيرُ الأديب أو العالم يستطيع أن يرقب في صبر وتصميم نبات البازلاء في حديقته وهو ينمو ويكبر، ويلاحظ فيه سبع صفات مختلفات؟ ثم يتفكر في تلك الظاهرة ويبحث لها عن إجابة تكشف ما غمض حولها؟!

يقول التاريخ إنه مندل، **واضع أول القوانين في الوراثة** التي قام عليها هذا العلم الخطير.

وإذا مضينا نقلب الصفحات نجد التاريخ يخبرنا أنه لولا تقدير الله ثم حسن الملاحظة ما وصل **أرشميدس إلى قانون الطفو**، ولما وضع **إسحق نيوتن قوانينه في الجاذبية الأرضية**، وغيرها وغيرها من القصص الرائعة التي صاحبت رحلات الاكتشافات العلمية، **وكلها تلتقي في أنّ مفتاحها في دقة الملاحظة والتأمل والترقب**.

ولقد رأينا كيف أن شاعرًا مثل أبي الطيب المتنبي عندما استعمل مقدرته على التأمل والملاحظة كأديب أجاد تشخيص ما ألمّ به من مرض كأنه طبيب زمانه، في قصيدته التي وصف فيها الحمى:

وزائرتي كأن بها حياء ... فليس تزور إلا في الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا ... فعافتها وباتت في عظامي

أما الشيء الثاني الذي جمع بين الأدب والعلم فهو الخيال الخصب الذي يجعل أصحابه لا يقنعون إذا قنع البشر. وإذا كان للتأمل الدور الأكبر في مجال الاكتشافات، فإن للخيال الدور الأعظم في تطور المخترعات على الأصعدة كافة، فلولاه ما استطاع البشر أن يحققوا حلم الطيران الذي راود الإنسان منذ القدم، ولكان للطيور حتى يومنا هذا السلطان المطلق على الأجواء لا تزاحمها الطائرات. ولولا الخيال ـ بعد تقدير الله ومشيئته ـ ما كانت هناك دبابة ولا غواصة ولا قاطرة، ولما عرف الناس الراديو والتلفاز والسينما والهاتف وسائر وسائل الاتصال الحديثة، ولما وصل الأمر بالإنسان أن يضع قدميه على سطح القمر.

وتتويجا لهذا اللقاء بين الأدب والعلم على درب الخيال كان أن ابتدع الأدباء ما عرفناه بأدب الخيال العلمي، الذي كتبت فيه الكثير من القصص والروايات وأنتجت حوله العديد من الأفلام، وقد جاء على صفحات مجلتنا العزيزة «**الفيصل**» العدد ١٦٧ من خلال لقاء مع الأديب «**نهاد شريف**» أحد رواد أدب الخيال العلمي في العالم العربي، جاء قوله: «الخيال في قصص (الخيال العلمي) خيال منطقي ينطلق من أرضية علمية، وفي هذا اللون بالذات تمتزج واقعية العلم برحابة الفكر والخيال».

إذن فقد اجتمع الأديب والعالم على أرضية مشتركة تجعل منهما وجهين لعملة واحدة، لكن يأتي الفرق في أن الأديب يميل إلى التعبير عمّا لاحظه وتأمله، وما ذهب إليه خياله وفكره، يميل الأديب إلى التعبير عن ذلك بكلام جميل رقيق منمق موزون أو منثور ولا يهمه كثيرًا أن يبرهن للناس صحة ما شاهده ورآه، وإنما يترك لحسن الصياغة وروعة البيان مهمة إقناع القارئ، بينما تدفع روعة الاكتشاف إذ تفجّر وخصوبة الخيال إذ أثمر، بالعالم إلى التعامل المباشر مع الشيء موضوع اهتمامه، والسعي بكل الوسائل المتاحة لديه لبرهان ما توصل إليه مستعينًا بإجراء التجارب ورصد النتائج.

ولا عجب إذن أن يأتي من البشر من يحمل بإحدى يديه قلم الأدب وبالثانية مصباح العلم، لا سيما إذا توافرت له الظروف المطلوبة من عناية بشؤون الأدب واللغة ودراسة للعلم، طبًا كان أم هندسة أم طبيعة أم غير ذلك.

أحمد إبراهيم فتح الرحمن
جامعة أسيوط ـ مصر

الحداثة غير مرفوضة ولكل مسؤوليته



قرأت موضوع يوسف فجر رسلان المعنون بـ «**الحداثة ومحنة التقليد**» في **العدد ١٩٩ من مجلة «الفيصل»**. وكان بودي أن أناقش الموضوع بأكمله، لكني وجدت أن ستة أثمان الموضوع تتحدث عن **أدونيس**، وعن شعره، لذلك فأنا أكتفي بمناقشة ثمني الموضوع فقط، محاولا أن أبسط الرؤية وأعطيها بعدًا أكثر شمولية. والسبب في ذلك كوني أعرف عن هذا الشاعر أشياء تجعلني أرفض قراءة أعماله. لذلك فأنا اعترف بصحة ما قاله الأخ يوسف عن أدونيس وعما سيقال إن شاء الله مستقبلا.

يقول الأخ يوسف: «وفي هذه المقالة أتناول واحدا من البدائل المحدثة، قد يكون أكثر أجناس الثقافة هزالا وتراجعا وهو الحداثة الشعرية المعاصرة المطروحة بكل عبئها الثقيل على أمتنا العربية». **وأنا أقول للأخ يوسف**: إن ما يعتبره ثقلا على الأمة يعتبره غيره الوسيلة الأخف والأنجح لدعم الأدب العربي، ولذلك فالنص يعبر عن وجهة نظر صاحبه ليس غير، باعتبار أن الحداثة الشعرية هي الأخرى بدأت تزرع جذورها في تربة أدبنا. وأن الحداثة أيضا تؤخذ الآن كوسيلة لخدمة القضية العربية والدفاع عن الهم الإسلامي. لذلك لا أجد مجالا ينطلق منه الأخ يوسف ليصب جام غضبه على الشعر الحديث. ولكنني لا أقول كما قال إن «القصيدة الخليلية باتت عند «هم» عارًا على أصحابها في هذا الزمان». إذ القصيدة الخليلية ظلت محتفظة بهيبتها ومكانتها، إن لم يكن من حيث بناؤها الفني وقيودها، فعلى الأقل من حيث كونها معبرة عن فترة زمنية من فترات الأدب العربي، بالإضافة إلى أن جل الجرائد والمجلات التي تهتم بمجال الإبداع الأدبي تنشر الحديث والقديم وفق ما يصلها. وعلى سبيل المثال نجد أن العدد الذي صدر فيه موضوع «**الحداثة ومحنة التقليد**» قد نشرت فيه قصيدة تقليدية بعنوان «**نظرة واعتبار**»، وأخرى على النمط الحديث بعنوان «**اعتذار شاعر**»، مما يعني أنه ليس ثمة استهتار بالقصيدة الخليلية، وأنا شخصيا سبق لي أن قرأت بعض الإرشادات التي تقدمها بعض الصحف المغربية للمبدعين الشباب، وغالبًا ما أجد «عليك بالرجوع إلى دواوين القدامى»، «عليك الإلمام بالشعر القديم».

كما أن الأخ يوسف يقول: «إنها لمحنة أن ينبذ شعرنا العربي الأصيل من قبل أبناء الأمة ببديل هجين ترفضه أذواقنا»، **وأعتقد أنه ليس من حق الأخ يوسف أن يتحدث نيابة عن الأمة - «نا» الدالة على الجماعة - بل عليه أن يعبر عن رأيه فقط وموقف ذوقه**، وعلى حد ثقافتي واطلاعي فإني أعرف الكثير من أبناء أمتنا يتذوقون الشعر الحديث.

المشكل ليس في الحداثة أو الأصالة، المشكل في كيف نوظف الحداثة وكيف نستفيد منها، وماذا فعلنا لنستفيد ونفيد. هكذا ينبغي أن نطرح الموضوع، لذلك فأنا سأحاول تناول الموضوع من بابين:

١ - الحداثة في صالحنا: إن الذي يطلع على دواوين **درويش وأحمد مطر** وغيرهم يتأكد له أن الحداثة ليست بالأمر المرفوض، بل هي واجبة. **يقول مطر**:

لو ينظر الحاكم في المرآة
لمات.
وعنده عذر إذا لم يستطع
تحمل المأساة!

اخترت له فقط هذه القصيدة القصيرة، وهي بعنوان «**صورة**» نشرها الشاعر في ديوانه «**الساعة**»، وأترك للقارئ أن ينزلها منزلها، وأن يعطيها حقها، وأنا أجدها أفضل من عشرات الدواوين المليئة بالمدح والفخر والغزل والرثاء والهجاء، قصيدة واحدة تلخص كل الواقع الثقافي العربي.

واقتطف مقطعا من قصيدة: «**قصائد لحماية أيكلوجية القلب**» **لإدريس شبلا**:

الطيور التي حاولت
أن تنام في السماء
سقطت
يا للسخافة!


محمود درويش


أدونيس

٢ - الحداثة ليست في صالحنا: وهنا أصنف شعر **أدونيس** وغيره من الذين يخدمون مصالح الغرب عن قصد أو عن غير قصد، كمحاولة غرس بذور «النص غير المقروء» في أدبنا. وأنا بدوري أتوفر على ديوان، هو الآن بين يدي بعنوان «**حديث النهر**» لشوقي عبد الأمير، وقد فوجئت بعدما وجدت فيه نفس نمط النص غير المقروء الذي يخرج عن الوحدة سواء العضوية أو الموضوعية وعن الترقيم. يقول صاحبه: «على حجر الطريق خطاي ذاكرة المدينة طفلة علمتها الأسماء أسمتني وأسمت بعدي الأشياء كنت أجيئها طيرا على السنوات صوتا أولا وحكاية لا تذكر السنوات».. . إلخ. والقارئ للنص يتضح له أنه نص يعطى لتلامذة الأقسام الابتدائية ليتدربوا على أساليب الترقيم.

لذلك فنحن نجد في الحداثة إيجابيات وسلبيات، وأغلب ظني أن أصحاب القصائد الخارجة عن القواعد العربية قد اعترضت طريقهم ظروف وطوارئ أدت في النهاية إلى اعتناقهم مثل هذه الأنواع/ الأنماط من القصائد.

لكن ما ينبغي ألا ننساه هو تحميل المسؤولية للكل، وباعتباري أمرّ في المرحلة نفسها وأنا لا أتجاوز العقد الثاني، فقد عرفت كل شيئ عن مشكلات

النشر وظروفه . فأي مبدع مبتدئ يجد نفسه مضطرا إلى النشر في الجرائد والمجلات . لذلك نجد بعض هذه الجرائد والمجلات متآمرة على الثقافة العربية، إذ تعمل على تسهيل الرحلة الأدبية لدى الشباب، مقابل توجيههم وفق ما يشتهيه الغرب، وهنا أطرح سؤالين :

ـ أين دور الصحافة العربية الأصيلة؟

ـ أين دور الجمعيات العربية والإسلامية؟

بدوري عرفت أن الأدب سيف ذو حدين يمكن أن يكون لصالح الأمة، كما يمكن أن يكون عليها، لذلك حاولت أن استفيد من بعض الهيئات الأدبية العربية والإسلامية كرابطة الأدب الإسلامي العالمية، لكن أي دعم قدمت لي؟! مع العلم أن رابطة كهذه كان ينبغي عليها أن تبدأ بالشباب أولا لتبني اللبنة الأولى وحتى لا تسبقها بعض الهيئات المشبوهة لتستبد بثقافة الشباب، ومن ثم توجيهه كيفما شاءت . وقد انصرف اهتمام الرابطة إلى الأدباء الكبار، حتى لا تتلقى ضربات موجعة منهم . ولما نجحت في تجميع الأدباء الكبار وجدت أن ضربات الشباب أكثر إيلاما، فلم تبالِ بهم، بل تركتهم وشأنهم، وإن كان بعض الأدباء يعملون على الطعن في هؤلاء الشباب .

المهم إنني بعثت بالرسالة الأولى إلى الرابطة ولكن دون جدوى، لم أيأس فعاودت الكرة، لكن دون جدوى أيضًا، هذا هو إذن دور الهيئات المخلصة . ترى لو كان أحد غيري قام بما قمت به ففشل، أكان يستمر في البحث في الأدب الأصيل؟ أنا أجزم أنه سيحاول أن يتصل بجمعيات لا يعرف عنها شيئا، أو يعرف عنها أشياء محدودة فيقع في الشباك .

أنا شخصيا لما فشلت في إيجاد سند لي اعتمدت على الله ثم على نفسي في رحلتي الأدبية، وأنا والحمد لله الآن في طريقي إلى الأدب الإسلامي بمعناه الصحيح، حمدت الله على أن الأدب الإسلامي ليس حكرا على رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وواصلت سيري، وحمدت الله أكثر عندما قرأت مقالا في «المسلمون» **للدكتور عبد الله الحامد بعنوان «نعم للأدب الإسلامي ولكن!»** يؤكد أن رابطة الأدب الإسلامي العالمية ليست من حقها احتكار الأدب بواسطة اسمها، وقد احتكرت هذه الرابطة مفهوم «الإسلامي» وليتها صارت رابطة «الأدب» الإسلامية لكان الأمر أسهل، ولا يحمل إيحاء يستلزم التصنيف الثنائي إلى الأبيض والأسود .

إنني أحمّل الهيئات الأدبية العربية والإسلامية مسؤولية الخروج الأدبي العربي الذي تشهده الساحة وبخاصة على يد الأدباء الشباب، وأحملهم مسؤولية ما آلت إليه القصيدة الشعرية . والحقيقة أنني وجدت أن معظم قصائد الشباب تسجل توظيفا للتراث الغربي الذي لا يتلاءم والثقافة العربية الإسلامية وآلهة اليونان والاستهتار بالدين وبلفظ الجلالة، كقصيدة «أنت الوشم الباقي» التي علقت عليها جريدة «المسلمون» في أحد أعدادها السابقة .

ترى، هل بقي الأخ يوسف عند قوله وعند اتهامه لأدونيس؟ أم أنه فكر في التخفيف من تحميل المسؤولية كلها للمبدع دون غيره؟

زروق الحسين

فاس ـ المغرب



الاتجاه نحو "المجتمع المدني" تفرضه التحولات المعاصرة

قرأت المقال المنشور في مجلة «الفيصل» الغراء **العدد ٢٠٢** لشهر سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٩٣ م للدكتور **عمر فوزي نجاري** باستمتاع معرفي كبير، وأسعدني كثيرًا اهتمام المجلة بمثل هذه الموضوعات المعاصرة التي تهتم بحسن تطور المجتمعات النامية وتقدمها . ولقد عالج الكاتب هذا الموضوع **«المجتمع المدني»** بشكل ممتع وشيّق، وأتحفنا كثيرًا عندما توغل في عمق التاريخ الإسلامي، وأورد أمثلة عن قادة إسلاميين لهم رصيد تاريخي عريق في نشر وترسيخ علاقات وقيم المجتمع المدني وقتئذٍ، وتطرق الكاتب إلى المجتمع المدني في العصر الحديث في البلدان النامية والإسلامية، ـ في ختام المقال ـ لكن هذا التطرق جاء بشكل مقتضب . وكنت أتمنى من الكاتب أن يتوسع في هذه النقطة، وهنا أود أن أتطرق إلى هذه النقطة بشيء من التوضيح .

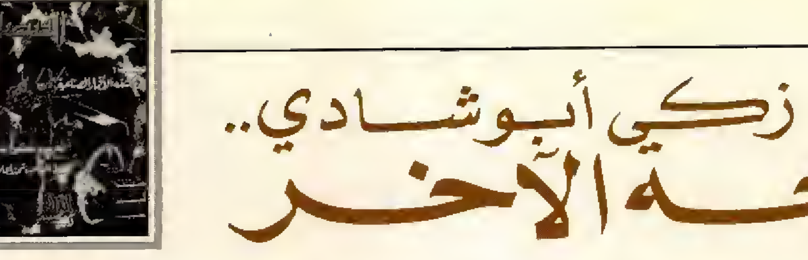
من المعروف أن مفهوم **«المجتمع المدني»** قد أخذ يُطرح ويُناقش في الفترة المعاصرة، بعد التحولات العالمية المتسارعة، وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وهذا الموضوع كان إلى حين مطويًا في عالم النسيان والتجاهل، وإنما كانت هناك نظريات ديماغوجية عن الاشتراكية والثورية والتقدمية الزائفة . هذه النظريات كانت تخدع الشعب، ولم تكن منبثقة من الواقع الاجتماعي المعيش، وإنما نظريات مستوردة .

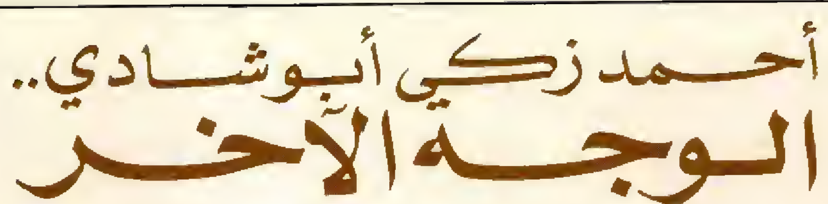
إن التحولات المعاصرة قد أسهمت في تحريك أقلام المفكرين والمثقفين للبحث في سبل إنهاض هذه المجتمعات (دول العالم الثالث)، وتجسد ذلك في الدعوة للمجتمع المدني، والديموقراطية والتعددية السياسية والاقتصادية ؛ لأنّ هذه المجتمعات قد خضعت لسيطرة دولها وبقيت متخلفة عن ركب الحضارة العالمية، صحيح إنّ **الحضارة لا تتطلب جانبًا وحيدًا (الجانب المادي)، لكنها أيضًا تتطلب وتتضمن جانبًا مهما وأساسيًا هو الجانب الروحي والمعنوي، جانب الأخلاق والقيم الإنسانية النبيلة** . لقد بقيت هذه المجتمعات ـ إلى حين قريب جدًا ـ أسيرة سلطات ترفع شعارات براقة للسير بالجماهير إلى درجة من التخدير، لكن تحولات العالم أيقظت هذه المجتمعات، وتحرك مثقفوها للدعوة للديموقراطية، وللبحث والمناقشة حول كيفية خلق وتدعيم منظمات ذات طابع مدني غير مرتبطة بالمؤسسات الحكومية، للإسهام في تحديث المجتمع وتطويره.

أخيرًا، **لا بد من التأكيد على أن هذه المجتمعات (النامية والإسلامية) لن تتطور ما لم تسهم في ترسيخ وإرساء قيم المجتمع المدني وعلاقاته وتدعيم وتنشيط منظمات وجمعيات غير حكومية ذات طابع إنساني ديموقراطي** .

م . حواس سلمان محمود

قامشلي ـ سورية





أحمد زكي أبو شادي.. الوجه الآخر

بعد اطلاعي على مقالة **الدكتور علي شلش** المنشورة في عدد «**الفيصل**» رقم ٢٠٢ لشهر سبتمبر/ أكتوبر ١٩٩٣ م، رأيت أن الكاتب لم يقل أشياء كثيرة كان الأجدر به أن يتوقف عندها وهو يتناول جوانب في حياة الراحل في مثويته الأولى.

كثيرة هي الأمور التي تستوقف الدارس لحياة هذا الرجل المتعدد المواهب، يأتي في مقدمتها كونه طبيبًا ورسامًا وشاعرا ونحالاً (مهتم بتربية النحل)، فهل استطاع **أحمد زكي** فعلا أن يوائم بين هذه الجوانب دون أن يطغى أحدها على الآخر، خاصة إذا علمنا أن له في مجال الشعر دواوين كثيرة؟! وأن له في مجال النثر كتبا تزيد على الأربعة، ناهيك عن أنه أخذ على عاتقه الكتابة لإذاعة صوت أمريكا، وعضوية رابطة حقوق الإنسان، والمحاضرة في بعض المؤسسات الأمريكية، كما أنه أسس رابطة منيرفا وجماعة أبوللو، هذا غير إدارته لعدة مجلات تصدر في آن واحد.

هذه الحياة الحافلة يمكننا تلخيصها منذ ولادته سنة ١٨٩٢ م حتى وفاته سنة ١٩٥٥ م ضمن مجموعة دوائر، الأولى قضى أعوامها في مصر، وبدأت منذ ولادته حتى عام ١٩١٢ م، والثانية قضاها في إنجلترا، وبدأت منذ سنة ١٩١٢ م حتى سنة ١٩٢٢ م، والثالثة عودته إلى مصر حتى عام ١٩٤٦ م، أنشأ خلال ذلك مجلة أبو للو عام ١٩٣٢ م. أما الدائرة الأخيرة فهي مغادرته مصر إلى أمريكا حتى وفاته سنة ١٩٥٥ م.

فهل لهذه الحياة من محطات كان لها تأثيرها على الرجل، لدرجة جعلته يقرض الشعر يافعا لم يتجاوز الثانية عشرة، ويصدر ديوانه الأول ولم يتعد الثامنة عشرة؟

قد يكون للنبوغ دخل مباشر، يؤكد هذا الافتراض نشأته في بيت علم وأدب شهدت جنباته ملتقى أصدقاء تداولوا أحاديث فكرية شتى، فتح الفتى عينيه وأذنيه عليها، هذا غير مكتبة والده التي كان لها فضل يذكر في توجيهه إلى الكتاب.

إن أول الرواسب التي كان لها تأثير فيه حزنه الشديد على ما أصاب والديه من انفصال. ثانيها فشله الذريع في حبه الذي عقد عليه الآمال، إذ كانت تلك طعنة نجلاء حسب أنه سيعوض به ما أصابه من حزن على انفصال والديه. ثالثها ما عُرف عنه من إيمان بآراء تخالف رأي المجتمع المحافظ، فلاقى الصدود والإهمال من الجميع، مما أضاف إلى أحزانه مرارات أخرى جعلته يستشعر الاضطهاد ويتخذ من قلمه أداة لإعلان ثورته على المجتمع. وزيادة على ما ذكر فإنه لم يحظ بشيئ من الاهتمام رغم دواوينه الكثيرة ونشاطاته المتعددة ووجه بالصدود من الأقلام النقدية. أليس غريبا أن تصمت الأقلام في مصر ولا تلتفت لشاعر يحرق أيامه ولياليه ليكتب ٢٥ ديوانا شعريا؟!

لم يجد **أحمد زكي** في بلاده موطئ قدم، فتركها إلى ملاذ الموهوبين كما حسب.

عُرف عن **أحمد زكي** التسامح إلى حد التطرف، وتعلقه بالمبادئ الإنسانية إلى حد التهور، وإغداقه المال على أصحابه بشكل كبير. وفي مجال الطباعة كانت له مطبعة باسمه اسماها «**التعاون**»، كان يطبع فيها دواوينه ودواوين أصحابه ويوزعها مجانا! أما في عالم المجلات فكان له باع طويل وشهرة ذائعة حيث أنشأ مجلة «**أبوللو**» وهي أول مجلة للشعر على مستوى الوطن العربي، لكنها لم تعمر طويلا ولم تشترك فيها وزارة المعارف! وهناك مجلات: **مملكة النحل والدجاج والصناعات**. والسؤال: من أين **لأحمد زكي** هذا المال ليدير مطبعة ويُنشئ مجلات وهو محارب في وظيفته ومضيق عليه في عيشه.

عندما غادر إلى أمريكا ادّعى أنه يريد أن يتنسم هواء الحرية وأنه سيعود ثانية إلى مصر بعد أن تتخلص من الرجعيين، لكنه سافر ولم يفِ بوعده، وظل هناك ينعم بالحرية التي توهمها حتى نهاية أجله؛ دون أن يخبرنا عن سبب تناقضاته؛ فهل نقف على السبب الذي جعل النقاد يعرضون عن التعريف به؟ هل السبب يعود إلى دعاواه التي كرّس لها مجلته التي لم تعمر طويلا، أم مبادئه التي اعتنقها وخالف بها إجماع الأمة؟ أم تدني مستواه الشعري الذي وصل دون الحد المقبول؟

دعونا نشير إلى قضية اشتراك أحمد زكي مع من أسهم معه في إذكاء نيران المعارك الأدبية التي اشتعلت على صفحات الجرائد والمجلات تحت مسمى القديم والجديد، والتي انحاز أبو شادي فيها للرأي الحديث. ولا أحسب إلاّ أنه أصدر مجلته «**أبو للو**» لترويج هذا الاتجاه والتبشير به.

همس كثير دار حول سيرة الرجل وعلامات استفهام كبرى رُسمت حوله، ولماذا نبتعد كثيرًا، لماذا لا نقرأ ما كتبه عبد الله التل؟ «... ولقد هالني أن أجد **الدكتور أحمد زكي أبو شادي** ماسونيا خطيرا ينعى على الناس عدم تشجيع النساء على الانخراط في سلك الماسونية المختلطة وينعى على الماسون إجراء مراسيم الزواج في الكنيسة، ويشجع على تحرير المرأة بشكل يوحي أنه يسعى إلى تدميرها وليس إلى تحريرها». (جذور البلاء، عبد الله التل ص ١٢٢). أما ما كتبه **أحمد زكي** بقلمه فهذا نصه: «... وإن المرأة ـــ أسوة بالماضي والحاضر ـ ستكون أيضا في المستقبل ـــ طالما لم تحررها الماسونية أو النظرات الفلسفية ـ خاضعة لسوء طالعها تحت التأثيرات المحاطة بقدرها ألا وهي سلطة الكاهن، فتربي أولادها وبناتها على نمط التربية التي تلقتها عن أمها... يتزوج الماسوني في الكنيسة إرضاء لخطيبته الخاضعة لتأثيرات الكاهن ويعمّد أطفاله أولادا وبناتا حتى لا يعاند امرأته أو أمها أو أمه وجميعهن في قبضة الكاهن فكلا الفريقين... متفق مع الآخر اتفاقا مضمرا على أن يستمر الكاهن في عمله المؤدي إلى إذلال فكرة المرأة، أي مناقضة عرض الماسونية التي تعمل لتحريرها» (في البناية الحرة، القاهرة ١٩٣٦ ص ٩٨ ـ ١٠٣).

سمير أحمد الشريف
عين الباشا ـ الأردن

رد بليغ!

يقال إن الشاعر والأديب الفرنسي المعروف فيكتور هوجو أراد أن يعرف حجم مبيعات روايته «البؤساء»، فعبر عن رغبته هذه بإرسال خطاب إلى ناشره هيرست بلاكيت عام ١٨٦٢ م لا يحوي سوى علاقة استفهام (؟)، وحين جاء رد الناشر وجده عبارة عن علامة تعجب (!).

من نوادر النحاة

قال أبو العبر: سألني أبو العباس ثعلب: هل الظبي معرفة أم نكرة؟ قلت: إن كان مشويًا فهو معرفة، وإن كان في الصحراء فهو نكرة!

كلمة = ٧ كلمات

كلمة INDISCRIMINATION الإنجليزية التي تعني عدم التمييز أو عدم التفريق، تتضمن بالترتيب سبع كلمات إنجليزية أخرى مستقلة ذات معنى هي: IN (في)، DISC (قرص)، RIM (حافة)، IN (في)، AT (عند)، I (أنا)، ON (على).

من عجائب الخلق

يبلغ طول الأوعية الدموية في جسم الإنسان ما يعادل ٩٦ ألف كيلومتر، وتنقل هذه الأوعية يوميًا ما بين ٥٥٠٠ ـ ٧٠٠٠ لتر من الدم.

بلدة الشموس الخمسة

في بلدة سينج نيينج شو الصينية يخيل للإنسان بسبب سحب الضباب الصباحية أنه يرى خمسة شموس مشرقة!

ويأتيك بالأمثال

مَـا يَجْمَعُ بَيْنَ الأَرْوَى وَالنَّعَـامِ؟

يُضرب مثلاً في الشيئين يختلفان جدًا.

فالأروى في رؤوس الجبال، بينما النعام في السهول من الأرض، فأي شئ يجمع بينهما؟!

ويُروى «ما يجمع الأَرْوَى والنَّعَام»، أي كيف يأتلف الخير والشر؟

الرعية والوالي

يُحكىٰ أن الخليفة العباسي المأمون عيّن يومًا أحدهم واليًا على بلدة، فكثر ظلمه لأهلها، فاشتكوه للخليفة، الذي اتهمهم بالكذب وأعرب عن ثقته في عدل الوالي وإحسانه إليهم، فقام شيخ منهم وقال: يا أمير المؤمنين قد عدل فينا واليك خمس سنوات، فانقله إلى غيرنا حتى يشمل عدله جميع رعيتك. فضحك المأمون وقد فطن لقصده، وأمر بعزل الوالي.



بوابة دخنة من خارج السور في الجهة الجنوبية الغربية وكانت تعرف باسم الدروازة الجنوبية أو الدروازة الكبيرة، وتمثل المدخل الجنوبي للرياض ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧ م.

ثلاثة أحسنهم خلقًا

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: ثلاثة من قريش أحسنها أخلاقًا، وأصبحها وجوهًا، وأشدها حياء، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم بحق أو باطل لم يكذّبوك: أبو بكر الصديق، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وعثمان بن عفان رضي الله عنهم.

مبادئ نظيفة

سمع السياسي والزعيم المصري الراحل سعد زغلول أحدهم يطعن في بعض الأشخاص الذين يكثرون التنقل بين الأحزاب، فقال لمن حوله: بالعكس، إنني أرى أنه من أصحاب المبادئ النظيفة. فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأنه دائمًا يغيرها حتى لا تتسخ.

لـو!

قال بعض الحكماء: مسكين ابن آدم، لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعًا، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعًا، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعًا.

مواطن عالمي

ولد ميشال اليماندي في إيطاليا، وحين بلغ سن الشباب التحق بالجيش الإسباني، ووصل إلى رتبة نقيب، ثم صار عقيدًا في الجيش البلجيكي، واختتم حياته برتبة لواء في الجيش الإيطالي، وكان هذا آخر مطافه حيث توفي عام ١٨٥٨ م.

أشعب والجارية

يُروى أن جارية أعطت أشعب ذات يوم دينارًا ليكون وديعة لديه، فأخذه أشعب ووضعه بين ثني الفراش. وحين جاءت صاحبة الدينار بعد أيام لطلبه قال لها: أبشري فقد ولد درهمًا، فذهبت الجارية ورفعت ثني الفراش، وأخذت الدرهم تاركة الدينار. وتكرر الموقف ثلاث مرات، وفي الرابعة فوجئت بأشعب يبكي بحرقة، قالت: ما الذي يبكيك؟ قال: مات الدينار في النفاس! قالت: كيف يكون للدينار نفاس وموت؟ قال: يا جاهلة أتصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس؟!

عصفور بأربع قوائم

يوجد في أمريكا الجنوبية عصفور فريد من نوعه يدعى «هواتزن الصغير»، له أربع قوائم، وأصابع ومخالب في الأطراف الأمامية لجناحيه تتيح له الترجح والانتقال من غصن إلى آخر.

أطول قصيدة

تعد قصيدة المهابهاراتا التي ظهرت في الهند بين القرن الأربعمائة والقرن المائة والخمسين قبل الميلاد أطول قصيدة في العالم، حيث تتألف من ٢٢٠ ألف بيت شعر، تحتوي على ثلاثة ملايين كلمة!

قصة جامعة

لإنشاء جامعة لايدن الهولندية قصة، إذ صمدت المدينة التي تحمل الجامعة اسمها أمام الحصار الإسباني، فلما انتهى الحصار بالفشل أراد ملكهم ويليام الصامت أن يكافأهم على حسن بلائهم وصمودهم فعرض عليهم الإعفاء من الضرائب مدى الحياة، إلا أن الأهالي اقترحوا بدلاً من ذلك إنشاء جامعة باسم مدينتهم، وكان لهم ما أرادوا.

أول من عبر الأطلسي جوًا

الشائع — خطأ — أن الطيار لندبرج هو أول من عبر المحيط الأطلسي بطائرة عام ١٩٢٧ م.

والصحيح أن البريطانيين جون آلكوك، و. أ. هويتون براون سبقاه إلى ذلك عام ١٩١٩ م حين طارا من نيوفا ونلاند إلى أيرلندا.

كما سبقه إلى ذلك ٣١ رجلاً حملهم منطاد إنجليزي في أواخر ١٩١٩ م، و٣٣ رجلاً حملهم منطاد ألماني عام ١٩٢٤ م.

السمكة ذات السوط

تعيش في مياه غينيا الجديدة سمكة تعرف باسم «المهية الراكضة».

ولهذه السمكة ذيل يشبه السوط يزيد طوله على ثلاثة أضعاف طول جسمها، يقع فوق زعنفتها الظهرية.

أسرع الشعوب كلامًا

يعتبر الفرنسيون أسرع الشعوب كلامًا، إذ يتكلمون بسرعة ٢٥٠ مقطعًا في الدقيقة، مقابل ٢٢٠ مقطعًا للمواطن الانجليزي.

«أوميرتا»

الأدب يشبه القطة من بعض الوجوه. فلا هو بالأسد؛ لأن الأسد حيوان مفترس، ولا هو بالفأر؛ لأن الفأر قارض مؤذ فاسق.

والقطة تؤدي دورًا بيئيًا نظيفًا. فهي حضارية إذا «أدبتها» بفضيلة كيفية قضاء الحاجة. وهي لطيفة في ملاعبة أطفالنا. وهي نبيهة في تنظيف المنزل من الوزغ والحشرات والفئران. وهي غير مسعورة بحيث إذا أمرتها أطاعت وإذا زجرتها ازدجرت. وهي تموء..

والموء عملية أدبية بحتة، عكس الزئير والنهيق والفحيح. وهو - أي - المواء - لا ينطلق من أجل ثرثرة هررية قططية، بل ينشأ عن حاجة حقيقية. تريد أن تنبهك مثلاً إلى حاجتها لما يسد جوعتها. تقول لك: أنا هنا. أنا لست خفاشًا يعيش في الظلام، ولست ضفدعة لا تظهر إلا بالقرب من الغدران. أنا هنا لمؤانستك ولمصادقتك وملاعبة طفلك، دون إيذاء ودون إزعاج. بل أنا هنا لحمايتك من الحشرات الضارة!

أعظم مصيبة في حياة القطة، تمامًا كما هي في حياة الأديب، أن تفرض عليها الصمت. أن تقول لها - كما يفعل زعماء المافيا — «أوميرتا»، أي الصمت حتى الموت، أن تتبع سياسة الصمت على أية حال مهما كانت الظروف.

والأديب، مثل القطة، يحتاج إلى الإفصاح عما لديه حاجة ماسة هي بالضرورة أشبه.

لكن المافيا لا تعترف بهذه الحاجة. ومبدأ «أوميرتا» أي «صَهْ» يمنع الأديب من أن يتبلغ بخشاش الأرض، كما منعت امرأة هرة من الطعام، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

وكما يحتاج الأديب للإفصاح فإنه بالقدر نفسه يحتاج إلى الإيضاح. قطرة فقطرة فقطرة، ثم قطرة ثم ينهمر السيل. إيضاح فإيضاح فإيضاح ثم ينبلج فجر، ثم تنقدح شمس.

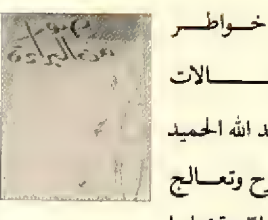
شمس العرفان عبارة عن مجموعة عظيمة من الشعاعات والإيضاحات يتعب الأديب في تجميعها، لكي يكون عنده منجم من النور الفكري، ومن دون هذه الأنوار فإن الإفصاح يكون ضعيفا.

فالإفصاح يعتمد على الإيضاح. قل لي ماذا تقرأ أقل لك ماذا تكتب. إنك لا تكسب المكانة الأدبية في قلوب الرأي العام دون سهر الليالي في البحث والدرس والتحصيل وطلب العلم. نعم، إن الأديب بحاجة إلى الكلام حاجة القطة إلى المواء، فلا تمنعوه. لكن هذا الأديب بحاجة إلى أمور أخرى حتى لا يكون حيوانا مفترسًا أو فأرًا مؤذيا. فإن حاد عن الجادة، كما فعل سلمان رشدي - مثلا - فإن مبدأ «أوميرتا» هو نعم المبدأ.

ونحن في أوضاعنا العادية نحتاج إلى الكلام. ذلك أن الأذن الخارجية والوسطى والداخلية من يمين، ومثلها من يسار، تشكل ستة أجهزة بحاجة إلى تشغيل، وتشغيلها بأن تتلقف وتستقبل المواد المسموعة. وعلى ذلك فإن مبدأ «أوميرتا» ضار بنا ولا حاجة للإضرار، إلا وقت الضرورة، كأن يكون هناك أمثال سلمان رشدي. أما إذا طبقنا مبدأ «أوميرتا» على كل المتكلمين والكاتبين فكأننا نعامل الجميع على قدم المساواة مع رشدي هذا. فكأن الناس كلهم ضارون لابد من إيقافهم عند حدهم، على حين أن سلمان رشدي نفسه لم يجد من يوقفه عند حده.

محمد علي الجفري

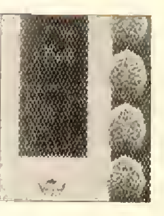
صور من البراءة



خواطر ومقالات لعبد الله الحميد تطرح وتعالج أفكارًا وقضايا أدبية واجتماعية وإنسانية تتمثل فيها البراءة في ظل الأخوة الإسلامية والتكافل الحضاري النبيل، كصياغة التربية ودور الأمومة وإسهام المعاقين في أداء أدوار فاعلة في المجتمع، وتضمنت مواقف تعرض بقضية الوجدان ووفرة الوعي وأخرى تحث على تكثيف الجهد لمحو الأمية في جميع خلاياها واحترام الوقت وصيانة لغة القرآن الكريم.

الكتاب صدر عن دار طويق للخدمات الإعلامية والنشر عام ١٤١٣هـ في مائتين وخمس وأربعين صفحة من القطع المتوسط.

قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم



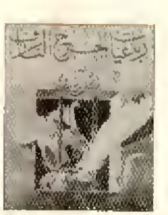
كتاب من تأليف الناقد الدكتور وليد قصاب، يتناول تصور نقاد العربية للشعر والصيغة المثالية المتكاملة التي ينبغي أن يكون عليها، وتضمن عددًا من القضايا النقدية، كاللفظ والمعنى والسرقات والبديع.

قسم الكتاب إلى تمهيد عن دور الشعر في حياة العرب، وأربعة فصول تناول في أولها اختلاف القدماء والمحدثين حول قضية عمود الشعر ونظرة النقاد والشعراء لها، وظروف الشعر الحديث والعوامل التي أحاطت به، ومجالات التجديد فيه، إضافة إلى نشأة البديع وتطوره.

وخصص فصلاً لكل علَم من أعلام النقد القدامى: «الآمدي» الذي تناول شعر أبي تمام وظهور مصطلح عمود الشعر، و«الجرجاني» وتناوله لمذهب المتنبي الشعري ومقارنة بين التصورين. وفي الفصل الرابع عرض تصور «المرزوقي» لعمود الشعر والعناصر التي ميزت تصوره، واختتم الكتاب بخلاصة النتائج الأساسية لقضية عمود الشعر بين المنظور الحديث والقديم.

الكتاب من إصدار دار الثقافة بالدوحة عام ١٩٩٢م في مائتين وتسع وخمسين صفحة من القطع المتوسط.

رباعيات الجرح النازف



رباعيات شعرية للشاعر الفلسطيني أحمد القدومي، قدم لها الدكتور يوسف أبو هلالة، حيث عرض في تقديمه ترجمة ذاتية للشاعر وتناول بالتحليل بعض مقطوعاته.

المجموعة عبارة عن قصيدة واحدة متصلة تضم إحدى وأربعين رباعية تحكي شجن الغربة وذكرى الوطن، وتتأمل معالم المسجد الأقصى المبارك، وتندب أسره وجرحه النازف.

صدرت الرباعيات عن دار المعراج الدولية للنشر عام ١٤١٤هـ، في خمس وخمسين صفحة من القطع الصغير.

إدارة السلوك التنظيمي



يبحث الكتاب في إدارة السلوك التنظيمي وهو من تأليف ناصر ابن محمد العديلي، ويلقي الضوء عليها من خلال دراسة السلوك الإنساني والعوامل المساعدة على تنميته وتطويره، ويحلل التعامل الإنساني من حيث تحفيز العاملين وفاعلية العمل الجماعي الذي تبنى الإسلام فكرته، ويتناول ضغوط العمل ومقاييسها ومدى تأثيرها، ومفهوم القيادة الإدارية وأنماط إدارة النزاعات في العمل، كما يعرض مجالات التطوير الإداري وأهميته والأساليب المتبعة فيه.

الكتاب من إصدار مطابع مرامر عام ١٤١٤هـ، ويقع في أربعمائة وست وستين صفحة من القطع المتوسط.

الأسهم والسندات

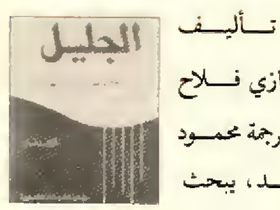


من تأليف الدكتور مختار محمد بلول، يعرض الكتاب نبذة عن الاستثمار في الأوراق المالية وأوجه الاستثمارات الأخرى ملقيًا الضوء على الواقع الاقتصادي العربي وضرورة مواكبته للاقتصاديات العالمية.

كما يطرح فكرة الكيانات الاقتصادية التي تعتمد على صغار المستثمرين، ويناقش موضوع شركات توظيف الأموال وقيام الشركات الاستثمارية القابضة وقضايا القطاع العام ومشكلاته وإمكانية التنافس بين الكيانات الاقتصادية العامة والشركات المساهمة، متناولاً القواعد والأسس التي تراعى عند الاستثمار في الأوراق المالية والتقلبات والأزمات الحادة في أسواق البورصات العالمية.

الكتاب من إصدار المكتب المصري الحديث في طبعته الثانية عام ١٩٩٢م وجاء في مائتين وثلاثين صفحة من القطع الصغير.

الجليل ومخططات التهويد

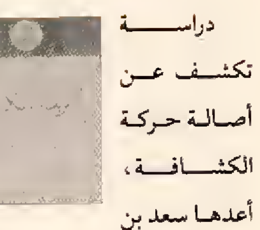


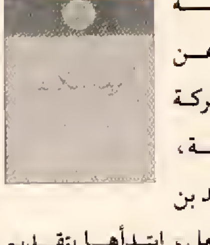
تأليف غازي فلاح وترجمة محمود زايد، يبحث عبر فصول سبعة جوانب من واقع حياة فلسطينيِّ مدينة الجليل وأثر التهويد في جغرافية وجودهم وأهم المتغيرات المكانية التي لحقت بهم منذ السيطرة اليهودية عام ١٩٤٨م، ويحدد المخططات الإقليمية في سياسة التهويد ومراحل تطبيقها وأثرها في مجمل النواحي الحياتية للوجود العربي في المنطقة، التي من ضمنها ـ التوزيع غير المتوازن لموارد المنطقة الاقتصادية في تخصيص

الموارد الأساسية، ويرصد أيضًا ردود الفعل المكثفة للتصدي لمنحاها التمييزي الواضح.

وتحريًا للإيضاح عرض بعض الخرائط والإحصاءات والأشكال البيانية في فصول الكتاب الذي صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية عام ١٩٩٣م في مائة وأربع وخمسين صفحة من القطع المتوسط.

التربية الكشفية في دول الخليج العربية





دراسة تكشف عن أصالة حركة الكشافة، أعدها سعد بن إبراهيم العلي، ابتدأها بتقديم الدكتور علي بن محمد التويجري مدير عام مكتب التربية العربي لدول الخليج، وتحدد نشأة وتطور نظام الكشاف العالمي في الدول العربية وبالخصوص في دول الخليج العربية، وتتطرق لخصائص الكشافة وأهدافها ومبادئها ومناهجها الكشفية ومدى ملائمتها لإمكانات كل مرحلة من مراحلها ولحاجيات المجتمع، وتستقرئ الوضع الراهن للحركة الكشفية في دول الخليج، وانتهى الباحث باستنتاجات الدراسة وتوصيات لتطوير الحركة الكشفية في المنطقة.

الدراسة من إصدارات مكتب التربية العربي لدول الخليج عام ١٤١٤هـ، وقد جاءت في مائتين وست وعشرين صفحة من القطع الكبير.

يا أمة الحق



مجموعة شعرية لعبدالرحمن عبد الكريم العبيد، احتوت على ثلاث وثلاثين قصيدة ترثي الواقع المعاش للأمة الإسلامية ومكانتها المتأخرة بين الأمم. كما سطّرت بعض الأحداث التاريخية، واشتملت أيضًا على قصائد وطنية وإخوانية وقصيدة تفتخر بجيل الحجارة، وقصائد تحث على التعلم وتكريم المعلمين وأهل الفكر والمعرفة، وبعض قصائد الشاعر التي ألقاها في المهرجانات والمناسبات المختلفة.

المجموعة من إصدارات نادي المنطقة الشرقية الأدبي عام ١٤١٤هـ، وتقع في مائتين وثماني وتسعين صفحة من القطع المتوسط.

الجهاد في الإسلام

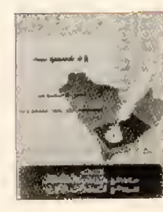


بحث من تأليف الدكتور محمد سعيد البوطي، يحدد أهمية الجهاد والجمع بين وجوبه وحرية الاعتقاد، ويتناول من حيث النظرة الشرعية الشبهات التي تغزو الفكر الإسلامي حوله كالفرق بين الحركة الإسلامية، والدعوة إلى الله، وأحكام الخروج على الحكم في الإسلام ومواقف الغرب مما يسمى بالتطرف والأصولية الإسلامية.

كما يشرح بالتحليل الفقهي المصطلحات الفقهية المرتبطة بالجهاد، ومن بينها التكفير والحرابة وقتل المرتد، ويخصص فصلاً عن آداب الجهاد وحال المجاهدين.

صدر الكتاب عن دار الفكر المعاصر ببيروت عام ١٤١٤م في مائتين وست وخمسين صفحة من القطع المتوسط.

الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي ودعوته

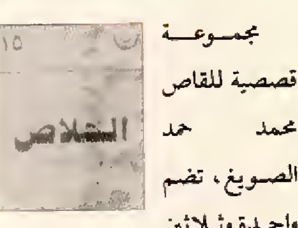


رسالة موجزة من تأليف موسى ابن حاسر السهلي في ترجمة سيرة فضيلة الشيخ الداعية عبد الله بن محمد القرعاوي ـ رحمه الله ـ قدم لها سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وفضيلة الشيخ محمد بن أحمد المالكي، تستقرئ أعماله الخيّرة في الدعوة إلى الله وتوجهه إلى المنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية داعيًا ومعلمًا، وبذله الجهود الكبيرة في تسخير العقبات، وإقامته للكثير من المدارس وحلقات العلم في المنطقة، حتى زال، بفضل الله سبحانه ثم بجهوده، الكثير من المخالفات العقدية، وما كان من تفشي الابتداع في الكثير من العبادات والمعاملات.

أشار المؤلف إلى حياة الشيخ الخاصة وطلبه للعلم ورحلاته في التعليم وتلامذته ونماذج من رسائله.

صدر الكتاب في مائة وإحدى عشرة صفحة من القطع المتوسط عام ١٤١٣هـ.

الخلاص



مجموعة قصصية للقاص محمد حمد الصويغ، تضم واحدة وثلاثين قصة قصيرة يغلب عليها الطابع المأساوي الذي يظهر جليًا في قصة «النملة والفيل» التي تطلب الأم فيها من أحد الحضور أن يخنق رضيعها حتى الموت لترتاح من إزعاج بكائه، وفي قصة «سلوم» يغتال القبطان مساعده ويخنقه حتى تزهق روحه ويقذفه في البحر لامتناعه من تزويج ابنته لابن القبطان.

تصل القسوة والعنف في المجموعة غايتها في قصة «وصمت العمدة» التي تحرق الابنة والدها العجوز بسبب نقاش احتدَّ بينهما ويستمر طابع الانتقام؛ ففي قصة «الحلاق والشاعر» تزل يد الحلاق فيقص جزءًا من أذن الشاعر الذي ينتقم بدوره بغرس آلة حادة في جسد الحلاق الذي يموت من فوره، ويعود الشاعر إلى بيته والغضب يتملكه فيطبق كفيه على عنق عمته حتى تلفظ أنفاسها ويقذفها من نافذة العمارة التي يقطناها.

المجموعة ضمن إصدارات نادي المنطقة الشرقية الأدبي عام ١٤١٤هـ وتقع في مائة وست صفحات من القطع المتوسط.

● أجوبة مسابقة العدد (٢٠٤) ●

ج ١: المقصود بأولي العزم من الرسل: محمد، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم، صلوات الله عليهم أجمعين وسلامه، وهذا القول أصح الأقوال الواردة في ذلك.

□ □ □

ج ٢: الأحاديث الشريفة التي وردت في فضل الأمة المحمدية وشرفها وكرامتها على الله عز وجل، كثيرة جدًا نذكر منها ما يلي على سبيل الاختصار:

١ ـ ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه، الناس لنا فيه تبع، غدًا لليهود، وللنصارى بعد غد».

٢ ـ ما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن بريدة عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف. هذه الأمة من ذلك ثمانون صفًا».

٣ ـ ما جاء في مسند أحمد وجامع الترمذي ـ وحسّنه ـ من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه قال، قال رسول الله ﷺ: «أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عزّ وجل».

وقد حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات، بنبيها محمد ﷺ، فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم، لم يعطه نبي قبله ولا رسول. وقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد، عن علي بن أبي طالب، أن رسول الله ﷺ قال: «... وجعلت أمتي خير الأمم».

□ □ □

ج ٣: هو الأعشى، ميمون بن قيس بن ثعلبة البكري (ت ٦٢٩). ولد بقرية منفوحة (من الرياض الآن)، وتتلمذ على خاله المسيّب بن علس، وتكسّب بالشعر؛ فمدح الملوك والأشراف بالحيرة واليمن وحضرموت والشام واليمامة والحجاز. وفد على النبي ﷺ مادحًا ومسلمًا فتصدت له قريش ونفرته بعد أن بذلت له عيرًا ومالاً، فرجع إلى قريته. وبينما هو في الطريق نفرت دابته فألقته عن ظهرها فمات. أولع بالخمر والنساء والغناء فعاش لهم وتغنّى بهم. وصف مجالس الخمر والغناء، فكان إمام أصحاب المذهب الحسي من الشعراء. يضعه النقاد في مكانة عالية لكثرة تصرفه في فنون الشعر، ووفرة موسيقاه وعذوبة ألفاظه ويسرها حتى سُمّي «صناجة العرب». له معلقة تناول فيه الغزل والخمر والهجاء والفخر، وديوانه طبع غير مرة.

□ □ □

ج ٤: النار العادية، هي كل نار يشعلها الإنسان لطهي طعامه، أو للإنارة، أو للتدفئة أو لاستخدامها في أغراض شتى، سواء كانت ناتجة عن احتراق خشب أو فحم أو من تفاعل كيماوي أو من طاقة شمسية أو كهربائية أو بترولية. أما النار الإغريقية، فمادة قابلة للاشتعال سميت بالنار «المائعة»، وهي مركب كيماوي يفترض أنه يحتوي على الكبريت، ومواد أخرى سهلة الاشتعال، ومادة كالجير تتفاعل مع الماء لإنتاج الحرارة. قيل إن كالينكس الهليوبوليبي استعملها لإحراق سفن الأعداء إبان حكم قسطنطين. كما استخدمها الإغريق البيزنطيون في العصور الوسطى.

□ □ □

ج ٥: الخَيْدَعُ، والخَيْطَلُ، اسمان للسِّنَّوْر. ذكر الدميري في حياة الحيوان: أن أعرابيًا صاد سنّورًا ولم يكن يعرفه، فلقيه رجل فقال له: ما هذا السِّنَّوْرُ؟ ولقيه آخر فقال: ما هذا القِطُّ؟ ثم لقيه آخر فقال: ما هذا الهِرُّ؟ ثم لقيه آخر فقال: ما هذا الضَّيْوَنُ؟ ثم لقيه آخر فقال: ما هذا الخَيْدَعُ؟ ثم لقيه آخر فقال: ما هذا الخَيْطَلُ؟ ثم لقيه آخر فقال: ما هذا الدَّمُّ، فقال الأعرابي في نفسه: أحمله وأبيعه فيجعل الله لي فيه مالاً كثيرًا. فلما أتى السوق قيل له: بكم هذا؟ قال: بمائتي درهم، فقيل له: إنه يساوي نصف درهم، فرمى به قائلاً: ما أكثر أسماءه وأقلّ ثمنه.

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء:

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً).

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض. قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ ـ شروط المسابقة:

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة. وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص. ب. ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة

● نتائج مسابقة العدد (٢٠٤) ●

أ ـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، صلاح محمد أبو حمود، المحلة الكبرى ـ مصر.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، الزهور عزالدين صالح، ودمدني ـ السودان.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، جمال جيدل، المسيلة ـ الجزائر.

□ □ □

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١ ـ فرح عبد الإله النبهان، حمص ـ سورية.

٢ ـ محمد عودة الرحيلي، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية.

٣ ـ عائشة بنت مولاي علي العلوي اللامراني، الدار البيضاء ـ المغرب.

٤ ـ سمية محمد جواد حافظ جبر، الزرقاء ـ الأردن.

٥ ـ إيناس السيد بدير علي، الدقهلية ـ مصر.

□ □ □

ج ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١ ـ دعاء بهاء الدين سليم عايش، صنعاء ـ اليمن.

٢ ـ نسرين محمد فتحي الحريري، دبي ـ الإمارات العربية المتحدة.

٣ ـ فاطمة عفاس، طنجة ـ المغرب.

٤ ـ غسان أحمد جنكي، نجران ـ المملكة العربية السعودية.

٥ ـ عبد الله بريكي، المسيلة ـ الجزائر.

٦ ـ محمد أحمد العثمان، حلب ـ سورية.

٧ ـ عبدا لحليم أحمد عوض حسان، إربد ـ الأردن.

٨ ـ عزيزة عمربطران، ودمدني ـ السودان.

٩ ـ سباعي بن عمر هشام، الدار البيضاء ـ المغرب.

١٠ ـ عكاشة آدم أحمد أبو هريرة، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية.

□ □ □

د ـ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من:

١ ـ أحمد محمد شوقي عامر، الشرقية ـ مصر.

٢ ـ بشار عبد الله قباني، الكويت ـ الكويت.

٣ ـ عصام حميد شمسان، الحديدة ـ اليمن.

٤ ـ فاطمة أحمد كوسا، حلب ـ سورية.

٥ ـ عبد الرحمن سالم صالح الحمري، الباحة ـ المملكة العربية السعودية.

أسئلة مسابقة العدد (٢٠٧)

● السؤال الأول:

قال تعالى ﴿**الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**﴾ البقرة ٢٢٩. كيف كان طلاق الناس في الجاهلية قبل الإسلام؟

□ □ □

● السؤال الثاني:

شرع الإسلام الجهاد لمدافعة الكفار، ولإعلاء كلمة الله وتمكين لهدايته في الأرض. والمجاهد في سبيل الله من خير الناس. اذكر حديثًا شريفًا في فضل المجاهد.

□ □ □

● السؤال الثالث:

كانت الخيل ـ وما تزال في مناطق عديدة من العالم ـ حيوانات برية، استأنستها أمم وشعوب منذ فجر التاريخ إلى اليوم. من أول من استأنس الخيل في العرب؟

□ □ □

● السؤال الرابع:

أديب ومؤرخ، ولد بفلسطين، وتوفي بدمشق. من أشهر مؤلفاته: «الوافي بالوفيات»، و«نكت الهميان في نكت العميان». فمن هو؟

□ □ □

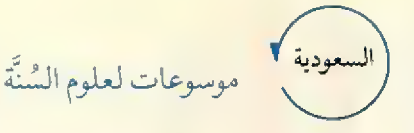
● السؤال الخامس:

الأكسجين والنيتروجين، عنصران من العناصر اللازمة لحياة الكائنات فوق الأرض؛ لكن أحدهما أكثر أهمية لنمو أجساد الحيوانات من الآخر. فما هو؟

□ □ □

الحركة الثقافية في شهر

- ☐ معرض القاهرة للكتاب: ١٧,٥ مليون عنوان.
- ☐ مؤتمران للتعريب في الكويت والخرطوم.
- ☐ توصيات مهمة لوزراء الثقافة العرب.
- ☐ مذكرات طفلة بوسنية تشغل الفرنسيين.
- ☐ مجلة اقتصادية عربية جديدة.



السعودية

موسوعات لعلوم السُنَّة

يعتزم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالتعاون مع مركز السنة والسيرة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة إصدار موسوعات لعلوم السنة.



د. عبدالله التركي

ذكر ذلك وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد د. **عبد الله بن عبد المحسن التركي** في تصريحات صحافية بمناسبة افتتاح المسابقة الدولية للقرآن الكريم وتفسيره وتجويده التي نظمتها الوزارة في منتصف شهر شعبان المنصرم في مكة المكرمة.

تعد هذه الخطوة نقلة نوعية لأعمال المجمع واهتماماته التي كانت تختص من قبل بالعناية بالقرآن الكريم. وقد أوضح د. **التركي** أن اهتمام الدولة في هذا المجال لم يقتصر على القرآن الكريم فحسب، بل شمل كذلك السنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني للتشريع.

مجلة «الحج» بدلا من «التضامن الإسلامي»



قرر وزير الحج د. **محمود محمد سفر** تغيير اسم مجلة **«التضامن الإسلامي»** الصادرة عن الوزارة، لتعود إلى اسمها السابق مجلة **«الحج»**، ليناسب تخصص الوزارة.

كانت المجلة قد تأسست عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) بتوجيه من **الملك عبد العزيز آل سعود** ـ رحمه الله ـ تحت مسمى «الحج»، وأُتبعت في أول عهدها بوزارة المالية، ثم نُقلت تبعيتها إلى وزارة الحج والأوقاف بعد إنشائها.

وظلت المجلة تابعة لوزارة الحج بعد تخصيص وزارة مستقلة لقطاع الحج، وإلحاق قطاع الأوقاف بوزارة جديدة أُحدثت في الصيف الماضي هي وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

ويذكر أن أقلامًا في الصحافة السعودية دعت في الآونة الأخيرة إلى إعادة تسمية المجلة باسمها القديم، وتغيير مجالات اهتمامها بحيث تكون مجلة متخصصة في نشر الدراسات والبحوث والموضوعات المتعلقة بالحج.

متحف بوزارة الداخلية

صدرت موافقة صاحب السمو الملكي **الأمير نايف بن عبد العزيز** وزير الداخلية على إنشاء متحف بمقر الوزارة الجديد في الرياض يوضح التطورات التي شهدتها قطاعاتها المختلفة.

يُنتظر أن يضم المتحف المكاتبات القديمة وأوامر إحداث الإدارات التي تعود إلى عهد مؤسس المملكة **الملك عبد العزيز آل سعود** ـ رحمه الله ـ وتعليمات مجلس الوكلاء، وغيرها، إضافة إلى الإصدارات القديمة مثل بطاقة الهوية وجواز السفر، وتذاكر الخروج ورخص السير والقيادة، والزي العسكري وأجهزة الإشارة، والأسلحة القديمة، وما إلى ذلك.

جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج

بدأ مكتب التربية العربي لدول الخليج في تلقي الترشيحات لجائزته لعام ١٤١٤ ـ ١٤١٥ هـ في مجالات: **التربية، اللغة العربية والدراسات الإسلامية، العلوم الاجتماعية والإنسانية، العلوم والتقنية.**

يشترط للتقدم للجائزة أن يكون المرشح من أبناء الدول الأعضاء في المكتب، ويفضل الأعمال ذات العلاقة بمنطقة الخليج، وأن يكون الإنتاج تحقيقا علميًا مكتوبًا باللغة العربية الفصحى، ومنشورًا أو مقبولاً للنشر بتأييد من جهة علمية، ويمكن قبول الأعمال غير المنشورة إذا حظيت بتزكية من مؤسسة أو هيئة علمية متخصصة، كما تقبل الأعمال المترجمة المتميزة، ويجب أن لا يكون المرشح قد نال جائزة عن إنتاجه المقدم.

تحددت نهاية شهر صفر المقبل ١٤١٥ هـ

موعدًا نهائيًا لاستقبال طلبات الترشيح .

حيـــوان متحجـــر من عصر ما قبل التاريخ

اكتشفت مجموعة من طلاب جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بـالظهران بقايا أحـد أنواع الخيل متحجرة قرب جبل شدقم في منطقة الهفوف .

البقايا المكتشفة عبـارة عن عظام فك وبعض الأسنان وبعض قطع العظام المحجوزة في ترسبات الطين، التي أظهـرت أن المنطقـة الشرقيـة كـانت مغمورة بشكل جزئي تحت سطـح البحر قبل نحو عشرين مليون عام، ويبدو أن السيـول قد جـرفت الحيوان المتحجر ودفنت بقاياه في طبقة سميكة من الطين حين انحسرت المياه .

معارض تشكيلية

شهد شهـر رجب المنصرم افتتاح ثلاثةمعارض فنية تشكيلية في مدينتي الرياض وجدة .

ففي الـرياض افتتح صـاحب السمـو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبـد العزيز نائب الرئيس العـام لرعـايـة الشباب في الثـالث عشر من شهـر رجب في صـالة قصر طـويق بـاحي الـدبلومـاسي معرض فناني وفنانات المدينة المنورة .

ضم المعرض ستين لوحة تمثل نماذج مختلفة من الفن التشكيلي مـا بين تصـويـر ورسم، معظمهـا مستوحى من التراث، قدمها الفنانون فؤاد مغربل، محمد صيام، صالح خطاب، نبيل نجدي، مريم مشيّخ، إبراهيم عبده، وإحسان برهان .

كما افتتح سمـوه يـوم ٢١ من الشهـر نفسـه معـرض المقتنيات الثـالث عشر للفنون التشكيليـة الذي نظمته الرئاسة العامـة لرعاية الشباب وشارك فيه ٥٥ فنانًا وفنانة قدموا مائة عمل تشكيلي ما بين تصـويـر ورسم وأعمال تطبيقيـة، ووزعت خمس جـوائز تشجيعيـة قيمـة كل منهـا ألفـا ريـال على الفنانين : عبد الله الشيخ، زمان محمد جاسم، عبد الله نـواوي، محمـد عبـد الكريم، عبـد العـزيـز الرويضان .

وفي جدة واصل معرض فنـاني وفنانات المدينة المنورة جـولته، حيث افتتحـه في الثامن والعشرين من الشهر نفسه بالمركز السعودي للفنون أمين مدينة جدة د . خالد عبد الغني .

المعرض الشخصي الأول للخطـــاط الميمـــون


الأمير سلطان بن فهد

افتتح صـــاحب السمـــو الملكي الأمير سلطـان بن فهـد بن عبد العزيز نائب الرئيس العام لرعاية الشباب في الخامس من شهـر شعبـان الماضي ١٤١٤ هـــ المعرض الشخصي الأول للخطاط ناصر الميمون .

ضم المعرض مائة لوحة تمثل أنواع الخط العربي المختلفة، منها ثمانون لوحة للميمون، والعشرون الباقية لعدد من كبار الخطاطين .

كما ضم المعـــرض أربع لـوحـات عبـارة عن إجازات أو شهادات حصـل عليها الفنـان الميمون من أربعـة خطــاطين كبـار هم : سيد إبـراهيم (مصري)، وكامل البابا (لبناني) يـرحمهما الله وعبد الله رضا (سعودي) وحسن جلبي (تركي) .

معجم للألفاظ العربية المستخدمة في الأوردية

تعد عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلاميـة لإصدار معجم عن «الألفاظ العربية المستخدمة في اللغة الأوردية» .

يتضمن المعجم نحـو عشرة آلاف لفظ، دون التراكيب التي يعـد لأن يكـون لها معجم آخـر، ويحتوي على مقدمة تعطي فكـرة عن اللغة الأوردية وقواعدها وطريقة البحث في المعجم .

الفائزون في مسابقة نادي المدينة الأدبي

أعلنـت ـ مـؤخرًا ـ أسماء الفائزيـن في مسابقة نادي المدينة المنورة الأدبي لعام ١٤١٣ هـ في مجالات الشعر والقصة القصيرة والبحوث .

وأشار رئيس النادي محمد هاشم رشيد إلى أن المســابقــة شهــدت إقبــالاً من داخل المملكــة وخارجهــا، موضحــا أن الكثير من المتســـابقين والمتســابقــات في كثير مـن الأقطــار أشــاروا في مشاركاتهم إلى أنهم علموا بالمسابقة عن طريق مجلة «الفيصل» .

جـاء في المراكـز الخمسـة الأولى على التـوالي في مسابقة الشعـر كل من : أحمد عبد الحميـد محمد فراج بقصيدتـه «الأميرة ما زالـت في القيد»، ويس قطب الفيل بقصيدته «أنين الحنايا»، ومحمد عزت عبـــد الحافظ الطيري بقصيدتـه «أحزان الفـارس الملثم»، ومحمد عامر عبد الحميد مظاهري بقصيدته «إذا غاب الرجال»، وأسامة ابن الحسين بقصيدته «أضحوكة الدهر» .

في مجال القصـة حل في المراكز الخمسـة الأولى على التوالي كل من : ياسمينة صالح بقصتها «أنت وذلك الذي تـاه منك»، وحسن عبـد الله محمد آل غزوي بقصته «شك»، ولولوة محمد يحيى الوصابي بقصتهـا «لا شمس في حيـاتي»، وحسن عبد الله محمد آل غزوي بقصته «مصرع أمومة»، ومحمد عامر عبد الحميد مظاهري بقصته «الدخلة» .

وأسفـرت مسـابقـة البحث الأدبي عن فـوز النقيب أحمد بـن علي العسيري عن بحثه «الأستاذ محمد حسين زيـدان وإسهاماتـه الأدبية»، في حين لم يتقدم أحد لمسابقة البحث التاريخي .

الامارات ◄ معرض دولي للكتاب

تحدد يوم التـاسع من شهر شـوال المقبـل (٢١ مارس ١٩٩٤ م) موعدًا لافتتاح معرض «أبو ظبي» الدولي الرابع للكتاب .

قـامت اللجنـة المنظمـة للمعرض في الآونـة الأخيرة بتكثيـف اتصـــالاتها مـع دور النشر والمؤسسات العلمية داخـل الوطـن العربي وخارجه من أجل تحقيق أكبر قدر من المشـاركة مع مستوى رفيع من الدقة والتنظيم .

النشـاط الثقـافـي خلال عام ١٩٩٢ م

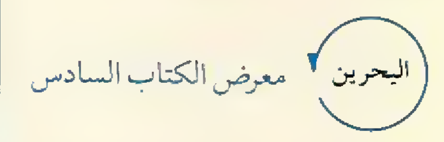
شهدت دولة الإمارات العـربية المتحدة خلال



عام ١٩٩٢ م نحو ١٠٦٩ نشاطًا ثقافيًا متنوعا.

جاءت الاحصائية في كتاب بعنوان «النشاط الثقافي في دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٩٢ م» صدر مؤخرًا عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

وأوضح الكتاب أن هذا الرقم شمل ٢٣١ ندوة و٤٤٠ محاضرة، و٧٧ أمسية شعرية، و٢٠١ معرض، و١٤٧ نشاطًا متفرقًا.



البحرين: معرض الكتاب السادس

يقام في الثاني والعشرين من شهر شوال ١٤١٤ هـ المقبل (٣ أبريل ١٩٩٤ م) **معرض البحرين الدولي السادس للكتاب.**

قامت اللجنة المنظمة للمعرض بتوجيه دعوات المشاركة لكبريات دور النشر في الوطن العربي والعالم، كما كلفت شركة «سيتي نيون» العالمية المتخصصة في تنظيم المعارض بمهمة ترتيب أجنحة المعرض وتنظيمها.

سلطنة عمان: وفاة السيابي

فقدت السلطنة أحد أبرز أعلامها الثقافية والفكرية بوفاة الفقيه والمؤرخ والشاعر **الشيخ سالم ابن حمود السيابي** عن عمر يناهز ٨٦ عامًا.

وُلد السيابي عام ١٩٠٨ م، وأمضى جل حياته في التبحر في العلم والأدب والتاريخ، مما أهّله لأن يكون أحد أعلام السلطنة في هذه المجالات.

وللفقيد أكثر من خمسين مؤلفًا منها: **«إرشاد الأنام في الأديان والأحكام»، «العقود المفصلة في المسائل المؤصلة»، «هدى الفاروق»، «العنوان في تاريخ أهل عمان»، و«كتاب السلوك»**، وغيرها.

معرض تشكيلي ـ آثاري

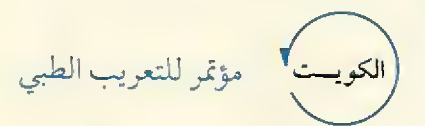
أقيم في محافظة ظفار ـ مؤخرًا ـ معرض فني آثاري، ضم لوحات تشكيلية ومقتنيات أثرية.

شارك في المعرض **أحد عشر فنانًا** بأكثر من **مائتي لوحة**، كما حوى عددًا كبيرًا من التحف والعملات القديمة والمقتنيات الأثرية.

معرض للوحات الأميرة وجدان

أقامت الفنانة التشكيلية الأردنية **الأميرة وجدان بنت علي** في نهاية شهر رجب الماضي معرضًا للوحاتها في مسقط تحت عنوان **«عُمانيات»**.

ضم المعرض **٣٩ لوحة** مستوحاة من الطبيعة العمانية وعمارتها، وتبدي فيها ـ بوضوح ـ استلهام الفنانة معطيات الخط العربي وطاقاته الجمالية والتشكيلية.



قطر: كتب جديدة

○ **الموّال في قطر: بحث في سيرة الموّال وأربابه**، تأليف **علي شبيب المناعي**، صدر عن دار الموسوعة القطرية في الدوحة.

○ **في الغزو الفكري**، تأليف **د. أحمد عبد الرحيم السايح** صدر ضمن سلسلة «كتاب الأمة» عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الكويت: مؤتمر للتعريب الطبي

يعتزم المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية تبني مشروع المؤتمر السنوي للتعريب الطبي المقرر عقده في الكويت.

وقال الأمين العام المساعد للمركز **د. يعقوب الشرّاح**: إن نتائج المؤتمر سوف تشكل سياسات محددة تعرض على مجلس أمناء المركز لبحث إمكان تنفيذها.

وأضاف أن باكورة أعمال المركز هو مشروع

الفنان التشكيلي الإماراتي عبد الرحيم سالم:

الساحة الفنية خالية من الناقد المتخصص



عبد الرحيم سالم (إلى اليسار) خلال تكريمه، وبجواره إبراهيم الهاشمي أمين سر الاتحاد.

قام اتحاد كتاب وأدباء الإمارات في مقره الرئيسي بالشارقة بتكريم **الفنان التشكيلي الإماراتي عبد الرحيم سالم**، بمناسبة فوزه بالجائزة الفضية في بينالي دكا في بنجلاديش الذي شاركت فيه أكثر من ثلاثين دولة آسيوية عبر ستمائة عمل فني، وعرض الفنان خلال حفل التكريم مجموعة من لوحاته في إطار معرض مصغر.

وقال **عبد الرحيم سالم**: ـ بعد كلمة الاتحاد التي ألقاها أمينه العام إبراهيم الهاشمي وتلقيه هدية من عبد الحميد أحمد رئيس مجلس إدارة الاتحاد وأخرى من الفنانين التشكيليين ـ إنه بدأ رحلة الفن بعد تخرجه في قسم النحت بكلية الفنون الجميلة بجامعة القاهرة، وانتقل من النحت

البرامج الآلية للتعليم الطبي، وهي تقنية جديدة في مجال المعلومات والتعليم الصحي والطبي، ويتم البرنامج الأول منها بالتعاون مع جامعة جورج واشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية.

مركز لثقافة الطفل

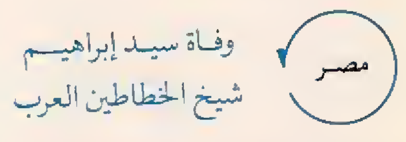
يعتزم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إنشاء **مركز ثقافي يعنى بثقافة الطفل وصقل مواهبه الفنية وتطويرها.**

ينتظر أن يتكون المركز من أربع صالات، صالتان منها لأغراض الرسم الحر والحِرَف اليدوية، والثالثة لعرض الرسوم، والرابعة لإقامة الندوات الثقافية.

بانوراما الفن التشكيلي

افتتح وزير الإعلام ورئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الشيخ **سعود ناصر الصباح**، في القاعة الجديدة لصالة بوشهري معرض «**بانوراما الفن التشكيلي المعاصر**».

شارك في المعرض ٤٧ فنانًا وفنانة من أجيال مختلفة ومدارس تشكيلية متنوعة.



وفاة سيد إبراهيم شيخ الخطاطين العرب

فقد الخط العربي واحدًا من أبرز رواده المعاصرين بوفاة **شيخ الخطاطين العرب وعميدهم سيد إبراهيم** في الثامن والعشرين من شهر رجب الماضي عن عمر يناهز ٩٨ عامًا.

ولد الفقيد عام ١٨٩٦ م، وعشق الخط العربي منذ أن وعى الكتابة، وقاده هذا العشق للالتحاق بكلية دار العلوم، وفيها تخرج ليعمل عام ١٩١٩ م مدرسًا للخط في المدارس المصرية، ثم أستاذًا في مدرسة تحسين الخطوط، وكلية دار العلوم، والجامعة الأمريكية في القاهرة، ومعهد المخطوطات العربية، إلى جانب عضويته في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ومشاركاته في لجان تطوير تدريس الخط على مستوى العالم العربي.

تربى على يدي الراحل أجيال من الخطاطين من مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي، ما يزال الكثير منهم يفخر بأنه حاصل على «**إجازة من سيد إبراهيم**»، ويعتبر هذه الإجازة أكبر من الدرجات العلمية.

لقد ترك **سيد إبراهيم** بصماته واضحة على مسيرة الخط العربي، ولن ينسى له تصديه بشدة لمحاولة تغيير الحروف العربية خلال مشاركته في لجنة تيسير الكتابة العربية التابعة **لمجمع فؤاد الأول** عام ١٩٤٧ م.

ومما قد لا يعرفه معظم الناس عن الراحل أنه كان شاعرًا مجيدًا، وكان أحد مؤسسي **جماعة أبوللو** التي ترأسها في أول عهدها **أحمد شوقي**. ونشرت مجلتها أشعارًا رشيقة رصينة **لسيد إبراهيم**، منها:

كَلِفَتْ نفسي بالفن ... وكم للفن سحرُ
قد أضاع العمر في ... ريعانه خط وشعرُ
كلما سطرت سطرًا ... ضاع من عمري سطرُ

ترك الفقيد إلى جانب قصائده التي لم يضمها ديوان، مجموعة من **المقالات الأدبية** نشرت في مجلات ثقافية عدة، تنم عن معرفة عميقة، وذوق أدبي رفيع. كما خلّف تراثًا مطبوعًا في مجال الخط العربي يندر أن يتكرر مثله، منه: «**خط النسخ**»، «**خط الرقعة**»، «**فن الخط العربي**» وهو كتاب تخصصي للخطاطين طبع نحو ست مرات، «**روائع الخط العربي**» وهو كتاب لهواة الخطوط طبع في الولايات المتحدة الأمريكية بإشراف الأستاذين **محمد علي حافظ وطلال خالد حافظ**.

وقبيل وفاته كان قد أعد موسوعة بعنوان «**نماذج من الخط العربي**» لكنه لم ينشرها.

تكريم «أبو العلا»

أقامت **رابطة الأدب الحديث وجماعة أبوللو الجديدة** في التاسع من شهر شعبان الماضي حفلاً تكريميًا للشاعر السعودي «**علي أبو العلا**».

شارك في الحفل بكلمات وقصائد مجموعة من أدباء مصر ونقادها، منهم رئيس الرابطة د. **محمد عبد المنعم خفاجي**، ورئيس جماعة أبوللو الجديدة د. **عبد العزيز شرف**، إلى جانب أدباء سعوديين.

إلى مراحل مختلفة من الأعمال الفنية، تأثر فيها بصفة خاصة بمؤثرات البيئة المحلية في الإمارات، وبالحكايات الشعبية، وببعض الشخوص التي عاشت في مجتمع الإمارات.

وألقى الضوء على أبعاد تجربته الفنية منذ الثمانينيات وصولا إلى فوزه في بينالي دكا، مشيرا إلى ظاهرة لها آثارها السلبية على الساحة الفنية في الإمارات؛ **هي خلوها من الناقد التشكيلي المتخصص الذي يمكن أن يثري بحواراته وطروحاته التجربة الفنية المحلية**، إلا أنه أكد أن الساحة الفنية استعاضت كبديل عن هذا النقص بالحوارات المعمقة بين التشكيليين أنفسهم التي ساعدت على تطوير الحركة التشكيلية في الإمارات.

وتطرق إلى جهود فناني الإمارات في الإسهام في المعارض المحلية والإقليمية والعالمية، مشيراً إلى حصوله على جائزة السعفة الذهبية في البحرين، وجائزة لجنة التحكيم في القاهرة وجوائز أخرى عديدة كان آخرها في بينالي الشارقة وبينالي دكا.

وأكد عبد الرحيم سالم في ختام مداخلته على ضرورة إنشاء مجلس أعلى للثقافة والفنون في الإمارات، يأخذ على عاتقه الاهتمام بالفنون والآداب، ويعمل على تطويرهما ونقل الإبداع المحلي إلى خارج الدولة وإلقاء الضوء عليه عبر القنوات المناسبة، مع الاهتمام بالفنانين والكتّاب والأدباء ورعايتهم بما يليق ومكانتهم ومنجزاتهم، معتبراً أن عدم إنشاء هذا المجلس سيؤخر الساحة الثقافية والفنية ويؤثر فيها سلباً.

أعقب انتهاء المداخلة حوار بين المحتفى به والحاضرين من أدباء وفنانين وإعلاميين ومثقفين ومهتمين، تناول العديد من الموضوعات المتعلقة بالفن والأدب، وخاصة دعوته إلى إنشاء مجلس أعلى للفنون والآداب.



حصر مخطوطات مكتبة الإسكندرية

بدأت لجنة تضم خبراء آثاريين وثقافيين - مؤخرًا - في **تصوير الوثائق والمخطوطات النادرة لمكتبة الإسكندرية القديمة وحصرها**، وتسجيل تاريخ المكتبة وما كانت تضمه من كتب ومخطوطات في مختلف العلوم، انتقل بعضها لمكتبات فرنسا وإسبانيا واليونان والنمسا.

تستغرق هذه المهمة عامين، بحيث تنتهي قبيل افتتاح المكتبة الجديدة في أوائل شهر أكتوبر ١٩٩٦ م.

مئوية بيرم التونسي

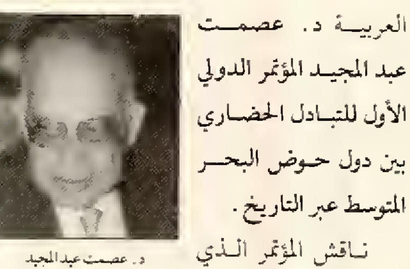
احتفلت دار الأوبرا المصرية — مؤخرًا - بمشاركة مجموعة من المفكرين والأدباء والنقاد والفنانين بالذكرى المئوية لمولد شاعر العامية **بيرم التونسي**.

ويذكر أن بيرم وُلد عام ١٨٩٣ م وتوفي عام ١٩٦١ م.

(طالع في هذا العدد مقالة عن بيرم ص ٤٦).

مؤتمر التبادل الحضاري بين دول البحر المتوسط

نظمت كلية الآداب بجامعة الإسكندرية خلال الفترة من ٤ ـ ٨ شعبان الماضي (١٥ ـ ١٩ يناير ١٩٩٤ م) برعاية الأمين العام لجامعة الدول العربية د. **عصمت عبد المجيد المؤتمر الدولي الأول للتبادل الحضاري بين دول حوض البحر المتوسط عبر التاريخ**.

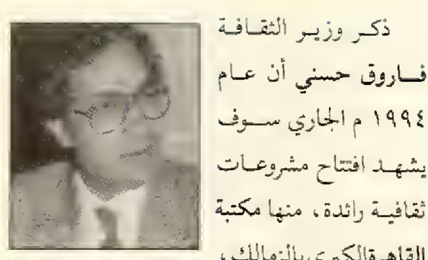


د. عصمت عبد المجيد

ناقش المؤتمر الذي شارك فيه ممثلون لبلدان عربية وأوروبية عدة موضوعات، منها: التبادل الحضاري بين دول البحر المتوسط، وتأثر الحضارة الأوروبية بحضارة المشرق الإسلامي، وإشكالية الثقافة، وغير ذلك من الموضوعات.

مكتبات ومتاحف جديدة

ذكر وزير الثقافة **فاروق حسني** أن عام ١٩٩٤ م الجاري سوف يشهد افتتاح مشروعات ثقافية رائدة، منها **مكتبة القاهرة** الكبرى بالزمالك، ومكتبة **الجيزة** العامة، إضافة إلى **عشر مكتبات للشباب والأطفال**، والبدء في تنفيذ مشروع **المتحف المصري الكبير** بمساحة ١١٨ فدانًا ليصبح واحدًا من أكبر متاحف العالم، وافتتاح **متحف الخزف الإسلامي ومتحف محمد محمود خليل**، وإعادة افتتاح **متحف أحمد شوقي** (كرمة ابن هانئ)، و**متحف بيت الأمة**، و**متحف محمود سعيد** بالإسكندرية.



فاروق حسني

موسوعة مصورة

أصدرت الجامعة الأمريكية في القاهرة **موسوعة مصورة باللغة الإنجليزية عن فنون مصر ومعالمها** التاريخية.

يوسف القعيد:

الرواية المصرية تجتاز الآن مرحلة الازدهار الحزين

دبي - مراسل «الفيصل»:

قال الروائي المصري يوسف القعيد: إن الرواية المصرية تعيش ما يمكن وصفه بالازدهار الحزين، إذ أصبحت الرواية ديوان العرب في إطار الازدهار الكبير الذي تشهده الآن، إلا أن هذا الازدهار يعاني من بؤس حقيقي.

جاء ذلك في محاضرة ألقاها القعيد مؤخراً في ندوة الثقافة والعلوم في دبي بدولة الإمارات تحت عنوان «واقع الرواية المصرية: ماضيها وحاضرها ورؤية تحليلية لتطورها» ورسم فيها بانوراما لتطور فن الرواية في مصر، مشيراً إلى ثلاث مراحل، في إطار هذا التطور:

□ **مرحلة التأسيس**: وتبدأ من رواية «علم الدين» لعلي باشا مبارك، التي تنتمي إلى القرن الماضي، وهي تنهي ما كان سائداً حول ريادة الدكتور هيكل لفن الرواية بعمله الشهير «زينب»، وتستمر هذه المرحلة حتى صدور «عودة الروح» لتوفيق الحكيم.

□ **مرحلة التأصيل**، حيث قام نجيب محفوظ وجيله، منذ أواخر الثلاثينيات وحتى أواخر السبعينيات، بالتعبير عن هذه المرحلة، فتحولت الرواية إلى عمل أكثر فنية، وإلى جنس أدبي راسخ الأركان.

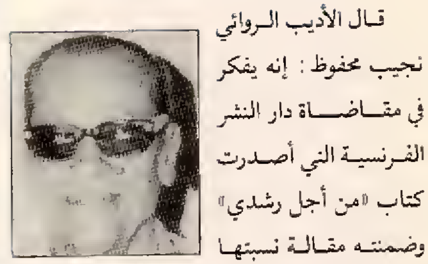
□ **مرحلة المغامرة والخروج على الكتابة التقليدية المستقرة**، وهي المرحلة التي يحمل ثقلها الجيل الحالي، الذي يمضي في عدة اتجاهات، منها ما هو تراثي، ومنها ما يحاول استلهام التراث الشعبي، ومنها الاتجاه الواقعي بمختلف تنويعاته، بالإضافة إلى التيار الحداثي القائم على التجريب المستمر.

وتطرق **يوسف القعيد إلى بعض التيارات التي تراوحت بين مرحلة وأخرى، وإلى الكتابة النسائية**، معلناً رفضه تعبير «الأدب النسائي».

وبعد **إيضاح أبعاد الازدهار**، تحدث المحاضر عن «**الملامح الحزينة في هذا الازدهار**»، مشيراً إلى علامات التراجع التالية:

أعد الموسوعة البرفسور نويبي بالتعاون مع المصور **ألفريد مارون**، وتضمنت معلومات شاملة عن آثار مصر وملوكها، وسمات المصريين وتميزهم من الشعوب الأخرى، مذكّرا بوصف المؤرخ هيرودوت للمصريين بأنهم أكثر الشعوب صحة وقوة.

محفوظ يفكر بمقاضاة ناشر «من أجل رشدي»



نجيب محفوظ

قال الأديب الروائي **نجيب محفوظ: إنه يفكر في مقاضاة دار النشر الفرنسية التي أصدرت كتاب «من أجل رشدي» وضمنته مقالة نسبتها إليه.**

أوضح **محفوظ** في تصريح لصحيفة **«أخبار الأدب»** المصرية الأسبوعية أنه لم يكتب المقالة المنسوبة إليه، وأن دار النشر الفرنسية كانت قد اتصلت به أكثر من مرة كي يشارك في الكتاب، لكنه اعتذر بأن ليس لديه ما يضيفه؛ لأنه ذكر رأيه عن **سلمان رشدي** في أكثر من مقابلة وتصريح صحفي.

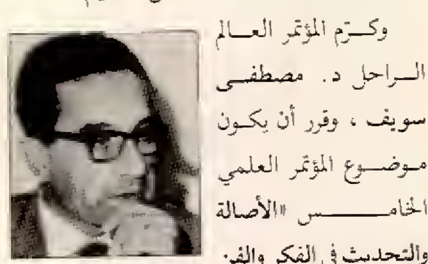
وأضاف **نجيب محفوظ** أنه فوجئ بعد أسبوعين من آخر اتصال للدار به بالكتاب منشورا وبه المقالة منسوبةً إليه زورا، حيث **عمدت الدار إلى تجميع ما صرح به ونشره في شكل مقالة.**

وأشار إلى أنه في تصريحاته قد أكد على ضرورة **التفريق بين حرية الرأي والتجديف.**

المستقبليات وعلاقتها بالآداب والفنون الإنسانية

اختتم المؤتمر العلمي الرابع بكلية الآداب في جامعة المنيا أعماله في منتصف شهر رجب الماضي ١٤١٤ هـ بعد اجتماعات استمرت أربعة أيام برئاسة د. **مصري حنورة** عميد الكلية.

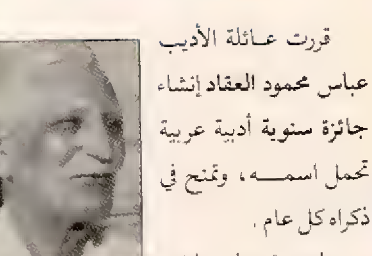
عقد المؤتمر تحت عنوان **«المستقبليات في علاقتها بالآداب والفنون والعلوم الإنسانية»**، وأصدر عدة توصيات من أهمها ضرورة الاهتمام بأدب الخيال العلمي وتنميته، والعمل على توفير نظام يكفل الريادة العلمية لجيل الشباب من الباحثين، والاهتمام بعلوم المستقبل وتدريسها، والتخطيط والبرمجة الزمنية لمستقبل التعليم.



د. مصطفى سويف

وكرّم المؤتمر العالم الراحل د. **مصطفى سويف**، وقرر أن يكون موضوع المؤتمر العلمي الخامس **«الأصالة والتحديث في الفكر والفن والحياة»**.

بيع مقتنيات العقاد لتمويل جائزة باسمه



عباس محمود العقاد

قررت عائلة الأديب **عباس محمود العقاد** إنشاء **جائزة سنوية** أدبية عربية تحمل اسمه، وتمنح في ذكراه كل عام.

ولتمويل هذه الجائزة تعتزم العائلة طرح بعض مقتنيات العقاد الخاصة في مزاد علني يدعى إليه المفكرون والأدباء ورجال الأعمال، وتوضع حصيلته في أحد المصارف ليتم الصرف على الجائزة من ريعها.





الناص يوسف القعيد أثناء إلقاء محاضرته في ندوة الثقافة والعلوم بدبي

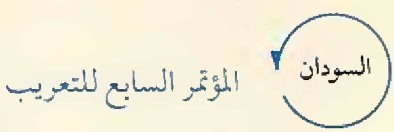
- غياب المتابعة النقدية.
- الحركة الروائية في مصر لم تفرز نقاداً للرواية.
- خطورة الاقتراب الروائي مما أسماه بثالوث المحرمات.
- ظاهرة محاولة لفت نظر الغرب بأي شكل.

وأعرب المحاضر عن اعتقاده بأن فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل في الأدب بقدر ما كان من علامات الازدهار يمكن أن يكون أيضا أحد الملامح الحزينة؛ لأنها أعادت الكتابة التقليدية المستقرة إلى الحاضر، كما أن هذه الجائزة أتت من الغرب وباتت الروايات الجديدة تركز على ما يرغبه الغرب.

وشدّد **القعيد** في محاضرته على أن **أخطر المشكلات هي انعدام التأثير من جانب الأديب الروائي في المجتمع**، وقال: إن ذلك ربما كان نتيجة لكل ما سبق من العناصر السلبية، ولكن لابد من الاعتراف بأن الرواية غير مؤثرة في الواقع الراهن في مصر أو العالم العربي، وأكد أن الهدف من المشروع الروائي هو دفع الناس إلى تغيير الواقع الذي يعيشون فيه إلى الأفضل.

عقب انتهاء المناقشة دار الحوار بين المحاضر والجمهور حول العديد من النقاط، ومنها تجربة كتابته لرواية بكاملها باللهجة العامية، وقضية ترجمة الأدب العربي إلى لغات الغرب، ومصداقية الأحكام الغربية على الأدب العربي.





المؤتمر السابع للتعريب

استضافت الخرطوم في الرابع عشر من شهر شعبان الماضي «**المؤتمر السابع للتعريب**».

نظمت المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حيث ناقش المؤتمرون ثلاثة بحوث تتعلق بقضايا التعريب واللغة العربية وتوحيد المصطلحات العلمية، فضلاً عن إقرار مشروعات **المعاجم الأربعة المعروضة وهي: معجم علوم الزلازل، معجم علوم الطاقات المتجددة، معجم علوم البيئة، معجم علوم السياحة.**

الأردن

مخطوطات تاريخية

اكتشفت في موقع الآثار البيزنطية في البتراء **خمسون لفافة بردي من المخطوطات القديمة.**

وأوضح وزير السياحة والآثار محمد عفاش العدوان أن هذه المخطوطات تضاهي في أهميتها مخطوطات البحر الميت، وتعد الأولى من نوعها التي يعثر عليها في البتراء، وينتظر أن تسهم في إلقاء مزيد من الضوء على تاريخ العرب الأنباط في الفترات المتأخرة وكذلك أضواء جديدة على تاريخ المنطقة.

الفائزون بجوائز الدولة

أعلنت ـ مؤخراً ـ أسماء الفائزين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية لعام ١٩٩٣م.

فاز بالجوائز النقدية كل من: د. **إبراهيم عبد الرحيم السعانين** (الآداب)، د. **كامل حامد السعيد** (العلوم الاجتماعية) ومنى السعودي، **وكرّام النمري** (الفنون).

وحصل على الجوائز التقديرية: **جمال أبو حمدان** (الآداب)، د. **سعد سليمان حجازي**، **إبراهيم محمود الخطيب** (العلوم الطبية الأساسية).

معرض القاهرة الدولي السادس والعشرون للكتاب:

١٧,٥ مليون عنوان ونشاطات ثقافية تناولت قضايا الساعة

القاهرة ـ مراسل «الفيصل»:

أقيم على أرض المعارض الدولية بضاحية مدينة نصر في القاهرة خلال الفترة من ١٦ ـ ٢٩ شعبان المنصرم (٢٧ يناير ـ ٩ فبراير ١٩٩٤م) معرض القاهرة الدولي السادس والعشرون للكتاب، بمشاركة ٢١٧٥ ناشراً من ٧٢ دولة عربية وأجنبية منها: المملكة العربية السعودية، الكويت، سورية، قطر، لبنان، الأردن، المغرب، البحرين، السودان، تونس، سلطنة عمان، فلسطين، الجزائر، الإمارات، ليبيا، اليمن، الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، إيطاليا، هولندا، اليونان، بولندا، سويسرا، الدانمارك، الصين، باكستان، كينيا، سنغافورة، كوبا، فرنسا، بلجيكا، إيرلندا، تركيا، رومانيا، السويد، اليابان، روسيا، كوريا، غانا، المكسيك، كندا، ألمانيا، أسبانيا، بلغاريا، قبرص، المجر، النرويج، نيوزيلندا، الهند، الفليبين، وأندونيسيا.

فضلاً عن المنظمات الآتية: جامعة الدول العربية، اليونسكو، منظمة الصحة العالمية، هيئة الأمم المتحدة، منظمة العفو الدولية، منظمة العمل الدولية.

سبق معرض هذا العام تخصيص ثلاثة أيام للناشرين لبحث كيفية النهوض بصناعة الكتاب في ظل المتغيرات الاقتصادية التي يمر بها العالم.

شاهد جمهور المعرض من المصريين والعرب الذين وفدوا خصيصا أحدث ما أصدرته المطابع العربية والأجنبية من كتب ومطبوعات في مختلف مجالات المعرفة، حيث بلغ عدد الكتب المعروضة ٥٢ مليون كتاب تضم ١٧,٥ مليون عنوان بلغات العالم المختلفة. ومن بين ٢٥ جناحاً ضمها المعرض خصصت (سراي) كاملة لعلوم المستقبل ومنحت جوائز لأفضل مؤلف وأفضل ناشر ورسام كتب وأفضل كتاب صدر خلال عام.

صباح يوم الخميس ١٦ شعبان ـ وهو يوم الافتتاح الرسمي كان المثقفون على موعد مع الرئيس حسني مبارك في لقائه السنوي بهم في يوم الثقافة الذي ارتبط بمعرض القاهرة للكتاب، وفيه أثاروا القضايا التي يودون معرفة آراء الرئيس مبارك فيها.

لقاءات وندوات

عقد المعرض تحت شعار «نحو شرق أوسط جديد»، وانعكس هذا على النشاطات الثقافية المصاحبة له، فنوقشت الآثار السياسية والاقتصادية والثقافية لتوقيع إعلان مبادئ اتفاقية غزة ـ أريحا، واشترك في هذه المناقشات أدباء من الأرض المحتلة، وعقدت ندوة عن «مسيرة التعليم منذ علي باشا مبارك وحتى الآن» اشترك فيها د. حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم ود. مفيد شهاب رئيس جامعة القاهرة، وخبراء التعليم في مصر، إضافة إلى ندوات حول الإصلاح الاقتصادي وعلاقة مصر بأفريقيا، وكذلك خصصت ندوة لمناقشة علاقتنا بالدول الآسيوية المعروفة بالنمور الخمسة وتجربة دول جنوب شرقي آسيا الاقتصادية.

وحُجبت الجائزة التقديرية في حقل العلوم، والجائزة التشجيعية في حقلي العلوم الاجتماعية والفنون.

لبنان

توصيات مهمة للنهوض بالثقافة العربية

دعا وزراء الثقافة العرب في ختام اجتماعات مؤتمرهم التاسع في بيروت في الأسبوع الأول من شهر شعبان الماضي إلى وضع **التشريعات الخاصة بحماية الملكية الفكرية والثقافية موضع التنفيذ**، وإصدار قوانين تجرّم المزورين وحرمان دور النشر التي تقدم على التزوير من المشاركة في المعارض العربية ومنع مطبوعاتها من التداول.

وأكد الوزراء في توصياتهم التي تمحورت حول وسائل دعم الثقافة والمثقفين والإنتاج الفكري على ضرورة **التكامل بين السياسات الثقافية وسياسات الإعلام والاتصال**، ودعوا **لإنشاء قناة تلفازية عربية** مشتركة يتم **تخصيصها للبرامج الثقافية**، بحيث تأخذ شكل شركة تسهم في رأسمالها الدول العربية والقطاع الخاص.

كما اتخذ المؤتمرون عدة توصيات أخرى شبه شاملة، كانت قد تقررت في الجلسات التمهيدية التي سبقت المؤتمر، وأدرجت تحت ثمانية عناوين رئيسة، من أهمها ضرورة تواصل التنمية الثقافية مع **التركيز على أهمية الترجمة** باعتبارها رافداً أساسيا في هذا المجال، ودعوة المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة إلى إعداد مشروع لإقامة **مركز قومي للترجمة** وعرضه على الدول الأعضاء لإبداء الرأي، وتوصيات أخرى.

المؤتمر الأول للثقافة الشعبية


ميشال أده

عقد ـ مؤخراً ـ في بيروت للمرة الأولى ولمدة ثلاثة أيام مؤتمر جديد من نوعه هو «**المؤتمر الأول للثقافة الشعبية**».

حمل المؤتمر شعار «الثقافة الشعبية من مقومات وحدة الشعب والوطن» ورعاه وزير الثقافة **ميشال أده**، وشارك في فعالياته كُتّاب ومثقفون وباحثون قدموا أبحاثاً متنوعة.

وخصصت لقاءات لرواد المعرض مع بعض المسؤولين والمفكرين، كان من بينهم: فاروق حسني وزير الثقافة، د. مصطفى الفقي، وصفوت الشريف وزير الإعلام، و عمرو موسى وزير الخارجية، محمد حسنين هيكل، د. ممدوح البلتاجي وزير السياحة، د. حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم، اللواء حسن الألفي وزير الداخلية، عمر عبد الآخر محافظ القاهرة، د. أسامة الباز، والشيخ د. محمد سيد طنطاوي مفتي الجمهورية.

استحدث معرض هذا العام شكلاً جديداً من أشكال نشاطاته الثقافية أسماه «شهادات: كاتب ورؤية» التقى فيها رواد المعرض مع: محمود السعدني، ألفريد فرج، مفيد فوزي، عبد الرحمن الأبنودي، صلاح منتصر، كامل زهيري، أحمد بهجت، محمد جلال، جمال الغيطاني، إقبال بركة، علي سالم، أسامة أنور عكاشة.

كما نوقشت فيه كتب كثيرة منها: «دفاعا عن التنوير» للدكتور جابر عصفور، «الصراع الاجتماعي والسياسي في عصر مبارك» للدكتور عبد العظيم رمضان، «مسرح الشعب» للدكتور علي الراعي، «مذاهب في النقد الأدبي عند العرب والغربيين» للدكتور شكري عياد، «مصر من نافذة التاريخ» لجمال بدوي، «من السادات إلى عرفات في إسطبل داود» لعبد الستار الطويلة، «نظرية الإبداع» للدكتور مدكور ثابت، «نافذة على الفضاء» للمهندس سعد شعبان، «قضايا فكرية» لمحمود أمين العالم، «هؤلاء الرجال من مصر»، للمعي المطيعي، «أحزان حرية الصحافة» لصلاح الدين حافظ، «بداية التاريخ والبحث عن طريق» للدكتور فتحي عبد الفتاح.

ومن الندوات التي لفتت الانتباه إليها هذا العام ندوة علمية حول «علاج العيون بالليزر: مالها وما عليها».

ومساء كل يوم كان رواد المعرض يسهرون مع أمسية شعرية تضم مجموعة من شعراء العالم العربي.

كما خصص «المقهى الثقافي» من العاشرة صباحا، وحتى السابعة مساءً لمناقشة أعمال الأدباء الشباب.

وفي «المخيم» عرضت ملامح الحركة الأدبية في أقاليم مصر، حيث كان يجيء يوميا وفد من أدباء محافظة من المحافظات وشعرائها ليقدموا إنتاجهم في حضور هذا الجمهور العريض الذي ينتظره الملتقى من العام إلى العام.

الجو العام

لوحظ في معرض هذا العام هيمنة التيار العلماني على النشاطات الثقافية، وعدم توجيه الدعوة لرموز التيار الإسلامي المستنير التي كثيرا ما شاركت في نشاطات المعرض في الأعوام السابقة.

يجيء هذا التجاهل للفكر الإسلامي إثر الاستجواب العنيف الذي وجهه النائب جلال غريب عضو مجلس الشعب لوزير الثقافة فاروق حسني بسبب نشر مجلات الهيئة المصرية العامة للكتاب التابعة لوزارة الثقافة صورا وقصائد تخدش الحياء وتتنافر مع القيم الدينية، إضافة إلى كتب تخالف الشريعة الإسلامية. وأعقب هذا الاستجواب قيام أنصار الاتجاه العلماني بشن حملة منظمة على النائب بخاصة والمفكرين الإسلاميين والأزهريين بعامة، وصلت إلى حد اتهام الإسلاميين بمحاولة تخريب الثقافة المصرية.

من جانبهم لم يتمكن المفكرون والمثقفون ذوو الاتجاه الإسلامي من الرد بدرجة كافية على هذه الحملة، نظرا لسيطرة العلمانيين على وسائل الإعلام والنشر واتباعهم سياسة مصادرة حق النقاش.



دارت المناقشات حول سبعة محاور هي: آفاق الثقافة الشعبية، إعلام الثقافة الشعبية، الإشكاليات المنهجية في دراسة الثقافة الشعبية، المعتقدات الشعبية، الأدب الشعبي، العادات والتقاليد الشعبية، والفنون والحرف الشعبية.



وفاة نديم محمد

توفي في شهر شعبان الماضي الشاعر السوري **نديم محمد** عن عمر يناهز ٨٦ عاماً.

يعد نديم محمد شاعراً مقلاً وأحد شعراء الرومانسية والرمزية، وهو خريج جامعة موتبلييه الفرنسية تخصص آداب، ومن أعماله: **«الأم»**، **«فراشات وعناكب»**، **«آفاق»**، **«ألوان»**، و**«رفاق مضوا»**.

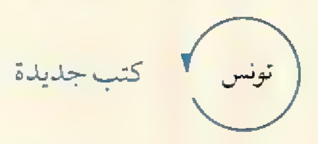
كتب جديدة

● **معالم الخط العربي**، تأليف **محيي الدين نجيب**، صدر عن دار القلم العربي في دمشق.

● **الفراشة والدبابة**، أربع قصص لأرنست همنجواي، ترجمها إلى اللغة العربية **عمار أحمد حامد**.

● **حقيقة إخوان الصفا**، تأليف. د. **عادل العوا**.

صدر الكتابان السابقان عن دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع في دمشق.

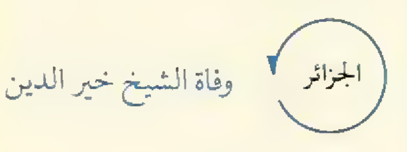


كتب جديدة

● **المرأة في العهد النبوي**، تأليف د. **عصمة الدين كركر**، صدر عن دار الغرب الإسلامي في تونس.

● **رمضاء اللغة ورمضاء الجسد**، مجموعة شعرية **لمحمد الغزي**، صدرت عن دار سيراس في تونس.

● **بحوث المؤتمر الدولي الذي عقد في تونس في** العام الماضي بمناسبة مرور خمسمائة عام على سقوط **غرناطة**، أعدها للنشر د. **عبد الجليل التميمي**، وصدرت عن مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية في تونس.



وفاة الشيخ خير الدين

فقدت الجزائر - مؤخراً - أحد أبرز أبنائها الأعلام بوفاة الشيخ **محمد خير الدين** أحد مؤسسي جمعية علماء الدين في الجزائر عن عمر يناهز مائة عام.

وكان الفقيد واحداً من مجموعة علماء، أبرزهم الشيخ **عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي**، عكفوا على خدمة الإسلام والدعوة إلى نشر اللغة العربية ومحاربة الاستعمار والتغريب والدعوات الفرانكفونية في الجزائر.

ملتقى فكري

نظمت جامعة وهران - مؤخراً - ملتقى فلسفياً أقيم تحت عنوان **«الفكر العربي وميكانيزمات**

محاضرات وندوات

○ **«القيم في مواجهة الإعلام الغازي»** عنوان محاضرة جماعية نظمها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، شارك فيها: **محمد صلاح الدين**، ود. **إبراهيم إمام محمود**، وأدارها د. عبد القادر طاش.

○ **«أساليب التدريس القديمة والحديثة»** عنوان محاضرة ألقاها في كلية الآداب للبنات في الرياض د. **عبد الله علي الحصين**.

○ **«قضايا في الأدب الإسلامي»** عنوان محاضرة ألقاها د. **محمد بن سعد بن حسين**.

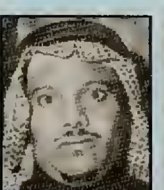
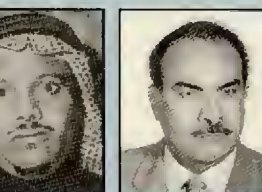
○ **«نحو الجملة، ونحو الصرف»** عنوان محاضرة ألقاها د. **تمام حسان**.

ألقيت المحاضرتان السابقتان في نادي القصيم الأدبي في بريدة.

○ **«الاهتمام بتربية النشء»** عنوان محاضرة ألقاها في جامع ابن دريوش بالشهداء الجنوبية في الطائف الشيخ **صالح محمد القهرة**.

○ **«التراث الشعري ودوره في مراحل تطور الشعر العربي»** عنوان محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي د. **محمد أبو الأنوار**.

○ **«اللغة حول النص الإبداعي بين الطبيعة والوظيفة»** عنوان محاضرة ألقاها في نادي المدينة المنورة الأدبي د. **عالي سرحان القرشي**.


د. محمد بن سعد بن حسين — د. محمد عمارة — د. عالي سرحان القرشي — فاروق جويدة

○ **«أزمة الطفل العربي»** موضوع ندوة نظمتها رابطة التربية الحديثة في القاهرة، وشارك فيها المفكر الإسلامي د. **محمد عمارة**.

○ نظمت ندوة الثقافة والعلوم في دبي **أمسية شعرية** للشاعر المصري **فاروق جويدة**، ألقى خلالها عدداً من قصائده الوطنية والعاطفية والإنسانية.

○ **«الحداثة والتقاليد»** عنوان محاضرة ألقاها في المجمع الثقافي بـ(أبو ظبي) د. **جابر عصفور**.

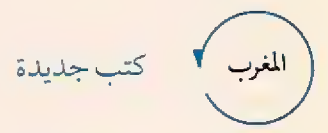
الدفاع» بمشاركة عدد من الأساتذة المتخصصين في الفلسفة وعلم الاجتماع.

ناقش الملتقى ميكانيزمات الدفاع عن الهوية ووسائل الحفاظ عليها، وقضايا التراث والحداثة والمنهج في الفكر العربي المعاصر.

مجلة علمية

يعتزم مركز الدراسات الجزائرية في وهران إصدار **مجلة متخصصة في الدراسات الجزائرية.**

ينتظر أن يشارك في كتابة العدد الأول من المجلة مجموعة من أبرز علماء الجزائر وباحثيها بدعوة من المركز.



المغرب — كتب جديدة

● **سبتة من الجذور إلى القرن ١٤**، للمؤرخة **حليمة فرحات**، صدر ضمن منشورات المناهل عن وزارة الثقافة.

● **جوامع الأخلاق والسياسة والحكمة**، مختارات من التراث الأدبي والفكري العربي جمعها وقدم لها في جزأين **محمد العربي الخطابي**، وصدرت في الرباط عن منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

● **عبد الكريم غلاّب: بيليوجرافيا بأعماله وما كُتب عنه في مصادر عربية ١٩٤٧م ـ ١٩٩١م**، إعداد **صالح جواد الطعمة**، صدر عن دار توبقال للنشر.

جنوب أفريقيا — هل تصبح العربية إحدى اللغات الرسمية؟

يسعى مكتب لجنة مسلمي أفريقيا في جمهورية جنوب أفريقيا **إلى إدخال اللغة العربية كإحدى اللغات الرسمية للدولة.**

ويقوم المكتب حالياً بحملة مكثفة لتحقيق هذا الهدف، خاصة أن عدد المسلمين هناك يقارب نصف المليون، وقد اختاروا أثناء حكم الأقلية البيضاء اللغة العربية لغة قومية لهم يدرسونها ضمن المناهج الدراسية في المدارس الحكومية.

ويذكر أن عدة جامعات مرموقة في جنوب أفريقيا قد أنشأت بها أقساماً للغة العربية والدين الإسلامي، مثل جامعة رائد فريكانا ز وجامعة غرب الكاب، وجامعة ديربان وغيرها.

باكستان — ندوة «الإسلام والحداثة»

ينتظر أن تستضيف مدينة كراتشي ندوة دولية بعنوان «**الإسلام والحداثة**» بهدف دراسة الثقافتين الإسلامية والغربية وتحليلهما لفهم المشكلات الناجمة عن عملية التفاعل بينهما.

تقام الندوة برعاية معهد البحوث الإسلامية ومعهد جوته الألماني بالاشتراك مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

يشارك في الندوة متخصصون في مجالات السياسة والأدب والقانون والاقتصاد من باكستان وألمانيا، ومن المقرر أن تعقد دورياً كل أربع سنوات بالتناوب بين البلدين.

الهند — وفاة الرحماني

فقدت الدعوة الإسلامية في الهند ـ مؤخراً ـ أحد أقطابها بوفاة العالم الفقيه الشيخ أبو الحسن **عبيد الله الرحماني** عن عمر يناهز ٨١ عاماً.

ولد الفقيد في محرم ١٣٢٧هـ، وتلقى علومه

○ «**إعادة صياغة وتنظيم تاريخ الإمارات الحديث**» عنوان محاضرة ألقاها في المجمع الثقافي في الشارقة د. **سلوت.**

○ «**الفيزياء في التراث العربي**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية العلوم بجامعة البحرين د. **وهيب عيسى.**

○ «**تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها**» عنوان محاضرة ألقتها في مقر الجمعية الكويتية للدراسات والبحوث التخصصية د. **نجاة المطوع.**

○ «**صراع النخبة في دول العالم الثالث**» عنوان محاضرة ألقاها د. **حنفي محمود إمام.**

○ «**مشكلات الغذاء والإنسان المصري**» عنوان محاضرة ألقاها د. **محمد أبو زيد.**

نظم المحاضرتين السابقتين المنتدى الفكري في كلية التربية بجامعة قناة السويس.

○ «**كتابات العقاد وطه حسين وحوارهما عن المرأة**» موضوع ندوة نظمها قصر ثقافة أسوان بمشاركة عدد من النقاد، بإشراف **فوزي فوزي.**

○ «**الواقع النقدي في العالم العربي في القرن العشرين**» عنوان ندوة أقيمت في قصر ثقافة المنيا، شارك فيها د. **أحمد السعدني**، وأدارها د. **جمال التلاوي.**

○ أقام مركز الهناجر للفنون بالقاهرة: **أمسية شعرية للشاعر الدكتور أحمد تيمور وديوانه «في وصف أمريكا»**، شارك فيها الدكاترة: **سعد الدين إبراهيم، محمد عبد المطلب، وحسن وجيه**، وقدمت لها د. **هدى وصفي.**

○ «**الحرية وكرامة الإنسان**» عنوان محاضرة ألقاها في بيت ثقافة «أبو حماد» في محافظة الشرقية بمصر **الشيخ حسام عطية.**

○ «**عُمان: الماضي والحاضر**» عنوان محاضرة ألقاها في جامعة السلطان قابوس بعُمان د. **عصام علي الرواس.**

○ «**النظام الموحد للمحفوظات**» عنوان ندوة نظمها معهد الإدارة العامة في مسقط، وشارك فيها مجموعة من المتخصصين.

○ «**فن صناعة كتاب الطفل**» موضوع ندوة نظمها في «أبو ظبي» اتحاد كُتّاب الإمارات وأدبائها، شارك فيها عدد من الناشرين والمهتمين بأدب الطفل.



على كبار الأساتذة في الهند. وتخرج عام ١٣٤٥هـ في المدرسة الرحمانية في دلهي وعُيِّن مدرساً فيها، واضطر أثناء استقلال الهند إلى ملازمة بيته والاشتغال بالتأليف والإفتاء نتيجة لضياع المدرسة الرحمانية.

ووفد الرحماني عام ١٣٦٦هـ على الملك عبد العزيز آل سعود، والتقى نائبه في الحجاز الأمير فيصل (الملك فيصل فيما بعد) يرحمهم الله.

وله العديد من الفتاوىٰ والمؤلفات، لعل أبرزها كتابه المشهور «مراعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح».

بريطانيا «شرق ويمبلدون» وإساءة أخرى للإسلام!

في إطار مسلسل الطعن في الدين الإسلامي، صدرت ــ مؤخراً ــ عن دار نشر **فابر** في لندن رواية للكاتب الإنجليزي **نيجل وليامز** بعنوان «**شرق ويمبلدون**»، **حافلة بالتشويه لكل ما يمت إلى الإسلام والمسلمين بصلة**.

تدور الرواية حول شخص مهتز الشخصية يتظاهر باعتناق الإسلام طمعاً في الحصول على وظيفة في مدرسة إسلامية، ومن خلال هذه الشخصية غير السوية وتصرفاتها يطعن المؤلف في الإسلام مستخدماً مواقف ساخرة وأخرى غير سوية للوصول إلى هدفه.

معرض دولي للطفل

يقام في معهد الكومنولث بلندن في الثالث والعشرين من شهر رمضان الجاري ١٤١٤هـ (٥ مارس ١٩٩٤م) **معرض دولي للطفل المسلم**.

ينظم المعرض الذي يستمر عشرة أيام نخبة من رجال الأعمال والدبلوماسيين العرب، ويهدف إلى التعريف بالمجالات الثقافية والتربوية الخاصة بالطفل المسلم.

جائزة هيس للقناعي

فاز الأكاديمي الكويتي د. **جمال القناعي** الأستاذ بجامعة الكويت بجائزة **جون هيس** للترجمة التي يمنحها معهد الترجمة التحريرية والفورية في لندن.

يتسلم د. **القناعي** جائزته في شهر أبريل المقبل خلال المؤتمر الذي ينظمه المعهد في مدينة نوتنجهام.

ويذكر أن هذه هي المرة الأولى التي تمنح فيها الجائزة لأحد أبناء العالم العربي.

أحدث الكتب

● **خذ الكتاب بقوة**، قصائد للشاعر يحيى جابر صدرت عن دار رياض الريس.

● **الحيوات الخاصة لألبرت أينشتاين**، تأليف **روجر هايفيلد**، وبول كارتر، صدر عن دار نشر فابر.

● **اللون والحضارة**، تأليف **جون جيج**، صدر عن دار نشر ثيمس أن هدسون.

رسائل جامعية

○ «**أحاديث فضائل سور القرآن الكريم من تفسير الدر المنثور للسيوطي، تخريجها ودراسة أسانيدها والحكم عليها**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب للبنات في الرياض، تقدمت بها **هند بنت محمد علي الجار الله**.

○ «**المضامين التربوية للاتجاه التغريبي في مصر في النصف الأول من القرن العشرين**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة عين شمس، تقدم بها **سامي سليمان محمد السهم**.

○ «**الصورة الفنية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في معهد اللغة والأدب العربي في جامعة الجزائر، تقدم بها **قرش عبد القادر**.

○ «**علل الحديث لابن أبي حاتم، من أول الكتاب إلى بداية قوله: سألت أبي عن رواية عروة عن علي: تحقيقًا ودراسة**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **عبد الله عبد المحسن أحمد التويجري**.

○ «**الأغنية الشعبية الدينية**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدم بها **عبد المنعم عبد العزيز سلام**.

○ «**أثر الضوء في التعبير الفني والإفادة منه في تدريس التعبير بالألوان**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم التربية الفنية بجامعة أم القرى، تقدمت بها **إلهام عبد الله ريس**.

○ «**علاج إصابات غضروف الركبة بواسطة المنظار**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الطب بجامعة الزقازيق، تقدم بها **مجدي العقاد**.

○ «**دور العُمَد في خدمة المجتمع المحلي: دراسة مسحية خاصة بمنطقة عسير**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الأمنية التابع للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض، تقدم بها **سعيد عبد الله علي حموض**.

○ «**ظاهرة الاغتراب في شعر سمو الأمير عبد الله الفيصل ود. إبراهيم ناجي**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة القاهرة، تقدم بها **عزت محمود عبد الرحمن علي الدين**.

○ «**تشريح المخيخ**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الملك سعود في الرياض، تقدمت بها **سمر محمد السقاف**.

○ «**الواقعية في قصص الكاتبة البريطانية إيرس وورتن**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدمت بها **عزة محمد الخولي**.

○ «**التمثيل الدبلوماسي الفلسطيني قبل وبعد إعلان الدولة**» موضوع

● **جوبلز**، تأليف رالف جورج روث، صدر عن دار نشر كونستابل في لندن .

● **امنح الحرب فرصة**، تأليف جي اورورك، صدر عن دار نشر بيكادور في لندن .

● **حياة إيان فليمنج**، تأليف رونالد ماكور ميك، صدر عن دار نشر بيتر أوين في لندن .

● **أمة عاصفة**: رحلة في قلب أمريكا، تأليف بيت ديفين، صدر عن دار نشر ماندارين في لندن .

● **محارب بارد: جيمس جيساس إنجليتون بطل صيد الجواسيس في جهاز المخابرات المركزية الأمريكية**، تأليف **توم مانجون**، صدر عن دار نشر سيمون أندشوستر في لندن .

● **حينئذ جاء الأمريكيون: أصوات من فيتنام**، تأليف **مارثاهيس**، صدر عن دار نشر فوروالز إيت ويندوز في لندن .

● «**دليل بنجوين المالي من أجل تقاعد ناجح**»، تأليف **أليسون ميتشل**، وويندي **إيلكينجتون**، صدر عن دار نشر بنجوين في لندن .

● **البائع الحر**، تأليف جاري ديفيز، وكيم **هاريس**، صدر عن دار نشر ماكميلان إيديوكيشن في لندن .

● **دليل شمال أفريقيا**، إعداد كيث وآن ماك، صدر عن دار تراید أندترافيل .

● **الزواج والقانون: دراسة في الأسرة والشريعة الإسلامية**، تأليف زيبة مير حسيني، صدر عن دار أي. بي. توريس .

● **الشركة**، رواية **لجون جريشام**، صدرت عن دار نشر آرو في لندن .

● **من نهر الفردوس**، تأليف فيكرام سيث، صدر عن دار نشر فونيكست .

● **أكل كثير وزن أقل!**، تأليف **دين اورنيش** صدر عن دار نشر هاربر كولينز .

● **ابتسامة النعجة، رواية لديفيد جروسمان**، صدرت عن دار نشر بيكادور في لندن .

● **لتكن شخصًا ناجحًا**، تأليف **جيفري موس**، صدر عن دار نشر كوجان بيج .

● **قصة كأس العالم**، تأليف **برايان جلانفيل**، صدر عن دار نشر فابر .

● **حرب الخليج**، تأليف **أنطون مقدسي** .

● **اثنان بمفردهما، اثنان معًا**، تأليف **سونيا غاندي**، صدر عن دار هودر وستوتون .


أمين معلوف

● **سمرقند**، رواية الأديب **أمين معلوف**، ترجمها إلى اللغة الإنجليزية **راسل هاريس**، وصدرت عن دار نشر كوارتيت .

● **تحفة العروس ومتعة النفوس**، تأليف **محمد ابن أحمد التيجاني**، تحقيق **جليل العطية** .

صدر الكتابان السابقان عن دار رياض الريس للكتب والنشر في لندن وبيروت وقبرص .

● **أرض الوطن**، رواية **لروبرت هاريس**، صدرت عن دار هاتشينسون .

● **دوبار ديو: سيرة حياة**، تسجيل **ماريان جراي**، صدرت عن دار نشر وورمز بوكس .

● **أوليفر تويست**، رواية **تشارلز ديكنز** الشهيرة، **حولها جيرمي بروك إلى مسرحية**، وصدرت في لندن .

رسالة ماجستير نوقشت في معهد العلوم الإدارية والقانونية في جامعة الجزائر، تقدم بها **حسن خلف** .

○ «**العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي في الفترة من ١١٥٢ ــ ١٢٥٠ م**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة المنيا في مصر، تقدم بها **عادل عبد الحافظ عثمان** .

○ «**موقف أبي البركات البغدادي من الفلسفة الإلهية عند ابن سينا**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق في مصر، تقدم بها **جمال رجب** .

○ **انقضاء الالتزام بما يعادل الوفاء في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الأزهر، تقدم بها **رشدي شحاتة أبو زيد** .

○ «**المتحف المقترح في جدة وأثره في مستوى التذوق لدى طالبات المرحلة الثانوية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة أم القرى، تقدمت بها **صافيناز زكي غنيم** .

○ «**ألفاظ الحضارة المادية في مؤلفات الجبرتي**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدم بها **هاشم محمد سويفي** .

○ «**الظواهر اللغوية في تفسير الطبري**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق، تقدم بها **سعد الكردي** .

○ «**الآثار الاقتصادية للكمبيوتر**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإسكندرية، تقدم بها **نبيل صلاح العربي** .

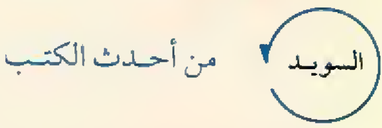
○ «**تطوير كفايات التقويم لدي المدرسين عن طريق تصميم حقيبة تعليمية تستخدم ذاتيًا**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة دمشق، تقدمت بها **نادية صابر الدبيسي** .

○ «**الصراط المستقيم في بيان القرآن الكريم للكازروني من أول الكتاب إلى نهاية تفسير سورة براءة: تحقيقًا ودراسة**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض تقدم بها **حسين محمد شريف هاشم** .

○ «**التراكيب اللغوية التي يستخدمها تلاميذ المرحلة المتوسطة بالمنطقة الغربية ومطابقتها على ما درسوه في مقررات اللغة العربية**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم المناهج وطرق التدريس بجامعة أم القرى، تقدم بها **مرزوق إبراهيم القرشي** .

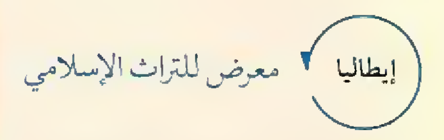
○ «**المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات في الرياض، تقدمت بها **عفاف إبراهيم عبد الله الدباغ** .





من أحدث الكتب

● **صور الماضي : سيرة ذاتية ، تأليف د. هشام شرابي**، صدر عن دار نلسن.



معرض للتراث الإسلامي

يقام حالياً في مقر القصر الدولي ببلدية فينيسيا أول معرض لفن التراث الإسلامي .

يتناول المعرض من خلال **٣٠٠ عمل فني تاريخ الإسلام** منذ ظهوره وحتى القرن الميلادي الحالي، عبر أعمال من السيراميك والزجاج والنسيج والعاج والكريستال والمعادن والخشب والسجاد، حيث تقدم هذه الأعمال صورة لتطور الفن الإسلام عبر العصور.

ينتظر أن يستمر المعرض حتى ١٦ من ذي القعدة المقبل ١٤١٤ هـ ـ الموافق ٣٠ أبريل ١٩٩٤م.

فرنسا

كتاب لأهم التحف الإسلامية في اللوفر

صدر بمناسبة افتتاح قسم خاص للفنون الإسلامية في متحف اللوفر كتاب يعرّف الزائر بأهم **التحف الإسلامية المعروضة بالمتحف**.

ويذكر أن المتحف يضم نحو ألف قطعة فنية إسلامية موزعة على ثلاث عشرة صالة مساحتها ألف و٢٠٠ متر مربع .

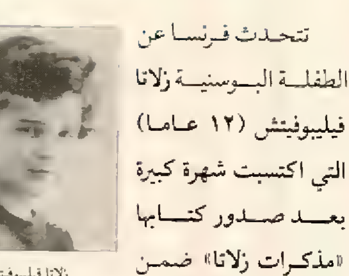
متحفان جديدان

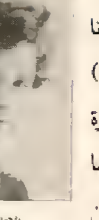
تعتزم بلدية باريس افتتاح متحفين جديدين خلال العام الميلادي الحالي ١٩٩٤م، إلى جانب مجموعة جديدة من القاعات في المتاحف القائمة .

ففي الخامس والعشرين من شهر أغسطس ١٩٩٤م يتم افتتاح «**متحف التحرير**»، كما تفتتح في «متحف الفن الحديث» مكتبة متخصصة في فنون القرن العشرين .

ويشهد شهر سبتمبر ١٩٩٤م افتتاح «**متحف كرنافاليه**» بعد تجديده وتوسعته .

مذكرات طفلة بوسنية





زلاتا فيليبوفيتش

تتحدث فرنسا عن الطفلة البوسنية **زلاتا فيليبوفيتش (١٢ عاما) التي اكتسبت شهرة كبيرة بعد صدور كتابها «مذكرات زلاتا»** ضمن الأعمال الخيرية لمساعدة ضحايا الحرب .

تحكي **زلاتا** في مذكراتها التي تقع في ٢١٥ صفحة الأحداث الدامية التي شهدتها في مدينة سراييفو في الفترة من سبتمبر ١٩٩١م حتى أكتوبر ١٩٩٣م حيث تمكنت بمساعدة فرنسية من مغادرة وطنها بصحبة والديها .

معرض : سورية ذاكرة وحضارة

يختتم في الثامن عشر من شهر رمضان المبارك الجاري (٢٨ فبراير ١٩٩٤م) معرض «**سورية : ذاكرة وحضارة**» الذي نظمه **معهد العالم العربي في باريس**.

يحكي المعرض عبر ثلاث قاعات مليئة بالآثار، المراحل التاريخية المتعاقبة التي مرت بها الحضارة السورية منذ عصر ما قبل التاريخ وحتى عهد الاحتلال الروماني والبيزنطي.

الشعر يزين الأماكن العامة!

انتشرت في الأماكن العامة مثل مترو الأنفاق **تجربة جديدة تتمثل في تعليق أبيات من الشعر على حوائطها جنباً إلى جنب مع الإعلانات**.

وكان مجلس الشعراء البريطاني قد طبق هذه التجربة في الصيف الماضي بعدما لاحظ انصراف المواطنين ـ لضيق الوقت ـ عن الشعر، ولاقت التجربة البريطانية نجاحاً أغرى فرنسا وكذلك اليابان باقتباسها عن الإنجليز.

هذه التجربة ظهرت من قبل في المملكة العربية السعودية، وربما في دول عربية أخرى، فقد سبق لأحد المصارف السعودية المعروفة أن اقتبس شيئا من شعر المتنبي في صياغة بعض إعلاناته على الطرق السريعة . وبقيت تلك التجربة محدودة ولم تصل إلى حد الظاهرة .

صحيفة للمستعجلين

صدرت ـ مؤخراً ـ صحيفة فرنسية جديدة باسم «**أنفو ماتان**» تتناول أحداث الساعة وموضوعاتها .

تتجه الصحيفة الجديدة **لخدمة قراء المدن الناشطين والمستعجلين** الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٥ ـ ٤٥ سنة، وتصدر خمسة أيام في الأسبوع في ٢٤ صفحة من الحجم الصغير (نصف حجم صحيفة لوموند) بأربعة ألوان .

أحدث الكتب

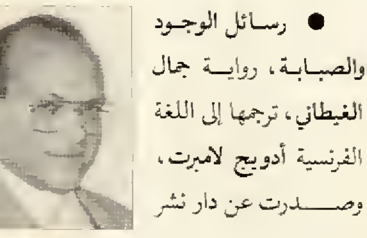
● **دليل المعارض العربية والدولية**، إعداد **بسام خالد الطيارة**، صادر عن منشورات تايكو.

● **الموسيقا العربية من عام ١٩٠٦م إلى عام ١٩٦٠م**، تأليف **أحمد ومحمد الحبيب هشلت**، صدر عن المركز الثقافي الجزائري في باريس بالتعاون مع دار نشر بيبليود .

● **حرب الجزائر**، تأليف **بيار ميكل**، صدر عن دار نشر فايار.

● **الأدب العربي المعاصر**، تأليف **ندى توميش**، صدر عن دار نشر ميزونوفي لاروز في باريس .

● **رسائل الوجود والصبابة**، رواية **جمال الغيطاني**، ترجمها إلى اللغة الفرنسية **أدويج لامبرت**، وصدرت عن دار نشر سوي .



جمال الغيطاني

www.ahlaltareekh.com

● الفكرة والمفكر وتيجنستن، ألّفه باللغة الإنجليزية **ديفيد بيير**، ونقله إلى اللغة الفرنسية **كريستيان نوفيريه**، وصدر عن دار نشر جاليمار في باريس.

ألمانيا — أكاديمية الملك فهد في بون

يُنتظر أن تبدأ **أكاديمية الملك فهد في بون** مع مطلع ربيع ١٩٩٥م في استقبال أبناء العرب والمسلمين في ألمانيا للدراسة بها في مراحل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي.


عباس فائق غزاوي

وكان السفير السعودي في ألمانيا **عباس فائق غزاوي** قد وقّع في نهاية شهر رجب الماضي عقد إنشاء الأكاديمية مع إحدى الشركات العالمية المتخصصة بحضور رئيس بلدية بون.

نخلة أثرية

اكتشف فريق جيولوجي **حفرية لنخلة يقدّر عمرها بنحو ٦٥ مليون عام**.

وقال خبراء: **إن النخلة التي يختلف شكلها كثيراً عن النخل الحالي كانت موجودة في العصر الرابع، وهو أحدث العصور في تاريخ الأرض، وتعد أقدم نخلة تم اكتشافها**.

الولايات المتحدة — أحدث الكتب

● .. **يلف خصر الأرض**، الديوان الثالث للشاعرة **مي الريحاني**، صدر عن منشورات بلاتفورم إنترناشيونال في واشنطن.

● قبر لينين: **الأيام الأخيرة للإمبراطورية السوفييتية**، تأليف **ديفيد ديمنيك**، صدر عن دار نشر راندوم هاوس في نيويورك.

● **المتنصرون في السلام: ماك أرثر ويوشيدا ويابان ما بعد الحرب**، تأليف **ريتشارد بي. فن**، صدر عن منشورات جامعة كاليفورنيا.

● **السياسة في سوادها وبياضها: الفرق والنفوذ في لوس أنجلوس**، تأليف **رفائيل جي ـ سوننشين**، صدر عن منشورات جامعة برينستون.

● **الولايات المتحدة: مقالات من سنة ١٩٥٢م حتى سنة ١٩٩٢م**، تأليف **جورج فيدال**، صدر عن دار نشر راندوم هاوس في نيويورك.

● **الاضطراب والانتصار: سنواتي كوزير للخارجية**، تأليف **جورج شولتز**، صدر عن دار روبرت ستيوارت للنشر في نيويورك.

روسيا — مجلة اقتصادية عربية

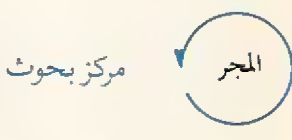
تعتزم جمعية رجال الأعمال المصريين في روسيا إصدار مجلة شهرية باللغة العربية تحت مسمى **«مال واقتصاد الكومنولث»**، تقوم برصد التغيرات الجذرية في السياسات الاقتصادية بدول الكومنولث المستقلة عن الاتحاد السوفييتي السابق، بهدف إيجاد جسر للتعاون بينها وبين البلدان العربية.

يصدر العدد الأول من المجلة في مطلع شهر مارس المقبل ١٩٩٤م، ويرأس تحريرها حسين الشافعي، فيما يدير التحرير د. **إيمان يحيى**.

سويسرا — جائزة لصحافية أمريكية

منحت الصحافية ومراسلة مجلة **«نيويوركر»** الأدبية الأمريكية في باريس **جان كرامر** جائزة **«شارل نيوي»** السويسرية في مجال كتابة المقالة.

سبق **لكرامر** أن فازت عام ١٩٨١م بالجائزة القومية للكتاب في الولايات المتحدة وجائزة المجلة القومية عام ١٩٩٢م.



المجر — مركز بحوث

أقيم ـ مؤخرا ـ في بودابست **مركز للبحوث** شاركت في إنشائه المجر وفرنسا وهولندا والنمسا وسويسرا.

يهدف المركز إلى تطوير العلوم والمناهج التعليمية، ويضم متخصصين في علم الاجتماع والتاريخ وفروع الأدب والثقافة.

الأرجنتين — وفاة شاعرة

توفيت ـ مؤخراً ـ في بيونس أيرس الكاتبة والشاعرة **سيلفينا أوكامبو** عن عمر يناهز ٩٠ عاماً.

وتعد أوكامبو من أبرز شاعرات الأرجنتين وأمريكا الجنوبية التي تمتعت فيها بشهرة واسعة لم ينلها كاتب أو شاعر آخر معاصر لها.

قصائد ملكية في حفل قراءة الشعر

أقيم ـ مؤخراً ـ في طوكيو **حفل قراءة الشعر**، الذي يعد تقليداً سنوياً منذ خمسمائة عام.

واختيرت عشر قصائد تتكون من ٣١ بيتاً لقراءتها في الحفل من بين **٢٢ ألفا و٤٠٠ قصيدة** بعث بها عامة اليابانيين إلى وكالة القصر الإمبراطوري لقراءتها في بداية العام.

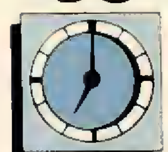
من بين القصائد التي ألقيت **قصيدة للإمبراطور إكيهيتو** عنوانها **«أمواج»**، أعرب فيها عن أمله في أن يسود السلام العالم.

كما قدم **ولي العهد الأمير ناروهيتو وزوجته الأميرة ماساكو قصيدتين** يستذكران فيهما إقامتهما في أغسطس الماضي على شاطئ بحيرة يابانية أثناء حضورهما المؤتمر الزراعي القومي.

الصين — معرض لفنان فرنسي

عرضت في المتحف الكبير في بكين ـ للمرة الأولى ـ مجموعة من لوحات الرسام التجريدي الفرنسي **بيار سولاج (٧٤ عاما)**.

يأتي هذا المعرض في إطار تعزيز التعاون الثقافي بين فرنسا والصين.



الشّعرُ والضّرائِبُ

لي صديق إنجليزي شاعر، غير متفرغ للشعر بالطبع، وإلا مات من الجوع. ومع ذلك فهو ينشر سنويا عشر قصائد في المتوسط، ويتقاضى عنها من الصحف والمجلات ما لا يزيد على ٥٠٠ جنيه استرليني. ولأن هذا المبلغ يدخل حسابه في البنك فهو يشكل دخلاً إضافيًا تحاسبه عليه دائرة الضرائب حسابًا عسيرًا. ولأن الشعر لا يُؤكِّل عيشا، حتى في أوروبا، فقد عمل صديقي هذا مدرسا، وجعل الشعر عملا إضافيا. ولأنه أيضا من دافعي الضرائب المخلصين فلا يزيد صافي دخله المذكور من الشعر على ٢٠٠ جنيه بعد استقطاع نفقات مراسلة الصحف والمجلات وثمن الورق والحبر ودواوين الشعر التي يشتريها سنويا.

وصديقي هذا راض بما قسم له، ولا يملك أي نوايا خبيثة للتهرب من مأمور الضرائب ومفتشها. ولكنه اشترى أخيرا ديوانا مترجمًا للشاعر الروسي المشهور «**فلاديمير ماياكوفسكي**» وأعجبته في الديوان قصيدة طويلة بعنوان «**محادثة حول الشعر مع مأمور الضرائب**»، أعطاني نسخة مصورة منها عقب محادثة دارت بيننا حول الشعر والضرائب.

القصيدة من أجمل ما كتب شعرا عن قيمة الشعر أولا. وكان بودي أن أنقلها هنا كاملة، ولكني سأكتفي ببعض مقاطعها.

يقول ماياكوفسكي :

مواطني مأمور الضرائب،
حاول أن تعي ما سأقوله،
فكلمات الشاعر مثل الأوز،
تطير ذكورًا وإناثًا
والقافية - إذا استخدمنا
أسلوب الشعراء - برميل
برميل من الديناميت،
والبيت من الشعر فتيل مشتعل
يشتعل البيت فتنفجر القافية
وبمقطع واحد من الشعر
تنفجر المدينة وتتحول إلى مِزَق
ففي أي جدول ضرائبي
تجد أن القوافي إذا سُدِّدت
تصيب جميع نقاط الهدف ؟

. . .

إني أغرق متعثر الخُطا
في الديون والقروض
ولك أن تحسب النفقات
التي يجب أن أدفعها في النقل
فما الشعر، كل الشعر،
سوى رحلة في المجهول
وجرامات من الجوهر
في سِنِيِّ العناء والعمل
فمن أجل كلمة واحدة
تجدني أستهلك آلاف الأطنان
من خام الألفاظ.

ومع ذلك، يبدو أن الخصام بين الشعراء ومأموري الضرائب لن يصل إلى حل بسهولة. فقد انتحر **ماياكوفسكي** عام ١٩٣٠م. **ومازال الشاعر ومأمور الضرائب متخاصمين شرقا وغربا**، ولم تعد الضريبة الوحيدة المستحقة على الشعر في عصرنا سوى ضريبة الحرية.

د. علي شلش

* من مجموعة المقالات التي خص بها الكاتب - رحمه الله - «الفيصل» قبل وفاته بشهرين.